أُسْطورة الكَرم والشَّهامة .. حَاتم دَار جَعلْ

فِضيل عَلي فِضيل الجَعَلي (أبْ عَلي)

(1938م - 2015م)

يا عَشاي ضيوف الهَجْعَة   فاقدنك يا المشيت بلا رَجْعَة

اعداد المُحَامي:

عَبْد البَاقي الطَّيب عَليّ

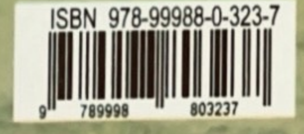


عبد الباقي الطيب علي/ المحامي أسطورة الكرم والشهامة .. عالم ذاع صيته فضيل علي فضيل الجعلي - أبو علي



المُؤَلِّفُ فِيْ سُطُوْرٍ

- عَبْدُ البَاقِيْ الطَّيِّبُ عَلِيْ.
- مَوَالِيْدُ قَرْيَةِ الجُبَارَابِ جَنُوْبِ الدَّامَرِ (1965م).
- عُضْوُ الاتحاد العَامِ للمحامين السُّوْدَانِيِّيْنَ.
- عُضْوُ الاتحاد القَوْمِيِّ لِلأُدَبَاءِ والكُتَّابِ السُّوْدَانِيِّيْنَ.
- عُضْوُ الاتحاد العَامِ لِلصُّحُفِيِّيْنَ السُّوْدَانِيِّيْنَ.
- عُضْوُ مُلْتَقَى النَّسَّابِين السُّودَانِيِيْنَ.
- عَمَلَ بِالمُحَامَاةِ، بِأُمِّ دُرْمَانَ والقَضَارِف، ثُمَّ هَاجَرَ، للعَمَلِ بالسُّعُوْدِيَّةِ.
- شَارَكَ بِالكِتَابَةِ الرَّاتِبَةِ بعدد من الصُحُفِ السُّوْدَانِيَةِ.
- مُحرر عَمُوْدِ (إِشَـــارَة حَمْرَاء) وعَمُوْدِ (صُـــوْرَة مَقْلُوبَة) وعَمُوْدِ (جِهَارًا نَهَارًا) وباب (مِن المُفَكِّرَة) و(اسْـتِرَاحَة الجُمُعَة) بِصُـحِفِ: الخُرْطُومِ، والسُّـوْدَانِيِّ والانتباهة والمَرِّيخِ والصَّـدَى وَوَهَجِ الصَّـفْوَةِ ومَجلة النُّخْبة الإلكترونية.
- نَاشِطٌ بالجَالِيَةِ السُّوْدَانِيَةِ بِالرِّيَاض- السُّعُوْدِيَةِ وَعَضُوُ مُؤَسِسٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الجَمْعِيَاتِ، الأَدَبِيَةِ، والاجْتِمَاعِيَةِ والرِّيَاضِيَةِ.
- أَمِينُ الثَّقَافَةِ بِالرَّابِطَةِ الرِّيَاضِـيَّةِ للسُّـوْدَانِيِّيْنَ بالخَارِجِ (الصَّـالِحِيَةِ) بِالرِّيَاض - السُّـعُوْدِيَةِ وعُضُـو اللَّجْنَةِ القَانُوْنِيَةِ، وعضو لَجْنَةِ الاستِئْنَافَات بِالرَّابِطَةِ.
- الأَمِيْنُ العَامُ السَّـابق لِجَمْعِيَةِ بَيْتِ الشَّـبَابِ السُّـوْدَانِيِّ ولجَمْعية الأُسَـر السُّـودَانية ونَائِب رَئِيس الجَمعِيَة الحَالِي والأَمِيْنُ العَامُ الحالي لمُلْتَقَى مَرِيخَابِ الرِّيَاضِ- السعودية ولِعِدَّةِ دَوْرَاتٍ سَابِقَات.
- رَئِيس مُنْتَدَى الأَرْبِعَاءِ الأَدَبِيِّ والثَّقَافِي بِالرِّيَاضِ - السُّعُوْدِيَةِ.
- بَاحِثٌ فِيْ التَّارِيخِ، والفنون والتُّرَاثِ، والأَنْسَـــابِ، وَنَسَّـــابٌ، وَمُحَقِّقٌ فِيْ أُصُـــوْلِ وأَنْسَـــابِ القَبَائِلِ السُّوْدَانِيَةِ، وقَبِيلَةِ الجَعَلِيِّيْنَ خَاصَّةً.
- مُسْتَشَارٌ مَرْجِعِيٌّ في قَوَانِيْنِ وَلَوَائِحِ وإِدَارَةِ العَمَلِ الجَمْعِيَاتِيِّ والطوعي واشْكَالَاتِه.
- مُنِحَ العَدِيْدُ مِنَ الشَّهَادَاتِ التَّقْدِيرِيَّةِ، فِيْ المَجَالِ الإِعْلَامِيِّ والثَّقَافِيِّ.
- مُنِحَ (دِرْعِ الثَّقَافَةِ)، خِلَالَ فَعَالِيَاتِ الخُرْطُومِ، عَاصِمَةَ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَةِ 2005م.
- عَمَلَ مُسْتَشَارًا قَانُوْنِيًا، بِالعَدِيْدِ مِنَ الشَّرِكَاتِ، والمُؤَسَّسَاتِ، ومَكَاتِبِ المُحَامَاةِ بالسُّعُوْدِيَةِ.
- يَعْمَلُ (مُسْتَشَار قَانُوْنِي)، بشَرِكَةِ الحُلُول المُتَمَيِّزة بِالرِّيَاضِ - السُّعُوْدِيَةِ.
- مُتَزَوِّجٌ، وَلَهُ مِنَ الأَبْنَاءِ (عَمَّارٌ، وَعُلا وأَوَاب).


ISBN 978-99988-0-323-7



أُسْطُورة الكَرم والشَهامة .. حَاتم دَار جَعلْ

فِضيل عَلي فِضيل الجَعَلي (أبْ عَلي)



(١٩٣٨م - ٢٠١٥م)

يا عَشّـــاي ضــيوف الهَجْعَة   فـاقدنـك يـا المشَــيت بلا رَجْعَة

عبد الباقي الطيب علي/ المحامي

٢٠٢١م -١٤٤٢هـ

عن الجود والكـــــــــرم

قال تعالى:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر:٩)

وعن طلحة بن عبيد الله بن كريز، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللهَ جَوَّادٌ يحبُّ الجَوَّادَ، ويُحِبُ مَعَالِيَ الأَخْلَاقِ، ويَكْرَهُ سَفْسافِهَا)؛ أخرجه ابن أبي شيبة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

وفي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكّرِيْمُ ابنُ الكَرِيْمِ ابنِ الكِرِيْمِ ابنِ الكَرِيْمِ؛ يُوسُفُ بنُ يَعْقُوبَ بنِ إسحَاقَ بنِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ).

وقال الشاعر:

مَا مَاتَ مَنْ زَرْعُه الفَضَـــائِلُ فِي الوَرَى ... بَـلْ عَـاشَ عُمْراً ثَـانِيـاً تَحـتَ الثّرَى

فَــالـذِّكْـرُ يُـحْــيِ مِـيْـتـاً ولَـرُبَّـمَـا ... مَـات الّـذِي مَـا زَالَ يَسْــــمَـعُ ويَـرَى

وقَال أَميرُ الشُّعَرَاءِ أحمد شَوقِي:

دَقّـاتُ قَـلْـبَ الـمَـرْءِ قَـائِـلَـةٌ لَـهُ: ... إِنَّ الــحَـيَــاةَ دَقَــائِــقٌ وَثَــوَانِـــي

فَـارْفَعْ لنَفْسِـــكَ بَعْـدَ مَوْتِـكَ ذِكْرَهَـا ... فَـالـذِّكْـرُ لـلإِنْسَــــانِ عُـمْـرٌ ثَـانِـيْ

وقال شاعر آخر:

ويُظهِر عيـبَ المَرْءِ فِي النَّـاسِ بُخلُـهُ ... ويَسْـــتُرُه عَنْـهُم جَمَيْعًـا سَـــخَـاؤهُ

تَـغَـطّ بَـأَثْـوَابِ السّـــخَــاءِ فِـإنَّـنِـي ... أَرَى كُـلَّ عَـيْـبٍ والسَّـــخَـاءُ غِطَـاؤُهِ

قالوا عن الحاج فِضيل علي فِضيل:

(مافي ود مَقَنّعة بِقْدِل مع حَاج فِضيل من الجَيْلي الي الْأَتْبَرَاوِيْ - نَهْر عَطْبَرَة).

(أبقوا عشرة على حَاج فِضيل فانه أشْبه بالعَرب العَاربة الذين عاصَروا الجاهلية والاسلام فأسلموا فحسن اسلامهم وقد جمع عمنا فِضيل من الشجاعة والمروءة والكرم طَارِف وتَليدْ)

(الباحث في التراث ومقدم برنامج صور شعبية الشهير الأستاذ الطيب محمد الطيب)

(فِضيل علي فِضيل حاتم دار جَعل) و(فِضيل علي فِضيل عُمدة الجُبَاراب)

(العمدة الحاج علي صالح جيب الله)

(عمدة المقرن بنهر عطبرة سابقاً وكاتب الاستراحات بالصحف اليومية)

فِضيل علي فِضيل (الأيقونة النادرة والكَاريزما العالية)

السفير المخضرم/ عثمان نافع حمد

(الحاج فِضيل ليس رجلاً بألف رجل بل إن "صوته" فقط خير من ألف رجل..)

دكتور عمر احمد صديق المجذوب

أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة السلطان قابوس - عمان.

(فِضيل علي فضيل: رجل مهنته الكرم)

الكاتب الصحفي أحمد عبد الوهاب في عموده اليومي (فنجان الصباح)

(فِضيل ظاهرة انسانية فريدة في عالم الكرم والضيافة)

(الشاعر محمد عمارة جاد)

الفـــــهرس

الإهـــداء

إلى شعب السودان الأبي الشهم الكريم، والذي يتحلى بالإنسانية ومكارم الأخلاق، والذي جَمع خيْر ما عند العَربِ، وخيْر ما عند الأفَارقَة من قِيَم وأخْلاق.

إلى عموم قبائل السودان، والتي تشكل لوحة إثنية ووطنية جميلة ومتداخلة الألوان والخطوط والمتميزة في الأصالة والإباء والكرم والقيم النبيلة.

إلى عموم قبائل الجعليين بالسودان.. وإلى قبيلة الجعليين العرمانيين (أولاد جعل) بولاية نهر النيل.. أهل الجود، والكرم، والنخوة، والشهامة والشجاعة.. والعلم والقيادة.

إلى عموم قبيلة الجعليين العرمانيين بالدَّامر، عاصمة ولاية نهر النيل، وعاصمة الجعليين العرمانيين الروحية والتاريخية.

إلى الأهل الجعليين العرمانيين: الشعديناب، والجُبَاراب، وأرحامهم، والى جميع عشائر وأسر منطقتي الجُبَاراب والحصايا بالدَّامر وغيرهما، من بلاد السودان..

إلى الحسيناب الشعديناب، ذرية الجد الصالح، وشجرة الخير والبركة، (راجل الحصاية)، (الشيخ حسين ود حمد حصاية الرمد).. (راجل الجريف أب إيداً درقة وسيف)، والذي نسل منه الأجواد الكريم الشهم المرحوم الحاج فِضيل علي فِضيل احمد.

إلى عشيرة الراحل الحاج/ فِضيل علي فضيل وأهله، وأصهاره، وأرحامه الأقربين الكرماء: الفضيلاب الحسيناب، أبناء فضيل بن عبد العليم، بن الحاج قرشي، حفيد الشيخ الصالح حسين ود حمد، بالجباراب، والحصاية بالدَّامر، وأم درمان، والقضارف، وكل بقاع السودان..

إلى روح المرحوم الحاج/ علي فِضيل أحمد الجعلي الشعدينابي، وإلى روح المرحومة الحاجة/ عائشة حمزة عاشميق (أم شَرَفْ) الجعلية الشعدينابية، اللذان أنجبا الحاج/ فِضيل، الظاهرة الانسانية المتفردة في الجود، والكرم، والنخوة والشهامة والشجاعة..

إلى أسرة المرحوم الحاج/ فِضيل علي فِضيل، بالشقلة، شرق بمدينة الفتيحاب بأم درمان، الأسرة الكريمة المبروكة والتي شاركته مشوار الجود والكرم والشهامة وحسن الضيافة..

إلى أرملة الراحل الحاج/ فِضيل، وشريكة مشواره الطويل في الكرم، وحسن الضيافة، المرأة الفاضلة الكريمة الحاجة الخالة / آمنة محمد حمزة عاشميق، الجعلية الحسينابية الشعدينابية العرمانية..

إلى أبناء المرحوم الحاج/ فِضيل الأجاويد الكرام: الأمير الصادق، وإلى (روح) المرحوم مَنْ السِيد، والمهندس عمر، وأبنائهم، وأحفادهم..

إلى بنات الراحل الحاج/ فِضيل الكريمات الماجدات: انتصار، وأم سلمة، والسُّرَّة، وابتسام، وأبنائهن وأحفادهن..

إلى الذين جاوروا الحاج/ فِضيل بالجباراب بالدَّامر، والموردة، والفتيحاب، والشقلة شرق بأم درمان. وإلى أصدقاء الحاج/ فِضيل الذين أخلصوا له معاني الصداقة الحقة، حيًا، ومريضًا وميتًا، وإلى أسرهم وأحفادهم..

إلى الطلاب الذين أقاموا بمنازل المرحوم الحاج/ فِضيل المختلفة أثناء دراستهم، وأولئك الذين مروا بها عابرين..

إلى كل من نزل بدار الراحل الحاج/ فِضيل يومًا ما: ضيفًا، أو طالباً أو مستشفيًا، أو صاحب حاجة، أو عابر سبيل، أو مستانسًا.

إلى زبائن وعملاء الراحل الحاج فِضيل، بالخرطوم، وأم درمان، وغيرهما.. وإلى كل من عرف الحاج/ فِضيل، وإلى كل من عرفه الحاج/ فِضيل.. وإلى كل من سمع به، ولم يره.. وتشوق لرؤيته ومعرفته، وإلى من لم يسمع بالحاج فضيل..

إلى كل الذين أحبوا الحاج/ فِضيل، وأخلصوا له الود حياً معافى، ومريضاً صابراً، وميتاً، وإلى أولئك الذين أحبهم الحاج/ فِضيل، وأخلص لهم الود والمحبة..

إلى كل الأجاويد، والكرام، وأصحاب النخوة، والشهامة، والمروءة، بالسودان وفي كل مكان وزمان، والى كل من يحب هؤلاء ويمجد قيمهم النبيلة ..

إلى روح صديق الحاج فضيل، النَسَّاب الكريم ونبراس القيم الجميلة، والدي الطيب علي والى أخت الراحل الحاج/ فِضيل، وقريبته رحمًا ومودة، بنت خاله وشقيقة زوجته، والدتي الكريمة الفاضلة الحاجة (أم الحسن محمد حمزة عاشميق الجعلية الحسينابية الشعدينابية)، بالجباراب بالدَّامر.. والى أبنائها وبناتها وأحفادها..

إلى أُسْرتي الصغيرة: زوجتي وأبنائي، وفلذات كبدي، أحفاد الراحل الحاج/ فضيل: عمار، وعُلا، وأوَّاب من كريمته السُرَّة.. وإلى أحفادهم..

إلى أساتذتي وزملائي وأصدقائي ومعارفي في مراحل التعليم المختلفة وغيرها والى كل من علمني حرفاً أو عِلماً أو أسْدى لي خيراً أو معروفاً.. والى كل من يكنون لي الحب والتقدير..

الى زملائي وأصدقائي بجامعة أم درمان الإسلامية وبرابطة أبناء نهر النيل بتلك الجامعة ثمانينات القرن الماضي، والذين جمعني بهم أكثر وربطني منزل الراحل الحاج فضيل وأسرته الكريمة بالشقلة شرق بالفتيحاب.

الى روح أيقونة الزملاء والأصدقاء بالجامعة الإسلامية ورابطة أبناء نهر النيل فقيد منطقة الجباراب بالدامر وفقيد الشباب والعلم والثقافة والكرم والنبل والخلق الجميل ابن عمي الراحل/ محمد الحافظ علي احمد قرشي، والى أسرته الكريمة وأبنائه بالجباراب والخرطوم..

إلى روح الإنسان العظيم، الذي أعلى مكارم الأخلاق، وقيم الانسانية النبيلة المشرقة، ومعاني الرجولة الحقة، وكان قامة شامخة في الجود، والكرم، والنخوة، والشهامة، والشجاعة والمروءة، وخدمة الناس، والمجتمع، والوطن الكبير السودان، دون تظاهرة أو ادعاء، أو تكلف، أو تصنع، أو انتقائية، أو تحيز، أو مَنٍ أو أذى، أو انتظار مقابل.. الرجل الأمة العلم القبيلة، المرحوم بإذن الله تعالى: الحاج/ فِضيل علي فِضيل أحمد الجعلي في عليائه..

الى كل محب للاطلاع والبحث خاصة في مجال مكارم الأخلاق التي جاء الإسلام لإتمامها..

إلى أولئك جميعاً: أهدي، بالمحبة والتقدير والعرفان، هذا الكتاب المتواضع، والذي تتقاصر صفحاته وعباراته وكلماته وحروفه، كثيرًا عن الايفاء بقليل من تاريخ الأجواد الكريم الحاج فِضيل علي فضيل، وسيرته الناصعة في خدمة القيم الإنسانية، ومكارم الأخلاق النبيلة..

سائلاً الله أن ينزله وجميع موتانا وموتى المسلمين الفردوس الأعلى من جناته العُلى، وأن يجزيه خيرًا بما قدم من خير وعطاء، وأن يجعل البركة في أسرته: أرملته وأبنائه وبناته وأحفاده وأهله وأصدقائه ومعارفه ومحبيه.

المؤلف

الرياض - السعودية

٢٠٢١م - ١٤٤٢هـ

تقديـــم

فضيل طيب الخصال

فضيل علي فضيل أو فضيل علي محمود كما نقول، اسم على مسمى فضيل الفضيل، وقديماً قال الشاعر ويبقى من المرء الأحاديث والذكر، والبيت لحاتم الطائي.. رمز الكرم العربي الأصيل، والذي ينتمي الى مدرسته حفيد شاع الدين بن عرمان الجعلي العباسي.. فضيل علي فضيل.

وقديماً قال الشاعر العربي بعد أن تأمل في أحوال الدهر، قال: الجود يفقر والاقدام قتال، ولكن فضيل لم يحفل بهذا البيت لأنه تذكر بيت الحطيئة:

دع المكـارم ولا ترحـل لبغيتهـا   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسـي

فأبت نفسه أن يكون من هؤلاء وطمحت نفسه العالية إلا أن يكون من أرباب المكرمة الذين أدركوا أن المال دولة غاد ورائح. وأخذ بقول حاتم الطائي وهو من رجاله: ويبقى من المرء الأحاديث والذكر والمكرمة وحسن الذكر، فآثر المكرمة وحسن الذكر وطيب السيرة وبقائها، مدركاً أن المال لا يبقى ولكن يبقى الذكر والحمد والثناء، لا في هذه الدار بل في الدارين، ولذلك كانت كلمته وتحيته الخالدة (الله يكرمك في الدارين).

كان خاله محمد حمزة عاشميق - أمد الله في أيامه متحيراً في كرمه مع ضيق ذات يده، ولكن لما عصفت أيادي الدهر بصحته وعافيته، ولاحظ اقبال الناس عليه وتزاحمهم حوله في الضراء والبأساء، أدرك ذلك وقال: الآن عرفت قيمة الرجل، ولماذا ظلت سيرته الكريمة الجوادة كجوده طوال حياته.

الكرم موقف وشجاعة وموقف أخلاقي مصبوغ بالإيمان بالخير والعقبي والحق والجمال، ولذلك نسمي البخيل جبان ونسمي الخَوّاف جبان كلاهما جبان، لأن القاعدة واحدة في البخل والخوف، والبخل نوع من الخوف وضعف الايمان، فالجواد كريم والشجاع كريم، قال المتنبيء:

فحُبُّ الجَبَانِ النّفْسَ أوْرَدَهُ البَقَا   وَحُبُّ الشّجاع الحرْبَ أوْرَدهُ الحرْبَا

وصاحبنا فضيل اختار الحسنى فكان كريماً شجاعاً محتسباً، ديدنه قول الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبِحُ العِبادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ

مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا) وقول العاطي الكريم المفضال جل شأنه (وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) وقوله جل شأنه (وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ).

فضيل أسطورة الكرم، هذا ما أطلقه عليه مؤلف هذا السفر النفيس، في حياة فضيل مآثر وفضائل كثيرة، ولأنني من أهل البيت ففي فمي ماء، فاكتفي بهذا القدر من فضائل الحبيب. الراحل الرمز فضيل على فضيل كتاب مفتوح كما يطيب لأهلنا وعارفي فضله أن يتطلعوا فيه ويتأملوا صفحاته. وهذا أقل القليل في ذكرى رجل كأبي الصادق، فضيل علي فضيل.

وبِاللَّهِ التَّوْفِيْقُ،

فَرِيْق دكتور(بروفيسور) عمَر أَحْمَد قَدَوْر

رَئِيْسُ الاتحاد القَوْمِيِّ لِلْأُدَبَاءِ والكِتَابِ السُّوْدَانِيِّيْنَ والأَمِيْنُ العَامُ المُسَاعِدُ لِلاِتِّحَادِ العَامِ لِلْأُدَبَاءِ والكِتَابِ العَرَبِ وممثل اقليم شمال أفريقيا في مجلس اتحاد الكتاب الأفارقة.

تقديــم

فِضيل علي فِضيل (أبو علي)

(الأيْقونـة النـادرة والكَاريزما العاليـة)

بقلم السفير المخضرم: عثمان نافع حمد*

أبلغني الأستاذ عبد الباقي الطيب، بأنه قد شرع في اعداد كتاب يوثق لتاريخ وسيرة صديقي الراحل المقيم فِضيل علي فِضيل (أبو علي)، رحمه الله، والذي كان مثلاً أعلى في الانسانية ومكارم الأخلاق، وقامة سامقة في الكرم والشهامة والنبل، وخدمة الناس والمجتمع والوطن الكبير السودان. وطلب مني الاسهام في الكتاب بمقال أو خواطر عنه، وقد سعدت أيما سعادة بهذه المبادرة الطيبة والمهمة، والتي تهدف لرصد وتوثيق سيرة ذاك الرجل العظيم حقًا، والتي صادفت مكانها تمامًا.

الراحل فضيل رجل عظيم القامة والمكانة، وذو سيرة عطرة وحافلة ومضيئة، تستحق التوثيق وأن تصبح تاريخًا مسطرًا يقرأه الناس. والتوثيق للشخصيات العصامية الفذة مثل فِضيل، الهدف منه تقديم نموذج تهتدي بسيرته، وبالقيم والمثل الرفيعة التي عاش بها بين الناس، الأجيال الجديدة من أبناء العشيرة والقبيلة والوطن السودان.

اطلعت على الكتاب، والذي اختار له المؤلف عنوان (أسطورة الكرم والشهامة.. حاتم دار جَعَل - فِضيل علي فضيل الجعلي)، واعتقد أنه قد وفق في اختيار عنوان الكتاب، والذي يناسب الراحل فضيل قامة وتاريخًا، وما قدم من نماذج استثنائية في الجود والكرم، والشهامة، وخدمة الناس، والمجتمع والوطن. ورغم صعوبة الكتابة عن رجل بحجم الراحل فضيل، إلاَّ أن المؤلف استطاع أن يتناول الرجل وسيرته العطرة بشكل جيد ومتميز، وأن يعكس للقارئ الذي لا يعرفه، أو الذي لا يعرفه عن قرب، صورة قريبة وواضحة عنه، وأعتقد أن قربه الشديد عن الراحل فضيل ومعايشته الطويلة واللصيقة له، بحكم صلة القرابة الرحمية بينهما، والمصاهرة ثانياً، قد ساعده كثيراً في تجسيد تلك الصورة الرائعة والقريبة عنه، فالحاج فضيل هو خال المؤلف، ووالد زوجته.

عجيب أمر هذه الحياة، تهيئ لك أقدارها اللقاء بشخصيات نادرة ما كنت تتوقع وجودها أصلاً في هذه الدنيا ... شخصيات تفرض نفسها عليك، وتدخل إلى قلبك سريعاً ودون استئذان، وتتملكه بالكامل انها الشخصيات ذات الكاريزما العالية.

الشخصية التي أعنيها تحديداً، والتي أسميها الأيقونة النادرة، هي شخصية الأخ العزيز الراحل المقيم/ فضيل علي فضيل (أبو علي)، والتي رغم بساطة مظهرها إلاَّ إن جوهرها يحتشد بالكثير من المعاني السامية، التي جعلت منه انساناً متفرداً، ونسيج وحده لا يشبهه أو يدانيه أحد. وأحسب أن فقيدنا فضيل من الذين عناهم شاعرنا سيف الدين الدسوقي عندما قال: (والناس أروع ما فيهم بساطتهم، لكن معدنهم أغلى من الذهب).

لقد أسعدتني الظروف بمقابلة والتعرف على الأخ فضيل في ستينيات القرن الماضي، في مناسبة فرح، دعيت إليها، مع أخي وابن عمتي مجذوب عبد الرحمن الملك، من أبناء الحصاية، وهو من أصدقاء فضيل الأعزاء.

دخلت والأخ مجذوب إلى مكان المناسبة، ووجدنا الفنان الراحل المقيم بابكر ود السافل يشدو بأغاني الجعليين الحماسية. ولقد لفت نظري مشهد شخص يصول ويجول في ساحة الحفل (الدارة) منتشياً ومتفاعلاً مع أغاني صديقه ود السافل، ومطلقاً لكثير من عبارات الفخر والاعتزاز بأهله الجعليين، بأكثر مما كان يردده الفنان بابكر ود السافل.

ما كاد الفاصل الغنائي ينتهي، وتنتهي معه حالة الوجد التي انتابت الأخ فضيل، حتى أقبل علينا متهللاً ومعانقاً للأخ مجذوب، وفرحاً وسعيداً إيما سعادة بلقائه. وأقبل عليّ معانقاً بذات المشاعر، وكأننا نعرف بعض منذ عشرات السنين.

لقد نشأت بيني وبين الأخ الراحل المقيم فضيل علاقة أخوة صادقة وحميمة. وكانت له طريقة محببة في الترحيب بي عندما نلتقي، خاصة بعد غيبة طويلة، يعانقني ويجذب رأسي ليسلم عليه ويعضه بأسنانه عضة خفيفة، تعبر عن مدى حب الرجل لك، وسعادته بلقائك... ألم أقل لكم أن الرجل نسيج وحده، حتى في التعبير عن مشاعره تجاه أصدقائه!

كان الراحل فضيل كريماً متلافاً للمال وما يملك من عرض الدنيا. داره وقلبه مفتوحان لأهله وعشيرته وأصدقائه. يلقاك ولا يتركك وهو يحلف بالطلاق على أن تحدد له موعداً بقبول دعوته على غداء أو عشاء.

كان فضيل، رحمه الله، دائم الفخر والاعتزاز بأهله وأصدقائه وعشيرته وقبيلته دون تعصب، حريصاً على التواصل معهم ومجاملتهم في السراء والضراء. لا يقعده عن أداء الواجب وعثاء السفر إلى أهله وعشيرته أين ما كانوا في مناطق محلية الدَّامر، أو في مناطق

السودان الأخرى. وكان صاحب صوت جهير، يطلقه عندما يأتي إلى مكان المناسبة، معبراً به عن مشاعره حسب مقتضيات المناسبة.

لم تقتصر علاقاتي بالأخ فضيل على اللقاءات العارضة، أو في المناسبات فقط. فقد جمعتنا، ودون سابق ترتيب أو اتفاق، هواية حب الفروسية؛ وهي رياضة كان من رعاتها عظماء القوم في السودان، الإمام الراحل عبد الرحمن المهدي، ومن بعده أبناؤه وأحفاده، ورجل الأعمال من أصل يوناني الكونت مخالوس، وكبار رجال الأعمال وضباط القوات المسلحة.

كنا نلتقي دوماً في ميدان سباق الخيل في الخرطوم، لمشاهدة السباقات التي تنظم في المناسبات المختلفة، والتي تشترك فيها الخيول من أصل سوداني، وتلك المستوردة أو المهجنة. وكان الأخ فضيل صاحب فراسة قوية في معرفة الخيول القوية، والتي يمكن أن تحرز المراتب الأولى في كل سباق، لدرجة أن كثيراً من رواد السباق يلجؤون إليه للحصول على ترشيحاته، بالنسبة للخيول التي يمكن أن تفوز في كل شوط من أشواط السباق.

ألا رحم الله الأخ العزيز فضيل وجعل الجنة مثواه. فبفقده فقدت القبيلة والأهل والعشيرة والأصدقاء رجلاً شهماً كريماً ونبيلاً، قل أن يجود بمثله الزمان. فقد كان بحق ضوءاً للقبيلة.

- دبلوماسي مخضرم، وسفير السودان سابقاً بألمانيا وإثيوبيا وقطر والأردن، وعضو الاتحاد الإفريقي عن السودان، وباحث في القضايا العربية والإفريقية والعلاقات الدولية.

مقـــدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

وصَلِي اللَّهمَّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،

الحاج فضيل: قامة انسانية مشرقة

وجديرة بالتوثيق والتقدير التاريخي

يهدف هذا الكتاب لتوثيق سيرة رجل ملهم وعظيم وأسطورة، ورمز بكل ما تحمل هذه الكلمات من معان ودلالات، رجل طالما تتبعت الأذان أخباره، وتعلقت بسيرته القلوب ورددت الألسن ذكره واسمه مقرونين بالإعجاب والاكبار لما عرف عنه من جليل الصفات والقيم والأخلاق والكرم والشهامة، انه الحاج/ فِضيل علي فِضيل أحمد الجعلي العرماني، رحمه الله وأسكنه فسيح جناته؛ ذاك الانسان العظيم، الأمة النبيل المتفرد، نفيس المعدن، والذي أفنى حياته، من أجل إعلاء مكارم الأخلاق، التي جاء الاسلام لإتمامها، كما ورد بحديثه صلى الله عليه وسلم: (إنَّما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ).

كان الحاج فضيل أساطير الأولين والآخرين كما يقال، رجلاً آخراً ومختلفاً عمن حوله من الرجال في زمانه، بل وربما في كل مكان وزمان. كان لوحة انسانية متفردة في الجمال والبهاء والإشراق، ومثلاً أعلى في الرجولة الحقة والجود والكرم والشهامة، وإخلاص النفس ونكران الذات، من أجل الآخرين وخدمة المجتمع، صاحب فطرة سليمة مستقيمة، ونفس سمحة مجبولة على الخير والبذل والعطاء المتدفق وغير المحدود، يفعل ذلك دون تظاهر أو ادعاء، أو تكلف أو انتقائية أو تحيز، أو مَنٍ أو أذى، أو انتظار مقابل.

لكل ذلك أصبح الحاج فضيل مكارم أخلاق تمشي على رجلين في دنيا الناس، وخلد تاريخاً عظيماً وحافلاً بالمواقف الإنسانية الرائعة والمشرقة بمعاني الخير والعطاء وذات المعاني والدلالات العميقة، على المستوى الانساني والأخلاقي والاجتماعي. ولكل ذلك كان تاريخه قدوة، ومجالاً خصباً للمؤرخين والباحثين للتوقف عنده بالتأمل والدراسة والتوثيق والتقدير التاريخي وجديراً بذلك، وأن يصبح أيضاً سطوراً تُقرأ، ولعل هذا ما وافقني فيه كل من عرف الرجل عن قرب وحب وتقدير.

عن معايشة لصيقة وطويلة، عرفنا الحاج فضيل؛ وهي معرفة نعتقد أنها كافية للخوض في بحره الخضم العظيم، وتناول سيرته الفريدة، والحافلة بالقيم والمُثل النادرة، التي أُختص بها وتميز، حتى أصبحت علامة خاصة به، وتستحق أن تسمي بـ (القيم الفضيلية)، والتي نعتقد أنها تمثل إضافة كبيرة وهامة للتاريخ والتراث الانساني والوطني، ولقيم الجود والكرم والشهامة، وتستحق أن تكون قدوة.

في عالم البشر اختلاف وتناقضات، وهذا شيء طبيعي. فهكذا خلقهم الله، وأراد لهم. وفي ذلك العالم قد نجد الكريم بماله، الشحيح بطعامه، والكريم بماله، قليل المروءة والشهامة...إلخ. وفي هذا السياق، لا نبالغ أبداً أذا قلنا إن الحاج فضيل، قد خالف هذه القاعدة البشرية، وشذ عنها، فجمع من القيم الانسانية والأخلاق النبيلة التي قل أن تجتمع في رجل؛ وظل يمشي بها بين الناس قولاً وعملاً، حتى رحيله للدار الآخرة؛ وكانت هي بضاعته التي تاجر بها إلى الله طوال حياته. فيا لها من تجارة رابحة، ولله دره!

كنت أعتقد دوماً ولا زلت أن من لم يشاهد الحاج فضيل، الرجل الراشد المصلح والمعجزة الانسانية الفريدة في عالم الجود والكرم والشهامة، ونموذج الصدق والاخلاص من أجل الآخرين، أو من لم يعرفه عن كَثب، لا عن كُتب، كما يقال، فقد فاته الكثير المثير في عالم البشر. ولن يسعفه أو يعوضه أبداً أن يسمع ما يُحكى عنه، أو ما يكتب عن سيرته العطرة، وطرائف جوده التي تشبه الأساطير!

كان الحاج فضيل بحق معجزة زمانه، وظاهرة انسانية عجيبة ربما لا تتكرر في دنيا الناس وعالم الكرم والشهامة، وخدمة الناس واصلاح المجتمع وسعادته، كان أول ما يفكر يفكر في الناس والمجتمع؛ وآخر ما يفكر في نفسه ومصالحه الخاصة، هذا ان كان يفكر في نفسه ومصالحه!. وهذا التفرد العجيب يضعه في مصاف الظواهر الإنسانية المتفردة في عالم البشر كرماً وشهامة ومروءة، وفي مصاف الرموز الوطنية والمجتمعية المخلصة، وذات الطراز الفريد والتي يفترض أن تُخلد ذكراها عبر الأزمان.

كثيرون هم الذين تناولوا الحاج فضيل، من خلال الصحف السيارة والأشعار والطرائف وغيرها. وشكل ذلك التناول جانباً يسيراً من حياته المتفردة، وأدبياته النبيلة في الجود والكرم والشهامة والمروءة، ومن بين هؤلاء الباحث في التراث السوداني، مقدم برنامج (صور شعبية) التلفزيوني الشهير، الأستاذ الطيب محمد الطيب، والذي كان صديقاً مقرباً له.

ويبدو أن الأستاذ الطيب كان يرى في الحاج فضيل (صورة شعبية متفردة) في دنيا الجود والكرم والشهامة والشجاعة، قال ذات يوم موصياً أهل الحاج فضيل:(أبقوا عشرة على عمنا فضيل، فانه أشبه بالعرب العاربة، الذين عاصروا الجاهلية والاسلام، فأسلموا، فحسن اسلامهم؛ وأن فضيل جمع من الشجاعة والمروءة والكرم طارف وتليد). وقال عنه: (مافي ود مَقَنّعة بِقْدِل مع حاج فضيل من الجيلي الي الْأَتْبَرَاوِيْ (نهر عطبرة).

والمنطقة من الجيلي شمال الخرطوم إلى الْأَتْبَرَاوِيْ جنوباً هي منطقة قبيلة الجعليين العرمانيين (أولاد جعل)، أما المَقَنّعة فهي المرأة في العامية السودانية. ومما يُروى عن الأستاذ الطيب، أنه تمنى يوماً أن يحضر صديقه الحاج فضيل وفاته ومراسم دفنه وعزائه، وقد كان له ما أراد. حيث توفي الطيب بتاريخ (٢٠٠٧/٠٢/٠٦م)، وتوفي الحاج فضيل بتاريخ (٢٠١٥/١٢/١٢م).

وهناك عمدة المقرن ونهر عطبرة سابقاً، العمدة الحاج/ علي صالح جيب الله، والذي سطر مقالات رائعات عن كرم وشهامة الحاج فضيل، ضمن استراحاته الشهيرة بالصحف السودانية، جاءت بعنوان (فضيل: حاتم دار جعل)، و(فضيل علي فضيل: زعيم الجباراب). ونعتقد أن العمدة لم يبالغ أبداً في توصيف الراحل فضيل بحاتم دار جعل، فقد كان بحق حاتم زمانه في الجود والكرم، وزعيماً في كل مكان وزمان حل فيهما!.

كما طرح العمدة الحاج علي مبادرة طيبة بالصحف، طالب فيها الدولة وحكومة ولاية نهر النيل والجعليين بتكريم الحاج فضيل، وتنصيبه عمدة للجعلين بالسودان. لكن حالت ظروف كثيرة دون أن ترى مبادرته النور، من بينها مرض الحاج فضيل، والذي أقعده عن الحركة والكلام، حتى رحيله للدار الآخرة. وإن كنت على يقين تام، ومن معرفة لصيقة، أن الحاج فضيل ما كان سيقبل هذه المبادرة أبداً، حيث عرف عنه زهده في الشهرة والمكانة والقيادة. وكان هدفه الأول والأخير في الدنيا هو إكرام الناس، وقضاء حوائجهم، لوجه الله تعالى، ودون منٍ أو أذى أو انتظار مقابل.

وممن تناول الحاج فضيل بالصحف الأديب والكاتب الصحفي الشهير الأستاذ أحمد عبد الوهاب بعموده اليومي المقروء بصحيفة ألوان، (فنجان الصباح) وخصه بمجموعة مقالات صادقة ومعبرة جاءت بعنوان (فضيل: رجل مهنته الكرم)، وكم وفق الأستاذ أحمد في هذا العنوان الرائع المعبر تماماً عن الحاج فضيل.

إن الكتابة عن رجل بقامة ومكانة الأجواد الكريم المحسن الحاج فضيل، صعبة جداً، ولا يسلم كاتب من مخاطرها مهما اجتهد. وهذا أمر نبهني اليه - وأتفق معي فيه - كثيرون من الذين عرفوا الرجل عن قرب، ومعايشة، وذلك عندما طلبت منهم تدوين شهاداتهم عنه بهذا الكتاب، وقد أجابوا الدعوة متهيبين المهمة؛ ولكنهم والحق يقال، فقد سطروا روائعاً من المقالات الصادقة والمنصفة له ولتاريخه الجميل؛ ولذلك خصصنا لها فصلاً كاملاً بالكتاب، تحت مسمى (قالوا عن الحاج فضيل)، فلهم الشكر والتقدير.

وبقدر ما كانت حياة الحاج فضيل مليئة بالخير والعطاء وخدمة الناس، فقد كان رحيله عن الدنيا كذلك، رحيلاً ولا رحيل كل الرجال، رحيلاً يشبهه تماماً، ويشبه حياته المتفردة. رحيلاً خَلّد ورائه صفحات زاهيات مشرقات ستظل محفورة في تاريخ الكرم وعظماء الرجال ما بقي على البسيطة انسان. وهذا أمر طبيعي وتكريم لأمثاله من العظماء والأجاويد الكرماء.

وستظل ذكرى الحاج فضيل بين الناس حية طيبة عطرة، فالكرم - كما قيل - عِزٌّ الدنيا، وشرف الآخرة، وموجب لحسن الصيت، وخلودُ جميل الذكر ونحسب أن في ذلك دلالة القبول عند الله كما جاء في الأثر.

لن يستطيع هذا الكتاب - مهما اجتهد وبلغ شأنه - أن يغطي سيرة ومناقب الحاج فضيل، ذلك البحر المحيط العريض في الانسانية ومكارم الأخلاق. لكنه سيكون - على الأقل - لمسة وفاء وتقدير وعرفان، مشفوعة بالحب والتقدير للرجل وسيرته العطرة النادرة، ولأسرته الكريمة كذلك، والتي شاركته مسيرة العطاء الزاخر في الكرم والضيافة، ولا زالت تسير على هذا الطريق.

اللَّهمَّ أرحم عبدك فضيل رحمة واسعة، وأغفر له، وأجعله في عليين من فردوسك الأعلى. وأرحم موتانا وموتى المسلمين. وأجعل البركة في أرملته الحاجة آمنة محمد حمزة عاشميق وأبنائه الأمير/ الصادق والمهندس عمر وبناته: انتصار وأم سَلمة والسُرَّة وابِتسَام وفي ذريتهم. وفي عامة أهله وأصدقائه ومعارفه، إنك حميد مجيب الدعاء. وصلى اللَّهمَّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الرياض - السعودية

٢٠٢١م -١٤٤٢هـ

شكر وعرفان

ومَنْ بَعْدَ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلى نِعمه التِي لا تُحْصى، والَذي تَفَضَّل عليَّ بإِنْجَاز هَذا العَمَل المهم، أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان وعَظيم الامِتْنَان لكل من ساهم في إثراء هذا الكتاب، سواء بمقال أو بفكرة أو معلومة أو ملاحظة أو صورة أو غير ذلك.

وأخص بالشكر الجزيل والامتنان والعرفان الفَرِيْق بروفيسور عُمَرُ أَحْمَدُ قَدَوْرُ رَئِيْسُ الاتحاد القَوْمِيّ لِلْأُدَبَاءِ والكِتَابِ السُّوْدَانِيِّيْنَ والأَمِيْنُ العَامُ المُسَاعِدُ لِلاِتِّحَادِ العَامِ لِلْأُدَبَاءِ والكِتَابِ العَرَبِ وممثل اقليم شمال أفريقيا في مجلس اتحاد الكتاب الأفارقة، والذي قام بمراجعة الكتاب وقدم له بكلمات نيرة ومضيئة.

والشكر الجزيل الخاص كذلك لسفير السودان المخضرم عثمان نافع حمد، على تكرمه بالتقديم للكتاب بكلمات رائعة ومشرقة زينت جيده.

والشكر كذلك لكل أسرة الحاج فضيل علي فضيل وخاصة الخالة الكريمة / آمنة محمد حمزة عاشميق والتي زودتني بالكثير المهم عن سيرة الحاج فضيل، ولابنه الأمير/ الصادق والذي يحفظ تاريخ وسيرة والده وعلاقاته بشكل جيد، وزودني بكثير من المعلومات المهمة والقيمة جداً عنه وعن أهله الفضيلاب والشعديناب بأم درمان كذلك، مما أنار طريقي وسهل مهمتي.

والشكر الخاص لدكتور عمر حسن العبد فضيل، والذي زودني بالكثير المهم عن تاريخ وأنساب الشعديناب والحسيناب والفضيلاب بأم درمان خاصة منذ هجرتهم اليها منذ التركية السابقة وحتى تاريخه، والتي دونها من أجداده الكبار.

وشكر خاص للأستاذ محمد الحاج أحمد الحسن (ود الأصيلة)، والذي عاش فترات طويلة مع الفضيلاب بحوشهم بأم درمان وزودني بصور فوتوغرافية قديمة، من القرن الماضي، للحاج فضيل أيام شبابه ولبعض كبار الفضيلاب بأم درمان، تجاوز عمر بعضها الستين سنة، والتي أعطت قيمة توثيقية هامة للكتاب.



(زوجة (أرملة) الحاج فضيل وشريكته في مسيرة الكرم والضيافة، الحاجة/ آمنة محمد حمزة عاشميق الشعدينابية الجعلية - الشقلة شرق - الفتيحاب - أم درمان - ٢٠١٩م أمد الله في أيامها، ومتعها بالصحة والعافية، وجزاها خيراً بما قدمت وتقدم).

الفصل الأول

الجَعَليون العباسيون بالسودان

ينتمي الأجواد الكريم الحاج / فضيل علي فضيل احمد الجعلي، والذي يتناول هذا الكتاب تاريخه وسيرته الجميلة العطرة، والمليئة بالقيم النبيلة ومكارم الأخلاق، إلى قبيلة الجعليين العباسيين بالسودان، تلك القبيلة الكبيرة والشهيرة، والتي لعبت أدواراً عظيمة وخطيرة في تعريب وأسلمة السودان وفي تطوره واستقراره ماضياً وحاضراً.

جذور الجعليين:

تعود جذور قبيلة الجعليين بالسودان إلى قبيلة قريش العربية العدنانية بجزيرة العرب، وذات المكانة العظيمة والفضل والرياسة بين القبائل العربية. والتي كان لها سدانة البيت الحرام وسقاية الحجيج والرفادة (طعام الموسم) ودار الندوة واللواء. والتي خصها الله تعالى بسورة كاملة في القرآن الكريم، وهي سورة (قُرَيْش).

نسب العباسيين:

العباسيون هم ذرية عم رسول الله ﷺ سيدنا العباس بن عبد المُطَّلِب، بن هاشم، بن عبد مُناف، بن قُصَي، بن كِلاب، بن مُرّة، بن كَعب، بن لؤي، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النُضر، بن كِنانة، بن خُزَيمة، بن مُدْرِكة، بن إلياس، بن مُضر، بن نِزار، بن مَعَد، بن عَدْنان.

ويكنى سيدنا العباس بأبي الفضل. ووالدته هي السيدة نتيلة بنت خباب بن كليب بن مالك بن عامر بن لؤي بن غالب، جد النبي ﷺ. وكان لها شرف أنها أول من كسا الكعبة المشرفة بالديباج.

جود وكرم سيدنا العباس:

كانَ سيُّدُنَا الْعَبَّاسُ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أبيضاً، جَمِيلاً، وَجِيهًا، طَوِيْلاً، لَهُ ضَفِيرَتَانِ. وكَانَ أَجْوَدُ قُرَيْشَ كَفًّا، وأَوصَلُهَا، سَدِيدُ الرَّأيِ. وكَان ثَوبًا لعَارِي بَنِي هَاشِمٍ، وجِفْنَةٌ لجَائِعِهْم، ومُعَلِمًا لجَاهِلِهم. وكَانَ يَمنَحُ المَال، ويُعطِي فِي النَّوَائِبِ. وكَانَتْ لَهُ السِّقَايَةُ والرِّفادَةُ، قَبلَ الإسلامِ. وَوَرَثَ بِئرَ زَمْزَمَ مِن وَالِدِهْ عَبْد المُطَّلَبِ. وبعَدَ فَتحِ مكَّةَ، كَانَتْ له الرِّئاسَةُ، وعَمَادَةُ المَسجِدِ الحَرَامِ. وشَهِدَ سيُّدُنا الْعَبَّاسُ بَيعةَ العَقَبَةِ. وأَبقَاهُ النَّبيُ ﷺ بمكَّةَ، ليُسَاعِدَ مَنْ يَكتُم إِسْلامَهُ، ومِنْ

يُرِيدُ الهِجْرَةَ، ويزوِّدَه بَأخبَارِ قَريشَ. وقِيلَ أَنَّهُ اسْتَأذَنَ النَّبِيَ ﷺ فِي الهِجْرَةِ، فَأَمَرَهُ بالبَقِاءِ بمَكَّةَ، وقَالَ لَهُ: (إِنَّ اللهَ يَخْتُمَ بِكْ الهِجْرَةَ، كَمَا خَتَمَ بِيَّ النُّبُوَّةَ).

مناقب العباس:

روى الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (العباس عم رسول الله، وإن عم الرجل صِنوُ أبيه)؛ (صحيح الترمذي للألباني حديث:٢٩٦٠). وصِنوُ أبيه: أي أخُوه وشَقِيْقُه.

وقالَ رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ للعبَّاسِ بنِ عبدِ المطَّلبِ يا أبا الفَضلِ لا ترِمْ منزلَك غدًا أنتَ وبنوكَ حتَّى آتيَكم فإنَّ لي فيكم حاجةً فانتظَروهُ حتَّى جاءَ بعدما أضحى فدخلَ عليهم فقالَ السَّلامُ عليكم قالَ وعليكم السَّلامُ ورحمةُ اللَّهِ وبرَكاتُه قالَ كيفَ أصبحتُم قالوا أصبَحنا بخيرٍ نحمَدُ اللَّهَ فكيفَ أصبحتَ بأبينا وأمِّنا أنتَ يا رسولَ اللَّهِ قالَ أصبحتُ بخيرٍ أحمدُ اللَّهَ فقالَ تقارَبوا تقارَبوا تقارَبوا يزحَفُ بعضُكم إلى بعضٍ حتَّى إذا أمكنوهُ اشتملَ عليهم بِمُلاءتِه وقالَ يا ربُّ هذا عمِّي وصفوُ أبي وَهؤلاءِ أَهلُ بيتي فاستُرهم منَ النَّارِ كسِتري إيَّاهم بِمُلاءتي هذِه قالَ فأمَّنَتْ أُسكفَّةُ البابِ وحوائطُ البيتِ فقالتْ آمينَ آمينَ آمينَ. الراوي :العباس بن عبد المطلب أخرجه الطبراني والبيهقي من حديث أبي أسيد الساعدي.

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ، قال حدثنا عَلِيُّ بْنُ سَعِيدٍ الرَّازِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ صَالِحِ بْنِ مِهْرَانَ، قال حدثنا مَرْوَانُ بْنُ ضِرَارٍ الْفَزَارِيُّ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَكَمِ بْنِ الْبَرَاءِ بْنِ قَبِيصَةَ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ الْعَبْقَسِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْغَسِيلِ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَّ بِالْعَبَّاسِ فَقَالَ: يَا عَمِّ، اتْبَعْنِي بِبَنِيكَ، فَانْطَلَقَ بِسِتَّةٍ مِنْ بَنِيهِ: الْفَضْلِ، وَعَبْدِ اللَّهِ وَعُبَيْدِ اللَّهِ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَقُثَمَ، وَمَعْبَدٍ فَأَدْخَلَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتًا وَغَطَّاهُمْ بِشَمْلَةٍ سَوْدَاءَ مُخَطَّطَةٍ بِحُمْرَةٍ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلَ بَيْتِي وَعِتْرَتِي فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَمَا سَتَرْتُهُمْ بِهَذِهِ الشَّمْلَةِ، قَالَ: فَمَا بَقِيَ مِنَ الْبَيْتِ مَدَرٌ وَلَا بَابٌ إِلَّا أَمَّنَ حَدَّثَ بِهِ أَبُو بَكْرِ بْنُ خُزَيْمَةَ، عَنِ الْفَضْلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحٍ (رواه أحمد في" مسنده).

توفي سيدنا العباس رضي الله عنه يوم الجمعة (١٤/٧/٣٢هـ)، في خلافة سيدنا عثمان بن عفان، عن عمر يناهز ٨٨ سنة. وغسله سيدنا علي بن أبي طالب وأبناؤه، السادة: عبد الله،

وعبيد الله، وقثم. ودفن بالبقيع ([1]). وله من الأولاد: عبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، والفضل، وقثم، ومعيد، وعون، والحارث، وكثير، وتمّام، وهو أصغرهم ([2]).

أصل الجعليين:

يرجع الجَعَليون بأصلهم إلى إبراهيم الملقب بـ (جَعَلْ)، والذي ينتهي نسبه إلى سيدنا العباس، بن عبد المُطَّلِب رضي الله عنه، والمنتمي إلى قبيلة قريش العدنانية.

وقد احتفظت مصادر الجعليين بالمخطوطات والمحفوظات التي ينقلها الناس عن آبائهم وأجداهم، والتي تتضمن معلومات عن أجداد القبيلة، وهجرتهم إلى السودان، وأولادهم في السودان، وأماكن سكنهم. فالعرب في تلك القرون الماضية كانوا يعرفون مواطن بطون القبيلة، وأين ذهبت وكيف يمكن الاتصال بين بطن وبطن وعشيرة وأخرى. وكان كتاب العرب ومصادرهم قد اهتموا أشد الاهتمام بالقبائل العربية وفروعها ومواطن نزوحها ([3]). وتحتفظ كثير من الأسر بسجل لنسبها من الأب الحالي إلى جد القبيلة الأكبر، وشهرة من اشتهروا من هؤلاء وإلى غير ذلك.

نسب الجعليين بالسودان:

ينتمي الجَعَليون العَبَّاسيون بالسودان إلى الشريف العباسي إدريس بن قيس بن يُمْن، بن عِدَي، بن قِصاص، بن كَرب، بن محمد هاطل، بن أحمد ياطل، بن محمد ذي الكَلَاع الحِمْيَرِي، بن سعد، بن الفضل، بن العباس، بن محمد الكامل، بن علي السجّاد، بن حبر الأمة عبد الله، بن العباس، عم النبي ﷺ بن السيد عبد المُطَّلِب، بن هاشم، بن عبد مُناف، بن قُصَي، بن كِلاب، بن مُرّة، بن كَعب، بن لؤي، بن غالب، بن فِهْر، بن مالك، بن النُضر، بن كِنانة، بن خُزَيمة، بن مُدْرِكة، بن إلياس، بن مُضر، بن نِزار، بن مَعَد، بن عَدْنان.

١ـ تَارِيخُ مَا أَهْمَلَهُ التَّاريخُ ـ الأشراف العَبَّاسِيُّون الهَاشِمِيُّون في السُّودَان ـ فروعهم، وأَنسَابهم، وتاريخهم، د. عامر سيد احمد، ص ٩٤.

٢ـ جامع نسب الجعليين المسمى السور الحصين المنيع البأس في اتصال نسب إبراهيم جَعَلْ بأصله العباس، عبد الله محمد الخبير، ص ٧.

٣ـ هجرة القبائل العربية الى وادي النيل مصر والسودان، ضرار صالح ضرار، ص ٣٠٩.

دخول الشريف ادريس السودان:

بعد سقوط الخلافة العَبَّاسية في بغداد، على يد هولاكو، ملك التتر، في (٢٠ محرم ٦٥٦هـ)، الموافق (٢٨ يناير ١٢٥٨م)، وقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، آخر الخلفاء العباسيين ببغداد. أقام العباسيون الخلافة مجددًا بالقاهرة، سنة (١٢٦١م). وهاجر كثير من العباسيين إلى مصر، وكان من بينهم الشريف إدريس بن قيس العباسي، والذي حضر إلى القاهرة بأسرته، فاجتمع إليه العلماء، وسألوه فأبان لهم أنه من آل العباس، وابن عم المستعصم بالله، آخر الخلفاء العباسيين ببغداد. وشهد بيعة المستنصر العَبَّاسي، أول خلفاء الدولة العَبَّاسية الثانية في مصر. ومكث سنتين بمصر.

ولما رأي أن المماليك حكام مصر آنذاك يضغطون على القبائل العربية، ويمنعوهم الأعطيات والعمل بالجندية، ويرهقونهم بالضرائب، ويستبدلونهم في العسكر بالجنود الأتراك ([٤])، انتقل إلى أسيوط، بصعيد مصر. ومن هناك عرف أن في وسط السودان وصحارى غرب النيل جماعة من عرب بني قحطان وجهينة وكنانة ودغيم وأولاد كاهل ومضر وربيعة وفزارة من بني عدنان وغيرهم.

وفي سنة (٦٥٨هـ - ١٢٥٩م) استأجر الشريف إدريس الجمال ودليلاً هادياً، يعرف المسارب، وشد الرحال جنوباً إلى غرب السودان، عن طريق درب الأربعين. وحط رحاله بشمال كردفان بمنطقة الخيران (بارا - دار حامد)، وتسمى القيزان، كذلك ودار الريح. وهي منطقة ذات تلال رملية وماء وكلأ ([٥])، فاستقبله العرب بالسرور والترحاب، بعد أن علموا أنه من آل رسول الله ﷺ، ومن بني العباس أهل الخلافة والشرف. وجعلوه إماماً عليهم، وانقادوا له، وأصبح بينهم سيداً مطاعاً. فاستوطن الصحراء، واقتنى الماشية، وطاب له المقام هناك، وعاش بالسودان تسع سنوات، وتوفى سنة (١٢٦٨م)، ودفن بمقبرة بين بارا وخُرسي. وخلفه في الرئاسة ابنه الأمير إبراهيم جعل، جد قبائل الجعليين ([٦]).

٤- هجرة القبائل العربية الى وادي النيل مصر والسودان، ضرار صالح ضرار، ص ١٧٤.
٥- قبيلة أبو سنون النبهة الجعليين بمن فيهم ذرية نبيه بن مسمار الجعلي، التاريخ والجذور، شيخ الدين الضي الراخي يوسف وصلاح آدم محمد آدم، ص ٣٧،.
٦- تاريخ وأصول العرب بالسودان، الفحل الفكي الطاهر، ص ١٥.

نسب جد الجعليين إبراهيم جَعَلْ

المُتَوَفَّى سَنَة (٧٠٤هـ -١٣٠٤م) تَقرِيبًا

هو إبراهيم الملقب بـ (جَعَلْ)، بن الشريف إدريس، بن قيس، بن يحيى الملقب بـ (يُمْن) بن عِدَي، بن قِصاص، بن كَرب، بن محمد الملقب (هاطل)، بن أحمد الملقب (ياطل)، بن ذي الكَلَاع الحِميّرى، نسبة إلى أمه من قبيلة حِميّر اليمنية، بن سعد الملقب بالأنصاري، نسبة لأمه من الأنصار، وهو ابن الفضل، بن العباس، بن محمد، بن علي السجاد، بن سيدنا حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله، بن سيدنا العباس، بن عبد المُطَّلِب عم سيدنا وحبيبنا محمد، بن عبد الله. وكان ابراهيم من رجال العلم والدين العارفين بالحدود الشرعية والشؤون الادارية. ويقال إن والدته هي طَرفة بنت حابس بن حزام المالكي، من قبيلة بني تميم العربية.

لقب جَعَلْ:

تولى إبراهيم المشتهر بـ (جَعَلْ) الإمارة بعد وفاة والده. فقام بأمر البادية خير قيام، وأصلح شؤونها. وكان ذو ثروة ويتصدق كثيراً على الفقراء، ويجعل لهم عطايا دائمة وهبات. فكان الواحد من رعاياه يقول للمحتاج من جماعته: اذهبْ إلى الأمير إبراهيم، يجعل لك جُعلاً يُسترزق به. ويقال إنه كان يجمع الضعفاء إليه، ويعطيهم الأعطيات، فيقول أحدهم لأخيه، إذا رآه يضعف عن لازمه: اذهبْ إلى الأمير إبراهيم، يجعلك من أهل النفقة فاشتهر بذلك (٧).

ويروى أنه لما ضيَّق المماليك الخناق على العرب بمصر، وأصاب الجفاف صعيد مصر، هجر كثير من العرب أرض مصر، ونزحوا إلى السودان، حيث وجدت جماعات منهم ملجأ لها في ضيافة ابراهيم جعل. ولا ريب في أن تلك الظروف الطبيعية القاسية كانت أنسب الأوقات التي يظهر فيها زعيم عربي، يجمع بين النسب الشريف والكرم العميم. وفي هذا الجو ظهر الزعيم ابراهيم جعل بحسبه ونسبه وكرمه (٨).

وتفيد الروايات أن ابراهيم جعل، جد جعليي السودان، كان يجمع الناس حوله من كل حدب وصوب. وكان رجلاً كريماً ينفق عن سعة. ولهذا فقد دانت له بطون جهينة وأحلافها من العربان، والتفوا حول دياره. وقد استطاع هذا الزعيم الجعلي أن يتزعم أراضي شاسعة على النيل تكثر فيها الزراعة، كما أنها منتجة للأعلاف والمراعي. وكانت إقامة هؤلاء العرب إقامة

٧- المرجع السابق، ص ٢٨.

٨- هجرة القبائل العربية الى وادي النيل مصر والسودان، ضرار صالح ضرار، ص ٣٣٤.

توطين واستقرار وبناء للبيوت بالآجر الأخضر والأحمر في المدن. أما الخيام فقد انتشرت في الفضاء الشاسع المجاور لهذه المدن والقرى الحضرية. ومن هنا ظهرت كل من المتمة، في غرب النيل، وشندي في شرقه، كعاصمتين للجعليين (٩).

هناك احتمالات عديدة وقوية في نزوح بعض أفراد الأسرة العباسية إلى السودان، ومصاهرة بطون قبيلة جهينة، التي كانت تعيش على نهر النيل، قرب شندي. وان ابراهيم ادريس، مؤسس قبيلة الجعليين، كان بكرمه وأعماله التي تتصف بالجود والندى، قد جعل من نفسه زعيماً لا يجارى، وبسبب نسبه الشريف، الذي يرجع للعباسيين، وكرمه الذي لا يقارن به كرم، قد أسس لنفسه زعامة أدت إلى سلخ جزء كبير من جهينة وأحلافها، لتصبح قبيلة الجعليين الجهنية العباسية (١٠).

ويقال إنه أنشأ ديواناً للنفقة على رعيته، على سياق ما كان يفعل أجداده العَبَّاسيون الأوائل؛ وكان يقيد فيه أسماء الضعفاء والمحتاجين، ليصرف لهم الرواتب، حتى أشتهر عنه ذلك. ويروى أنه كان ذو مال وفير، وفي مدته أصاب الناس مجاعة شديدة، وجاء اليه الناس من كل فج عميق وقالوا له يا ابراهيم أجعلنا من ناسك فأجابهم بما رغبوا، وبذلك لقبته عمته جعل لأنه جعل الناس الذين جاؤوا اليه. ومنذ ذلك اشتهرت القبيلة (١١).

وقيل إنه كان يأتيه أهل الحاجة من كل مكان أملاً في قضاء حوائجهم، وفي الاستئثار بعونه فيخاطبونه بخطاب:(أجعلنا معك)، وكان إبراهيم يرد عليهم دوماً (لقد جعلناكم منا). وروى كذلك أن الأصل في لقبه، أن جماعة من الناس كانوا يجيئون إليه وهو زعيم رهطه، فيذكرون أنهم يتصلون معه في النسب، طلباً لنيل المكانة والشرف الذي كان له، وهو يعلم ذلك، فيقول لهم (جعلناكم)، وبذلك لقبه قومه بالجَعَلي (١٢).

وورد أنه فرج كربة الناس في زمن المجاعة بكرمه واحسانه، لذا أطلق عليه من أفادوا من احسانه اسم جعل، لأنه كان يتقبلهم بقوله (جعلناكم). وهكذا تحلق حوله الكثير من الأتباع (١٣).

٩- المرجع السابق، ص ٣٤٣.
١٠- المرجع السابق، ص ٣٣٦.
١١- العرب التاريخ والجذور، الجزء الثاني، أنساب وتاريخ الهاشمية والعربان، الصديق أحمد حضرة، ص ٢٥.
١٢- الجعليون: تاريخهم وحياتهم ونسبهم وأدبهم، محمد سعيد معروف ومحمود محمد علي نمر د. ن رقم صفحة.
١٣- تاريخ العرب في السودان الجزء الأول، هارولد أ ماكمايكل، ص ٢٣٧.

ويروى أنهم لقبوا بجعل نسبة لجدهم جعل والذي اسمه إبراهيم والذي كان رجلاً كريماً، وكان في وقت المجاعة يقول لمن التجأ به (جعلناكم منا) لذلك لقب بجعل.

وتقول رواية أنه كان يعطي جعالة أو جعلاً (أي العطاء أو الأجر)، لكل قبيلة من القبائل التي كان أميراً عليها، وكانوا فيما بينهم يتساءلون ماذا جعل لكم إبراهيم؟ فيقولون: جعل لنا كذا وكذا، ومن هنا جاء اللقب جعل لفعله وسجاياه الكريمة.

وكان إبراهيم ذو سطوة ونفوذ قوي بغرب بر العجم. واستمر في الحكم لمدة ٢٢ عاماً. وتوفي سنة (٦٨٩هـ -١٢٩٠م) تقريباً. ودفن مع أبيه، بمقبرة الملوك، ما بين خُرْسي وبارا بكُرْدُفان. وخلف (١٢) ولداً ذكراً غير البنات. واشتهرت ذريته إلى يومنا هذا بـالجَعَليين.

قِيَم ومَآثِرُ الجَعَلِيّينَ

لقَبيلَةِ الجَعَلِيّينَ قيم ومَآثِرُ ومَفَاخِرُ فِي شَتَى ضُروبِ الحَياةِ؛ فَهُم أَهْلُ التَّقْوَى، والصَّلَاحِ، والدِّينِ، والكَرَمِ، والمُرُوءَةِ، والسَّخَاءِ، والشَّجَاعَةِ، والنَّجدةِ، والفُروسِيَّةِ، والجِهَادِ، والشَّهامَة والتَّصدِّي للظُّلمِ؛ وهُم أَهْلُ السِيَاسَةِ، والعَفوِ، والرّياسَةِ، والحِكمَةِ، والكَيَاسَةِ، والزَّعَامَةِ، والجَاهِ، والشَّرَفِ، وأَهْلُ الأَدَبِ، والشِّعرِ، والثَّقافةِ، والعَيافَةِ، والقِيَافَةِ، واللَّوْحِ، والشَّرَافَةِ. ومَهْما نُحاولُ أَن نَصِفَ أَولَادَ جَعَلَ فَمَآثِرَهُم أَكبَرُ مِن الوَصْفِ، ومَنَاقِبُهم لَا تُحصَى. ([١٤]).

وهم أهل الحَمِيَّة، والأَنِفَة، والعِفَّة، وعِزَّة النَّفس، وإبَاء الضَّيْم، وقوَّة العَزِيمَة، والصَّبْر عَلى المَكَارِه، ومَقْت الرَّذِيلَة والفَسَاد والشَّهوات، والغِيرَة عَلَى الأَعرَاض. وَقَد حَافَظُوا على هِذِه القِيَم النَّبيلَة فِي كلِّ الأَوقَات. قال عَنهم سَلَاطِيْن بَاشَّا فِي كتابه الْشَّهِيْر: (السَّيْف والنَّار فِي السُّودَان): (والجَعَلِيُّون الَذّين سكنوا عَلَى شَاطِئ النِّيْل، بَيْن حَجَرِ العَسَلِ وبَرْبَر، كَانوا العَرَب الوَحِيدِين فِي السُّودَان، الَذِّين مَقَتُوا الفَسَاد والرَّذَائِل الخَبِيثَة، واحْتَفَظُوا بالأُسَر الفَاضِلَة، البَعِيْدَة عن الشَّهَوات الشَائِنَة، وأَنَّ أُولَئِك الجَعَلِيُّون اعْتَادُوا النَّظَر إِلَى الأَخلَاق بِصِفَتِها حَجَر الزَّاوِيَّة فِي بِنَاء الحَيَاة القَوميَّة، والرَّكن الأَسَاسيِّ فِي تَأَسِيْس صِحَّة قَوِيَّة...) ([١٥]).

والجَعَلِيُّ فِي غَالِبِ الأمرِ إنسانٌ جميلٌ، كريمٌ، شجاعٌ؛ وَهُو يحبُّ المَجدَ، والسُّؤدَدَ، والسُّمعةَ الطَّيْبَةَ، والثَّنَاءَ. وَهُو كذَلكَ يَشعُرُ بالتَّفَوّقِ، والتَّفرُّدِ عَلَى الآخرينَ؛ ولَا يَحمِلُ ذَلكَ

١٤- الجَعْلِيُّون العَبَّاسِيُّون بالسُّودَان، سُفْيَانُ المَرْضِيّ الشَّيْخ، ص٢٤٤.

١٥- السَّيْف والنَّار في السُّودَان، سَلَاطِيْن بَاشَا، ص ٣٧٨.

عَلَى العُنصُـرِيَّة، لأنَّ الجَعَلِيِّينَ أَكثَرِ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ اختلاطًا بالقَبَائِلِ غيرِ العَرَبِيَّةِ ([١٦]). ومَنْبَعُ شُـعُورِهِ هَذَا لَيْسَ مِنْ عُصَـبيَّةٍ، أَو عُنصُـرِيَّةٍ، إِنَّمَا من شـعوره بالاتِّصـافِ بمَكَارِمِ الأَخلَاق، وجَميلَ الشَّمَائلِ.

لَمْ يَشْـتَهِرَ الجَعَلِيُّونَ بِشَـيءٍ اشْـتِهَارَهم بالمُثِلِ العُلْيَا الَّتي وَضَـعُوهَا لأنْفِسِـهِم، والتَزَمُوا بالاتِّسَامِ بَهَا، مِنْ حَيْثُ بَزِّ أَقْرَانِهِم عِنْدَ الشَّدائِدِ؛ فَالمَثَلُ المَعرُوفُ، بَيْن سَائِرِ السُّودانيِّينَ، الَّذي يَقولُ: (الْجَعَلِيّ يَقْضِـيْ يُوْمُوْ خَنِقْ)، يُوضِـحُ قوَّةَ عَزِيمَةِ الجَعَلِيِّ، الَّذي يُلْزِمَ نَفسَـهُ بِأَصـعَبِ الأُمُورِ، دُونَ أَنْ يَشكُو لِأَحَدٍ، ولَوْ انْقَضَى ذَلكَ اليَومُ وَهُو مَخْنُوقٌ! كَذَلكَ نَجِدُ السُّودانيِّينَ قَاطِبَةً يُلزِمُونَ بَعضَـهُم بَعْضًـا بالصَّـبْرِ عَلَى الشَّـدَائِدِ؛ فَتَارَةً يَقُول الرَّجُلُ لصَـاحِبِهِ: (يَا زُوْلْ مَا تِتْجُوْعَلْ!) أَيْ أَيُّهَا الرَّجُلُ الهُمَامُ صَـبْرًا عَلَى الشَّـدَائِدِ، وَكُنْ جَعْلِيًّا)؛ أَو (لاَ تَدَّعِيْ أَنَّكَ جَعْلِيْ، فَإِنَّكَ لَنْ تَسْـتَطِعْ صَـبْرًا)؛ ويُقَال لغير الجَعَلِيّ، عِندَمَا يُرِيدُ أَنْ يَسـلُكَ مَسـلَكَ الجَعَلِيِّينَ. وتَارَّةً يَقُولُ لصَـاحِبِه، وذَلكَ حِينَ يُصِيبُ الفَزَعُ صَـاحبَهُ:(مَالَكْ؟ مَاكْ جَعَلِيْ؟!) أَيْ: مَاذَا بِكَ؟ أَلَسْـتَ جَعَلِيًّا، تَصْبِرُ عَلَى مَا أَنْتَ فِيْهِ مِنْ شِدَّةٍ وَكَرْبٍ؟! ([١٧]).

وهَكَذَا أَصـبَحتْ رُجُولَةَ الجَعَلِيّ، وصـبرِهْ عَلَى المَكَارِهِ، حَافِزًا لِكلِّ السُّـودانيّينَ، لِكَي يَتَسَـربَلُوا بِلِبَاسِ الصَّـبْرِ، دُونَ حُدُودٍ. ومِمَّا لَا شَـكَّ فِيهِ أَنَّ هِذِهِ الأَسَّـسِ الأَخلَاقيَّةِ سَـادَتْ فِي السُّـودَانِ، وأَخَذَ يتَحلَّى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَ جَعَلِيًّا، أَو غَيرُ جَعَلِيّ. وأَضْـحَت الشِّـيمُ الغَالِبَةُ عَلَى مُعظَمِ أَهَالِي السُّـودَانَ، إِنْ لِمْ يَكُن جُلُّهُم ([١٨]). ونَتَمنَّى أَنْ يَسِـيرَ أَبنَاءُ القبيلة عَلَى نَهجِ الأجداد والآبَاءِ، فِي الحفاظ على هذه القيم والمآثر وفي الدِّفاعِ عَنِ الأَرْضِ والعِرْضِ، والحِفَاظِ عَلَى تَقَالِيدِنَا السَّمْحَةِ.

١٦- عبد الله الطَّيِّب ذلك البَحر الزَّاخِر، أ. د. زكريا بَشِير امام، ص١١١.
١٧- هِجْرَةُ القَبَائِلِ العَرَبِيَّةِ إِلَى وَادِيْ النِّيلِ مِصْرَ والسُّودَانِ، ضِرَار صَالِح ضِرَار، ص ٣٤٤.
١٨- المَرْجِع السَّابِق، ص ٣٤٤.

دور الجعليين في تعريب وأسلمة السودان:

لعبت قبيلة الجَعَليين أدواراً مهمة وخطيرة في تاريخ السودان، أهمها تعريب وأسلمة السودان، من خلال محافظتها على بقاء واستمرار العنصر العربي المسلم ببر العجم سابقاً (السودان الحالي)، في مواجهة العنج والنوبة النصارى، الذين سعوا للقضاء عليه، أو إخراجه من البلاد. ثم اسهامها الكبير بعد ذلك في القضاء على مملكتي علوة والمقرة المسيحيتين، واقامة السلطنة الزرقاء الإسلامية على أنقاضهما. ونشر الإسلام بجبال النوبة التي كانت مسيحية، وقد أدى كل ذلك الى انتشار الإسلام واللغة والثقافة والقيم العربية السمحة بالسودان. وتحويله من بلد إفريقي مسيحي لبلد عربي مسلم.

وظل أبناء الجعليين، ولا زالوا، رواداً بارزين ورموزاً يشار إليهم بالبنان، في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والأدبية والثقافية في السودان.

قبائل الجعليين بالسودان

المَجمُوعَة الجَعَلِيَّة الكُبْرَى

المَجمُوعَة الْعَبَّاسِيَّة أَو العَدْنَانيَّة:

ينقسم الجعليون الى مجموعتين هما: المجموعة الجعلية الكبرى أو المجموعة العباسية أو العدنانية أو الجعليون أو الجعليون (الشَمْلة) كما هو عند العوام. وقبيلة الجعليين العرمانيين بولاية نهر النيل.

والشَمْلَة كساء واسع يشتمل به كما تعني القبيلة الكثيرة العدد وفي المثل (الشَمْلَة تَجِيب الخَمْلَة) أي أن القبيلة كثيرة العدد ينتسب اليها من ليس منها ولا ينسب لغير قبيلته الا الخامل غالباً عادة، والمثل (الشَمْلَة ما بِتْعَيَا من اِسمها) أي أن القبيلة لا تتعب من تبعية أفرادها إذا عيرت باسمها ([١٩]).

المجموعة الجعلية الكبرى

المجموعة الجعلية الكبرى تشير إلى اتحاد قبلي يشمل قبائل ترتبط بالجَعَليين في جدهم الأكبر الأمير إبراهيم جَعَل العباسي، والجد الجامع لها جميعاً هو الأمير سَرّار بن السلطان حسن كردم الجعلي، صاحب بئر سَرّار الشهيرة ببارا، شمال كردفان، والمدفون هناك.

واشتهرت هذه القبائل باسم جدها الأكبر مثل: الجموعية والبديرية والشايقية والبطاحين والرباطاب والميرفاب والمناصير والجِمع والجوامعة والجوابرة والحاكماب والحمدة والخوالدة والقُنَنْ والغِديات والماجدية والكُرتان والعبطة والرياشية والطريفية والشويحات والنبهة والصبحة والمالكية والشريفية والمقايتة والمياسية والضباب والمناصرة والنوايمة والطريفية، وغيرهم من فروع المجموعة.

وتتركز قبائل هذه المجموعة في ولايات نهر النيل والشمالية والخرطوم والجزيرة وشمال كردفان وغرب النيل الأبيض. وينتشرون في ولايات أخرى. وهاجرت مجموعات منهم في فترات من التاريخ، واستقرت في بلاد أخرى، مثل المملكة العربية السعودية وإريتريا ومصر.

١٩- الأمثال الســـودانية، بابكر بدري، الجزء الثاني، ص ٥ - قاموس اللهجة العامية في الســـودان، عون الشريف قاسم، ص ٥٤٢.

ويمثل الجعليون مع الجهنيين تسـعة أعشــار القبائل العربية في السـودان ([20]). ويبلغ عدد قبائل الجعليين حوالي (٥٠) قبيلة. وبذلك تعتبر من أكبر القبائل العربية في الســـودان عدداً، على الإطلاق، وأشـهرها وأعظمها هيبة وسـطوة وأوسـعها نفوذاً وانتشـاراً. إذ لا تخلو مدينة في الســـودان من الجَعَليين. يمتهن الجعليون الزراعـة والتجـارة، وغير ذلـك من المهن والحرف. وتعتبر مدينة شندي العاصمة التاريخية لهم وكذلك المتمة.

قبيلة الجَعَلِيين العَرَمَانِيّين بوِلَايَة نَهْر النِّيْل

تشير لفظة جَعَلي فِي معناها الخاص إِلَى (الجَعَلِيّين الخُلّص)، الَذِين اختَصُّوا بهذا الاسم، دُون غَيرهم من أَبنَاء إِبْرَاهِيْم جَعَل. وهُم الجَعَلِيُّون العَرَمَانِيّين، أَبنَاء ضَوَّاب، بن غَانِم، بن حِمِيْدَان الجَعَلِيّ الْعَبَّاسي، والَّذي له وَلَدان هُمَا: عَرْمَان، جَدُّ الجَعَلِيّين العَرَامْنَة؛ وعَبد الله المُلَقَّب بـ (أَبُو خَمْسِين)، جَدُّ الْكِتَيَّاب، والْأِدِرْقَة، وغيرهم. كَمَا يُوجَد بالمِنْطَقَة الجَعَلِيّين العَوَضيَّة، والأَحَامِدة، والتَّرَاجْمَة، والسَّنَاهِير، والفَاضْلَاْب، من غَير أَبنَاء ضَوَّاب. ويُطلَق على هِذِه المَجمُوعَة قَبيلَة الجَعَلِيين، أَو أَولَاد جَعَل. واقتَصَر اسْمَ الجَعَلِيّين عليها.

تقطن قَبيلَة الجَعَلِيّين وِلَايَة نَهْر النِّيْل، فِي المِنْطَقَة الوَاقِعة بَيْن الشَّلال السَّادس، (شلال السَّبَلُوقَة) شَمال الخُرطوم، والتقاء نَهْر النِّيْل بنَهْر عَطْبَرَة، بشَرْق وغَرب النِّيْل، إِلَى مِنْطَقَة البَسْلي، بشَرْق الْدَّامَر، على الضِّفَّة الشَّرقيَّة لنَهْر عَطْبَرَة. وتُعرف هِذِه المِنْطَقَة تقليديًّا بوطن الجَعَلِيّين، ولكن أشْتَهَر إطلاق الجَعَلِيين فِي إطار أَشْهَر على الجَعَلِيّين العَرَامْنَة، أَولَاد عَرْمَان بن ضَوَّاب، هُم (عَدْلَاْن، وشَاعَ الدِّيْن، وعبْد العَال، وتِمِيْر، ومِكَابِر، وزَيْد، ونَصْر الله، ومُسْلم، وجَبَل، وجَبْر، وسَعِيد، وعَبد رَبُّه، وشُبُّو، وبُوبَايْ). وَقَد تَقَدّم تفصيلهم ضِمْن أَولَاد إِبْرَاهِيْم جَعَل.

يَشتَهر الجَعَلِيُّون العَرَامْنَة بالكَرَم، والشَّجَاعَة، والشّهامَة، والنَّجدة، والمُرُوءَة والحَمِيَّة، والأَنِفَة، والعِفَّة، وعِزَّة النَّفس، وإِبَاء الضَّيْم، وقوّة العَزيمَة، والصَّبْر عَلى المَكَارِه، ومَقْت الرَّذِيلَة والفَسَاد والشَّهوات، والغِيرَة عَلَى الأَعرَاض. وَقَد حَافَظُوا على هِذِه القِيَم النَّبيلَة فِي كلِّ الأَوقَات.

وَقَد هَاجَرت أَعدَاد كَبِيرَة مِن الجَعَلِيّين العَرَامْنَة من دِيَارهم جَنوبًا، واستَقَرُّوا بمُختلَف بِلاد السُّودَان، وذَلكَ بِسبب الأَحدَاث المُختلَفة الَّتي كَانَت تجْتَاح مَناطِقهم، كالحُرُوب الَّتي وقعَت بَيْن

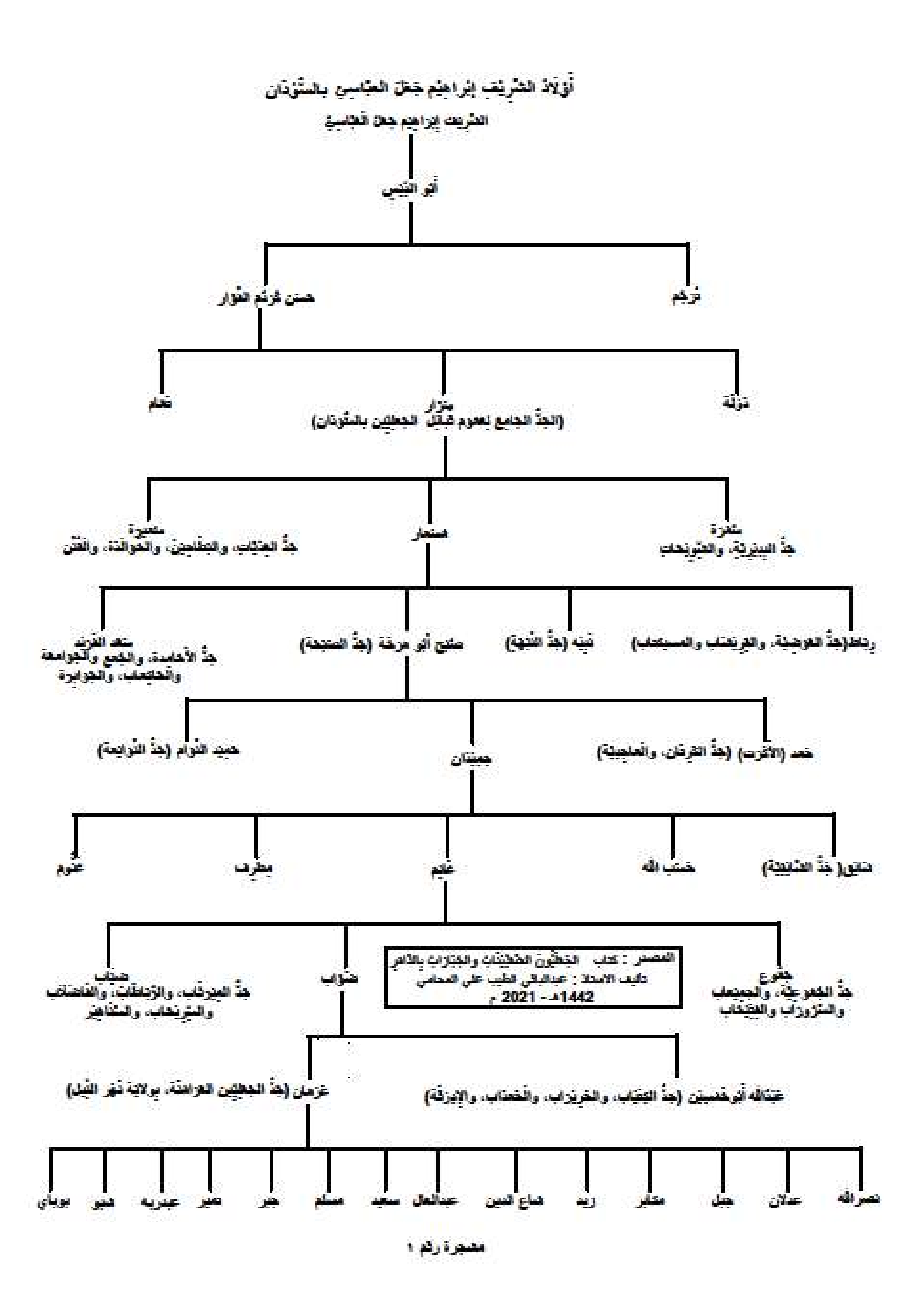
٢٠- دليل الأنساب في السودان، عثمان حمد الله، ص ٢٦.

بَعض أُمرَائهم وبينهم، وبَيْن أَبنَاء عُمُوْمتهم الشَّايْقِيَّة، والكوارِث الطَّبيعِيَّة، من مَحَلٍ، وجَدْبٍ، وأَوبِئَة، وبسبب حَمْلات الدِّفْتِرْدَار الانْتِقَاميَّة، الَّتي اسْتَهدَفت الجَعَلِيّين فِي المَقَام الأوَّل، وقتل فِيْها حَوالَي ثلاثمائة ألف جَعَليٍّ، غير من هَجَروا دَيَارَهم بسَبَبِها. وكَذَلك الهِجْرَة الجَماعيَّة، الَّتي فَرَضَها الخَلِيفَة عبد الله التَّعَايْشِي على الجَعَلِيّين، فِي أَعقَاب نَكْبَة المَتَمَّة. كَمَا هَاجَرَ بَعضِهم بغَرَض التَّكَسُّب والتِّجَارَة وغَيرهَا (٢١).

نسب الجَعَليين العَرَامْنَة:

الجَعَليون العَرَامْنَة هم أبناء الملك عَرْمَان بن ضواب، بن الملك غانم، بن حميدان، بن صُبح أبو مَرَخَة، بن مِسمار، بن سَرّار، بن السلطان حسن كَرْدَم الفوَّار، بن محمد أبو الديس (٢٢)، بن قُضاعة، بن عبد الله حُرقان، بن مسروق، بن أحمد اليماني (نسبة لأمه)، بن إبراهيم جَعَلْ (جد الجَعَليين بالسودان)، بن إدريس، بن قيس، بن يُمْن الخزرجي، نسبة إلى أمه من الخزرج، بن عدنان، بن قِصاص، بن كَرب، بن محمد هاطل، بن أحمد ياطل، بن محمد ذي الكَلَاع الحميري، بن سعد، بن الفضل، بن العباس، بن محمد الكامل، بن علي السجّاد، بن حبر الأمة عبد الله، بن العباس، عم النبي (ﷺ).

٢١- من صُوَر التَّمَازُج القَوْمِي في السُّودَان، حَلْفَايَة المُلوك نَموذَجًا، د. عَوْن الشَّرِيْف قَاسِم.
٢٢- يقال إن اسمه أبو ادريس، ويقال سمي أبو الديس لكبر ثدييه أو لكثرة وكثافة شَعْره فالديس الشعر الغزير في عامية أهل السودان.


أولاد الشريف إبراهيم جعل العباسي بالسودان
الشريف إبراهيم جعل العباسي
أبو النيس
حسن كردم الفوار
كردم
نعام
سرار
(الجدّ الجامع لعموم قبائل الجعليين بالسودان)
دولة
مغيرة
جدّ العتيات، والبطاحين، والخوالدة، والقش
مسمار
سلفرة
جدّ البيترية، والعبوتيحات
سعد الفريد
جدّ الأحامدة، والكمع والجوامعة
والحاتماب، والجوابرة
صلاح أبو مرخة (جدّ المتمة)
نبيه (جدّ النبهة)
رباط(جدّ الرباطية، والفرنتاب والمسيكتاب)
حميد النوام (جدّ النوايمة)
جميعتان
حمد (الأفرت) (جدّ الفرتان، والعلجية)
غشوم
مطرف
غانم
خشم الله
شتو(جدّ الشتنية)
صباب
جدّ الميرفاب، والزناقات، والفاضلاب
والمترنحاب، والشناهير
ضواب
المصدر : كتاب
تأليف الأستاذ : عبدالباقي الطيب علي المحامي
1442هـ - 2021 م
جموع
جدّ الجموعية، والجميعاب
والنزوزاب والعيكاب
عرمان (جدّ الجعليين العرامنة، بولاية نهر النيل)
عبدالله أبوخمسين (جدّ العقياب، والحريزاب، والخضاب، والإبرقة)
نصرالله
عدلان
جبل
مكابر
زيد
صاع الدين
عبدالعال
سعيد
مسلم
جبر
نمير
عبدربه
شبو
بوباي

مشجرة رقم ١

الفصل الثاني

الْدَّامَر عَاصِمة الجَعَلِيّين العَرْمَانِيين

(التاريخية والروحية)

تَقَع مَدِينَة الْدَّامَر على الضِفَّة الشَّرقيَّة لنَهْر النّيْل حَوالَي ثلاثمائة كَلِم شَمال مَدِينَة الخُرطوم، وحَوالَي ثَلاثة عشَر كِلم جَنوب مَدِينَة عَطْبَرَة. (ملتقي نهر النيل بنهر أتْبَرا) (نَهْر عَطْبَرَة). بين خطي طول ٥٨,٣٣ شرق، وعرض ٣٥,١٧ شمال. وتَبلُغ مسَاحتها حَوالَي ٣٢,٠٠٠ كلِم، وتَمتَدُ علَى ضِفَاف نَهْر النّيْل، ونَهْر عَطْبَرَة شَرقًا وغَربًا، وتحدُّها مِن الشَّمَال مَحَليَّة عَطْبَرَة، ومِن الجَنوب مَحلِّيتَي شَنْدِي والمَتَمَّة، ومِن الشَّرق ولايَتي البَحر الأَحمَر وكَسَلَا. أما محلية الدامر فتبلغ مساحتها حوالي ٣٢,٠٠٠ كيلومتر (١٩٨٨٣,٩ ميل).

تقع مدينة الدامر في نطاق المناخ شبه الصحراوي الجاف، وتتميز بوجود فصلين رئيسين هما الصيف والشتاء، حيث تمتاز بدرجات الحرارة العالية خلال فصل الصيف، أما فصل الشتاء فيتميز بالرياح الشمالية الشرقية الباردة، والأمطار قليلة يبلغ معدلها السنوي ٦٠ ملم، وتسود الرياح الجنوبية الغربية خلال فصل الخريف، أما التكوين الجيولوجي فهو متنوع، والملمح الرئيسي هو نهر النيل ونهر أتْبَرا ([٢٣]) (عطبرة).

والْدَّامَر هِي عَاصِمة وِلَايَة نَهْر النّيْل، ومِن المُدن الإدَاريَّة والتَّاريخيَّة القَديمَة فِي السُّودَان، وتُوجَد بِها حَفريَّات قَديمَة جِدًا، تعُود لحِقب تاريخيَّة تَمتَدُ لآلاف السِّنين. وأثْبَتت دراسَات انْثَربُولوجِيَّة حدِيثَة بأنَّ هِذِه المَدِينَة مِن أَقدَم المُدن المَعمورَة فِي العَالم، وأَنَّها من ضِمْن عشَرة مُدن فِي العَالم لم ينقَطع عنْها الاستِيطَان البَشريّ، على مرّ العُصُور والأزمِنة.

وَقَد كَانَت الدامر تُسمَّى فِي العُصُور الوُسْطَى الحَديثة (دَارَ الأَبْوَابْ). والأَبْوَاب كانت تربُط بَيْن مَناطِق الحَضَارَات القَديمَة الكُوْشِيَّة والمَرْويَّة، فِي شَمال وشَرَق ووَسَط مَا يُعرَف اليَوم بالسُّودَان.

وكلمة باب مصطلح جغرافي يعني ممراً ضيقا للماء، وكذلك في معنى خروج الماء أو انحصاره في مجرى ضيق. والأَبْوَابْ هي المنطقة الصخرية بين بداية الشلال الرابع وبداية

٢٣- تاريخ الدامر من دلالات الاستيطان والعمران، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، سلمي الطيب الخزينة عبد الرحمن، ص ٥.

الشلال الخامس جنوب مقرات و(الشلالات أو الجنادل وهي عبارة عن صخور كبيرة وجزر صخرية صغيرة تعترض مجرى النيل، فتنحدر المياه من أعلاها بقوة وصوت رهيب). ([٢٤]).

ويقال إن الأَبْوَابْ هي منطقة الجعليين من ملتقى نهر عطبرة حتى شندي وقيل هي كبوشية أو مروي. وسميت كذلك لتفرع الطرق التجارية عندها وذهابها لمختلف الجهات، وكأنها أبواب تجارية، والأبواب عن النواتية (أصحاب القوارب النيلية) قد تعني الحجارة أو الشلالات في مجري النيل بين الداخلة والسبلوقة شمال الخرطوم ([٢٥]). والشلال الرابع هو شلال خزان مروي بين مروي وصحراء المناصير، والشلال الخامس يقع شمال مرواه (البجراوية) في امتداد نهر عطبرة.

أما مقرات فهي جزيرة تقع في النيل في المنطقة الواقعة بمنحنى نهر النيل بالقرب من مدينة أبو حمد. وهي من أشهر وأكبر وأجمل الجزر في مدينة أبو حمد. وهي أكبر جزيرة في السودان. طولها حوالي ٣٦ كلم، وعرضها: في بعض المواقع من ٦ إلى ٥ كلم تقريباً . ([٢٦])

الوحدات الإدارية للدامر:

إدارياً، تعتبر الدامر محلية من محليات ولاية نهر النيل وعاصمة الولاية وتبلغ مساحتها حوالي ٣٢,٠٠٠ كيلومتر (١٩٨٨٣,٩ميل) وتتكون المحلية من سبع وحدات إدارية هي:

١- وحدة مدينة الدامر.
٢- وحدة سيدون.
٣- وحدة العطبراوي.
٤- وحدة النيل.
٥- وحدة الزيداب.
٦- وحدة الإنقاذ.
٧- وحدة المناصير الجديدة.

٢٤- مملكة الأبواب المسيحية وزمن العنج، د. احمد المعتصم، ص ١٠- ١٣.
٢٥- قَامُوسُ اللَّهْجَةِ العَامِّيَّةِ في السُّودَانِ، د. عَوْن الشَّرِيْف قَاسِم، ص ٢٧.
٢٦- ويكيبيديا - شبكة الانترنت.

الأحياء السكنية:

تتوزع مدينة الدامر على مربعات سكنية تبدأ من مربع واحد حتى مربع سبعة عشر، وأحياء أخرى وهي من الشمال نحو الجنوب: المقرن والعكد والحسناب والكنوز والبان جديد والفريع والعشير والقلعة والشعديناب والحديبة والمسياب والجباراب والحصايا، والزيداب ومن ناحية الغرب: أم الطيور والتميراب، وشرقاً البسلي وأم شديدة.

السياحة:

يوجد بالمدينة متحف وادي النيل الذي يحتوي على بعض المقتنيات الأثرية المروية والكوشية القديمة، وبضع أدوات من التراث الشعبي والتي تمثل حضارة المنطقة.

سُكَّان الْدَّامَر:

غَالِب سُكَّان الْدَّامَر مِن قَبيلَة الجَعَلِيِّين العَرَامْنَة، إضَافةً إلَى مَجموعَات من قَبائِل الرُّبَاطَاب، والشَّايْقِيَّة، والمَنَاصِيْر، والرَشَايْدَة، والدَّنَاقْلَة، والمَحَسْ، وغَيرهَا من قَبائِل السُّودَان. كما سكنها الأقباط والهنود منذ فترة طويلة وأصبحوا جزءا من نسيجها الاجتماعي. ويَعمَل مُعظَم أَهَالي المَدِينَة بالزِّراعة، والبَعض بالتِّجَارَة، والخَدَمات، والرَّعي.

وتُعْتَبَر الْدَّامَر وَاحِدةً من أَكبَر أَسوَاق الإبِل والمَاشِيَة فِي السُّودَان. ويُشَكِّل سُوقُها مُلتَقى لتُجَار الإبِل والمَاشِيَة، من مُختلَف البَوَادِي القَريبَة مِن المِنْطَقَة ([٢٧]).

تَأَسِيْس مدينة الْدَّامَر

(النشأة الدينية للمدينة)

كما ذكرنا فيما تقدم أن أَصْل تَسمِيَة مدينة (الْدَّامَر) يَعُود الى الفَقِيْه حَمَد بنُ عبد الله، رَاجِل دَرُوْ والذي كان زاهداً عابداً ورَحَل عَن وَالِده من منطقة درُّو (حي الشعديناب الآن)، فِي عَهْد السَّلْطَنَة الزَّرقاء، واسْتقَر فِي المِنْطَقَة المُقَام عَلِيها مَسجِد السُّهَيلِى الحَالِي، للخلوة والتعبد وأَوَقَد نَار القُرَآن والعلم، وصار مُعلماً للناس والصبيان، وأَسَّس مَدِينَة الْدَّامَر، عَام (١٦٥٠م) وكانت المنطقة خالية من السكان، وأسس في هذه المنطقة المسيد المعروف باسمه (مسيد حمد)، فارتحل اليه الناس للسكن بجواره فأدى ذلك لزيادة حجم الدامر، وتبعد مدينة الدامر عن الشعديناب (درُّو سابقاً) حوالي كيلومترين.

٢٧- موقع ولاية نهر النّيل وموقع الويكيبيديا على الانترنت.

وبالتالي فان نشأة الدامر كانت نشأة دينية في الأصل حيث لعب العامل الديني دوراً رئيسياً في اختيار مكانها. وكانت الدامر تسمي بالقوز لارتفاعها، وتعرف حالياً بمربع (٢)، وهي المكان العالي شرق مبني المديرية والمسجد العتيق (٢٨).

وفِي حِلَّة الشَّعَدِيْنَاب، ذَهَب أترَابُ الفَقِيْه حَمَد يسَألون عَنه شَيْخَهم وَالدَه الفَقِيْه/ عبد الله، ويُجيْبَهم بَأنَّ (حَمَد دَامَر)، أيْ (اسْتَقَرَّ وَأَقَامَ) فِي المَكَان الَّذي ذَهَب إليه. فَأصْبَحُوا يَتَنَاقَلون هِذِه العِبارَة فِيمَا بيْنَهم، بصِيغَة (حَمَدْ دَامَرْ)، و(دَامَر حَمَد)، بِمَعنَى (اسْتَقَرَّ حَمَد وأَقَام)، وذَلكَ بمِعَنى الأَسَفُ عَلى رَحيْله وطُول غِيَابه عَن دَرُوْ.

ونَشَأ فِي المِنْطَقَة الَّتي استَقَر بِها حَمَد سُوق، قِيْلَ أنَّه حُظِيَ بِبَرَكَات الشَّيْخ حَمَد. وتَقَاطَر العَرَب عَليه مِن كلّ حَدْبٍ وصَوب. وصَارت المَدِينَة مَحَطَّ أنْظَار الكَثِير من النَّاس، يَزورُونَها طَلَبًا للعِلْم، والشِّفَاء، والبَرَكَة، والفَتَاوى، والتِّجَارَة، ومُختلَف الحَاجَات. ومعَ مُرورِ سنَوات ذَلكَ العَهْد، ازْدَهَرت سُمعَة المَجَاذِيْب الدِّينيَّة، وتَقَاطر علَي مَدينَتَهم الْدَّامَر المُريْدُون، فكَبُرت المَدِينَة، وغَدَت مَركزا تجِاريًّا كَبيرًا وهامًّا؛ ولذَلكَ يُعتَبر حَمَد، الَّذي تُوُفِّيَ سَنَة (١٦٩٠م)، هُو الأبُ المُؤَسِّس لمَدِينَة الْدَّامَر. لِذَا يُقَال للدَّامَر (دَامَر حَمَد).

وجَاءَ إنَّ كِلمَة الْدَّامَر وأَصْلها قَد استُعمِلت كِلمَة (دُوْمَر) كفِعل، عِندَما يَستَقِر العَرَب الرُّحَلْ فِي مَكَان وَاحِد، زَمَن الصَّيف وعِندَ بداية فَصْل الخَريف تَبدَأ رِحلَتُهم بحثاً عن الكَلأ، ويُقَال حينئذ (بِخَرِّفُوْا)، بَدَلاً مِن (بِدْمُرُوْا) (٢٩)؛ وأَنَّ الأَنْسَب فِي هَذَا السِّيَاق هُو مَا قِيْلَ مِن أَنَّ كِلمَة دَامَرْ جَاءَت من دَامَرَ اللَّيْلَ كُلَّه، أَيْ أَقَامَه؛ إِذْ المَعنَى كُلُّه يَدُور حَول فِكرَة ومَفهُوم قِرَاءَة القرآن ليلاً، حَول اللَّهِيب المُشتَعل، الَّذي يُوفِّر الدِّفءَ والضَّوْءَ للطَّوَّافِين حَول الحَلْقَة، للَّذين يتلُون القُرآن الكَريم للحِفْظ والمَراجَعة.

يَقول البُروفِسُور عبد الله الطَّيِّب:(ولعل الْدَّامَر اسْمَ عَربِي نَقَله العَرَب إِلَى النِّيْل، مُنذُ دَهر قَديم. وفِي جَزِيرَة العَرَب فِيمَا بَلغَني مَوضِع يُسَمَّى الْدَّامَر، قَرِيب مِنْ دَوْمَة الجَنْدَل- بِمِنْطَقَة الجَوْف بالمملكة العربية السَّعُوديَّة). وما أشبه أن يكون أصل الدامر من الدَميرة

٢٨- تاريخ الدامر من دلالات الاستيطان والعمران، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، سلمي الطيب الخزينة عبد الرحمن، ص ١٦-٢١.

٢٩- المَجَاذِيْبُ نِيْرٌ وأَنْوَارٌ، الجُزْءُ الأَوَّلُ، د. أَحمَد بَابِكِر الطَّاهِر، ص ١٩.

أي الفيضان، ذلك بأنه يصلها فيضان نهرين عظيمين، النيل والْأَتْبَرَاوِيْ (نَهْر عَطْبَرَة)، وهو ذو فيضان ضخم (٣٠).

أَمَّا كِلمَـة دَرُوْ، فقَد كَـانَـت تُطْلَق عَلَى جَمِيع مِنْطَقَـة الْـدَّامَر، حتَّى مُقْرَن الْأَتْبَرَاوِيْ بالنِّيْل. ولَعَل الاسْـم جَاءَ مِنْ عَبد الله (للهِ دَرُّهُ!)، فَاخْتُصِـر إِلَى (دَرُّهْ)، ثمَّ إِلَى دَرُوْ؛ وهَذَا مَا يَعتَقِدَه الدُّكتور/ عَبد الله الطَّيِّب الْمَجْذُوْب، وهِي عِبارَة تُقَال لمَدْح الشَّـخص مَحْمُود السِّيْرَة والدُّعَاء بالخَيْر لأُمِّه، وذَلكَ لمَّا للرِّضَاع مِنْ أَثَر كَبِير فِي الأَخلَاق؛ فَاخْتُصِر إِلَى دَرُّه، ثمَّ إِلَى دَرُوْ.

ولعَبد الله رَاجِل دَرُوْ بِنْتان؛ تزَوَّج إِحدَاهُما رَجُل مِنْ المَكَابْرَاب، ورُزِق مِنهَا حَاج عَبد البَاقِي جدَّ البَلَّلَاب، أَولَاد بَلَل. وتزوَّج الثَّانِية الشَّـيْخ الصَّـالِح (الحَاج بَخِيْت)، جَدُّ البَخِيْتَاب بالجُبَارَاب (٣١). وتَقُول رِوَايَة البَخِيْتَاب أَنْفُسِـهم وهم أجداد المؤلف لأمه أَنَّ جَدِّهِم الشَّـرِيْف الحسـيني/ علي بن مُحَمَّد، قَدِم مِنْ الحِجَاز إِلَى السُّـودَان، لنَشْـر العِلْم، واستَقَر بِه المَقَام مَع المَجَاذِيْب، بقُوْز دَرُوْ بالشَّعَدِيْنَاب.

وتزوَّج البُرَاق بِنْت عبد الله، رَاجِل دَرُوْ، بن مُحَمَّد، بن عِيسَـى، بن قِنْدِيْل، بن حَمَد، بن عبْد العَال، جَدِّ المَجَاذِيْب أَولَاد عبْد العَال، بن عَرْمَان الجَعَلِيّ بالْدَّامَر؛ وأَنجَب مِنهَا الحَاج/ بَخِيْت، جدَّ البَخِيْتَاب، بالجُبَارَاب جَنوب الْدَّامَر.

والبُرَاق بِنْت عَبْد الله، رَاجِل دَرُوْ هي جدة المُؤَلِّف، حيث سُـمِّيَت عليها جَدَّتهُ - والده أُمِّه (أَمَّ الحَسَن مُحَمَّد حَمْزَة عَاشْمِيْق) - البُرَاق، بِنْت الشَّيْخ، بن عَبَّاس، بن عُبَيْد الله، بن مُرْتَضَـى، بن الفَكِيْ الحَاج/ بَخِيْت، بن الفَقِيْه/ عَلِي، بن مُحَمَّد، المُنتَهي نسَـبه بسـيُّدنا الحُسَيْن، بن عَلِي، بْن أَبِي طَالِب، مِنْ فَاطِمَة الزَّهْرَاء، بِنْت رَسُولُ الله (ﷺ).

الشَّعَدِيْنَاب أَصْل مِنْطَقَة الْدَّامَر

يَقول العَلَّامَة الدُّكتور/ عبد الله الطَّيِّب (أَنَّ الشَّاعَدِينَاب أَصْل مَدِينَة الْدَّامَر بَعد انتِشَار الإسـلام... والأُستَاذ القَانونِيّ الإدَارِيّ الحَرْبيّ والشُّـرَطِيّ الفَرِيق دكتُور/ عُمَر قَدُوْر مِنْ بَحبُوحَة الشَّـعَدِيْنَاب أدبًا، وشَـرَفًا، ومَوهِبَةً شِـعريَّة) (٣٢). والشَّـعَدِيْنَاب، أَو الشَّـاعَدِينَاب، هُم أَبنَـاء (الأَمِيْر) شَـاعَ الدِّيْن، بِن (المَلِك) عَرْمَـان الجعلي، ومَوطِنهم بـالحَصَـايَا، والجُبَارَاب جَنوب مَدِينَة الْدَّامَر.

٣٠- من نافذة القطار د. عبد الله الطيب، ص ٨٩.

٣١- المَرْجِع السَّابِق ص ١٦- الجَعْلِيُّون العَبَّاسِيُّون بالسُّودَان، سُفْيَانُ المَرْضِيِ الشَّيْخ علي، ص ١٦٧.

٣٢- صَوتٌ مِن السَّمَاءِ، دَيْوَانُ شِعْرٍ، د. عُمَر أَحْمَد قَدُوْر، ص (ج- د).

وتَقَع مَدِينَة الْدَّامَر ضِمْن الحُدُود القَديمَة والتَّاريخيَّة لحَصَاية شَاعَ الدِّيْن، والَّتي تُعْتَبَر مِن أَقدَم مَناطِق جَنوب الْدَّامَر، وتَمتَدُ حُدُودها القَديمَة مِن خُوْر المَكَابْرَاب جَنوبًا، إِلَى مَبانِي المُديرِيَّة بالْدَّامَر، (مقر حُكُومة وِلَايَة نَهْر النِّيْل) شَـــمالاً، وبالتَّحَدِيْد إِلَى خُوْر الفُورْكِيْت شـــمال قرية الحســـناب والتي تقع شـــمال مدينة الدامر، والفوراكيت هو وادٍ بأرض الجعليين ([٣٣]). وتَشمَل هِذِه الحُدُود المِنْطَقَة المُوازيَة لها بغَرب النِّيْل. وكَانَت هِذِه المِنْطَقَة تُسمَّى بجزيرة شَاعَ الدِّيْن، أَو الْجَزِيْرَة الشَّاعَدِينَابِيَّة. ويُقَال إِنَّها مُسَجَّلَة باسْم شَاعَ الدِّيْن، بن عَرْمَان، مُنذُ عَهْد مَمْلَكَة العَنَج النَّصَـــارَى، قَبل قِيَام السَّـــلْطَنَة الزَّرقاء، سَـــنَة (١٥٠٤م).

الْدَّامَر فِي كُتُب الرَّحالة الغَربيين:

انتَزعَت الْدَّامَر إعجَـاب واحتِرَام مِن مَرُّوا خِلالِهَـا مِن الرَّحـالـة الغَربيين، فكَتَبُوا مُشـيِدِيْن بالمَجَاذِيْب ومَدينَتَهم، والَّذِيْنَ كَانَ لسُـمعَتِهم المُمتَازة جَانب عمليٌّ أيضًـا، إِذْ كَانَ سُكَّان المَدِينَة وزُوَّارُها أيضًا يَحتَرَمون قُدِسيَّتَها، فاخْتَفَت فِيْها الجَريمَة تمَامًا، أَو كَادَت.

ذَكَر بَعض المِؤرِّخين أنَّـه، بيْنمَا كَـانَ شَـــائعًا فِي تِلْكَ الأَيَّام، أَنْ يقطَع المَجرمُون والسُّـــرَّاق طَرِيْق قَوَافل الحَجِّ، فَلَم يَحدُث أَبَدًا أنْ هَاجَم هَؤلَاء قافلة وَاحِدة، إن عَلِموا أن فِيْها وَاحِدًا من المَجَاذِيْب. ولذَلِكَ سُمِّي حَمَد مُؤَسِّس الْدَّامَر بـ (حَمَدْ ضَمِين الْدَّامَر)، لأَنَّه، وأُسرَتَه المَجَاذِيْب، كَانُوا يَضمَنُون سَلامَة القَادِمين والعَابِرين بالْدَّامَر، ويَمنَحوْهم الأَمنَ والسَّلامَ، ويَجِيرُون القَوافِل، ويحَرُسُون مَا يترَكَه الرُّحَّل عِنْدَ نُزُوحِهم للزِّراعَة، إضَـافةً إِلَى مُهمَّة الإصْلاح بَيْن القَبائِل المُتَنازِعَة.

يقول دكتور عبد الله الطيب: وحمد ود عبد الله يُسمى ضَمِين الدَامر، قِيل ضـمنها من الجِن فلا يصـــيبون بها أحداً من بنيه، ولا أحداً من بنيه يصـــيب بها أحداً من الجن. وقيل ضـــمن شـــاطئها من التماســـيح أن تخطف أحداً عنده. والراجح إنه ضَـــمين الدامر أي المدفون فيها، ضُمّن جسده إياها، إذ أجداده مدفونون بدرو ([٣٤]).

فِي الفَترَة مِن (١٠- ١٥) - ابريـل ١٨١٤م)، زَار الرَّحـالـة الإنْجِليْزِي جون لويس بُوْرْكَهَـارْت([٣٥]) الْـدَّامَر، وذَكرَهـا فِي كتـابـه (رِحْلَات بُوْرْكَهَـارْت فِي بِلَاد النُّوبَـة

٣٣- قَامُوسُ اللَّهْجةِ العَامِّيَّةِ في السُّودَانِ، د. عَوْن الشَّرِيْف قَاسِم، ص ٧٤١.

٣٤- من نافذة القطار، بروفيسور عبد الله الطيب، ص ٨٧.

٣٥- بُوْرْكَهَارْت أو جون لويس بُوْرْكَهَارْت رحَّالة ومُؤرخ سِويسريّ، وُلِد سنة ١٧٨٤م. دَرَس اللُّغة العربيَّة، كان يُرافِق الحَّجاج، بشَخصيَّة مُسلم ألباني، باسم الحَاجْ إبراهيم. صَحِب حَملة مُحمَّد عَلي

والسُّودَان)، فَذَكر أَنَّها بَلْدَة كَبِيرَة، قَوَامُها خَمسُمَائة بيْت، وأنَّها نَظيفة تَفَضَّل فِي شَكلِها بَرْبَر؛ وأَنَّها ذَات صِيت ذَائع فِي الأَقطَار، ومَبانِيهَا جَديدَة مُنسَّقَة، تَخلُو مِن الخَرائِب، وشَوارُعها مُنتَظِمة، وتُنمو فِي كِثِيرٍ مِن أَرجائها الأَشجَار وَارِفةُ الظِّلاَل، ويُسكُنُها عَرَب مِن عَشِيرَة المَجَاذِيْب، وأَنَّ بِها مَدَارس عِدَّة يَؤُمُّهَا الطُّلَّاب من كُرْدُفَان، وسِنَّار، ودَارْفُوْر، ومُختلَف بِقَاع السُّودَان، لأَجلِ دِراسَة الفِقْه، ليَصبِحوا فُقَهَاء كبَارًا فِي بلادهم؛ وأَنَّ فُقَهَاءها يَقْتَنُون الكَثِير من الكُتب، وأَنَّ نِساءَها يُزَيِّن غُرَف جُلُوسِهِن بصُحُونٍ خَشَبيَّة كَبِيرَة، تُعلَّق عَلى الجُدرَان، فَتَبدُو كالصُّور الكَبِيرَة، ويَغَطِين الأَرْض بالحُصَر الجَميلِة مُختلَفة الرُّسوم والألوان، ويَضعَن بيْض النِّعام وريِشِه الأَسوَد عَلى الحَائط فَوق البَاب للزِّينَة.

ويَضَيف بُوْرْكَهَارْت أَنَّ أَهْل الْدَّامَر أَنبل مِن جِيرانَهم، ويهْتَمون بالزِّراعَة بالسَّوَاقِي، ويَحصُلُون عَلَى مُوسِمَين (زِرَاعيَّين) فِي السَّنَة؛ وفُقَهَاهُا لا يَتَقاضُون ضَرِيْبَة مُرُور عَلى القَوافِل والتُّجَار، كَمَا يَفعَل غيرُهم، وأَنَّ القَوافِل لا تَجد أَيْ بَأس فِي المُكُوث بِها، وأَنَّ مَوارِد أَهلِهَا مِن التِّجَارَة والزِّراعة، وأَنَّ هَذَا سِرُ ازْدِهَارِها. وبِها دَوْلَة دِينيَّة، تُدَار بِمنتَهَى الحِكمَة والتَّعقُل، وأَنَّ جَيرَانُها يُكِنُّون للفُقَهَاء أَعظم الاحْترَام والإجْلَال، وتُوجَد بمَتَاجِرِها مُعظَم البَضَائع المِصرِيَّة، وبِها سُوق أسبُوعِيَّة. وفِي نِهايَة المَطَاف ذَكَر أَنَّه والتُّجَار غادَرُوْا الْدَّامَر، وهُم رَاضُون عَن أَهلِهَا كلّ الرِّضَاء (٣٦).

كَانَت الْدَّامَر مَمْلَكَة مُستقلِة عَن سَلطَنة الفُوْنْج، تَحتَ إِمَرة شُيوخ المَجَاذِيْب. وغَدت لسَنوات طَويلَة مَركزا للتَّعليم، ليس فَقَط للجَعَلِيين، بَل أَيضًا للشَّايْقِيَّة والحَسَّانِيَّة وقَبائِل أُخْرَى مُختلَفة. وبَقيَت الْدَّامَر مُحايِدةً، رَغم غَارَات الشَّايْقِيَّة عَلَى المِنْطَقَة، بِغرَض نَهبِ المَاشِيَة، وسَبِي النِّساء. وكَان أَطفال الشَّايْقِيَّة، والجَعَلِيِّين، وأَطفَال القَبائِل الأُخْرَى، وبَيْنَهَا جَميعًا مِن العَدَاوات مَا بينها، يَدرسُون فِي خَلَاوِى الْدَّامَر، فِي تآلف وسَلام، إِلَى أَنْ يَبلُغوا مَرحِلَّة الشَّبَاب، ويغادَرُوْا تِلْكَ المَدِينَة المسَالِمة.

بَاشا على جَزيرَة العَرب، وخَلَّف أثارًا عن رِحلَاته في بُلاد النُّوبة وجَزيْرة العَرب. تُوُفِي بمِصر، عام ١٨١٧م، ويكبيديا المَوسُوعَة الحُرَّة.

٣٦- رِحلَات بُوْرْكَهَارْت في بلاد النوبة والسُّودَان. جون لويس بُوْرْكَهَارْت، ص ٢١٨-٢٢٢.

وَقَد زَار الرَّحالة (بُرُوس Bruce) ([٣٧]) الْدَّامَر، أيَّام السَّـــلْطَنَة الزَّرقاء، وتَحدَّث عن مَنزِلـة الفَقِيْـه حَمَد بن مُحَمَّد الْمَجْذُوْب؛ وذَكر أَنَّ مَدَارس الْدَّامَر كَـانَت بمَكَـانـة التَّعلِيم العَالِي بالنِّسْبَة لسَائِر المَدَارِس بالسُّودَان وَقْتَها ([٣٨]).

يَقول العَلَّامَـة/ عَبدَ الله الطَّيِّـب أنَّ الْـدَّامَر هِي عَـاصِـــمـة قَبيلَـة الجعليين العَرَامْنَـة الشَّـمَاليين. مِنهُم القَاطِنُون فِيمَا بَيْن مَطْمَر بِنْت أَسَد، ومُقْرَن البَحر المَعرُوف بالْأَتْبَرَاوِيْ (نَهْر عَطْبَرَة)؛ وأَنَّ الكُولْنَيل الكَاوُنْت قِلِيْتْشِـن، الضَّـابِط فِي المُخَابرَات البِريطَانيَّة، كَتَب فِي التَّقرِيْر الرَّسـمِيّ الَّذي قدَّمَه لكُتشِـنَر، سَـنَة ١٨٩٧م، قَبل مَسِـيرِه بعَام إِلَى كَرَرِيْ، وطُبِع فِي لَندَن، يُخبره عَن دِيار الجَعَلِيّين، فقَال: أنَّ الْدَّامَر مَشـــهورَة بعِلمِهَا وجَامِعَتها ([٣٩]). وتُعْتَبَر الْدَّامَر العَاصِــمة الرُّوحيَّة للجَعَلِيين، ولكَثِيرٍ مِن جِهَات السُّـــودَان، بمَا اشْتَهَرَت بِه مِن النَّشَاط الدِّينِي والرُّوحَاني ([٤٠]).

مُقَاوَمَة جَعَلِيِّي الْدَّامَر للغَزْو التُّركِي للسُّوْدَان:

يُروَى أَنَّ إِسْمَاعِيْل بَاشَّا أَرسَل نَصرَ الدِّين الصَّادِق، ملك المِيْرَفَاب، وفِي رِوَايَة نصر الدِّين وَدْ عَدْلَاْن أَبُو حِجِل، مَكْ بَرْبَر، للْمَجَـاذِيْب، طَـالِبًا مِنهُم تقَديم الوَلَاءِ والطَّـاعَة لإسْـمَاعِيْل بَاشَّــا، حَاكِم البِلَاد الجَدِيْد، وتَسـهِيل مُهمَّتِه، فرَفَضـوا ذَلك، خِشـيَّة على دِينِهم وعَقيدَتهم؛ وقَالوا لَه أنَّهم سَيقَاتِلون إِسْمَاعِيْل بَاشَّا، إِذَا دَخل أَرَاضِيهِم.

وبَعدَ أَن أَحرَق المَك نِمِرْ إِسْـمَاعِيْل بَاشَّـا بشَـنْدِي، فِي (١٨٢٢/١١/٣م)، كوَّن جَعَلِّيو الْدَّامَر جَيْشـــاً مِن ســبعة آلاف مُقَاتل، بقِيَادَة المَجَاذِيْب، وقَرَّرُوا اللَّحَاق بالمَك نِمِرْ فِي البُطَانَة. وتَقُول رِوَايَة أُخْرَى، أَنَّ جَيْشـــهُم تَوَجَّه لغَزْو بَرْبَر، والإِسْـتِيْلَاء عَليهَا، فتَحرَك مَاحِيْ بِكْ قُرُنْفُلِيْ الكُرْدِي، حَاكِم بَرْبَر والرُّبَاطَاب، بِجَيْشـــه، مِن مُعَســكَرِه بالحَاوِيَة، جَنوب الْدَّامَر، وتَتَبَّع جَيْشهم، وقَتَل الكَثِيرين مِنْهم.

٣٧- جَيْمِسْ بُرُوْسJames Bruce ١٧٣٠-١٧٩٤م، رحَّالَة اسْـكتْلَندي، زَار شِـمَال أفْرِيقيَا ومِصْـر وبلاد النُّوبة، وجزِيرَة العَرب. كَتَب عن رحلَتِه لاكتشَـاف منَابع النِّيل "سـيَاحة للكَشْـف عَن مَنَابِع النِّيل" ويكبيديا المَوسُوعَة الحُرَّة.

٣٨- نَمِر: مَلك شَنْدِي الأَخِير، بدر الدِّين حَامِد الهَاشمي، بَحث مُترجَم عَلى شَبكة الانترنت.

٣٩- صَوتٌ مِن السَّمَاءِ، د. عُمَر أحْمَد قَدُوْر، ص (ب) (ج).

٤٠- السُّودَان الشَّمالي، سُكَّانه وقَبَائِله، مُحمَّد عَوَض محمد، ص ١٧٣.

وبعد مقتل إِسْمَاعِيْل بَاشَّـا، تحرَّك مَاحِيْ بِيْه (بِيْكْ) وجَيْشـه بالمَرَاكِب، من بَرْبَر تِجَاه شَـنْدِي، وعِندَ مُقْرَن نَهْر عَطْبَرَة بالنِّيْل، شَـاهَد جَيْش الجَعَلِيِّين، الَّذي كَانَ مُتَّجِهًا لاحِتِلَال بَرْبَر، يَقُودُه فَقِيْه المَجَاذِيْب وخَليفَتهم/ مُحَمَّد أَبُو صُــرَّة، بن الفَقِيْه/ أحمَد أبو جَدَرِيْ، ونزل مَـاحِيْ بِيْـه فِي (الكُوِيْـب) عِنْـدَ مُقْرَن الأَتْبَرَاوِيْ (نَهْر عَطْبَرَة)، بـالنِّيْـل، (مَكَـان كُوْبْرِي الدَّامَر عَطْبَرَة الحَاليّ، وكَان يُسَمَّى خُرْتُوْم الكَنِيْسَة)، وكَان ذَلكَ عَام ١٨٢٣م.

واشْـتَبَك ماحي بك بجَيْش الجَعَلِيِّين، فانْتَصـرُوا عَليه، وغنموا مدفعاً وبَعض الأَسلِحة والذَّخَائر وتمَّ عَرض المُدفَع أَمَام مَسـجِد المَجَاذِيْب بالدَّامَر. ويُقَال إنَّ المَلِك نِمِرْ حَضـرَ بنَفسِـه للدَّامر، وأَخَذ المِدفع الغَنيمَة. وفَقدَت الدَّامَر والمَجَاذِيْب، فِي تِلكَ المَعرِكَة، الكَثيرَ مِن القَادَة، والعُلَماء، مِنهُم الشَّـيْخ/ قَمَر الدِّين، وَالِد الشَّـيْخ/ مُحَمَّد المَجْذُوْب، الَّذي كَانَ مُجَاوِرًا بالمَدِينَة وَقْتَها ([٤١]).

حَرْق الدَّامَر وتَشرِيد أَهلِهَا (١٨٢٣م):

فِي ينَاير ١٨٢٣م، التَقى جَيْش أَهَالي الدَّامَر بالتُّرْك، مرَّة أُخْرَى، بالدَّامَر؛ وانتصـر التُّرْك، وقَام الدِّفْتِرْدَار بحَرْق كلَّ مَبانِي البَلْدَة، بِمَا فِي ذَلكَ مَسـجِدها الَّذي بَنَاه الشَّـيْخ/ مُحَمَّد المَجْذُوْب. ولَم يَتَبقَّ مِنه إلاَّ الجُدرَان. وفِي أَواخِر مَايُو (١٨٢٣م)، وقَعَت مَعرِكَة أُخْرَى، بَيْن الجَعَلِيّين بالدَّامَر، وقُوَّات مَاحِيْ بِيْه، فِي (تَاقِبْ) بأَبِي سُـلَيْم، غَرب الدَّامَر أَواخِر مَايُو (١٨٢٣م)، وانتصر التُّرْك عَلى الجَعَلِيِّين، واستَشهَدَ فِي هِذِه المَعرِكَة حَوالَي ثلاثة آلافٍ مِن جَعَلِيِّي الدَّامَر، والكَثيرُ مِن العُلَماء، والفُقَهَاء، والقَادَة، مِنهُم قَائِد الجَعَلِيِّين مُحَمَّد أَبُو صُـرَّة، والفَقِيْه الطَّيِّب، بن مُحَمَّد، جَدُّ البُروفِسُـور عبد الله الطَّيِّب، والَّذي كَانَ حَامِلَ اللِّوَاء فِي مَعركِتَي الكُوِيْب، وتَاقِبْ؛ ولُقِّبَ لشجَاعَته بَيْرَقًا.

يقول دكتور عبـد الله الطيـب:(وأعيـأ الأتراك أن يعبروا الأَتْبَرَاوِيْ (نَهْر عَطْبَرَة)، فانحازوا الى الغرب، وأتبعهم الفقراء فعبروا ونسوا نصيحة الصديق وسر النار، وقُتل أبونا محمد ود احمد الميدوب في تاقب حيث التقوا، وأكلت الجُلَّة مأكلها (سدوا الشُرمة يا صبيان) وتساقط بنو عرمان، وقال ود البَقوق الكبير للفكي جلال الدين:

نقرنا يا ود نقرنا   سمحة الجلسة في دامرنا

٤١- المَرْجِع السَّابِق، ص ٩٥.

والجُلَّة هي (قذيفة المدفع) ([٤٢])، حيث كَانَ الأَتْرَاكُ يَرْمُونَ أَرْضَ المَعْرِكَةِ بِالمِدْفِعِيَّةِ، مِنْ نَهْرِ النّيْـلِ. وَلَا تَزَالُ آثَـارُ الْمَعْرَكَـةِ بَـاقِيَـةً، إِلَى يَوْمِنَـا هَـذَا. والفقراء أي العلمـاء الصـالحون المفتقرون الى الله وفقراء الدامر علماؤها والفقير كذلك هو المتصوف المهتم بالدين ([٤٣]).

وقد ذَكَر د. عبد الله الطَّيِّب جَدَّه بَيْرَق، فِي قَصيدَتِه الَّتي رَدَّ بِها على قَصيدِة الشَّـاعر/ تَوفِيق صَالِح جِبرِيْل عن الْدَّامَر والتي قال فيها:

أيَـا دَامَـرْ الْـمَـجْـذُوْب لاَ أنـتِ قَـريَـة بَدَاوَتُها تُبـــــدُو ولا أنْتِ بَنْـــــدَر

فقَال:

بَلَى أنَا حَـــــقًا فَوْق ذَلكَ كَلّــــــهُ وَدُوْنِـــي خُـــرطُــوم وبَـــارَا وبَـــرْبَــر
ويَـا دَامَرْ الْمَجْـذُوْب أنْـتِ مَلِيْحَـةٌ تَـذْكَّــــرْتُهَا يَا بعــــدَ مَا أتَذَكَــــرُ
وَفِيـكِ بَنُو الْمَجْـذُوْب أبنَـاء بَيْرقٍ وأبنَـاء عَبـدِ الله والفَضْـــل يُـذْكَـــر

كمَا رَد على قصيدة توفيق صَالِح جِبرِيْل كذَلكَ شَاعِر الْدَّامَر سِر الخَتِم العالم بقصيدته:

دَامَرَ الْمَجْـذُوْبِ مَبعَـثَ فَخْرنَـا وَلِشَــــيْـخْـهَـا شَــــأنٌ عَـظِـيْـمٌ أكْـبَـرُ
هِـيْ قَـرْيَـة أمْ بَـنْـدَرٌ الـقَصْـــدُ جَــوْهَــرُهَــا وَلَــيْــسَ الْــمَــظْــهَــرُ

وهناك رِّوَايَاتُ شَّـــفَاهِيَّةُ لدى الدفيعاب الشـــعديناب تقول إن الْمَجَاذِيبِ لجأوا إلى أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِمْ الجعليين والدفيعاب فِي تَاقِبْ وأَنَّ قَائِدَ مَعْرِكة تَاقِبِ غَرْبَ النِّيْلِ، ضِـــدَ الجِيْشَ التُّركِيّ الغَازِي، أَواخِر مَايُو (١٨٢٣م)، كَانَ هُوَ جدهم (بَاصُـــوْرُ)، مِنْ الدِّفِيْعَابِ. وَأَوْلَادُهُ مَوْجُودِينَ حَالِيًّا بِالحْصَـايَا وبأَبِيْ سُلَيْمِ، وَذَلِكَ خِلَافًا لَمَا جَاءَ بِبَعْضِ الروايات، من أَنَّ قَائِدِ تَلْكَ المَعْرَكَةِ كَانَ مُحَمَّدُ أُبُو صُرَّة.

٤٢- من نافذة القطار د. عبد الله الطيب، ص ١١٧.
٤٣- المرجع السابق ص ٨٧ وقاموس العامية في السودان، د. عون الشريف قاسم، ص٧٣٠.

وبَعدُ مَعركَة تَاقِبْ هَجَر النَّاس الْدَّامَر، وتَفَرَّق المَجَاذِيْب إِلَى الشَّــرق، ونَهْر عَطْبَرَة، والبُطَانَة، حتَّى كُرْدُفَان، ودَارْفُوْر، وحُدُود الحبشــة. ولا زَالَ بَعضُــهم هُناك، كالأَزَارِقَة بالقَضَــارِف، وآل المَكِّي بالصُّــوفِي. كَمَا هَاجَرَ معهم كثير من جَعَلِيِّي مِنْطَقَة الْدَّامَر ولَهُم ذُرِّيَّة بتِلكَ الجِهَات، إضَافةً إِلَى مَن هَاجَرَ مَع المَك نِمِرْ، بعَد حَرْقِه إِسْمَاعِيْل بَاشَّا.

وتوَاصَــــلَت مُقاومَة الجَعَلِيّين بالْدَّامَر للتُّرْك، بقِيَادَة المَجَاذِيْب فِي قُوْز الحَلَق، بنَهْر عَطْبَرَة. وفِي سَــنَة (١٨٢٥م) أَعْطَى الأَتْرَاك الأَمَان للمَجَاذِيْب ومَن مَعَهم للعَودَة إِلَى الْدَّامَر، وإِعَادَة تَعمِيرِ هَا؛ فعَاد مَن عَاد، وبَقي بمَهجَره مَن بَقي، ولكن ظَلَّت الْدَّامَر فِي خَرَابٍ ودَمَارٍ إِلَى سَنَة (١٨٤٠م).

الجَدِير بـالـذِّكر أَنَّ تَـارِيْخ المَعـارِك الَّتي قَـاوَم جَعَلِيُّو الْـدَّامَر فِيْهـا الأَتْرَاك، بقِيَـادَة المَجَاذِيْب، وُجِدَ مُدوَّنًا فِي مَحَافِظ الأَبْحَاث المِصــرِيَّة الخَاص بالسُّــودَان، وفِي خِطَابات مَاحِيْ بِكْ، حَاكِم بَرْبَر. ولَكن لَمْ يُشَــرْ إِليها فِي التَّاريخ الرَّســمِيّ. وفِي هَذَا يَقول الدُّكتور عبد الله الطَّيِّب (وَلَيسَ لهَذِه الحُرُوب ذَكَرٌ فِي التَّاريخ الرَّسمِيّ، وفِي الوَثَائِق المَركَزيَّة.

وكَانَ التَّاريخ الرَّسمِيّ بِزعْمِه أَنَّ إِسْمَاعِيْل بَاشَّا لمْ يَلْقَ مُقاومَةً إِلاَّ عِنْدَ الشَّايْقِيَّة، يُريدُ أَنْ يَطمِس حَقيقَة شَــوْكَة الجَعَلِيِّين، والقَبائِلَ الَّتي قَاومت البَاشَّــا أَشَــدَّ مُقاومَةٍ، قَبلَ بلُوغِه سِنَّار. ولَمْ يَكنْ ليَظفَر عَليها، لوْلَا سِلاحَ النَّار.

ويقول د. عبد الله الطيب أَنَّ سَـببَ ذَلكَ التَّجَاهُل هُو كَرَاهِيَّة التُّرْك لذِكْرَى المَك نِمِرْ، الَّذي أَحرَق إِسْمَاعِيْل بَاشَّـا، ولمُقاومَة الفُقَرَاءِ المَجَاذِيْب لإِسْمَاعِيْل بَاشَّـا، أَوَّل مَقدَمِه عِنْدَ الكُوِيْب، وثاقِب، (تَاقِب) وقُوْز الحَلَقْ. وهَذَا الأُسـلُوب مِن الطَّمْس قَديمٌ مِن أَرْبَاب الدُّوَل مَعَرُوْف، وكَان الرُّومان مِن أَفْعَل شِيءٍ لَه ([٤٤]).

٤٤ـ المَرْجِع السَّابِق، ص ٩١.



(قبة وضريح الشيخ المجذوب بالدامر)

الفصل الثالث

الجعليون الشَعَدِيناب والجُبَاراب بالدَّامر

عشيرة الحاج فضيل علي فضيل الأقربون:

الجعليون الشَعَدِيناب والجُبَاراب العرمانيين، هم عشيرة الحاج فضيل علي فضيل الأقربون من جهة أبيه علي فضيل الجعلي الشعدينابي الحسينابي، ومن جهة أمه بنت عم أبيه / عائشة حمزة عاشميق احمد فضيل الجعلية الحسينابية الشعدينابية كذلك، وهم أيضاً أرحامه وأصهاره. ويقيم هؤلاء الجعليون بمنطقتي الحصايا والجباراب حوالي (١٥) كلم جنوب مدينة الدَّامر عاصمة ولاية نهر النيل الحالية، وعاصمة المديرية الشمالية سابقاً، والعاصمة الروحية والتاريخية للجعليين أولاد عرمان.

نسب الشَعَدِيناب:

الشَعَدِيناب، أو الشاعديناب، هم أبناء (الأمير) شَاعَ الدين بن (الملك) عَرْمَان بن الأمير ضواب بن الأمير غانم بن الأمير حميدان بن الأمير صُبح بن الأمير مِسمار بن الأمير سَرّار بن السلطان حسن كَرْدَم بن الأمير أبو الديس بن الأمير قُضاعَةُ بن الأمير عبد الله حُرقان بن الأمير مسروق بن الأمير أحمد بن الأمير إبراهيم جَعَلْ بن الشريف ادريس بن قيس العباسي العدناني ([٤٥]).

يقال إن أصل اسم شَاع الدين هو (شُعَاع الدين)، وأن شاع الدين لقبه محرف من أشاع الدين، أي ساهم في نشره. وقد ورد الاسم (شُعَاع الدين) بكتاب جامع نسب الجعليين، المؤلَّف سنة ١٩٤٣م، ضمن عمود نسب عمدة أم درمان سابقاً، ورئيس الجعليين والمحكمة الأهلية بالمدينة، العمدة عباس رحمة منصور الشعدينابي، من المناصير الشعديناب بالجُبَاراب.

كما ورد الاسم (شُعَاع الدين) أيضاً بكتاب (الجعليون العباسيون بالسودان)، للأستاذ سفيان المرضي، الشيخ الباحث في الأنساب ([٤٦])، والذي يري أنّ أصل الاسم هو شُعَاع الدين، وخُفِّف

٤٥- الأساس في أنساب بني العباس، الشريف حسني أحمد العباسي، ص ٤٩٠ - ٤٩١.

٤٦- جامع نسب الجعليين المسمى السور المنيع البأس/ في اتصال نسب إبراهيم جَعَلْ بأصله العباس-عبد الله محمد الخبير، ص ٤١ -٤٢ - الجَعَليون العَبَّاسيون بالسودان، سفيان المرضي الشيخ، ص ١٥٦.

إلى شَاع الدين، لسهولة النطق به. ويقول البروفسور عبد الله الطيب (وأبناء عبد العالي وشاع الدين من أهم قبائل الجعليين، وأحسب أن اسمه شاع الدين لقب لعمله من نشر الإسلام) (٤٧).

فضل شاع الدين ودوره في نشر الإسلام:

اشتهر الأمير شاع الدين بالتقوى، قال عنه النسابة الشهير عبد الله محمد الخبير، في (منظومة الأكياس المنتمين لذرى العباس)، التي تضمنت مناقب الجعليين العباسيين بقوله: (والفيصل التقي شاع الدين شقيقه عبد العلي الأمين) (٤٨). كما عرف بالحكمة وسعة الصدر والشجاعة والفضل الواسع، والكرم والغيرة على الإسلام، والسعي في نشره في السودان، والذي كانت تحكمه الممالك المسيحية في عهده.

وفي المأثور لدى الجَعَليين العَرَامْنة أن عَرْمَان بن ضواب قال عن ابنه شاع الدين عندما ذكر أبنائه :(شاع الدين أفضلهم)، وفي رواية (شاع الدين خيرهم)، وفي رواية (شاع الدين أجودهم). ويقول العارف بتاريخ وأنساب وتراث أهله الشَعَدِيناب ورئيس الاتحاد القومي للأدباء والكتاب السودانيين، بروفسور عمر أحمد قدور، أن عرمان قال: (وشاع الدين سجادتهم)، دلالة على الدين والبركة.

يقول الدكتور عبد الله الطيب (ولعَرْمَان ثلاثة عشر ابناً أشهرهم عبد العال وعدلان وتمير؛ وجاء في القول المأثور: عبد العال (بركتهم)، وعدلان (طاقيتهم)، وشاع الدين (أجودهم)، أو (أفضلهم). والفضل هنا يعني الجود، وتمير (أبختهم)، وهلم جراً. والمراد بالبركة أي الدين والعلم وصلاح الدين في ذريته. وعبد العال وشاع الدين أخوان، وقيل أمهما من ذرية الزهراء صلوات الله عليها.

سار الأمير شاع الدين على طريق آبائه وأجداده العباسيين والجعليين في نشر الإسلام بالسودان، والذي كانت تسوده المسيحية الصليبية قبل قيام السلطنة الزرقاء. يقول د. عبد الله الطيب: وأحسب أن اسمه شاع الدين لقب لعمله من نشر الإسلام (٤٩). وأن شاع الدين، وشقيقه عبد العال، قاما بهدم وإزالة كنيسة النصارى اليعاقبة، التي كانت قائمة بالحصاية جنوب الدَّامر، في عهد دولة العنج النصارى. وموقع هذه الكنيسة شمال قبة الشيخ حسين ود حمد. ولذلك

٤٧- صوت من السماء، ديوان شعر، د. عمر أحمد قدور، ص (ب). ٤-المرجع السابق، ص (ب).

٤٨- جامع نسب الجعليين المسمى السور المنيع البأس، في اتصال نسب إبراهيم جَعَلْ بأصله العباس-عبد الله محمد الخبير، ص ٨٨.

٤٩- صَوتٌ مِن السَّمَاءِ، دَيْوَانُ شِعْرٍ، د. عُمَر أحْمَد قَدُوْر، ص (ب). ٤-المَرْجِع السَّابِق، ص (ب).

تشتهر منطقة الشَعَدِيناب بانتشار خلاوى تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس الفقه، وكثرة حفظة كتاب الله والفقهاء والعلماء والأدباء من بين الشعديناب قديماً وحديثاً.

الشَعَدِيناب (غُرَّة الجعليين):

أشتهر الشَعَدِيناب بالقيم النبيلة، ومكارم الأخلاق، والتدين والسماحة والشجاعة والكرم الواسع، والفضل والمروءة والتكافل والعلم والأدب والقيادة ونشر الفضائل، والترفع عن الصغائر. ومنهم رموز وأعلام متميزة، يشار إليها بالبنان، في مختلف مجالات الدين والعلم والمعرفة والسياسة والأدب والفنون بالسودان. ولذا يوصف الشَعَدِيناب عند العارفين بهم وبفضلهم من الجعليين بأنهم (غُرَّة الجعليين).

مواطن شاع الدين وأولاده

الحَصَايا (حَصَاية الشَعَدِيناب)

تعتبر الحَصَايا جنوب الدَّامر، الموطن الأصلي لشاع وأولاده، منذ القدم (٥٠). وتعرف تاريخياً بحَصَى أو حَصَاية شاع الدين، وحَصَاية الشَعَدِيناب وحصاية ود قربة. وتقع جنوب الدَّامر، على الضفة الشرقية للنيل، على بعد ١٥ كيلومتراً من التقاء نهر النيل بنهر عطبرة.

وتعتبر الحَصَايا من أقدم مناطق جنوب الدَّامر. وتمتد حدودها التاريخية القديمة كما ذكرنا في حديثنا عن مدينة الدامر من خور المكابراب جنوباً، إلى حدود مباني المديرية بالدَّامر حالياً، (مقر حكومة ولاية نهر النيل) شمالاً، وتشمل هذه الحدود المنطقة الموازية لها بغرب النيل.

والحَصَايا منطقة جميلة ومخضرة، وسكانها أهل وأرحام وكرام وعلى التزام وترابط. ويمتهنون الزراعة كحرفة أساسية. ويوجد بها الكثير من المؤسسات التعليمية والدينية والصحية والرياضية. وقدمت للسودان الكثير من الرموز والأعلام في مختلف المجالات.

وإضافة إلى الحَصَايا يستوطن جزء كبير من أصول الشَعَدِيناب بقرية الجُبَاراب شمال (أُم بُوري). وبمناطق مختلفة من الدَّامر ونهر عطبرة وجنوب ولاية نهر النيل والخرطوم وأم درمان وسنار وأم دوم وشمبات والقضارف والصوفي الأزرق ومدني وحنتوب، وكسلا وطابت الشيخ عبد المحمود والعزازي، وود الزاكي والعسّال وود مختار وأم أرضة وأراك الكاتب وأم رباح، بجهات جبل أولياء، وغيرها من بقاع السودان المختلفة. كما يتواجدون خارج

٥٠- موسوعة القبائل والأنساب بالسودان ج ٣، د. عون الشريف قاسم، ص ١٢٢٨.

السودان بمصر وإريتريا (النابتاب)، والمملكة العربية السعودية (أبناء عبد الرسول بن شاع الدين).

حدود الحَصَايا الحالية:

أما منطقة الحَصَايا الحالية، فيحدها خور المكابراب، جنوباً، وقرية الجباراب جنوب، شمالاً، ونهر النيل غرباً، وطريق التحدي (الخرطوم عطبرة) شرقاً. وتنحصر في ثلاث قرى متصلة، تشكل كيانًا جغرافيًا وسكانياً واحدًا، وهي الحصايا شمال (الرفيداب)، والحصايا وسط الشهيرة بـ (الحُوتاب)، والحصايا جنوب وتشمل قريتي (القرباب والجريف)، ويوجد بالأخيرة مقبرة وقبة الشيخ الصالح حسين ود حمد الشعدينابي.

وتعتبر الحصايا شمال، والتي تعرف بالحصايا والرفيداب، هي صاحبة اسم الحصايا تاريخياً وحالياً حتى لدى سكان قريتي الحصايا وسط وجنوب. وتقطنها عشائر العامراب والقرشاب والحسيناب والعرباب والفضيلاب، والجنيداب والعزيزاب والمهودة والرفيداب من أبناء شاع الدين.

اسم الحَصَايا:

يقال إنها سميت بالحصايا لكثرة الحَصَى فيها. ورد بموسوعة القبائل والأنساب بالسودان وأشهر أسماء الأماكن والأعلام، أن الحصاية سميت على ود قربة جد القرباب الشعديناب: (والحصاية اسم لأكثر من مكان، منها الحصاية جنوب الدَّامر المعروفة بحصاية ود قربة (٥١) كما جاء (ان ود قِرْبة اسم علم سميت عليه الحصاية قرب الدامر بحصاية ود قربة من الشعديناب الجعليين وان القرباب أولاد قربة والقرباب فرع من العركيين (٥٢).

وتقول رواية القرشاب، العارفين بأنساب وتاريخ منطقة الشعديناب والدَّامر، أنها سميت بالحصايا على محمد الحِصَي، بن شاع الدين، جد أولاد كرار بأبي سليم غرب الدَّامر ونهر عطبرة والصعيد. (والصعيد هو ما ارتفع من الأرض ويقصد به الجنوب، عكس السافل، أي الشمال (٥٣). والأقرب أنها سميت بالحصايا لكثرة الحصى بها، حيث تشتهر كثير من مناطق السودان باسم الحصايا لكثرة الحصى بها.

٥١- موسوعة القبائل والأنساب في السودان، د. عون الشريف قاسم ج ٢، ص ٦٣٤.

٥٢- المرجع السابق، ج ٥ ص ١٨٥٤.

٥٣- قاموس اللهجة العامية في السودان د. عون الشريف قاسم، ص ٥٦٩.

حلة الشعديناب القديمة (شَعَدِيناب دَّرو):

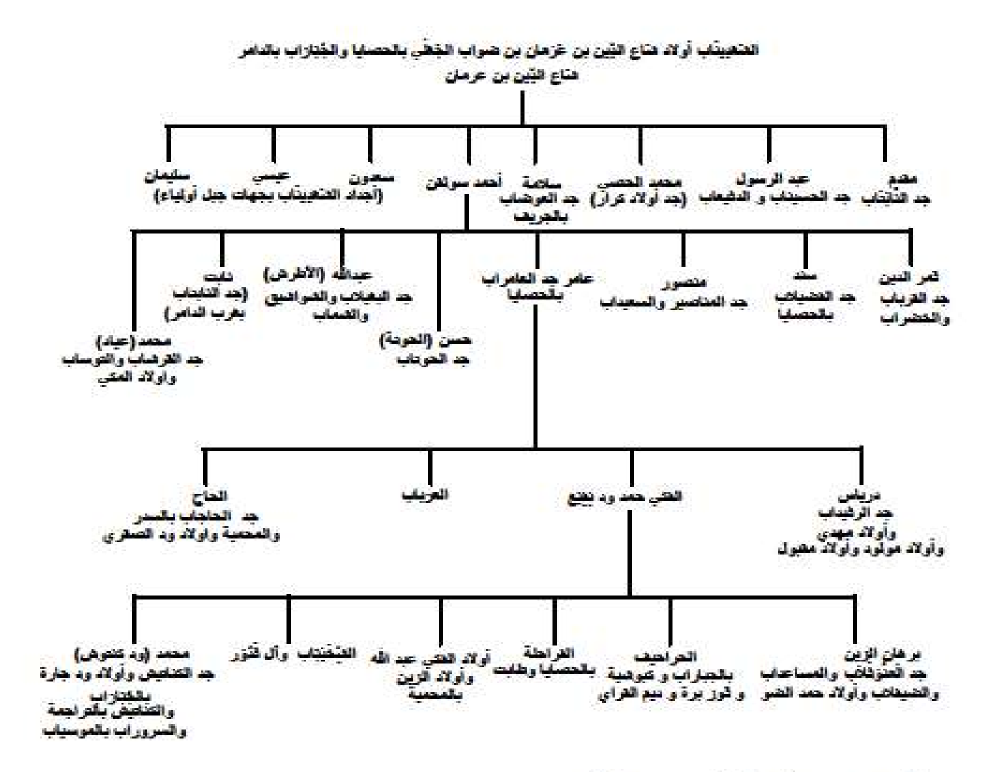
تتضمن حدود الحصايا التاريخية القديمة حي الشَعَدِيناب الحالي، غرب الدَّامر (حلة الشعديناب القديمة)، أو (شَعَدِيناب دَّرو) تاريخياً، والذي يعتبر المنطقة الوحيدة التي حملت اسم الشَعَدِيناب، منذ القدم، دون غيره من المناطق التي استوطنها شاع الدين وأولاده ماضياً وحاضراً. وهو حي كبير وعريق وشهير، وتوجد به مقابر الشَعَدِيناب القديمة، كما يوجد به قبر الحاج عيسى ود قنديل، وقبر حفيده عبد الله راجل درو جد المجاذيب، والذي هو من (أم شِعَدِّيْنَابِيَّة).

نحاس الشعديناب:

كان النحاس عند القبائل السودانية عندما كان لها سلطانها المستقل وكيانها الخاص، بمثابة العلم للدولة، له كل ما للعلم اليوم من هيبة وتوقير وقوة. فهو رمز العزة والكرامة. وكان لكل قبيلة نحاس في حوزة زعيمها يتوارثه أبناؤه ما داموا في مقعد القيادة من القبيلة، وينتقل لبيت الزعامة الجديد طوعاً أو كرهاً (٥٤).

وكَان الشَّيْخ مُحَمَّدزَيْن الحَاج (الحسينابي الشعدينابي) أميراً على مِنْطَقَة دُنْقُلَا فِي عَهْد المَهْدِيَّة واسِتَشهَد بدُنْقُلَا ودُفِنَ بِها وله قُبَّة شَهِيرَة هُنَاك ويقال إنه كَان معه النحاس الخاص بقَبيلَة الشَّعَدِيْنَاب، ولكنه ضاع فِي مِنْطَقَة دُنْقُلَا ولم يعرف مكانه بعد استشهاده. ويقال كذلك إن هناك نحاس كان لدى الدفيعاب الشعديناب بتَاقِب غرب أبو سليم في عهد المك نمر، ونحاس آخر لدى الفتاليب الشعديناب بقرية الجريف جنوب الحصايا، ونحاس لدى العامراب الشعديناب شيوخ الحصايا منذ السلطنة الزرقاء ١٥٠٤م وحتى الغاء نظام الشياخة سنة ١٩٩٢م.

٥٤- ذكرياتي في البادية، حسن نجيلة، ص ١٥٤.



المصدر : كتاب الجعليون الشفيتاب والجثاراب بالدامر
تأليف الأستاذ : عبدالباقي الطيب علي المحاضي
1442هـ - 2021 م

مشجرة رقم ٤

الجعليون الجُبَاراب بمنطقة الجُبَاراب جنوب الدَّامر

ولد الحاج فضيل علي فضيل وترعرع بمنطقة الجُبَاراب جنوب مدينة الدامر، والتي يقطنها أبناء العمومة الجُبَاراب والشَعَدِيناب وغيرهم، وبهذه المنطقة عاش الحاج فضيل صباه الأول وشبابه حتى هجرته الى أم درمان منتصف خمسينيات القرن الماضي.

ويعتبر الجُبَاراب أبناء عبد الرحمن بن عبد العال أجداداً للحاج فضيل من ناحية جدته أم والده علي فضيل (مَدِينَة مُحَمَّد مَنْصُور دِريدِمة) من فرع الجُبَاراب فضلاً عن انهم أبناء عمومة أهله الشعديناب من ناحية أبيه، كما ان هناك صلات قربى وثيقة ومصاهرات بين فرعي الجُبَاراب والشَعَدِيناب، فجدة الجُبَاراب هي صفية بنت شاع الدين بن عرمان، والذي هو عم عبد الرحمن الشهير بجبارة جد الجُبَاراب بمنطقة الجباراب بالدامر شقيق والده عبد العال بن عرمان.

نسب الجُبَاراب بمنطقة الجُبَاراب بالدَّامر:

الجُبَاراب هم أبناء عبد الرحمن الملقب بـ (جُبَارة)، بن عبد العال بن الملك عَرْمَان بن ضواب بن غانم بن حميدان بن صبح أبو مرخة بن مِسمار بن سَرّار بن السلطان حسن كَرْدَم الفوَّار بن محمد أبو الديس بن قُضَاعة بن عبد الله حُرقان بن مسروق بن أحمد اليمانى (نسبة لأمه)، بن ابراهيم جَعَلْ، بن ادريس، بن قيس، بن يُمْن الخزرجي، نسبة إلى أمه من الخزرج، بن عدنان، بن قِصاص، بن كَرْب، بن محمد هاطل، بن أحمد ياطل، بن محمد ذي الكَلَاع، بن سعد، بن الفضل، بن العباس، بن محمد الكامل، بن علي السجّاد، بن حبر الأمة عبد الله، بن العباس، عم النبي(ﷺ).

ولعبد العال بن عرمان أربعة وعشرون ولدا ذكراً، منهم (حمد الذي أنجب قنديل، جد المجاذيب، وكبوش جد الكبوشاب ... وجبارة جد الجباراب) (٥٥) والمقصود بالجباراب هنا الجُبَاراب بمنطقة الجُبَاراب جنوب الدَّامر، أبناء عبد الرحمن بن عبد العال بن عَرْمَان، ولكن نسبوا إلى لقب جدهم (جُبَارة)، وليس إلى اسمه الحقيقي (عبد الرحمن)، وهذا ناتج عن شهرة اللقب وغلبته على الاسم.

٥٥- الجعليون: تاريخهم وحياتهم ونسبهم وأدبهم، محمد سعيد معروف ومحمود محمد علي نمر، ص ٣.

وورد أن المجاذيب ينحدرون من جدهم الكبير عبد العال بن عرمان وهو ابن دواب Duab بن غانم بن حمدان، والذي يعد كبير قبيلة الجعليين، ومن ذات الأصل انحدر الجودلاب والكبوشاب والجباراب والحسناب... وغيرهم كثر (٥٦).

وجد الجباراب عبد الرحمن، الشهير بجبارة، هو شقيق حسب الله، جد الحسبلاب بغرب الدَّامر، وشقيق عبد الكبير الشهير بعشنوق وعشا النوق، جد العشانيق بغرب الدَّامر وغيرها. وكان للأشقاء الثلاثة سوق شهير بمنطقة قوز نعيم، غرب كبوشية؛ قال الشاعر:

جُبارة وحسب الله والكبير عَشْنوق فـوق قـوز نَـعـيـم عـمـرولـن سُـــوق

ونعيم هو الشيخ نعيم الفادني الشهير بنعيم الأجواد، من قبيلة الفادنية الذين يَنتَسِبون لجَدِّهِم الشَّرِيْف بافادني أَو بافادن بن السَّيِّد مُحَمَّد بن الحنفية، المنتهي نسَبه بسيُّدنا عَلِي بْن أَبِي طَالِب الهَاشِمي (٥٧).

وعبد العال بن عرمان والد عبد الرحمن جد الجباراب، بمنطقة الجباراب بالدَّامر، هو جد المجاذيب والكبوشاب والموسياب والعشانيق والحسبلاب والعمراب والخدراب بالدَّامر، والكتياب والنذيراب والناصراب والجودلاب والهاشماب والرافعاب والكالياب، ومنهم تسعة كَلي، كما أشتهروا (٥٨). وموطن عبد العال هو منطقة كلي (٥٩)، والتي تقع غرب نهر النيل، شمال غرب شندي، على بعد ٤٨ كلم تقريباً، بها عاش وتوفي ونقله أخوه مكابر، ودفنه بمقبرة الحصى بالمكابراب، مع والده الملك عرمان.

منطقة الجباراب بالدَّامر:

الجُبَاراب منطقة كبيرة وشهيرة بالدَّامر، عاصمة ولاية نهر النيل، وهي منسوبة لـ (جُبَارة)، والذي هو لقب عبد الرحمن بن عبد العال بن عرمان الجعلي، جد فرع الجُبَاراب الذين يقيمون بتلك القرية.

٥٦- مقتطفات من مقال نشر في العدد التاسع عشر من مجلة "السودان في رسائل ومدونات "الصادرة في عام ١٩٣٦م بشـــبكة الانترنت. بعنوان مجاذيب الدامر - للكاتب ف. لوريمير - ترجمة: بدر الدين حامد الهاشمي.

٥٧- سَهْم الأَرحَام والأَنسَاب فِي السُّودَان، عُثمَان حَمْد الله، ص ٢١.

٥٨- تاريخ وأصول العرب بالسودان، الفحل الفكي الطاهر، ص ١٠٢.

٥٩- المرجع السابق، ص ٨٩.

تقع الجُبَاراب على الضفة الشرقية لنهر النيل، على بعد حوالي (١٥) كيلومتراً تقريباً جنوب مدينة الدَّامر. ويربطها بمدينة الدَّامر طريق مُعَبَّد (إسفلت)، يمتد حتى منطقة الحصايا جنوب الجباراب. وحسب خريطة الجباراب لعام ١٩١٦م، فانه يحد الجباراب من الشمال منزل سعيد مصطفى، ومنزل قمر الدين العوض بقرية الحديبة، ويحدها من الشرق طريق التحدي، ومن الجنوب قرية الحَصَايا شمال (الرفيداب)، ومن الغرب نهر النيل.

وقد تم إضافة الجباراب لأحياء مدينة الدَّامر، وتقسيمها إلى حيين (حي الجُبَاراب شمال)، وهو الجزء الشمالي منها، والمعروف تاريخياً بحلة (أُم بُوري)، وحي (الجُبَاراب جنوب)، المعروف بالجُبَاراب، ولكنهما في الأصل وحدة جغرافية وبشرية واحدة، وسكانهما أبناء عمومة، ويشكلون قبيلة واحدة، وهم أهل وأرحام وأصهار، ويعيشون كالأسرة الواحدة، منذ حوالي ٥٠٠ سنة تقريباً. ويتميزون بالترابط والإخاء والكرم والشهامة، وبكل القيم الجميلة والنبيلة. ولهم رابطة ودار خاصة بهم بمدينة أم درمان.
والجُبَاراب منطقة وادعة جميلة، تحيط بها الخضرة من كل جانب، ويمتلك أهلها أراضي زراعية وجنائن كثيرة على ضفاف نهر النيل وغيره. وتبدأ سواقيها من الحصايا جنوباً، ابتداء بالساقية ٣٠أ الجباراب، وتنتهي شمالاً بالساقية ١، ود عقيد. و(الساقية ١٢ فداناً). وبها مشروع زراعي كبير (مشروع عوض الكريم خالد وشركاه)، تقدر مساحته بحوالي (٦) آلاف فدان، ويمتاز بالري الدائم، طيلة أيام السنة، وينتج محصولات البصل والبرسيم والفواكه والقمح. وتشتهر القرية بزراعة الحناء الشهيرة بـ (حنة الدَّامر). ويعمل غالب أهلها بالزراعة، وبعضهم بالتجارة ووظائف الدولة والقطاع الخاص.

يوجد بالمنطقة مجموعة من المساجد وخلاوى تحفيظ القرآن الكريم، ومركز صحي كبير ومتكامل، باسم (مستوصف واصلة الخيري)، شُيِّد على نفقة ابن الجباراب البار الأمير/ عبد الله سعيد محمد مصطفى، صاحب مصنع حنة النجمة الشهيرة، ومصنع حلويات الكوثر بالدَّامر. وهو من رجال الخير والبر، وله اسهامات كبيرة في دعم أعمال الخير ومؤسسات أهله الخيرية والتعليمية والدينية بمنطقة الجباراب وغيرها.

ويشتمل مستوصف واصلة على معمل فحص حديث، وغرفة ولادة، وغرفة أسنان وصيدلية، وبه أخصائيي باطنية ونساء وتوليد وجراحة وطبيب عمومي ومساعد طبي وعدد من الممرضين والممرضات، ومجموعة من الأسِرَّة للرجال والنساء. وقد قدَّم هذا المستوصف للمنطقة وما جاورها خدمات صحية وطبية عظيمة لا تقدر بثمن. ونسأل الله أن يجزي من أنشأه والقائمين عليه خير الجزاء والثواب.

كما يوجد بالمنطقة أربع مدارس منها ثانوية للبنين وثانوية للبنات وأساس بنين وأساس بنات، ورياض أطفال وشبكة كهرباء. وعدد (٣) محطات مياه حكومية و(٨) وحدات مياه شيدت على نفقة الخيرين من أبناء المنطقة، ومنظمة للشباب ورابطة لخريجي الجامعات والمعاهد العليا ولجان مختلفة لخدمة قضايا المنطقة وأهلها. ويوجد بها نادي اجتماعي ثقافي رياضي، وفريق لكرة القدم، باسم (نادي وادي النيل)، مسجل ضمن أندية الدرجة الأولى باتحاد كرة القدم المحلي بالدَّامر.

وفي السابق كان بالجباراب سوق كبير وشهير، قرب حراز الفقرا البخيتاب بالجباراب جنوب، يؤمه الناس من مختلف البقاع. وكان لبعض الهنود والشوام مساكن ومحلات تجارية شهيرة بالجباراب والسوق وبقرية الموسياب.

الجُبَاراب شمال (أُم بُوري):

الجُبَاراب شمال أو (أُم بُوري) هي القرية التي شهدت مولد الحاج فضيل علي فضيل وبها شب وترعرع قبل نزوحه الى أم درمان منتصف خمسينيات القرن الماضي، ويوجد بها أراضي ومنازل أجداده وآبائه. وتمثل هذه القرية النصف الشمالي من منطقة الجُبَاراب حسب التقسيم الاداري الحديث للمنطقة.

تقع قرية الجُبَاراب شمال - أُم بُوري، على بعد حوالي (١٢) كيلومتراً تقريباً جنوب مدينة الدَّامر. وهي من المناطق التي سكنها العَنَج النصارى قبل قيام السلطنة الزرقاء الإسلامية. ويقال إن اسمها جاء تحريفاً لاسم حشرة صغيرة كانت تنتشر فيها بكثرة تسمى (أُم بُور). وتقول رواية أخرى أن العنج كانوا يحتفلون فيها ويضربون البُوُرِي، وهو (بوق كبير)، كالصفارة، مصنوع من القرن، بعد تشذيبه، ليجتمعوا على صوته في الأعياد والأمور العظيمة كالحرب، فسميت (أُم بُوْرِي) ثم حوّرَت لاحقاً إلى أُم بُوري، بتخفيف الواو كما تنطق اليوم.

وتقول رواية ثالثة أن أُم بُوري كانت أرض فضاء ويوجد بها مجموعة كبيرة من الخيول والبقر التي تصدر أصواتاً عالية فيرجع صداها مدوياً، فسماها الناس أُم بُوري، واعتقدوا أنه يسكنها الجن بسبب هذه الأصوات. وهناك رِوَايَة تَقُول أنَّ الكَنَاتِيْشْ العَامْرَاب الشَّعَدِيْنَاب هم أَوَّل من سكن بأُمْ بُوْرِيْ بعد ان نزحوا اليها من منطقة الحصايا قبل حوالي مائتي سنة وأن النَّاس كَانَت تسخر من سكنهم بِها فِي ظَلِّ وجود مَا يعتقدون من الجن بِها.

وأعتقد أن الأقرب للصحة هو اشتقاق اسم أُم بُوري من البُورِي، حسب رواية شيوخنا القرشاب العارفين بتاريخ وأنساب المنطقة، منذ عدة قرون. وما يرجح ذلك وجود مقبرة شهيرة

للعَنَج بالقرية، تقع جنوب مقبرة جَبورة بحلة الجاداب شرق الجُبَاراب، وإلى الغرب من منازل أولاد محمد أبو قبالة، وتحديداً في المنطقة التي بها (رواكيب) تخزين البصل اليوم، ويسميها أهل المنطقة (مقابر العَنَج)، وكانت موجودة حتى وقت قريب، ولكنها اندثرت تقريباً. والراكوبة هي بناء من أعمدة خشبية أمام واجهة البيت مسقوف بقش. ([٦٠]).

الشَعَدِيناب والجُبَاراب أحفاد الشريف الشيخ عبد القادر الجيلاني:

يتفق نسابة الجعليين على أن شاع الدين جد الشَعَدِيناب، وعبد العال جد الجُبَاراب بمنطقة الجُبَاراب، شقيقان أمهما شريفية اسمها (سكينة) بنت عبد القادر، بن عبد الرازق، حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني ([٦١]) الإمام الصوفي الشهير بتاج العارفين والذي تنتسب إليه الطريقة القادرية الشهيرة بالسودان ومصر والمنتهي نسبه بسيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب، من فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ) ويقول الدكتور عبد الله الطيب: أن عبد العالي وشاع الدين شقيقان، أمهما شريفية فاطمية، فيما ذكروا واشتهروا بذلك ([٦٢]) وفي رواية أخرى أن اسمها سكينة بنت الشيخ أبي صالح، حفيد الشيخ عبد القادر الجيلاني ([٦٣]).

ويقال إن اسمها بكرة بنت الأندلس بن الشيخ صالح بن عبد القادر ... بن الشيخ عبد القادر الجيلاني. ويروى أن الملك عرمان تعرف على حفيد الشيخ عبد القادر الجيلانى، في إحدى مواسم الحج، وتوطدت العلاقة بينهما، وتوِّجت بزواج عرمان من ابنته سكينة في أحد مواسم الحج.

مواطن الجباراب:

وإضافة إلى منطقة الجُبَاراب جنوب الدَّامر، والتي تعتبر الموطن الأساسي للجُبَاراب يوجد الجُبَاراب بنهر عطبرة شرقاً وغرباً، وبالصفر بالمتمة والعالياب وقباتي والزيداب وأبو سليم والتميراب والصوفي الأزرق والصوفي البشير، وود الزاكي والدويم وشبشة بالنيل الأبيض، وبحي الجُبَاراب شرق وغرب بالقضارف ورفاعة وبأرقو بدنقلا.

العلاقة الوطيدة بين الشعديناب والجُبَاراب:

وبخلاف الاقامة المشتركة منذ مئات السنين في منطقة واحدة فهناك علاقة رحم ومصاهرة قوية جداً بين فرعي الشَعَدِيناب والجُبَاراب وبين مختلف سكان المنطقة، وذلك حيث ان آباء

---

٦٠ - قَامُوسُ اللَّهْجةِ العَامِّيَّةِ في السُّودَانِ، د. عَوْن الشَّرِيْف قَاسِم، ص ٤٠٣.

٦١- أولاد قرشي، دراسة في التراث والأنساب، عبد المنعم محمد الفكي، ص ٩.

٦٢- صوت من السماء د. عمر أحمد قدور، ص (ب).

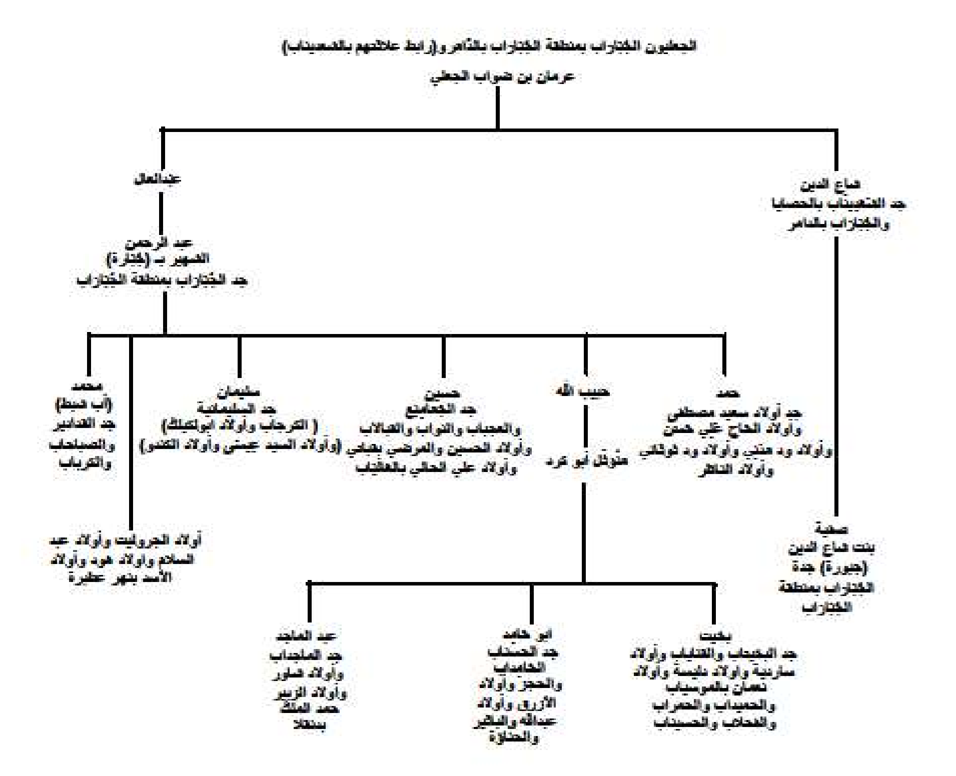
٦٣- سهم الأرحام والأنساب في السودان، عثمان حمد الله الحاج، ص ٤٣.

الفرعين شاع الدين وعبد العال أشقاء كما أن عبد الرحمن بن عبد العال تزوج صفية بنت عمه وشقيق أبيه شاع الدين، والشهيرة بـ (جَبُورة)، وأنجب منها الجُبَاراب. وهذا يوضح مدى قوة ومتانة علاقة الأصل والرحم بين الشَعَدِيناب والجُبَاراب. وصفية بنت شاع الدين كانت امرأة فقيهة في الدين وذات رأي وحكمة. ويروي أنها أول من دفن بمقابر قلعة جَبورة الحالية بالجاداب شرق الجُبَاراب (٦٤)، ولذلك سميت المقبرة باسمها.

٦٤- أولاد قرشي، دراسة في التراث والأنساب، عبد المنعم محمد الفكي، ص ٨٩.

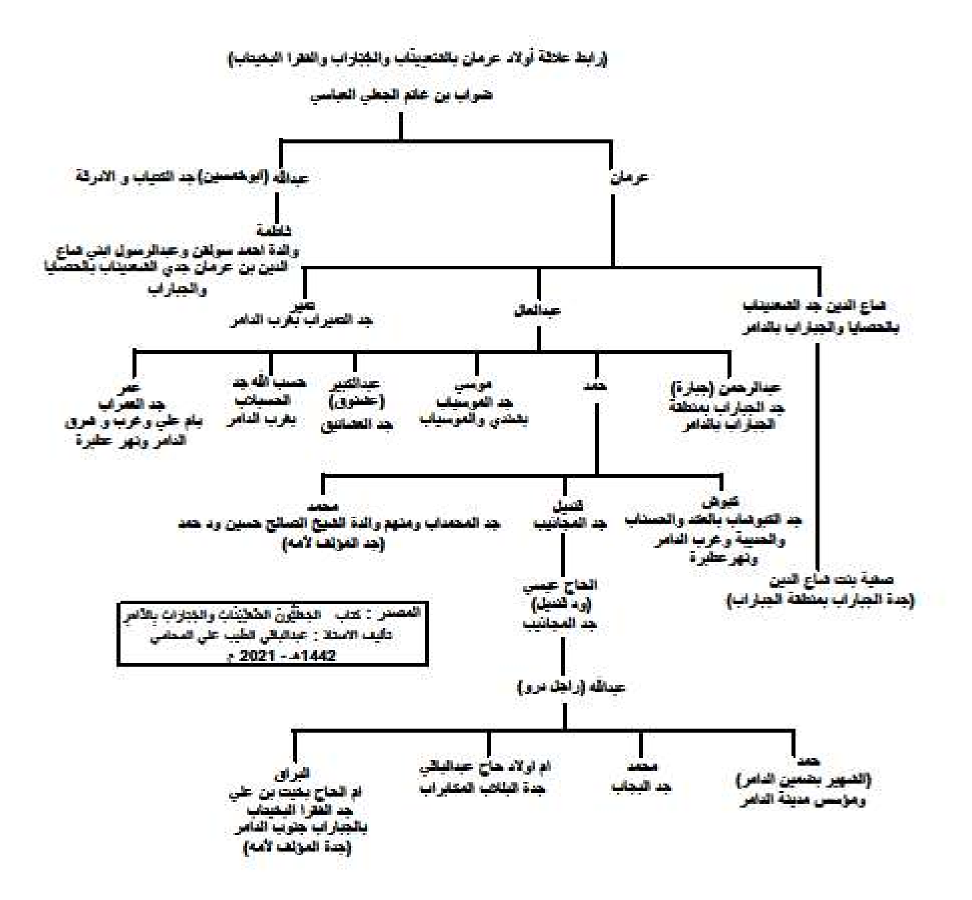


(مقبرة قلعة جبورة بحلة الجاداب شرق الجباراب جنوب الدامر)



المصدر : كتاب الجعليون الكتياب والكتاراب بالدامر
تأليف الاستاذ : عبدالباقي الطيب علي المحامي
1442هـ - 2021 م

مشجرة رقم ٦


(رابط علاقة أولاد عرمان بالمتعيتاب والجناراب والفقرا البخيتاب)
ضواب بن غانم الجعلي العباسي
عبدالله (أبوخمسين) جد الكتياب و الادرقة
عرمان
فاطمة
والدة احمد سولقن وعبدالرسول ابني شاع الدين بن عرمان جدي الشعيتاب بالحصايا والجباراب
عمر
جد العميراب بغرب الدامر
عبدالعال
شاع الدين جد الشعيتاب بالحصايا والجباراب بالدامر
عمر
جد العمراب
بام علي وغرب و شرق الدامر ونهر عطبرة
حسب الله جد الحسباللاب بغرب الدامر
عبدالكبير
(عشوق)
جد العشاتيق
موسى
جد الموسياب
بشندي والموسياب
حمد
عبدالرحمن (جبارة)
جد الجباراب بمنطقة الجباراب بالدامر
محمد
جد المحمداب ومنهم والدة الشيخ الصالح حسين ود حمد (جد المؤلف لأمه)
قنديل
جد المجانيب
عوض
جد العوضاب بالعكد والحسناب والحسنية وغرب الدامر ونهر عطبرة
صفية بنت شاع الدين
(جدة الجباراب بمنطقة الجباراب)
الحاج عيسى
(ود قنديل)
جد المجانيب
المصدر : كتاب الجعليون القنديلاب والجباراب بالدامر
تأليف الاستاذ : عبدالباقي الطيب علي المحامي
1442هـ - 2021 م
عبدالله (راجل مرو)
البراق
ام الحاج بخيت بن علي
جد الفقرا البخيتاب
بالجباراب جنوب الدامر
(جدة المؤلف لأمه)
ام اولاد حاج عبدالباقي
جدة البلاللاب المكاراب
محمد
جد البجاب
حمد
(الشهير بشمين الدامر)
ومؤسس مدينة الدامر

مشجرة رقم ٥

الفصل الرابع
مكارم الأخلاق في الإسلام

كان الحاج فضيل علي فضيل احمد الجعلي من الذين أكرمهم الله بالتحلي بمكارم الأخلاق التي جاء الإسلام لإتمامها، فكان آية في حسن الخلق والجود والكرم والنخوة والشهامة والشجاعة وخدمة الناس والمجتمع، وسنوضح ذلك بالتفصيل في الجزئيات المتعلقة بأخلاقه وانسانيته وجوده وكرمه.

تعريف الأخلاق:

الأخلاق جمع كلمة خُلُق. والخُلُقُ هو الطَّبع؛ وهو عند العرب يعني الدينَ والمروءة. وقد دعا الإسلام إلى التحلّي بمكارم الأخلاق في كثير من الآيات والأحاديث النبوية.

والأخلاق هي مجموعةٌ من العادات والسُّلوكيّات والتّصرّفات والأقوال والأفعال التي تنبع من ذات الإنسان وضميره وقناعته؛ فالخير والشّر داخله في صراعٍ دائمٍ، فمتى غلب خيرُه شرَّه أصبح صاحب خُلُقٍ عظيمٍ، وجزءٌ من الأخلاق تُكتسب بالتّربية الصّالحة والاعتياد على سلوك الأوائل من ذوي الأخلاق الحميدة، وهذا الجزء يقع على عاتق كلّ وليّ أمر من الوالدين والمدرسة والمعلّمين والمجتمع، ومكارم الأخلاق هي أفضل الدّرجات في كلّ خُلُقٍ؛ فالأمانة خُلُقٌ كريمٌ ومن اتّصف بكمال الأمانة فقد وصل إلى مرحلة المكارم في هذا الخُلُق، كما كان يُوصف الرّسول صلّى الله عليه وسلم بالأمين الصّادق.

وبالأخلاق تعلو الأمم وتنهض وتزدهر وتتقدّم، وهي دليلٌ على بقاء الحضارات وتقدّم شعوبها ورفعتهم؛ فيقلّ مُعدّل الجريمة والانحطاط والاستغلال، ولا يصعد الأغنياء والأقوياء على حِساب الفقراء والضُّعفاء ومن تحلّى بخُلُق الرّسول الكريم فقد تحلّى بمكارم الأخلاق، وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله: "وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ"، وفي هذا المجال يقول الشّاعر أحمد شوقي:

زانتك في الخُلُق العظيم شمائلٌ يُغرَى بهنّ ويُولَعُ الكرماء

دعوة الاسلام لمكارم الأخلاق:

دعا الله تعالى إلى مكارم الأخلاق في الإسلام، فجعلها أسمى غايات الرسالة المحمدية، التي حملها سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم للعالمين، لأن الخُلُق الكريم صفة المسلم المؤمن التي اختارها الله تعالى للعبد، قال تعالى في كتابهِ الحكيم: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (إنَّما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ). وإنَّ مكارم الأخلاق في الإسلام تتمثل

في كلِّ خُلُقٍ حسنٍ، دعا إليه الدين في الكتاب والسنّة، أو لم يدعُ إليه بشكل صريح، إلاَّ أنّه يوافق الفطرة الإنسانية السليمة.

الأخلاق في السنة النبوية:

السنة النبوية مليئة بالأحاديث النبوية الشريفة التي حثَّ فيها النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم على التقيد والتحلي بالأخلاق الحميدة الكريمة؛ منها:

قال رسول الله عليه الصَّلاة والسَّلام في الحديث: (يا معاذُ! أَحسِنْ خُلُقَك للناسِ). وقال في حديث آخر (إنَّ المؤمنَ ليُدْرِكُ بحُسْنِ خُلُقِه درجةَ الصَّائمِ القائمِ). وقال: (ما مِن شيءٍ أثقلُ في الميزانِ من حُسنِ الخُلُقِ). وقال أيضًا: (البِرُّ حُسنُ الخُلُقِ، والإثمُ ما حاك في صدرِك، وكرهتَ أن يطَّلِعَ عليه الناسُ).

تنوع الأخلاق:

تتنوّع الأخلاق لتشمل العديد من الشّمائل، مثل الصّدق، والأمانة، وحبّ الغير، والحرص على النّاس، وعلى أموالهم، وحيواتهم، وممتلكاتهم، وأعراضهم؛ كما تشمل أيضاً الابتعاد عن الغيبة والكلام الفاحش، والإخلاص في العمل، والنّزاهة، ومكارم الأخلاق قطعاً لا يمكن عدّها ولا إحصاؤها.

وأعظم البشر أخلاقاً على الإطلاق هم الأنبياء والرسل عليهم السّلام، فهم حازوا عليها وجمعوا الأخلاق الحسنة، وابتعدوا عن الأخلاق السّيئة. يليهم المتديّنون بصدق والعارفون بالله، وأصحاب الأرواح العظيمة، حتى لو كانوا غير متديّنين، والسّبب في اجتماع الأخلاق الحميدة مع التديّن الصّادق والعميق، هو أنّ المتديّن يسعى للوصول إلى الكمال المطلق، وكلما ارتقى أكثر في تديّنه ومعرفته بالله كلما عظمت أخلاقه. لهذا كله فالرّسل هم أعظم البشر أخلاقاً، لأنّهم أعرف النّاس بالله.

أهم مظاهر مكارم الأخلاق في الإسلام

إفشاء السلام:

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: (واللهِ؛ لا تَدخلوا الجنَّةَ حتى تُؤمِنوا، ولا تُؤمِنوا حتى تَحابُّوا. قال: إنْ شِئتُم دلَلتُكم على ما إذا فعَلتُموهُ تَحابَبتُم، أفْشوا السَّلامَ بَينَكم).

عدم التناجي:

ففي التناجي البغض والحقد والكراهية؛ وكلُّ هذه الأمور وقف الإسلام في وجهها. قال صلى الله عليه وسلّم: (إذا كانوا ثلاثةٌ، فلاَ يتَناجَى اثنانِ دونَ الثَّالثِ).

الكلمة الطيبة:

أن يتلفظ الإنسان بكلِّ ما هو خير، ويترك كلَّ كلامٍ منافٍ للأخلاق الكريمة الحسنة. قال صلّى الله عليه وسلّم: (مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، فليَقُلْ خَيْرًا أو ليَسكُتْ).

عدم الحديث فيما لا يعني المرء:

لقولِه صلّى الله عليه وسلّم في الحديث: (إنَّ مِن حُسنِ إسلامِ المرءِ تركَه ما لا يَعنيه).

الصدق والأمان:

والصدق والأمانة وتحرِّي سُبل الرزق المشروعة كلُّها من مكارم الأخلاق في الإسلام، والتي دعا إليه الدين وأمر بها، والله تعالى أعلم.

الحياء:

الحياء هو الخجل من فعل القبيح وقوله، وكذلك الحياء من الله سبحانه، والابتعاد عن فِعل ما يُغضبه، وأيضًا الحياء من المَلكَين اللّذين يكتبان الأعمال، والحياء من فِعل المعاصي والذّنوب والكبائر، فالحياء هو خُلق الإسلام الذي تميّز به عن كلّ الأديان السّماويّة.

العفو والصّفح:

العفو عند المقدرة هو من أسمى الأخلاق، فلا ميزة في عفوٍ مع عجزٍ أو ضعفٍ، إنَّما العفو هو أنْ تمتلك القدرة على الثّأر والعقاب، لكنّك تؤثر العفو والسّماح إرضاءً لله، والصّفح الجميل هو أن تُسامح وتصفح، دون أنْ تُلحق ذلك بالمنّ والتّذكير بعفوك أمام النّاس. وأشهر أمثلة العفو ما فعله صلّى الله عليه وسلّم مع كفّار قريش يوم فتح مكّة: (اذهبوا فأنتم الطُّلقاء).

الرِّفق واللّين:

جاء في حديث الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أنّ من ضِمن اللّذين لا يدخلون النّار، كلّ إنسانٍ كان اللّين والسُّهولة والرِّفق من أخلاقه وصفاته في التّعامل مع أهل بيته وزملائه وأقاربه وكلّ من عرف ومن لم يعرف. وقد خاطب القرآن الكريم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بأنّه لولا اتّصافك بصفة اللّين لتركك أصحابك؛ فاللّين سببٌ للقرب واستمرار المحبّة والمودّة بين النّاس. فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم قَالَ:(حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ). (٦٥).

٦٥- بتصرف من مقالات مختلفة عن مكارم الأخلاق بشبكة الانترنت.

الجود والكرم والنخوة والشهامة

جود وكرم العرب في العصر الجاهلي:

كان الجود والكرم والسخاء من أبرز الصِّفات التي يتباهى بها العرب في العصر الجاهلي، وكان بعضهم مضربًا للمَثل في الجود والكرم؛ كحاتم الطائي.

معنى الجُود لغةً :

الجُود: هو المطر الغزير، وجاد الرَّجل بماله يجُود جُودًا بالضَّم، فهو جَوَادٌ وقيل: الجَوَاد: هو الذي يعطي بلا مسألة؛ صيانة للآخذ مِن ذلِّ السُّؤال ويُفَسَّر الجُود أيضًا بالسَّخاء.

معنى الجُود اصطلاحًا:

قال الجرجاني: (الجُود: صفة، هي مبدأ إفادة ما ينبغي لا بعوض). وقال الكِرْماني: الجُود: إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي وقيل هو: (صفةٌ تحمل صاحبها على بذل ما ينبغي مِن الخير لغير عوض).

معنى الكَرَم لغةً:

الكَرَم: ضدُّ اللُّؤْم، كرُم كرامة وكَرَمًا وكَرَمة، فهو كريم وكريمة، وكرماء وكرام وكرائم، وكرم فلان: أعطى بسهولة وجاد، وكرم الشيء: عزَّ ونفس.

معنى الكَرَم اصطلاحًا :

قال الجرجاني: (الكَرَم: هو الإعطاء بسهولة). وقال المناويُّ: (الكرم: إفادة ما ينبغي لا لغرض). قال القاضي عياض: (وأما الجود والكرم والسخاء والسماحة، ومعانيها متقاربة، وقد فرق بعضهم بينها بفروق، فجعلوا الكرم: الإنفاق بطيب نفس فيما يعظم خطره ونفعه، وسموه أيضا جرأة، وهو ضد النذالة). والكرم: إنفاق المال الكثير بسهولة من النَّفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرةِ النَّفع.

والكَرَم: شرف الرجل. وتكرّم عن الشائنات، أي: تنزه، وأكرم نفسه عنها ورفعها. والكَرامةُ: طبق يوضع على رأس الحَب. والكَرامةُ: اسم للإكرام، مثل الطاعة للإطاعة ونحوه من المصادر. وكرُم كرَماً، أي: صار كريماً. والعرب تقول: هذه البلدة إنَّما هي كَرْمةٌ ونخلة، يعني بذلك الكثرة. وإذا جاد السحاب بغيثه قيل: كَرَّم. والكَرَمُ: أرض مثارة منقاة من الحجارة فالكرم: يكون بمعنى الفضل في كل شيء، كان معه عطاء أو لم يكن، فلذلك قيل: ثوب كريم، وكتاب كريم.

والكرم خُلق من أخلاق الإسلام الفاضلة، وخصلة من خصاله العظيمة، من مكارم الأخلاق، وجميل الخصال التي تحلَّى بها الأنبياء، وحثَّ عليها المرسلون به تسُود المحبَّة والمودَّة والرحمة في المجتمعات، وبه يكون التآزر والتعاون والتضامن بين الناس، مع خُلقٍ من أخلاق المرسلين، وصفة من صفات الصالحين؛ إنَّه الجود والكرم. وما أحوج النَّاس إلى هذا الخُلق العظيم، في زمنٍ فشَت فيه كلُّ مظاهر الأنانية والبخل والشح.

والكرم يطلق على كل ما يحمد من أنواع الخير والشرف والجود والعطاء والإنفاق، مَنْ عُرِفَ بالكرم عُرِف بشرف المنزلة، وعُلُوِّ المكانة، وانقاد له قومُه، فما ساد أحد في الجاهلية ولا في الإسلام، إلاَّ كان من كمال سُؤدده، وتحليه بالكرم وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أكرم الناس؟ قال: (أتقاهم لله). قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال:(فأكرم الناس يوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله). (رواه البخاري).

الفرق بين الجُود والكَرَم :

قال الكفوي: (الجُود: هو صفة ذاتيَّة للجَوَاد، ولا يستحقُّ بالاستحقاق ولا بالسُّؤال. والكَرَم: مسبوقٌ باستحقاق السَّائل والسُّؤال منه. وقال أبو هلال العسكري في الفرق بينهما: (أنَّ الجَوَاد هو الذي يعطي مع السُّؤال؛ والكريم: الذي يعطي مِن غير سؤال. وقيل بالعكس. وقيل: الجُود: إفادة ما ينبغي لا لغرض والكَرَم: إيثار الغير بالخير.

والجود والكرم أنواع متعددة، وأشكالٌ مختلفة، وكل أحد يجود بما استطاع، من إطعام جائع، وقضاء حاجة، وإعانة محتاج، وتعليم ونصح وإرشاد.

معنى السَّخاء لغةً :

السَّخاوة والسَّخاء: الجُود، والكرم. والسَّخي: الجَوَاد. وفي الفعل ثلاث لغات: سخا من باب علا، وسخي من باب تعب، وسَخُو من باب قرُب.

معنى السَّخاء اصطلاحًا:

قال المناويُّ: (السَّخاء: الجُود، أو إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي، أو بذل التَّأمُّل قبل إلحاف السَّائل). وقال الرَّاغب: (السَّخاء: هيئة للإنسان داعية إلى بذل المقتنيات، حصل معه البَذْل أو لم يحصل، وذلك خُلُق). وقال القاضي عياض: (السَّخاء: سهولة الإنفاق، وتجنُّب اكتساب ما لا يُحْمَد).

معنى البَذْل لغةً :

بَذَلَ الشَّيء: أعطاه وجاد به. والبَذْل نقيض المنع، وكلُّ مَن طابت نفسه لشيءٍ فهو باذلٌ. ورجلٌ بذَّال، وبَذُول: إذا كَثُر بذله للمال. يقال: بَذَلَ له شيئًا، أي: أعطاه إيَّاه.

معنى البَذْل اصطلاحًا :

قال المناويُّ: (البَذْل: الإعطاء عن طيب نفس).

الفرق بين الجُود والسَّخاء:

قال الرَّاغب: السَّخاء: اسم للهيئة التي عليها الإنسان والجُود: اسم للفعل الصَّادر عنها. وإن كان قد يسمَّى كلُّ واحد باسم الآخر مِن فضله. قال أبو هلال العسكري: الفرق بين السَّخاء والجُود: أنَّ السَّخاء هو أن يلين الإنسان عند السُّؤال، ويسهل مهره للطَّالب، مِن قولهم: سَخَوت النَّار أسخوها سخوًا: إذا ألينتها، وسَخَوت الأديم: ليَّنته وأرضٌ سَخاوِيَّةٌ: ليِّنة.

والجُود كثرة العطاء مِن غير سؤال، مِن قولك: جادت السَّماء، إذا جادت بمطر غزير، والفرس: الجَوَاد الكثير الإعطاء للجري، والله تعالى جَوَاد لكثرة عطائه فيما تقتضيه الحكمة، ويظهر مِن كلام بعضهم: التَّرادف وفرَّق بعضهم بينهما: بأنَّ مَن أعطى البعض، وأبقى لنفسه البعض، فهو صاحب سخاء؛ ومَن بَذَلَ الأكثر، وأبقى لنفسه شيئًا، فهو صاحب جود.

النخوة والشهامة

النخوة:

النخوة اسم والجمع نَخَوات ونَخْوات مصدر نخا، والنَّخوَة هي الحماسة والمُروءة وهي كل ما تحمله النَّفس من طبائع حميدة تحمل صاحبها على أفضل الأخلاق، وأحسن العادات، وأطيب الكلام، وتؤدِّب صاحبها بكلِّ أدب رفيع، وهي أيضًا هبته لنصرة كل حق من عدم السكوت على الظُّلم والنصرة للحقِّ وغيره.

وهي مختصَّة بالرِّجال دون النِّساء، في أكثر الأقوال رجوحًا، وإنَّ اختصاصها بالرجال إنَّما هو اختصاص لعِلَّة الملازمة بين التطبيق العملي حين الحاجة، وبين أن يكون المطبِّق رجلًا؛ حيث إنَّه يفترض بالرجل أن يكون أكثر جرأة وأعلى صوتًا، وأبلغ حجَّة، وأقوى عضلًا، وأشد شكيمة؛ وهذا لبِنْيَة خَلقه. فاختصاصها بالرجال لعِلَّة الملازمة، ولكن لا يَعني ذلك عدم وجود تلك الصِّفات الحميدة من عدم السكوت على الظُّلم والنصرة للحقِّ وغيرها في الإناث؛

ولكن لأنَّ طريق الأنثى في التَّعبير يكون ألطف من الرَّجل، وسبيلها غير سبيله، فلذلك قال العرب: رجل ذو نخوة، وقَلَّ أو ندر استعمال العرب للتعبير :امرأة ذات نخوة.

النخوة خُلُق عربيٌّ أصيل منذ فجر التاريخ؛ ومن مكارم الأخلاق التي حث عليها الإسلام. وتعتبر ميزان الرجولة وتمامها وتؤدِّب صاحبها بكلِّ أدب رفيع، فهي تعتبر من تمام الرُّجولة، بل قد يعتبرها الكثيرون أنَّها هي ميزان الرجولة ومقياسها عند الكثير من شعوب الأرض؛ ولذا خُصَّ بها الرجال دون النِّساء، وكلما زادت أخلاقُ المرء وعاداته الطيبة زادَت نخوته؛ فالنَّخوة هي التطبيق العملي حين الحاجة لِما هو مخزون في النفس من صلاحٍ في الأخلاق.

الشهامة:

الشهامة لغةً: مصدر شهم، وهذه المادة تدلُّ على الذكاء. والشهم: الذكي الفؤاد المتوقد، الجلد، والجمع شهام، وقد شهم الرجل، بالضم، شهامة وشهومة إذا كان ذكيًّا، فهو شهم أي جلد. وقيل: الشهم معناه في كلام العرب: الحمول، الجيد القيام بما يحمل، الذي لا تلقاه إلاَّ حمولًا، طيب النفس بما حمل فالشهامة إنَّما تقوم على الشَّجَاعَة لنجدة المحتاج، والكرم لإعانة أصحاب الحاجات، فمن فقدهما ضعفت شهامته، وماتت مروءته.

والشَّهامة اصطلاحًا هي الحِرص على الأمور العظام توقعًا للذِّكر الجميل عند الحقِّ والخلق، وقيل هي عزَّة النَّفس وحرصها على مباشرة الأمور العظيمة التي تَستتبع الذِّكر الجميل، وهي من مكارم الأخلاق الإسلامية الفاضلة، ومن أهمِّ الصِّفات العربية الأصيلة، ومن مزايا الرجال العظماء، وعلامة على علو الهمة وشرف النفس. ومن فوائد الشهامة انها تشيع المحبة في النفوس، وتزيل العداوة بين الناس، وفيها حفظ الأعراض، ونشر الأمن في المجتمع. (٦٦).

مكانة الجود والكرم

الجود والكرم خلُق عظيم، وعملٌ صالح جليل، أَمر به ربُّ العالمين، وحثَّ عليه سيد المرسلين.

الجود والكرم من صفات الله عز وجل:

فالكريم من أسمائه، والجود والكرم من صفاته، قال سبحانه:﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾الانفطار:٦-٨.

٦٦- بتصرف من مقالات مختلفة عن الضيافة والنخوة والشهامة والشجاعة بشبكة الانترنت.

عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله جواد يحبُّ الجوادَ، ويحب معاليَ الأخلاق، ويكره سَفْسافها)؛ أخرجه ابن أبي شيبة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

فما من نعمة يمنُّ الله تعالى بها على عباده إلاَّ وهي من محض فضله وجوده، وكرَمه وإحسانه؛ قال سبحانه:﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾النحل:٥٣. وقال عز وجل:﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾النحل:١٨. هو الكريم الذي يَغفر للمذنبين، ويعفو عن المسيئين، ويقبل توبةَ التائبين؛﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ* وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾الشورى:٢٥،٢٦.

وهو الكريم الذي كرَّم الإنسان وفضَّله؛﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾الإسراء:٧٠.

وهو الكريم الذي يُعطي السائلين، ويجيب دعوة المضطرين؛﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾النمل:٦٢. روى البخاريُّ ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: (إنَّ يمين الله مَلأى لا يَغِيضُها نفَقة، سَحَّاءُ الليل والنَّهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السَّموات والأرض؛ فإنَّه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض يَرفع ويخفض).

الكرم من صفات الملائكة:

قال تعالى في وصفه:﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ* وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾، الانفطار:٩-١٢.

الجود والكرم من سمات الأنبياء والرسل:

قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام :هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ* إِذ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ* فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾، الذاريات: ٢٤-٢٧. وفي صحيح البخاري، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكريمُ ابنُ الكريم ابنِ الكريم ابنِ الكريم؛ يوسفُ بنُ يعقوب بنِ إسحاق بنِ إبراهيم عليهم السلام).

ونبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم مَثَلٌ لا يُضاهى، وقدوة لا تُسامى في الجود والكرم، فقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه مرتبةَ الكمال الإنساني في حبِّه للعطاء؛ إذ كان يعطي عطاءَ

مَن لا يحسب حسابًا للفقر ولا يخشاه؛ ثِقةً بعظيمِ فضل الله، وإيمانًا بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم.

ففي صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أنَّ رجلاً سأل النبيَّ صلى الله عليه وسلم غنمًا بين جبلين فأعطاه إيَّاه، فأتى قومَه فقال: أيْ قوم، أسلِموا؛ فوالله إنَّ محمدًا ليُعطي عطاءً ما يخاف الفقر، فقال أنس: "إنْ كان الرجل ليُسْلِم ما يُريد إلاَّ الدنيا، فما يُسْلم حتى يكونَ الإسلام أحبَّ إليه من الدنيا وما عليها."

وفي صحيح البخاري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لو كان لي مثلُ أحُدٍ ذهبًا ما يسرُّني أنْ لا يمرَّ عليَّ ثلاث وعندي منه شيء، إلاَّ شيء أرْصُده لدَيْنٍ). وفي الصحيحين، عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلَّم أجودَ النَّاس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلة من رمضان فيدارسه القرآن. فلَرسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أجوَدُ بالخير من الرِّيح المرسَلة.

الجود والكرم من سمات الصحابة الكرام:

فعلى هذا الخُلق الكريم ربَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أصحابَه، فكانوا يتنافسون في الجود والكرَم، ويتسابقون إلى البذل والعطاء، قال تعالى في وصفهم:﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾الحشر: ٩.

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، قال: سمعتُ عمر بن الخطاب، رضي الله عنه يقول: "أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومًا أن نتصدَّق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلتُ: اليوم أسبِق أبا بكر إنْ سبقتهُ يومًا، فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أبقيتَ لأهلِك؟)، قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكلِّ ما عنده، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (ما أبقيتَ لأهلك؟) قال: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه، قلتُ: لا أسابقك إلى شيء أبدًا"؛ أخرجه الترمذي وأبو داود والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وحسنه الألباني في صحيحَيْ أبي داود والترمذي.

وفي صحيح البخاري عن أبي عبد الرحمن، (عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي) أنَّ عثمان رضي الله عنه حين حوصِر أشرَف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلاَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ألستم تعلمون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَن حفر رومة فله الجنَّة)، فحفرتُها؟ ألستم تعلمون أنَّه قال: (من جهَّز جيشَ العُسرة فله الجنَّة)، فجهَّزتُهم؟ قال: فصدَّقوه بما قال.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه، يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نَخل، وكان أَحَبُّ أمواله إليه بَيرُحاءَ، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدخلها ويشرب من ماء فيها طيِّبٍ. قال أنس: فلما أُنْزِلَتْ هذه الآية : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران:٩٢، قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إنَّ الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإنَّ أَحَبَّ أموالي إليَّ بَيْرُحاء، وإنَّها صدَقة لله، أرجو بِرَّها وذُخرها عند الله، فضَعْها يا رسول الله حيث أراك اللهُ، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بَخٍ، ذلك مالٌ رابِح، ذلك مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين). فقال أبو طلحة: أفعَلُ يا رسول الله، فقسَمَها أبو طلحة في أقاربه وبني عَمِّه.

وعن حَكيم بن حِزام رضي الله عنه قال: "ما أصبحتُ صباحًا قطُّ فرأيتُ بفنائي طالب حاجة قد ضاق بها ذرعًا فقضيتُها، إلاَّ كانت من النِّعم التي أحمد اللهَ عليها، ولا أصبحتُ صباحًا لم أرَ بفنائي طالب حاجة، إلاَّ كان ذلك من المصائب التي أسأل الله عزَّ وجلَّ الأجرَ عليها"؛ رواه ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق.

أقوال السَّلف والعلماء في الكَرَم والجُود والسَّخاء والبذل

قال أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه: (صنائع المعروف تقي مصارع السوء). وعنه رضي الله عنه: (الجُود حارس الأعراض). وقال عليٌّ رضي الله عنه: (السَّخاء ما كان ابتداءً، فأمَّا ما كان عن مسألة فحياء وتذمُّم). ورُوِي عنه مرفوعًا: (الكَرَم أعطف مِن الرَّحم). (وقيل لحكيم: أيُّ فعلٍ للبَشَر أشبه بفعل الباري تعالى؟ فقال: الجُود).

وقال يحيى البرمكي: (أعط مِن الدُّنْيا وهي مقبلة؛ فإنَّ ذلك لا ينقصك منها شيئًا. فكان الحسن بن سهل يتعجَّب مِن ذلك ويقول: لله درُّه! ما أطبعه على الكَرَم وأعلمه بالدُّنْيا). وقال محمَّد بن يزيد الواسطي: حدَّثني صديق لي: (أنَّ أعرابيًّا انتهى إلى قوم فقال: يا قوم، أرى وجوهًا وضيئة، وأخلاقًا رضيَّةً، فإن تكن الأسماء على إثر ذلك فقد سعدت بكم أمُّكم. قال أحدهم: أنا عطيَّة، وقال الآخر: أنا كرامة، وقال الآخر: أنا عبد الواسع، وقال الآخر: أنا فضيلة، فأنشأ يقول:

كرمٌ وبذلٌ واسعٌ وعطيَّةٌ ... لا أين أذهب أنتم أعين الكَرَم
مَن كان بين فضيلة وكرامة ... لا ريب يفقؤ أعين العدم

قال: فكسوه، وأحسنوا إليه وانصرف شاكرًا). و(كان يُقَال: مَن جاد بماله جاد بنفسه، وذلك أنَّه جاد بما لا قوام لنفسه إلاَّ به). وقال الماورديُّ رحمه الله تعالى: (أعلم أنَّ الكريم يجتزي

بالكرامة واللُّطف، واللَّئيم يجتزئ بالمهانة والعنف، فلا يجود إلاَّ خوفًا، ولا يجيب إلاَّ عنفًا)، كما قال الشَّاعر:

رأيتـك مثـل الجوز يمنع لبَّـه صـــحيحًـا ويعطـي خيره حين يُكْسَـــر

فاحذر أن تكون المهانة طريقًا إلى اجتدائك، والخوف سبيلًا إلى عطائك، فيجري عليك سفه الطَّغام وامتهان اللِّئام، وليكن جودك كرمًا ورغبة، لا لؤمًا ورهبة). و(عن حسن بن صالحٍ، قال: سُئِل الحسن عن حُسْن الخُلُق، فقال: (الكَرَم، والبَذْلة، والاحتمال). وقال جعفر بن محمَّد الصَّادق: إنَّ لله وجوهًا مِن خلقه، خلقهم لقضاء حوائج عباده، يرون الجُود مجدًا، والإفضال مغنمًا، والله يحبُّ مكارم الأخلاق. وقال بكر بن محمَّد العابد: (ينبغي أن يكون المؤمن مِن السَّخاء هكذا، وحثا بيديه).

وقال بعض الحكماء: (أصل المحاسن كلِّها الكَرَمُ، وأصل الكَرَم نزاهةُ النَّفس عن الحرام، وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام، وجميع خصال الخير مِن فروعه). وقال ابن المبارك: (سخاء النَّفس عمَّا في أيدي النَّاس، أعظم مِن سخاء النَّفس بالبَذْل). وقال بعض العلماء: (الكَرَم: هو اسم واقع على كلِّ نوع مِن أنواع الفضل، ولفظٌ جامعٌ لمعاني السَّمَاحة والبَذْل). وقالوا: (السَّخيُّ مَن كان مسرورًا ببذله، متبرِّعًا بعطائه، لا يلتمس عرض دنياه فيحْبَطُ عملُه، ولا طلب مكافأة فيسقط شكرُه، ولا يكون مَثَلُه فيما أعطى مَثَلُ الصَّائد الذي يلقي الحَبَّ للطَّائر، ولا يريد نفعها ولكن نَفْعَ نفسه).

الترغيب في الكرم والجود

في القرآن الكريم:

قال تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ الذَّاريات: ٢٤-٢٦. قال الطَّبري: (عن مجاهدٍ، قوله: ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ قال: أكرمهم إبراهيم، وأمر أهله لهم بالعجل حينئذٍ). قال الزجَّاج: (جاء في التَّفسير أنَّه لما أتته الملائكة أكرمهم بالعجل. وقيل: أكرمهم بأنَّه خدمهم، صلوات الله عليه وعليهم). وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦١.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، البقرة: ٢٧٤ قال ابن كثير: (هذا مدحٌ منه تعالى للمنفقين في سبيله، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات مِن ليلٍ أو نهارٍ، والأحوال مِن سرٍّ وجهار، حتى إنَّ النَّفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضًا)

في السُّنَّة النَّبويَّة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دينارٌ أنفقته في سبيل الله ودينارٌ أنفقته في رقبةٍ، ودينارٌ تصدَّقت به على مسكينٍ، ودينارٌ أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك).

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: انتهيت إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو جالسٌ في ظلِّ الكعبة، فلمَّا رآني قال: (هم الأخسرون وربِّ الكعبة. قال: فجئت حتى جلست، فلم أتقارَّ أن قمت، فقلت: يا رسول الله، فداك أبي وأمي، مَن هم؟ قال: هم الأكثرون أموالًا، إلاَّ مَن قال هكذا وهكذا وهكذا، مِن بين يديه ومِن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقليلٌ ما هم. ما مِن صاحب إبلٍ، ولا بقرٍ، ولا غنمٍ لا يؤدِّي زكاتها إلاَّ جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت، وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها، كلَّما نفدت أخراها، عادت عليه أولاها، حتى يُقْضَى بين النَّاس).

فوائد الجود والكرم

مضاعفة الأجر والثواب:

قال تعالى :﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦١، فعلى المسلِم أن يَنظر إلى المحتاجين الذين يقصدونه كما يَنظر إلى أسباب التجارة الرابحة، وليَعلَم أنَّ بذلَ اليوم وإن كان قليلاً فهو عند الله يوم القيامة أضعاف مضاعفة، لا يردُّه لصاحبه مِثلاً أو مِثلَيْن، بل يردُّه أضعافًا مضاعَفة، قال سبحانه :﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ البقرة: ٢٤٥، وقال عزَّ وجل :﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ سبأ: ٣٩.

الأمن من الخوف والحزنِ يوم القيامة:

قال تعالى:﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، البقرة: ٢٧٤. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: "سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلُّ امرئ في ظلِّ صدَقته حتى يُفصَل بين الناس)، أو قال: (يُحكمَ بين الناس). قال يزيد: وكان أبو الخير، وهو مرثد بن عبد الله لا يخطئه يومٌ لا يتصدَّق فيه بشيء، ولو كعكة، ولو بصلة"، أخرجه الإمام أحمد وابن حبان وابن خزيمة والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

زرع المحبة والمودة بين الناس:

فبالعطاء والسَّخاء تصفو النفوسُ من أمراض الحقد والكراهية، وتمتلئ بالمودَّة والمحبَّة؛ فإنَّ النفوس مجبولة على محبَّة أهل الكرَم والسَّخاء والإحسان، وعلى بُغض أهل البخل والشحِّ والإساءة. روى مسلم في صحيحه، عن ابن شهاب قال: "غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غزوةَ الفتح، فتح مكَّة، ثمَّ خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحُنَيْن، فنصر الله دينَه والمسلمين. وأعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ صفوانَ بن أمية مائة من النَّعَم ثمَّ مائة ثم مائة، قال ابن شهاب: حدَّثني سعيد بن المسيب أنَّ صفوان قال: (والله لقد أعطاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني، وإنَّه لأبغضُ الناس إليَّ، فما برح يعطيني حتى إنَّه لأحبُّ الناس إليَّ)؛ فانظر كيف يتحول حال القلب بالعطاء والسَّخاء من بَغضاء إلى محبَّة، ومن عداوة إلى صداقة. قال الشاعر:

ويُظهِر عيبَ المَرْءِ فِي النَّاسِ بُخلُهُ ... ويَسْتُرُه عَنْهُم جَمَيْعًا سَخَاؤهُ
تَغَطّ بَأثْوَابِ السّخَاءِ فِإنَّنِي ... أرَى كُلَّ عَيْبٍ والسَّخَاءُ غِطَاؤُهِ

سبب في بركة المال ونموّه وزيادته:

وَعْدٌ من الله الذي لا يُخلف وعدَه أنَّ مَن شَكر الله تعالى على نِعمه فوظفها في طاعته، زاده الله تعالى من فضله وجوده وإحسانه، قال سبحانه:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾إبراهيم: ٧. فمن الخطأ وسوء الظنِّ أن يظنَّ المرءُ أن الكرم والسَّخاء يَنقُص الثروةَ، ويُقرِّب من الفقر؛ فهذا من وساوس الشيطان التي يلقيها في نفوس البخلاء، قال تعالى:﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾البقرة: ٢٦٨. والحق أنَّ الكرم سبيل السَّعَة والغنى، وأنَّ السخاء سبب النَّماء، وأن الذي يجعل يديه مَمرًّا لعطاء الله يظلُّ مبسوطَ اليد بالنِّعمة، مكفولَ اليوم والغد بالعطاء الدَّائم من رحمة الله وكرمه وإحسانه.

فعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنَّه سَمِع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ثلاثة أقسِم عليهنَّ، وأُحَدِّثكم حديثًا فأحفظوه)، قال: (ما نقَص مالُ عبدٍ من صدَقة، ولا ظُلِمَ عبدٌ مَظلِمةً فصبر عليها إلاَّ زاده الله عزًّا، ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألة إلاَّ فتح الله عليه بابَ فَقر).

صور للجود والكرم

للكرم والجود صور عديدة، ومجالات متنوعة كثيرة، فيها يتنافس المتنافسون، ويجتهد المجتهدون، كلٌّ على حسب طاقته واستطاعته، ومن مظاهر الكرم وفوائده:

بَذْل المسلم وعطاؤه من مال الله الذي آتاه الله إيَّاه وأنعم به عليه:

من كل ما ينتفع به المرء؛ من مأكلٍ أو مشرب أو ملبس، أو مسكن أو دواء أو غير ذلك من أنواع الخير والبرِّ والإحسان؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أيُّ النَّاس أحب إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أحبُّ النَّاس إلى الله تعالى أنفعُهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرورٌ تُدخِله على مسلم، أو تكشِف عنه كُربة، أو تقضي عنه دَينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأَن أمشي مع أخٍ في حاجة أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد -يعني مسجد المدينة -شهرًا، ومن كفَّ غضبه ستر الله عورتَه، ومن كظم غيظَه، ولو شاء أن يمضيه أمضاه، ملأ الله قلبَه رجاءً يوم القيامة؛ ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتى يتهيَّأ له أثبت الله قدمَه يوم تزول الأقدام). أخرجه الطبراني في معجمه، وابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، وحسَّنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب.

بذل المرء وعطاؤه من علمه ومعرفته:

الكريم من لا يَكتم علمًا ولا معرفة، بل يُعَلِّم الناسَ ويدلهم على الخير. والبخيل هو الذي يَحتفظ بمعارفه وعلومه لنَفسه، بُخلاً ورغبة في الاستئثار والانفراد. روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثل أجور من تَبِعه، لا يَنقُص ذلك من أجورهم شيئًا. ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه، لا يَنقُص ذلك من آثامهم شيئًا).

وروى الترمذيُّ في سننه، عن أبي إمامة الباهلي رضي الله عنه قال: ذُكِر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجُلان أحدُهما عابد، والآخَر عالم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فَضل العالِم على العابِد كفضلي على أدناكم)؛ ثمَّ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النَّملة في جحرها وحتى الحوت ليُصَلُّون على مُعلِّم الناسِ الخيرَ).

بَذل النصيحة لمن هو في حاجة إليها:

الكريم لا يَبخل على إخوانه بأي نصيحة تفيدهم وتنفعهم في دينهم أو دنياهم. وقد عدَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم من حقوق المسلم على أخيه أن ينصحه إذا طلب منه النَّصيحة؛ (... وإذا استنصَحَك، فانصَحْ له...). روى مسلم في صحيحه عن تميم الدَّاري رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (الدِّينُ النَّصيحة)، قلنا: لمن؟ قال: (لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم).

بذل المرء وعطاؤه من أخلاقه وشِيَمه:

الكريم يعطي من مكانته وجاهه، ويعطي من عَطفه وحنانه، ويعطي من طلاقة وَجْهه وابتسامة ثغره وحُلو كلامه، ويعطي من وقته وراحتِه، ويعطي من سَمعه وإصغائه، ويعطي من حبِّه ورحمته، ويعطي من دعائه وشفاعته. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: (أكمَل المؤمنين إيمانًا أحسنُهم خلقًا، وخيركم خيركم لنسائهم)؛ أخرجه الإمام أحمد وابن حبان والترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بذل العبد وعطاؤه من طاقات جسده وقوَّته:

الجواد يعطي من معونته وخدماته وجُهده، يمشي في مصالِح النَّاس، ويَتعب في مساعدتهم، ويَسهر من أجل معونتهم، ويسعى في خدمتهم؛ ففي الصَّحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلُّ سُلامَى من النَّاس عليه صدَقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس؛ تعدِل بين الاثنين صدَقة، وتعين الرجلَ في دابَّته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعَه صدَقة، والكلمة الطيِّبة صدقة، وكل خطوة تَمشيها إلى الصلاة صدَقة، وتميط الأذى عن الطَّريق صدَقة).

إكرام الوالدين:

ببرِّهما والإحسان إليهما بحسن القول والفعل والخُلق؛ فقد قال تعالى في وصيته لعباده:﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا* وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾، الإسراء: ٢٣، ٢٤.

إكرام الأهل والأقارب:

فمِن أحق النَّاس بجودك وكرمك أهلُك وقرابتك، بإكرامهم تكون الصلة ويكون التماسك الأُسري، روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله، ودينار أنفقتَه في رَقبة، ودينار تصدَّقتَ به على مسكين، ودينار أنفقتَه على أهلك، أعظمُها أجرًا: الذي أنفقتَه على أهلك)؛ لأنَّ النَّفقة على القريب صِلَة وصدَقة. عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي). أخرجه الترمذيُّ وابن حبان والبيهقي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة.

اكرام الجار والضيف:

الكريم مَن يُكرم جارَه، والكريم من يُكرم ضيفَه ويكرم زائرَه، فذاك دليل على إيمان العبد بالله واليوم الآخر، كما ذكرنا فيما تقدم.

فقد روى مالك في الموطأ، وعنه البخاريُّ ومسلم في صحيحَيْهما، عن أبي شريح العدوي رضي الله عنه قال: سمعَتْ أذُناي، وأبصرَتْ عيناي، حين تكلَّم النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: (مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جارَه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه جائزته)، قال: وما جائزتُه يا رسول الله؟ قال: (يوم وليلة، والضِّيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدَقة عليه).

ثمرات الكرم

١. الكرم يقرب من الجنة، ويبعد عن النار، قال النبي صلى الله عليه وسلم: السخي قريب من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار. والبخيل بعيد من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار (رواه الترمذي).

٢. الكرم بركة للمال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللَّهمَّ أعطِ منفقًا خلفاً، ويقول الآخر: اللَّهمَّ أعطِ ممسكًا تلفاً (رواه البخاري).

٣. الكرم عِزُّ الدنيا، وشرف الآخرة، وحسن الصيت، وخلودُ جميل الذكر.

٤. الكرم يجعل الإنسان محبوبًا من أهله وجيرانه وأقاربه والناس أجمعين.

دوافع تعين على الكرم

ان للكرمِ دواعٍ تدعوا إليهِ، وأسباباً تحثُ عليهِ، وتدفعُ المرءَ إلى الجدِ في طلبهِ، والحرصِ على تحصيلهِ، ولذا فقد قررَ القرآنُ الكريم، أن المالَ مالُ اللهِ وأن الناسَ مستخلفين فيه، يُنفِقُونَ منهُ، ويتمتعونَ بهِ، وأنه نفسَه مِلْكٌ لله. أن يثق في الله، فلا يخشى الفقر إذا أنفق أن يتأسى بالنبي وبصحابته في إنفاقهم، وأن يدرب نفسه على الجود والكرم في جميع أوقات العام، وخاصة في شهر رمضان، وفي الأعياد والمناسبات التي تحتاج منه إلى ذلك أن يتذكر بأن ثواب الله عظيم وقد جعل عاقبة المنفقين الفوز والفلاح يقولُ اللهُ سبحانه: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾.

ويختلف مفهومُ الكرمِ في الإسلامِ عنه في الجاهليةِ، فالمسلمُ حينما يبذلُ مالهُ لا ينظرُ إلى ثناءِ الناسِ، ولا يبغي الشهرةَ وذيوعِ الصيتِ، وإنَّما يصرفُ نيته إلى الله، فيجعلُ غايتهُ رضاهُ، وهدفَهُ الفوزَ بثوابه، وطاعتهِ لربه، وحبهِ لإخوانهِ. وقد قالَ النبيُ صلى الله عليه وسلم: (إنَّما الأعمالُ بالنيات وإنَّما لكلِ امرئٍ ما نوى).

ودعا الإسلامُ المسلمينَ جميعاً إلى بذلِ المعروف، والحرصِ على الجود، قال تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾. ومن أسبابهِ وفرةُ

المال، واتساعُ الحال، فالمعطي يبذلُ المالَ عن قدرةٍ ويسر، دونَ أن يجدَ في بذلهِ مشقةٌ أو عناء، موقناً أنَّ هذا عينُ الوفاء، فهوَ يقدمُ بعضَ مالهِ لمن أعسرَ واحتاجَ من إخوانه، يُفَرِّجُ بهِ كُربَتَهُم، ويُسعِفُ بهِ أزمتَهُم، ويُعالِجُ بهِ حاجتَهُم، فيحظى بخيرِ الدارين، ويجمعُ بينَ المحبتين، محبةُ الله ومحبةُ إخوانه، ويفوزُ بالثوابِ العظيمِ يومَ القيامة، وهو ما عناهُ النبيُ صلى الله عليه وسلم بقوله: (المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُهُ ولا يسلمُهُ، ومن كانَ في حاجةِ أخيهِ كانَ اللهُ في حاجته، ومن فرجَ عن مسلمٍ كربةً فرجَ اللهُ عنهُ كربةً من كرباتِ يومِ القيامة، ومن سترَ مسلماً سترهُ اللهُ يومَ القيامة).

ومن دواعيَ الكرمِ الرغبةُ في الحمدِ والشكر، ومحبةُ الثناءِ وطيبُ الذكرِ فتنفردُ إرادتهُ بحبِ عرضِ الدنيا، فيتكرمُ ويسمحُ ليُحمدَ ويُمدح، وهذا الكرمُ مذمومٌ بعيدٌ عن الدين، لما يشوبهُ من الرياء، ويُذهبُ بمروءةِ العطاء، وقيمةِ البذلِ والسخاء، وقد حذرَ الإسلامُ المسلمينَ من الانزلاقِ إلى مهاوي الرياء، لأنها تمحقُ ثوابَ الصدقة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾. وقد يكونُ الداعيَ إلى الكرمِ استجلابُ منفعة، أو دفعُ مضرة، فيضطرُ إلى اصطناعِ المعروف، رجاءَ بلوغِ بغيته، والوصولِ إلى أمنيته، وهذا ليس خالصاً للهِ تعالى، يقولُ سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أعبد اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾[٦٧].

٦٧- بتصرف من مقالات مختلفة عن الجود والكرم بشبكة الانترنت.

اكرام الضيف في الاسلام

كان اكرام الضيف والذي هو من مكارم الأخلاق التي جاء الإسلام بها، من أبرز ما تحلى واشتهر به الحاج فضيل علي فضيل. وله في ذلك قصص ومواقف شهيرة تروى وتتداول بين الناس، وسارت بذكرها الركبان. وسنتحدث بتفصيل مبسط عن اكرام الضيف في الإسلام. ثم نتناول في الجزئية الخاصة بالحاج فضيل كيفية استقباله واكرامه للضيوف وترحيبهم به وطرائفه المثيرة في هذا الشأن.

معنى الاكرام والضيف:

الإكرام هو مصدر أكرمَ، بمعنى عظَّم ونزَّه، وكذلك بمعنى التكريم الصَّون. الجود ذكر في القرآن الكريم ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾. سورة الرحمن. والإكرام هنا: الفضل التام.

وأصل الضيف الميل والضيف: من مال إليك نازلاً بك، ويقال: استضفت فلاناً فأضافني، وقد ضفته ضيفاً، فأنا ضائف وضيف. والضَّيْفُ هو النازلُ عند غيرِهِ، يستوي فيه المفْرَدُ والمذكَّرُ وغيرُهُما، لأَنَّهُ في الأَصل مصدرٌ. وفي محكم التنزيل قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ﴾، ويجمَعُ أَيضًا على أَضيافٍ وضُيوفٍ وضِيافٍ وضِيفانٍ.

العرب وإكرام الضيف في العصر الجاهلي

إن كرم الضيافة طبع أصيل تميز به العرب عن غيرهم من باقي الأمم، وتفردوا به، وافتخروا بها على الأمم. ولم تكن خصلة عندهم تفوق خصلة الكرم، يقدمون للضيف حق الضيافة، حتى لو كان عدواً مادام أنه نزل أو دخل بيت مضيفه، لأن من دخل البيت فقد أمن على نفسه، وخاصة إذا تناول طعاماً أو شراباً، فيصبح في مأمن ولو كان في وكر عدوه.

كان الكَرَم مِن أبرز الصِّفات في العصر الجاهلي، بل كانوا يتباهون بالكَرَم والجُود والسَّخاء، ورفعوا مِن مكانة الكَرَم، وكانوا يصفون بالكَرَم عظماء القوم، وأشتهر بعض العرب بهذه الصِّفة الحميدة، حتى صار مضربًا للمثل، كان حاتم الطَّائي مِن أشهر مَن عُرِف عند العرب بالجُود والكَرَم، حتى صار مضرب المثل في ذلك. مِن الكُرَماء المشهورين في العصر الجاهلي: عبد الله بن جُدْعَان، فقد اشتهر بكرمه وجوده، وسخائه وعطائه، وكان مِن مُطْعِمي قريش، كهاشم بن عبد مناف.

استقبال الضيوف واستضافتهم

حثَ الإسلامُ على حسنِ الضيافة، وإكرامِ الضيف، لما فيهِ من بذلٍ للمودة، وإظهارٍ الحب، وتقويةٍ للروابطِ بين المسلمين، وتدعيمٍ لأواصرِ المحبةِ في القلوب؛ فجعلَ إكرامَ الضيفِ من دلائلِ الإيمان. ومن أدبِ الضيافةِ الصدقُ في البذل، وعدمُ الرياء، ومجانبةُ المنِ والأذى، والإخلاصُ لله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنّاً وَلا أَذىً لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وقال رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (من كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليكرم ضيفه، جائزته يومٌ وليلة، والضيافةُ ثلاثةُ أيام، فما زادَ بعد ذلكَ فهوَ صدقة).

إن إكرام الضـــيف من مكارم الأخلاق، وجميل الخصـــال التي تحلَّى بها الأنبياء، وحثَّ عليها المرسلون، واتصف بها الأجواد كرام النفوس، وهو عمل كريم محبب للمسلم الصادق، ودليل واضح على قوة إيمانه. وهذه المعاني من تعاليم النبي الذي حثنا على إكرام الضيف.

فمَنْ عُرِفَ بالضــيافة عُرِف بشــرف المنزلة وعُلُوِّ المكانة، وانقاد له قومُه. فما ســاد أحد في الجاهلية ولا في الإســـلام، إلاَّ كان من كمال سُـــؤدده إطعام الطعام وإكرام الضـــيِّف وإكرام الضيف في طلاقة الوجه، وطيب الكلام.

ومن تمام الضـيافة أن تفرح بمقدم ضـيفك، وتظهر له البشـر، وأن تلاطفَهُ بحسـن الحديث، وتشـــكرَه على تفضـــله ومجيئه، وتقوم بخدمته، وتظهر له الغِنى وبشـــاشـــةَ الوجه فقد قيل: البشاشة في الوجه خير من القرى.

قال ابن حبان يرحمه الله: "ومن إكرام الضيف طيبُ الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمةُ بالنفس، فإنه لا يَذِلُّ من خدَم أضيافه، كما لا يعِزُّ من استخدمهم، أو طلب لِقِرَاه أجرًا. وإكرام الناس وسادتهم يقضون هذا الحق، فيقبلون على ضيوفهم، ويرفعون من قدرهم، ويُعلون من منزلتهم، والتقربُ تجمُّلُ الحديث، والبسطُ، والتأنيسُ، والتلقّي بالبشر من حقوق القِرَى، ومن تمام الإكرام وقالوا: "من تمام الضيافة الطلاقة عند أوَّلِ وهْلَةٍ، وإطالةُ الحديث عند المأكلة." "والعرب لم تكن تعدُّ الجودَ إلاَّ قِرَى الضَّيف، وإطعام الطعام، ولا تعدُّ السَّخيَّ من لم يكن فيه ذلك".

إكرام الضيف في القرآن الكريم

إكرام الضيف خلق عظيم أيده الإسلام وحث عليه، واعتبره من مكارم الأخلاق، وقد تكفل الله تعالى بتيسير أمر المؤمن إلى الجنة إذا ما كان العطاء من صفاته. قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ الليل،٥-٧. وبعد أن أمرنا الله تعالى بالإنفاق، نهانا عن شح النفس بقوله ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ التغابن،١٦.

يقصُّ علينا القرآن الكريم خبر الأنبياء ونماذج مما تحلوا به من كرم وسخاء. قال تعالى ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يا قَوْمِ هَؤُلاَءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِي فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ (سورة هود الآية ٧٨). يفهم من الآية أنّ من إكرام الضيف حمايته من الأذى، ومنع وقوع أي تعد عليه في جسمه أو ماله أو عرضه فها هو نبي الله لوطًا عليه السلام، يجهد دفاعاً عن ضيوفه، ويبين لقومه طريق العفة الصحيح بالبيان أن النكاح من نساء القوم أطهر وأعظم مما يبغون.

والآية التالية تبين سلوك قوم لوط، إذ حلَّ الضيوف على واحد منهم هو نبيهم. وبينت الآية مبلغ قلة أدب القوم في تعاملهم مع ضيوف نبيهم. قال تعالى ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ. قَالَ إِنَّ هَؤُلاَءِ ضَيْفِي فَلاَ تَفْضَحُونِي. وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِي﴾ (سورة الحجر الآيات ٦٧-٦٩). ويفهم من الآية ضرورة الاحتفاء بالضيف، والتجمل بالأدب معه، حتى لا يُحرَج المضيف أو الضيف على حد سواء.

ومن إكرام الضيف الاحتفاء به والبشاشة في وجهه، وعدم التبرم من وجوده، وتقديم الميسور من الطعام إليه دون مبالغة ولا تكلف. قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ (سورة هود الآية ٦٩).

كما أنّ سرعة الضيافة جزء أصيل من إكرام الضيف، وتأخرها دليل على الإهمال والتقصير، لذلك وجدنا ابراهيم الخليل مسارعاً في تقديم الضيافة لزائريه حتى قبل التحقق من هويتهم؛ فمن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يبادر بالقِرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفه. قال تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ. إِذ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ قَوْمٌ مُنكَرُونَ. فَرَاغَ إِلى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلُونَ﴾

(سورة الذاريات، ٢٤-٢٧) وفي قوله: "ألا تأكلون"، حثٌّ للضيف على أن يأكل دون حرج، فلربما امتنع من الشبع مظنة الحياء، فإن وجد طلاقة المضيف استمر حتى يأخذ حاجته.

وقد أشار القرآن إلى قوم مر بهم نبي الله موسى والخضر عليهما السلام، فلم يضيفوهما، بما يدل على استنكار موسى لصنيعهم، لأن إكرام الضيف فضيلة في كل زمان ومكان. ولا شك أن تلك خصلة تغلغلت عميقاً في نفس كليم الله، ما دفعه إلى استنكار ذلك الحدث من أهل القرية دون التفات لشرط الخضر بأن لا يسأله عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا. قال تعالى: ﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لاَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ (سورة الكهف الآية ٧٧).

وفي قرآن يتلى إلى يوم القيامة امتدح الله تعالى كرم الأنصار، وإيثارهم لإخوانهم المهاجرين. بقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر،٩). إن خير الصدقة ما يكون عن ظهر غنى، لكن ظروفاً قد تحل وأزمات قد تحدث تجعل البذل والكرم حتماً لا خياراً. في تلك الظروف تظهر النفوس الزكية المؤثرة لتنقذ الأرواح من بين مخالب الجوع والحرمان، فيسطر الله تعالى في كتابه المجيد عظمة هؤلاء ويخلد ذكرهم حتى يكونوا قدوة للخير في كل زمان ومكان.

ولما كانت السنة هي التطبيق العملي للقرآن الكريم، وجدنا النبي صلى الله عليه وسلم ليس داعياً للكرم فحسب بل كان مثالاً حياً يحتذى به، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ).

وليس إكرام الضيف خياراً إذا نزل، بل له الإكرام. يوضح هذا ما رواه عبد اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ عليه الصلاة والسلام (إِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّاً وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّاً). وقد بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن اكرام الضيف من علامات الإيمان بقوله ''مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ). ويفسر ابن بطال (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر): يعني من كان إيمانه بالله واليوم الآخر إيمانًا كاملاً فينبغي أن تكون هذه حاله وصفته؛ فالضيافة من سنن المرسلين. وقد عدَّ النبي صلى الله عليه وسلم من يفتح بابه لذوي السبيل والحاجة

كالمجاهد في سبيل الله، بقوله (ما في الناس مثل رجل آخذ بعنان، فيجاهد في سبيل الله، ويجتنب شرور الناس، ومثل رجل باد في غنمه يقري ضيفه ويؤدي حقه).

الضيافة في السنة النبوية

حثَّنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على إكرام الضيف؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من كان يؤمنُ بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفَه" رواه البخاري ومسلم. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "إن لزَوْرِك عليك حقًّا" رواه البخاري ومسلم ويقر النبي صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي على قوله لأبي الدرداء: "إن لضيفك عليك حقًّا" رواه الترمذي.

وعلى المضيف عدم احتقار القليل، بل يجود بالموجود ولو بشق تمرة، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن احتقار القليل. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يا نساء المسلمات، لا تحقرنّ جارةٌ لجارتها ولو فِرْسنَ شاةٍ". وعنه أيضًا قال: "خير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، ينقلب، فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج العُكَّة (وعاء من جلد يوضع فيه السمن والعسل)، ليس فيها شيءٌ فنشُقُّها، فنلعق ما فيها".

وعنصر قِرَى الضيف هو تركُ استحقار القليل، وتقديم ما حضر للأضياف؛ لأن من حقر منع من إكرام الضيف بما قدر عليه، وترك الادخار عنه، وقد سئل الأوزاعيُّ ما إكرامُ الضيف؟ قال: طلاقةُ الوَجْهِ، وطيبُ الكلام".

ومن تمام الضيافة أن تفرح بمقدم ضيفك، وتظهر له البشر، وأن تلاطفَهُ بحسن الحديث، وتشكرَه على تفضله ومجيئه، وتقوم بخدمته، وتظهر له الغِنى وبشاشةَ الوجه؛ فقد قيل: البشاشة في الوجه خير من القرى. قال ابن حبان يرحمه الله: "ومن إكرام الضيف طيبُ الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمةُ بالنفس فإنه لا يَذِلُّ من خدَم أضيافه، كما لا يعِزُّ من استخدمهم، أو طلب لِقرَاه أجرًا". وكرام الناس وسادتهم يقضون هذا الحق، فيقبلون على ضيوفهم، ويرفعون من قدرهم، ويُعلون من منزلتهم، والتقربُ تجمُّلُ الحديث، والبسطُ، والتأنيسُ، والتلقّي بالبشر من حقوق القِرَى، ومن تمام الإكرام. وقالوا: "من تمام الضيافة الطلاقة عند أوَّلِ وهْلَةٍ، وإطالةُ الحديث عند المأكلة".

وإذا كان معك أكثر من ضيف، فأقبل على كُلِّ واحدٍ منهم بوجهك، ولا تخصَّ أحدًا دون الآخر بحديثك، أو شيء من ضيافتك، وحاول أن تلتمس رضى كل واحد منهم، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس لضيوفه، فقد كان يعطي كل واحدٍ من ضيوفه نصيبَهُ، ولا يحسبُ ضيفُهُ أن أحدًا أكرمُ عليه منه. أن العبوس وإبداء الضيق، وكثرةَ الدخول والخروج لغير حاجة، ونهر الأطفال أو الخادم بحضرة الضيوف دليل الشُّحِّ، وأمارةُ البخل، والموتُ خيرٌ من إجابة دعوة بخيل.

واجبات الضيافة

الآداب التي يجب أن يراعيها المُضيِّف مع ضَيفه

تعجيل الطعام:

لأن ذلك من إكرام الضيف. قال حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلاَّ خمسة، فإنها من سنة النبي محمد: "إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب. إذا عزم على ضيفه بالطعام فاعتذر فأمسك عنه بمجرد الاعتذار، وكأنه تخلص من ورطه، كان ذلك علامة على بخله، وسوء تصرفه، بل لا يقول لضيفه: هل أقدم لك طعاماً؟ فإن ذلك علامة البخل أيضاً، بل عليه أن يقدم الطعام. وكما قال الثوري: إذا زارك أخوك فلا تقل له أتأكل؟ أو أأقدم إليك؟ ولكن قدم فإن أكل وإلا فأرفع.

ألا يبخل بمائدة أو يوارى بعض الطعام:

حكى عن بعض البخلاء أنه استأذن عليه ضيف، وبين يديه خبز وزبدية فيها عسل نحل. فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل، فدخل الضيف، قبل أن يرفعه، فظن الرجل أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز، فقال له : ترى أن تأكل عسلاً بلا خبز قال: نعم. وجعل يلعق العسل لعقة بعد لعقه، فقال له هذا البخيل: مهلاً يا أخي، والله أنه يحرق القلب. قال: نعم، صدقت ولكن قلبك.
اظهار الفرح بمقدم الضيف:

ومن تمام الضيافة أن تفرح بمقدم ضيفك، وتظهر له البشر وأن تلاطفَهُ بحسن الحديث، وتشكرَه على تفضله ومجيئه، وتقوم بخدمته، وتظهر له الغِنى وبشاشةَ الوجه. فقد قيل: البشاشة في الوجه خير من القرى. وقال ابن حبان يرحمه الله: "ومن إكرام الضيف طيبُ الكلام،

وطلاقة الوجه، والخدمةُ بالنفس، فإنه لا يَذِلُّ من خدَم أضيافه، كما لا يعِزُّ من استخدمهم، أو طلب لِقرَاه أجرًا.

وإكرام الناس وسادتهم يقضون هذا الحق، فيقبلون على ضيوفهم، ويرفعون من قدرهم، ويُعلون من منزلتهم. والتقربُ تجمُّلُ الحديث، والبسطُ، والتأنيسُ، والتلقّي بالبشر من حقوق القِرَى، ومن تمام الإكرام وقالوا: "من تمام الضيافة الطلاقة عند أوَّلِ وهْلَةٍ، وإطالةُ الحديث عند المأكلة."

عدم استعجال رفع المائدة قبل أن يأخذ الضيف كفايته من الطعام:

ومن الآداب التي يراعيها المضيف كذلك ألا يرفع المائدة قبل أن يأخذ الضيف كفايته من الطعام. وكذلك لا يشبع قبله، ثم ينصرف ويتركه، لأن ذلك يحرج الضيف، بل حتى لو كان شبعانا أن يشاركه أو حتى يوهمه بالمشاركة. ومحادثة الضيف بما يميل إليه نفسه، ولا ينام قبله، ولا يشكو الزمان بحضوره، ما لا يكلف نفسه فوق ما لا يطيق.

الفصل الخامس

كُرماء العرب في الجاهلية والاسلام

سـار الحاج فضـيل علي فضـيل على نهج كُرماء العرب في الجاهلية والاسـلام، في الجود والكرم والنخوة والشـهامة والمروءة، والمبالغة في اكرام الضـيف واغاثة الملهوف. رغم انه لم يكن على علم بسـير هؤلاء الكرماء في الجود والكرم والشـهامة، اللهم إلا من معرفة عامة بكريم العرب حاتم الطائي لشيوع ذكره بين العامة والخاصة، ومما لا شك فيه ان سبب اتفاق جوده وشهامته مع سيرة أولئك الكرماء هو الفطرة السمحة السليمة المستقيمة، وسخاء النفس الذي جُبل عليه.

أسماء أجواد العرب وأكرمهم

الجواد هو كثير العطاء، والجمع أجاويد وأجواد وقيل: الجَوَاد: هو الذي يعطي بلا مسـألة؛ صيانة للآخذ مِن ذلِّ السُّؤال. ويُفَسَّر الجُود أيضًا بالسَّخاء. وهنـاك كرمـاء وأجـواد كثيرون، من شـــتى القبائل العربية، وعلى مر العصـــور، انتهى إليهم الجود والكرم، واشـــتهروا به واستفاض كرمهم وغلب ذكرهم وهم:

١-رسول الله سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم.

٢- حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي - جاهلي.

٣- هرم بن سنان المري - جاهلي.

٤- كعب بن مامة الإيادي - جاهلي.

ومن أجواد الإسلام:

٥- عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب.

٦-عبد الله بن جعفر.

٧- سعيد بن العاص.

٨-عبد الله بن عامر بن كريز.

٩-عبد الله بن أبي بكرة.

١٠- مسلم بن زياد.

١١-عبد الله بن معمر القرشي.

١٢-طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله الخزاعي.

١٣- عتاب بن ورقئ الرياحي.

١٤- أسماء بن خارجة الفزاري.

١٥- عكرمة بن ربعي الفياض.

ومن الطبقة الثانية:

١٦- الحكم بن حنطب.

١٧- معن بن زائدة.

١٨- يزيـــد بن المهــلــب.

١٩- يزيـــد بن حـــاتم.

٢٠- أبو دلف، وهو القاسم بن إسماعيل.

٢١- خالد بن عبد الله القسري.

٢٢- عَدِي بن حاتــم الطائي.

حاتِم الطائي (أكرم العرب)

اسمه ونسبه:

هو حاتم بن عبد الله بن ســعد بن الحشــرج بن أمرؤ القيس بن عَدِي الطائي من قبيلة طي العربية، والتي وصفت بقبيلة الشعر والفروسية والجود. وكانت تقطن عند جبلي أَجَا وسَلَمى (منطقة حائل حالياً)، شـــمال المملكة العربية الســـعودية. وكان حاتم الطائي أمير هذه القبيلة ومن أشهر شعرائها وفرسانها. ويعتبر حاتم أشهر العرب في الكرم والشهامة، ومضرب المثل في ذلك، ويكنى أبا سفانة اسم ابنته الكبرى، وأبا عدي نسبة إلى ولده عدي.

ميلاده وكرم أمه:

ولد حاتم الطائي وعاش قبل الإســلام وتحديداً في القرن الســادس الميلادي. ويقال إنه كان يعتنق المسيحية، وأمه هي عتبة بنت عفيف بن عمرو بن أخزم، وكانت ذات يسر، ومن أكثر الناس جوداً وســـخاء. حجز عليها إخوتها ومنعوها مالها خوفاً من التبذير. ولعلها هي التي أورثت ابنها حاتماً صفات وسجايا الجود وحتى الشعر، فلقد كانت شاعرة أيضاً. وأولاده هم عَدي وشبيب وعبد الله وسَفَّانَّة.

نصيحة والده له:

حاول والده أن ينصحه قبل سفره للتجارة وبعد أن استخلفه على ماله وإبله وعشيرته قائلاً: (لا تكن أخرق اليد، مبسوط الكف، حتى لا يعضك الفقر بنابه. فالفقر مذلة، والسؤال مهانة، ولا تكن شح اليد بخيلاً كنوداً فيلحقك سوء الذم، وكن بين هذا وذاك تحفظ مالي وتستر غيبتي).

ولكن حاتماً كره حرص أبيه، وورث عن أمه كرمها، وعشقها للعطاء. فقد عضها الجوع ذات مرة، فأقسمت ألا تقبض يدها في وجه أحد، وكانت تردد الشعر قائلة:

لعَمّرك قد ما عضني الجوع عضة ـــ فـألـيـت ألا أمـنـع الـدهـر جـائـعـا
فقولا لهذا اللائم اليوم أعفني ـــ وإن أنـت لـم تـفـعـل فعُض الأصـــابـعـا

ولذلك ما أن غادر والده الديار سارع حاتم بالنداء على غلامه أن للريح صفيراً، وللبرد أنياباً، فاشعل ناراً كبرى، أجعلها أكبر من جفنة عبد الله بن جدعان، وكان ممن اشتهروا بالكرم في الجاهلية التي كان يأكل منها القائم والراكب على البعير، والتي سقط فيه ابنه فغرق في بحر من مرق وثريد، ونحن ليس لدينا أبناء فليقع فيها إذن من الإبل والغنم ما يملأ بطون الجائعين والضيوف، وليهتدي بها كل من ضل الطريق في هذا الليل البهيم.

واستمر حاتم في إقامة الموائد العامرة كل ليلة، حتى تغنى الناس باسمه وسيرته؛ كما تحولت الإبل والقطعان التي تركها له أبوه إلى رماد في النار، وطعام في البطون، وعندما عاد والده من السفر فوجئ بما حدث، فاتهمه بالحمق وضياع المال، وتبديد الثروة، فأمره بالرحيل عنه ومغادرة الديار. ورحل حاتم مقهوراً لفراق أهله وهو يردد:

غنَينا زمانا بالتصعلك والغنى ... فكلتاهما يُسقى بكأسيهما الدهرُ

فما زادنا بُغضا على ذي قرابة ... غنانا ولا أزرى بأحلامنا الفقرُ

ولكنه أخذ يطوف بالبلاد، وسرعان ما حالفه الحظ في التجارة، وأقبل عليه الثراء والمال، فعاد لقبيلته بقافلة كبيرة محملة بالكثير، ثم تقدم لماوية بنت عبد الله، وكانت من أشراف قبيلة تميم فخطبها وتزوجها، وكان يردد على مسامعها:

أَيا اِبنَةَ عَبدِ اللَهِ وَاِبنَةَ مالِكٍ ... وَيا اِبنَةَ ذي البُردَينِ وَالفَرَسِ الوَردِ

إِذا ما صَنَعتِ الزادِ فَاِلتَمِسي لَهُ ... أَكيلاً فَإِنّي لَستُ آكِلَهُ وَحدي

واستمر حاتم في كرمه، ينفق ماله ويبدد ثروته، ويؤثر الآخرين على زوجه وبنيه، حتى إنه أجار فارس البرامكة وشريفها عبد قيس بما كان لديه من إبل وقطعان، مما اضطره فيما بعد أن يذبح جواده، وهو ما تبقى له، ليطعم بعض من لجأوا إليه بعد أن أهلكهم الجوع، حتى اضطرت زوجته لمعاتبته على ذلك، فلديه أبناء أصبحوا لا يجدون قوت يومهم، فرد عليها قائلاً:

وقائلة أهلكت بالجوع ... حتى ضر نفسك جودها

فقلت دعيني إنَّما تلك عادتي ... لكل كريم عادة يستعيدها

كما كان يردد أيضاً:

وعازلة قامت عليّ تلومني ... كأني إذا أعطيت مالا أضُيمها

أعاذل إن الجود ليس بمهلكي ... ولا مخلد النفس الشحيحة لؤمها



(قرية ثُوَارِن بحائل شمال السعودية، والتي عاش فيها حاتم الطائي وبها موقدته وقبره)

ولم يتوقف حاتم عن عاداته حتى أن التقى أحد الأشخاص في سفر له فعرفه فناداه «إني أكلني الإسار والقمل، وأهلكني الاغتراب عن الأهل فأغثني يا أبا عَدي» فرد عليه حاتم: «لقد عرفتني وليس معي ما أفك به أسرك، غير نفسي، فاشتراه من آسريه وقيدوه بدلاً منه. وأرسل غلامه لزوجته لتفتديه بمائة من الإبل.

وعندما علمت زوجته بما حدث غضبت وقالت: كيف يفك عثرات الناس ويقتلني كمداً وفقراً؟ خذ الإبل، وإذا عاد لأطلقنه، فلا حياة لي معه بعد اليوم. ثم قامت بتحويل باب الخيمة من الشرق إلى الغرب، دلالة على جدية ما انتوته، ولكنها اكتشفت بعد حين أنها لا يمكن أن تبتعد عنه. فعادت اليه، وتحملت معه نتائج عاداته فخلدها حاتم بشعره، وبذريته من بعده.

ذكره في الأحاديث النبوية:

جاء ذكر حاتم الطائي في عدة أحاديث منها الحسن، ومنها الضعيف ومنها الموضوع. عن عَدِي بن حاتم قال: قلت لرسول الله ﷺ" إن أبي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل، فهل له في

ذلك - يعني : من أجر ؟ قال: "إن أباك طلب شيئاً فأصابه"، أي الشهرة والذِّكر. رواه أحمد (١٢٩/٣٢) وحسَّنه الشيخ شعيب الأرناؤوط.

عن عدي بن حاتم قال: قلت: "يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم، وكان يفعل ويفعل، قال: إن أباك أراد أمراً فأدركه يعني: الذِّكر. رواه أحمد (٢٠٠/٣٠)، وحسَّنه الشيخ شعيب الأرناؤوط، وصححه ابن حبان (١/٤١).

وعن سهل بن سعد الساعدي أن عدي بن حاتم أتى رسول الله ﷺ فقال: "يا رسول الله إن أبي كان يصل القرابة، ويحمل الكلَّ ويطعم الطعام، قال: هل أدرك الإسلام؟ قال : لا، قال : إن أباك كان يُحبُّ أن يُذكر"، رواه الطبراني في "الكبير" (٦ /١٩٧)، وفيه: رشدين بن سعد، وهو ضعيف، لكن يشهد له ما قبله. ومعنى: (يحمل الكلّ) أي ينفق على الضعيف والفقير واليتيم والعيال وغير ذلك. قال ابن كثير: وقد ذكرنا ترجمة حاتم طي أيام الجاهلية، عند ذكرنا من مات من أعيان المشهورين فيها، وما كان يسديه حاتم إلى الناس من المكارم والإحسان، إلاَّ أن نفع ذلك في الآخرة أي: (مشروط) بالإيمان.

كرم حَاتم:

كان حاتم الطائي المثل الأعلى لمكارم الأخلاق قبل الإسلام. ويعتبر صورة مثالية لمروءة العربي وكرمه وشهامته. ضربت الأمثال بكرمه في جاهلية العرب وفي إسلامهم. وحاتم هذا هو الذي وصفته ابنته بين يدي الرسول الكريم بأنه "كان يفك العاني، ويحمي الديار، ويقري الضيف ويشبع الجائع، ويفرج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، ولما يرد طالب حاجة قط". فيرد عليها الرسول الكريم بأن هذه صفة المؤمن، ويقول: إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق.

كان حاتم من شعراء العرب الكبار، شعره سجل لحياته ومآثره، لكرمه وسخائه ومواقفه في البذل والعطاء والمروءة. وكان جواداً يشبه شعره جوده، ويصدق قوله فعله. وكان حيثما نزل عرف منزله مظفر، وإذا قاتل غلب، وإذا غنم أنهب وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح فاز، وإذا سابق سبق، وإذا أسر أطلق، وكان يقسم بالله ألا يقتل أحداً في الشهر الأصم (رجب، وكان ينحر في كل يوم عشراً من الإبل، فأطعم الناس واجتمعوا إليه.

كرم السلوك والعفة:

ولم يكن حاتم كريماً في عطاء يده فحسب، بل تجسد كرمه في سلوكه وأخلاقه فهو عفيف طاهر، يدعو إلى مكارم الأخلاق. وحتى عندما يفتخر بنفسه فإنه يركز على هذه المعاني، لا على جبروته وقوته وحدة سيفه وقوة بأسه يقول حاتم:

كريـــمٌ لا أبيـــتُ الليـــلَ جـــادٍ	أعــــدِّدُ بالأنامــــــــلِ ما رزيـــــــتُ
إذا مـا بِـــتُّ أشـــربُ فـــوقَ	لِسُـــكر فـــي الشـــرابِ، فلا رويـــتُ
إذا مــا بِـــتُّ أختـــلُ عـــرسَ	ليخفينـــي الظـــلام، فـــلا خفـيـــت
أأفضـــح جارتـــي، وأخـــونُ	مَعـــاذَ اللـــه أفعَـــلُ مَا حَيِيـــت

من قصص كرم حَاتَم الطائي:

قيل لنوارة، زوجة حاتم الطائي، حدثينا عن حاتم؟ قالت كل أمره كان عجباً. أصابتنا سنة قضت على كل شيء، اقشعرت لها الأرض وأغبرت لها السماء وضنت المراضع على أولادها وراحت الإبل حدباً، (أي أنها أصبحت هزيلة وضعيفة من الجوع)، إذ تضاغى الصبيان، (وذلك كناية عن كثرة البكاء من الجوع)، فلم نجد مانعللهم، (أي لم نجد ولو القليل من الطعام لنسكت جوعهم)، ثم افترشنا قطيفة لنا شامية، ثم أقبل علي يعللني لأنام، فتظاهرت بالنوم؛ فقال لي أنمتى، فسكت. فقال ما أراها إلاَّ قد نامت ومابي نوم! وبعد مرور بعض الوقت من الليل وإذ جانب من البيت قد رفع، فقال حاتم من هذا؟ فقالت جارة لك، يا أباعدي، أتيتك من عند صبيتى وهم يبكون من الجوع. فقال أعجليهم على، أي أتى بهم علي! فوثبت عليه نوارة وقالت: لقد تضاغى أصبيتك، فما وجدت ما تطعمهم به فكيف بهذا ؟؟ فقال أسكتي فوالله لأشبعنك؟ فقالت نوارة: فأقبلت المرأة ومعها الصبية؛ فقام حاتم الطائي إلى فرسه فذبحها ثم قدح زندة وأشعل ناره، فالتفت إلى المرأة وأعطاها.

قصة أخرى:

سأل رجل حاتم الطائي وقال له: يا حاتم هل غلبك أحد في الكرم؟ قال: نعم، غلبني غلام يتيم من طي، نزلت بفنائه وكان له عشرة أرؤس من الغنم، فعمد إلى رأس منها فذبحه، وأصلح من لحمه، وقدم إلى، وكان فيما قدم إلى الدماغ، فتناولت منه فاستطبته فقلت: طيب والله، فخرج من بين يدي وجعل يذبح رأساً رأساً ويقدم لي الدماغ، وأنا لا أعلم، فلما خرجت لأرحل، وجدت حول بيته دماً عظيماً، وإذا هو قد ذبح الغنم بأسره فقلت له: لم فعلت ذلك؟ فقال: يا سبحان الله تستطيب شيئاً أملكه فأبخل عليك به، إن ذلك لسُبة على العرب قبيحة قيل يا حاتم: فما الذي

عوضته؟ قال: ثلاثمائة ناقة حمراء، وخمسمائة رأس من الغنم. فقيل: إذاً أنت أكرم منه فقال: بل هو أكرم لأنه جاء بكل ما يملك، وإنَّما جدت بقليل من كثير.

قصة ثالثة:

قيل لأحد قياصرة الروم بعد أن بلغته أخبار جود حاتم فأستغربها، فبلغه أن لحاتم فرساً من كرام الخيل العزيزة عنده، فأرسل اليه بعض حجابه يطلبون الفرس، فلما دخل الحاجب دار حاتم أستقبله أحسن استقبال، ورحب به وهو لا يعلم أنه حاجب القيصر، وكانت المواشي في المرعى، فلم يجد إليها سبيلاً لقرى ضيفه، فنحر الفرس، وأضرم النار، ثم دخل إلى ضيفه يحادثه، فأعلمه أنه رسول القيصر، قد حضر يستميحه الفرس، فساء ذلك حاتم وقال: هل أعلمتني قبل الآن فأنى فد نحرتها لك، إذا لم أجد جزوراً غيرها فعجب الرسول من سخائه، وقال: والله لقد رأينا منك أكثر مما سمعنا.

ابنته سَفَّانَةُ

سَفَّانَةُ (٦٨) وقيل سَفَانة وسُفَانة بنت حاتم الطائي هي صحابية جليلة من أجود نساء العرب. كانت من بين الأسري الذين أسرهم علي بن أبي طالب ﵁ في سرية طي، فقدم بها على رسول الله ﷺ المدينة في سبايا من طي، فحبسها أياماً ثم منَّ عليها بالسلم، وأعطاها نفقة وكسوة وردها إلى مأمنها، وأشارت إلى أخيها عَدِي بن حاتم بالقدوم على رسول الله ﷺ، فكانت سبباً في إسلامه.

قصة أسرها:

في ربيع الآخر من السنة التاسعة من الهجرة، بعث رسول الله ﷺ إلى طي علي بن أبي طالب ﵁ ومعه مائة وخمسون رجلاً من الأنصار، على مائة بعير وخمسين فرساً، ومعه راية سوداء، ولواء أبيض لهدم الفلس (صنم لطى). فلما سمع عَدِي وكان ملكاً على قومه ومن أشد الناس عداء لرسول الله بحركة السرية أخذ أهله، وانتقل إلى الجزيرة، وقيل: إلى الشام، وترك أخته سفانة بِنْت حاتم. وصلت السرية أحياء العرب فغارت علي موقع الصنم فجراً فهدموه وخربوه، وغنم علي ﵁ ، غنائم وسبى سبايا، وأخذ علي أسارى، وعاد بهم إلى

٦٨- السَّفَّانَةُ هي اللؤْلُؤةُ.

عاصمة الإسلام، إلى مدينة رسول الله ﷺ ، وكان فيمن سبي سفّانة بنت حاتم الجواد أخت عَدِي بن حاتم، فأطلقها النبي ﷺ ، فكان ذلك سبب إسلام أخيها عدي.

اسلامها:

وجه رسول الله ﷺ إلى طي فريقاً من جنده يقدمهم عليّ رضي الله عنه ، فصبح على القوم؛ واستاق خيلهم ونَعَمَهم ورجالهم ونساءهم إلى مدينة رسول الله ﷺ . ووضع سبي طي في حظيرة بباب المسجد، وكانت سفانة بنت حاتم الطائي من ضمن السبي، فمر بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وكانت امرأة جزلة، فقالت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فامنن علي منَّ الله عليك. قال: " من وافدك؟" قالت :حاتم قال: " الفار من الله ورسوله؟ " قالت: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني، حتى مر بي ثلاثاً، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومي فكلميه. فقمت فقلت: يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافد، فأمنن على منَّ الله عليك. قال: " قد فعلت، فلا تعجلي حتى تجدي ثقة يبلغك بلادك، ثم آذنيني". وأقامت سفانة حتى قدم رهط من قومها ممن تثق بهم، فاستأذنت من رسول الله، فكساها ومنحها راحلة تقلها وأعطاها نفقة تكفيها. وأسلمت وخرجت إلى الشام وكانت سبباً في إسلام أخيها وقومها.

جودها وكرمها:

اشتهرت سَفانة بالكرم والسخاء، مثل أبيها حاتم الطائي، فقد كان أبوها يُعطيها من إبله ما بين العشرة إلى الأربعين، فتهبها وتُعطيها الناس، فقال لها حاتم: يابنية! إنَّ القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه، فإما أن أعطى وتمسكي، وإما أن أُمسك وتعطي، فإنه لا يَـبْقَى على هذا شيءٌ. فقالت: والله لا أُمسك أبدًا. وقال أبوها: وأنا والله لا أمسك أبدًا. قالت: فلا نتجاور. فقاسمها ماله وتباينا ولم يتجاورا.

وفاة حاتم الطائي وقبره:

توفي حاتم الطائي عام ٦٠٥م، في عوارض جبل في بلاد طي. ويوجد بقايا أطلال قصره وقبره وموقدته الشهيرة في بلدة تُوارِن، بمنطقة حائل، شمال المملكة العربية السعودية (٦٩).

٦٩- بتصرف من مقالات مختلفة عن كرماء العرب وحاتم الطائي بشبكة الانترنت.



(قبر حاتم الطائي بقرية تُوارِن بحائل شمال السعودية)

الفصل السادس

الفضيلاب الحسيناب الشعديناب بالدَّامر

عشيرة الحاج فضيل الأقربين

الجذور والنسب:

الفضيلاب هم عشيرة وأهل الراحل فضيل علي فضيل الأقربين، وهم فرع من الحسيناب المشايخة الجعليين الشعديناب ذرية الشيخ الرجبي الصالح حسين بن حمد الجعلي الشعدينابي وصاحب القبة والمقبرة الشهيرتين بالحصايا جنوب الدَّامر.

الشيخ حسين بن حمد الجعلي الشعدينابي:

نسبه: هو الشيخ الرجبي الصالح والشهير حسين بن حمد بن سعدون بن عبد الرسول بن أحمد سولقن بن شاع الدين بن عرمان الجعلي العباسي. جد عشيرة الحسيناب المشايخة الجعليين الشعديناب العرامنة بمنطقة الحصايا جنوب الدَّامر وغيرها. وهو جد الراحل فضيل علي فضيل لأبيه وأمه عائشة حمزة عاشميق احمد فضيل.

سيرة وذرية الشَّيْخ الصالح حُسَيْن وَدْ حمد:

ولد الشَّيْخ الصَّالِح حُسَيْن وَدْ حَمَد بالحَصَايَا جَنوب الْدَّامَر سَنَة (١٤٣٢م) - (٨٣٦هـ) ووالدته هي فَاطِمَة بِنْت مُحَمَّد بن عبْد العَال بن مُحَمَّد حجر بن مُحَمَّد بن قِنْدِيْل بن حَمَد بن عبْد العَال بن عَرْمَان الجَعَلِيّ وعبد العال بن عرمان هو شقيق شاع الدين جد الشيخ حسين ود حمد لأبيه، أما مُحَمَّد بن قِنْدِيْل فهو أخ عِيسَى بن قِنْدِيْل جد المَجَاذِيْب بالْدَّامَر والَّذي أَوَقَد نَار القُرآن الكَرِيم بمِنْطَقَة شَعَدِيْنَاب دَرُوْ (حي الشَّعَدِيْنَاب الحالي).

نشأته وانتشار صلاحه:

نشأ الشَّيْخ حُسَيْن وَدْ حَمَد فِي أسرة دينية ملتزمة وَهُو من أوائل الَذِّين أشعلوا نار القرآن الكريم بشَمال السُّودَان ومِنْاطَقَ الدامر. والشَّيْخ حُسَيْن وَدْ حَمَد من أركان الدامر يقول الدكتور عبد الله الطيب (وبعض أهل الدامر زيارتهم عند حسين ود حمد وهو من أركانها سريع النجدة للداعي رضي الله عنه) ([٧٠]). ولذيوع صلاحه وكراماته اشتهر الشَّيْخ حُسَيْن وَدْ حَمَد بـ (رَاجِل

٧٠- من نافذة القطار د. عبد الله الطيب، ص ٨٢.

الحصايا) و(جَبَل الحديد) و(حُسَيْن وَدْ حَمَد حَصَاية الرَمَد) و(راجِل الجِريف أب أيداً دَرَقَة وسيف).

ومِن الأشعار الَّتي كَانَت تُقَال بحقه :(يابا حُسَيْن سكسك المجادع دا الدابي الحجر المشارع يابا حُسَيْن وَدْ حرة ومرة عقد سوميت يضرب للسرة) وكَان من عادة أهلنا حَتَّى فِي زماننا هَذَا أن درجوا على أَنْ يزور العريس والعروسة وأَولَاد الطهارة الشَّيْخ الحُسَيْن وَدْ حَمَد الآن تبدل الحال وصار فِي زماننا هَذَا يزوره أَولَاد المدارس بنين وبنات بقصد مباركة التلاميذ ساعة الامتحان ويدفنون الأقلام عِنْدَ القَبْر وفِي القُبَّة وهذه البَرَكَة تنداح على الطُّلَّاب فالوَاحِد مِنهُم يدخل الامتحان مطمئن القلب والفؤاد ([٧١]).

شهرته بإطعام الطعام:

كان الشيخ حسين ود حمد من الأتقياء الملتزمين بالخلق والكرم والسخاء والمروءة والعفة والتواضع. وأشتهر كذلك بإطعام الطعام وقضاء حوائج الناس، يقابل الوافدين اليه بالبشاشة وطلاقة الوجه. ما قصده زائر ولا طالب حاجة إلاَّ وجده عند حسن ظنه، وكان هذا ديدنه إلى أن توفاه الله.

مسيده:

كان مسيده بقرية الحصايا وسط على الضفة الشرقية لنهر النيل، وبالتحديد في منطقة ساقية الطاهاب والبناترة الشعديناب وهم من ذريته المباشرين. ومكان المسيد الآن داخل مجرى نهر النيل. وكان مجرى النيل يقع في ذلك الوقت في المنطقة المعروفة بنمرة أربعة بمشروع الزيداب، وكان بين مسيده ومجرى النيل الحالي جرف ممتداً حتى منطقة العالياب، وكان الشيخ حسين يُكنى بهذا الجرف، فيقال له (رَاجِل الجِريف). والرَاجِل هو الوَلي الصالح في عامية أهل السودان. وسميت على هذا الجرف قرية الجريف الحالية بالحصايا جنوب. وكان يؤم هذا المسيد طلاب العلم والقرآن الكريم والارشاد من كل الجهات.

قُطْبانيته:

شهد للشيخ حسين ود حمد بالقطبانية كثير من مشاهير الأولياء الصالحين، مثل السيد الحسن الميرغني أبو جلابية، والذي يقال إنه جاء ماراً بمنطقة الحصايا، وعندما وصل ركبه قبالة قبة الشيخ حسين ود حمد ترجل عن دابته ومشى على رجليه، وعندما سأله بعض الخلفاء المرافقين

٧١- ذاكرة قَريَة، الطيب مُحمَّد الطيب، ص ٤٦-٤٧.

له عن سبب ذلك قال لهم ان هذا الرجل يقصد الشيخ حسين ود حمد (مقادمنا) وهو قطب من الأقطاب.

كما شهد له بالقطبانية الشيخ عبد المحمود بن الزاكي، وصاحب الكشوف الشيخ عبد المعروف. وقد خلف الشيخ حسين ود حمد الكثير من الكرامات والمناقب والمقامات والأعمال التي تدل على صلاحه وتقواه وولايته. ولقب براجل الحصايا وجبل الحديد وراجل الجريف أب إيداً درقة وسيف، وحسين ود حمد حصاية الرمد.

طريقته:

كان الشيخ حسين ود حمد من السالكين في العبادة والعمل على أوراد الطريقة الشاذلية. وهي طريقة صوفية تنسب إلى الشريف الشيخ أبي الحسن الشاذلي، وأول من أدخلها السودان هو الشيخ حمد أبو دنانة. وتقوم هذه الطريقة على التوبة والاخلاص والخلوة والذكرة وتزكية النفس والزهد والورع. وهي ذات الطريقة هي التي يسلكها أخواله المجاذيب بالدَّامر، بعد أن تحولوا إليها من الطريقة القادرية، وتسمى طريقتهم بالطريقة المجذوبية الشاذلية.

ذُرِّيَّة الشَّيْخ الصالح حُسَيْن وَدْ حمد:

تزوَّج الشَّيْخ حُسَيْن وَدْ حَمَد آمِنَة بنت عمه أبو الحسن الشهير بدفيعة الشِّعَدِّيْنَابِيَّ جد الدفيعاب بالحصاية وأبي سُليم وغيرها وأَنجَب مِنهَا أَربعَة أَولَاد وبِنْتين وهُم (مُحَمَّد وَحَمَد وَقَد توفيا بعده وهما مدفونان مَع أبيهما داخل البنية من النَاحِيَة الغَربيَّة وأَحْمَد أب نُوْر وَهُو مدفون بمِنْطَقَة بيلا بالبُطَانَة وقبره هُنَاك بَيْن يزار وَقَد قام أبو نُوْر بإحياء نهج والده فِي تِلكَ المِنْطَقَة وذُرِّيَته بالحَوَّاتَة وود الزَّاكِي وأم جر بالنِّيْل الأَبْيَض وبري بالخُرطوم أَمَّا ابنه الرَّابِع فهو المُلَقَّب بأبي شُبور وقَد مات وَهُو صغير وَهُو مدفون صعيد البنية (جَنوبها).

مُحَمَّد بن الشَّيْخ حُسَيْن بن حمد:

أنجب مُحَمَّد بن الشَّيْخ حُسَيْن وَدْ حَمَد قُرَشِيْ وأَنجَب قُرَشِيْ عبد العليم جد العليماب بالحَصَايَا وغيرها وأَولَاد عبد العليم هم:

١- قَسْـــم الله: وهو جد البناترة والعِجِيْلاب وأولاد القبة وأَولَاد البدري وأولاد القاقريد وأَولَاد الحُوْرِيْ وأولاد أبو جنة بالمَوْرَدَة بأم درمان.

٢- فِضِيْل: وهو جد الفِضِيْلاب بالجُبَارَاب شَمال وأُمْ دُرْمَان وغيرها.

٣-قرشي: وَهُو جد الحَاجَاب المَشَايِخة أَولَاد الشَّيْخ مُحَمَّد قُرَشِيْ.
٤-رقية جدة الْقُرَشَــاب الشــعديناب بالحصـــاية والجباراب والَّتي ســمت ابنها قُرَشِــيْ (جد الْقُرَشَاب) على أخيها وجدها الحَاج قرشي.

حَمَد بن الشَّيْخ حُسَيْن وَدْ حَمَد:

أما حَمَد بن الشَّيْخ حُسَيْن وَدْ حَمَد فأنجب:

(١) عبد الرَّحمن: وهو جد الجِنِيْدَاب والطاهاب بالحصايا.
(٢) عبد العَزِيز: وهو جد العَزِيْزَاب بالحصايا وود نوباوي وأَولَاد الكود بالجباراب والموردة وأَولَاد الجَّرِق بالموردة وأَولَاد حاج الريدة بالفتيحاب وأَولَاد النعيم الطاهر النعيم بسوق الشجرة وغيرهم.

بنات الشيخ حسين ود حمد:

(١) حِفْلَة الوَلِيَّة: والحِفْلَة تعني الزينة وكَانَت امْرَأة صَالِحة وهِي مَدفُونَة فِي المربعة جَنوب القُبَّة وتَزَوَّجَهَا رَجُل من المرغوماب الكَوَاهِلَة وأَنجَبت منه ابن يدعي الشَّيْخ علي وأَنجَب بِنْت تُسمَّى مَدِينَة وهِي جدة الزاكياب بأبي دليق وقُوْز المُطْرُق والنجفة وحِفلة الولية هي كذلك جدة التوساب الشعديناب وأولاد الفكي حمد بن الفكي سعد بن عيسى وهم من أولاد عياد بن احمد سولقن بن شاع الدين.

(٢) نورة: وهِي وَالِدَة الشَّيْخ مُحَمَّد أبو سِبح جد التِّمِيْراب الطُرش بغَرب الْدَّامَر ومِنهُم الشَمَّاب وهم أجداد الدكتور عبد الله الطيب لأبيه بأمه كما أسلفنا.

(٣) فاطمة الشـهيرة بــــ (الفُوقِن): وهي جدة أولاد نعيم التوسـاب الشـعديناب بالزيداب غرب الدامر.

فُروع الحِسِيْنَاب الشعديناب:

وفُروع الحِسِيْنَاب عَامَّة هي الحَاجَاب أَولَاد الحَاج قُرَشِيْ والجِنِيْدَاب والطاهاب والعَزِيْزَاب والجليلاب أولاد الشيخ عبد الجليل وأَولَاد القُبَّة والعليماب والبناترة والعِجِيْلاب وأَولَاد البدري وأولاد حاج الريدة والفِضِيْلاب بالجُبَارَاب وأم درمان وأَولَاد حَمَد حَاج حُسَيْن وأَولَاد الكُوْد وأَولَاد تاهولة وأَولَاد وَدْ الحمراني بقُوْز الحلق بنَهْر عَطْبَرَة وأَولَاد الحُوْرِيْ والقَرَّايْين بقُندر وحي الشَّعَدِيْنَاب نسبة لجَدِّهِم القَرَّايْ والَّذي كَانَ كثير القِرَاءَة.

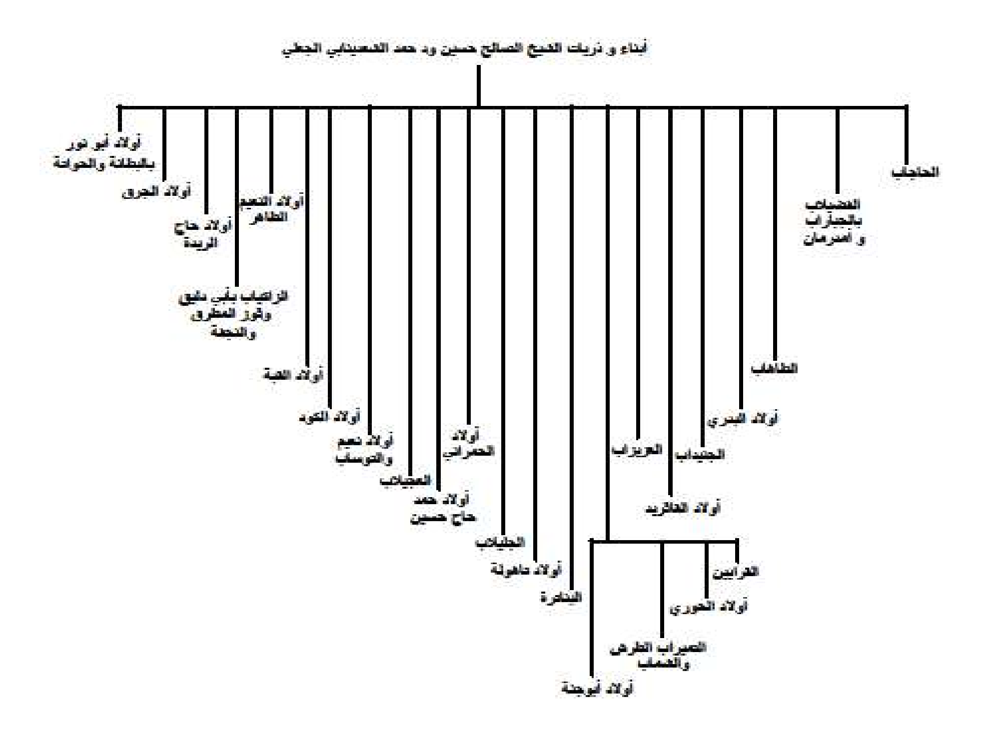
ومِن الحِسِيْنَاب أَولَاد الكُود أَولَاد الجَّرِّق وأَولَاد القاقريد وأَولَاد مُحَمَّد أبو جنة بالمَوْرَدَة بأُمْ دُرْمَان ومِنهُم مدير الجمارك فِي عَهْد الإنقَاذ والرَئيْس الأَسْبَق لنَادِي المَرِّيخ العَاصِمي ماهل أبو جنة ويوجد نسب هذه الأسر إِلَى الشَّيْخ حُسَيْن وَدْ حَمَد بمَوسُوعَة القَبائِل والأَنْسَاب فِي السُّودَان للبُروفِسُور عَوْن الشَّرِيْف قاسم.

وفاته:

قضى الشيخ حسين ود حمد حياته في الدعوة والعمل لنشر الاسلام بالمنطقة التي كان يحكمها العنج النصارى في عصره. وتوفي سنة (١٤٨٣م)، الموافق (٨٨٨هـ) عن ٥٢ سنة.

مقبرته:

للشيخ حسين ود حمد قبة ومقبرة شهيرة بمنطقة الجريف بالحصايا جنوب الدَّامر، وبها قبور الكثيرين من أهل الصلاح والعلم والفضل من الشعديناب وغيرهم، منهم على سبيل المثال الفكي علي ود قرشي، والفكي أحمد قرشي، والفكي الطيب علي قرشي، والفكي ابراهيم فضيل، والشيخ محمد خير البدري، والفكي أحمد البشير الطاهر، والفكي عبد الرحمن البغيل، والفكي الأمين، والفكي العوض الأمين، والشيخ جمعة الماغي رضي الله عنه، والذي أشار لقبره ولولايته الشيخ الحاج الرفاعي، في إحدى زياراته للمنطقة. وتعتبر مقبرة الشيخ حسين ود حمد من أقدم المقبرات بالمنطقة. ويقال إن بها قبور أوائل الذين دخلوا السودان من قدامى المسلمين والعرب.



المصدر : كتاب الجعليون الشعيداب والجازات بالسافر
تأليف الاستاذ : عبدالباقي الطيب علي المحامي
1442هـ - 2021 م

مشجرة رقم ١٩



(مقبرة وقبة الشيخ الصالح حسين ود حمد بالجريف بالحصايا جنوب)

الفِضِيْلاب الحِسِيْنَاب الشَّعَدِيْنَاب بالدامر وأم درمان

هم أبناء فِضِيْل بن عبد العليم حفيد الشيخ الصالح حسين ود حمد المتقدم تفصيل نسبه.

فروع الفضيلاب:

ينقسم الفضيلاب الى فرعين رئيسيين هم الفضيلاب بالجباراب بالدامر وجدهم الأكبر هو (احمد فضيل) وفضيلاب أم درمان (فضيلاب الحوش) وجدهم الأكبر هو أخيه محمد فضيل.

نسبهم:

الفِضِيْلاب فَرْع من الحِسِيْنَاب الجعليين الشَّعَدِيْنَاب أبناء مُحَمَّد بن الشَّيْخ الصَّالِح حُسَيْن وَدْ حَمَد الجعلي الشعدينابي ونسب جَدِّهِم فِضِيْل هو (فِضِيْل بن عبد العليم بن الحَاج قُرَشِيْ بن مُحَمَّد بن الشَّيْخ حُسَيْن بن حَمَد بن سعدون بن عبد الرَّسُول بن شَاعَ الدِّيْن بن عَرْمَان الجَعَلِيّ الْعَبَّاسي).

وقد ورد نسب الفضيلاب بموسوعة القبائل والأنساب في السودان لعون الشريف قاسم، كما يلي: (اشتهر آل فضيل من الجعليين الشعديناب منهم بالموردة محمد فضيل وهو محمد فضيل التوم بن الشرعي بن عبد الغني بن حمد بن حسين بن حمد بن عبد الرسول بن شاع الدين. وهناك آل فضيل أيضاً من الشعديناب بالموردة، منهم (علي محمد فضيل احمد عبد الغني حمد بن حسين بن حمد بن عبد الرسول بن شاع الدين) ([٧٢]).

والمقصود بالفضيلاب في الموسوعة عموم الفضيلاب بالدامر وأم درمان أما محمد فضيل فهو جد أولاد عبد الله فضيل الحسيناب الشعديناب وهم أبناء عمومة الفضيلاب يلتقون معهم في الجد حسين بن حمد وجدتهم لأمهم هي فاطمة بنت مدينة بنت محمد علي فضيل من فضيلاب أم درمان أما محمد علي فضيل فهو جد الفضيلاب بأم درمان.

ولكن يوجد أخطاء بالنسب الوارد بموسوعة القبائل والأنساب في السودان لعون الشريف قاسم والذي أرجع الفضيلاب إلى حمد بن الشيخ حسين بن حمد، بينما الصحيح أن جدهم هو أخيه محمد. كما تم نسبهم كذلك إلى التوم وعبد الغني، ابني حمد بن حسين بن حمد وهما لا يوجدان في عمود نسب الفضيلاب، والصحيح أن الفضيلاب هم أبناء فضيل بن عبد العليم بن الحاج قرشي بن محمد بن حسين بن حمد. ويلتقون في الجد عبد العليم مع آل الحوري بحي

٧٢- موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأماكن والأعلام، الجزء الرابع، د. عون الشريف قاسم، ص ١٧٩٢.

العمدة والثورة بأم درمان. أما التوم وعبد الغني ابني حمد بن حسين بن حمد فهما جدا آل الجرق وآل أبو جنة بالموردة. وجميعهم من الحسيناب أبناء عمومة الفضيلاب.

ومن الأخطاء الواردة بالنسب المذكور بالموسوعة عدم وجود الجد سعدون بن عبد الرسول بعمود نسب الفضيلاب، حيث أن عبد الرسول بن شاع الدين له ولد واحد وهو سعدون، والذي أنجب حمد جد عامة الحسيناب المشايخة بالحصايا وغيرها، ومن ضمنهم الفضيلاب بالجباراب وأم درمان وآل الحوري وآل الجرق وآل أبو جنة وأولاد حاج الريدة وأولاد محمد علي عبد العزيز بود نوباوي.

وحتَّى لا يحدث خلط بَيْن الفِضِيْلاب الحِسِيْنَاب الشَّعَدِيْنَاب بالجُبَارَاب بالْدَّامَر وأُمْ دُرْمَان وغيرهم من الفِضِيْلاب الجَعَلِيّين نذكر أنَّه يوجد فِضِيْلاب بالحَصَايَا جَنوب الْدَّامَر وهُم أَبنَاء سَنَد الْشَّهِيْر بمرفعين بن أحمَد سُوْلَقِنْ بن شَاعَ الدِّيْن بن عَرْمَان الجَعَلِيّ الْعَبَّاسي كَمَا يوجد فِضِيْلاب بقَريَة الفِضِيْلاب بالشقالوة بشَنْدِي وهُم من أَولَاد عَدْلَاْن بن عَرْمَان الجعلي وعدلان هو أخ غير شقيق لشاع الدين بن عرمان جد الفضيلاب بالدامر وأم درمان.

المقر الأول للفضيلاب:

كَانَ الفِضِيْلاب وأبناء عمومتهم الخُدْراب وأولاد ربيق والمناصير والجباراب ومنهم آل العمدة بخيت وغيرهم يُقِيمُون بقَريَة أَرْبَاب (أَرْبَاب الفقرا) والَّتي تَقَع شَمال أُمْ بُوْرِيْ بالجُبَارَاب شَمال جنوب مدينة الدامر وغَرب قَريَة المُوْسَيَّابْ وكانت قرية سكنية وزراعية ثم أصبحت أرضاً زِرَاعِيَّة فقط ثمَّ تَفَرَّقُ الفِضِيْلاب من سكانها إِلَى الجُبَارَاب شمال (أُمْ بُوْرِيْ) وأُمْ دُرْمَان وغَيرهَا.

كرم الفضيلاب:

يعتبر الفِضِيْلاب من أَشْهَر كرماء قبيلة الجَعَلِيِّين والشَّعَدِيْنَاب وأهل أم درمان، بيوتهم مفتوحة دوماً للضيوف والطُّلَّاب وغيرهم وكَانَ لفضيلاب أم درمان مواقف مشهودة فِي اطعام النَّاس واغاثتهم بأُمْ دُرْمَان أثناء مجاعة سَنَة ١٣٠٦هـ فِي عَهْد الخَلِيفَة عَبد الله التَّعَايْشِي وكَان حوشهم بالمَوْرَدَة بأُمْ دُرْمَان ولا زال شهيراً بالكَرَم والضِّيافَة وأشْتَهَر مِنهُم بالكَرَم والمُرُوءَة والديوان المفتوح دوماً للضيوف العلم الْشَّهِيْر المَرحُوم فِضِيْل علي فِضِيْل أحمَد محل هذه الدراسة، والَّذي يعد من أَشْهَر كرماء قَبيلَة الجَعَلِيّين على امتداد تاريخها الطَّويل وكَان منزله بالمَوْرَدَة ثمَّ الفِتِيْحَاب ثمَّ الشقلة بشَرْق بالفتحياب بأُمْ دُرْمَان مَقَرًّا دائماً للضيوف والطُّلَّاب

والمرضى وعابري السبيل وأصحاب الحاجات وغيرهم، وله قصص ومواقف كثيرة تروى فِي الكَرَم العريض والمروءة.

ومِن دواوين الفِضِيْلاب المفتوحة للكرم واستقبال الضُّيوف كذَلكَ ديوان الجد محمد حمزة عاشميق بحلة الجاداب شرق الجباراب وديوان الجد أحمَد حجازي عَاشْمِيْق بالجُبَارَاب شَمال (أُمْ بُوْرِيْ)، والذي لم يغلق باب حوشه منذ أن تم انشائه في القرن الماضي.

الفضيلاب بمنطقة الجباراب جنوب الدامر

هم أبناء أحمد بن فِضِيْل بن عبد العليم بن الحَاج قُرَشِيْ بن مُحَمَّد بن الشَّيْخ حُسَيْن بن حَمَد بن سـعدون بن عبد الرَّسُـول بن شَـاعَ الدِّيْن بن عَرْمَان الجَعَلِيّ الْعَبَّاسـي. وأَنجَب أحمَد بن فضـيل ثلاث أَبنَاء وبنت واحدة وهم: (عاشـميق وفضـيل وحسـن وأم حسـين جدة الشـخيباب العامراب والطاهاب الحسيناب) وتفصيل ذريتهم كما يلي:

(١) عَاشْمِيْق: (والعَاشْمِيْق حبل من ليف النخل وهو ما يبقى من ليف في أعلى النخلة تحت الكرانيف بعد قطع السبائط تعمل منه الحبال) ([٧٣]) وأَولَاد عَاشْمِيْق هم: (حَمْزَة وعَبَّاس وحجازي وبَدَوِيّ ومَدِينَة وبَخِيْتَة وفَاطِمَة) تزوَّج عَاشْمِيْق أحمَد فِضِيْل فَاطِمَة بِنْت عبيد بن حَسَن من المَنَاصِيْر الشَّعَدِيْنَاب وأَنجَب مِنهَا (حَمْزَة وعَبَّاس ومَدِينَة) وأَولَاد حَمْزَة هم (مُحَمَّد وإِبْرَاهِيْم وعَبد الوَهَاب وعطا وَالِد عَاشْمِيْق عطا بالقَضَارِف وعَائِشَة الْشَهِيرَة بـ (أُم شَرَفْ) وَالِدَة فِضِيْل علي فِضِيْل والشروق وَالِدَة الحسن العَوَض أواد وفَاطِمَة أم أَولَاد جَاد الله علي مُحَمَّد فِضِيْل (مُحَمَّد زَيْن والتاية أم أَولَاد قَسْم الله علي حَسَن عُثْمَان وختم وأخواتهما وبلولة وَالِدَة صديق وزَيْنَب إِبْرَاهِيْم مُحَمَّد حَمْزَة عَاشْمِيْق).

أما أَولَاد عَبَّاس عَاشْمِيْق فهم: بَشِير وَالِد عَبَّاس بَشِير بالقَضَارِف وسعدية: والدة عَوَض عبد الرَّحيم عَوَض السَّعِيدَابي وفَاطِمَة: وَالِدَة السر مُحَمَّد الرَّفِيق السَّعِيدَابي وفرحولة والدة آمنة الخير محمد زين محمد فضيل والدة محمد الخضر حسن وشقيقتيه بنات أم أولاد الشم علي فضل الله وفاطمة أم أولاد احمد حجازي: علي والحاج والعوض ومدينة ووَالِدَة بَشِير وسعدية وفَاطِمَة وفرحولة بنات عَبَّاس عَاشْمِيْق هي ستنا بِنْت عَبد الجَلِيل الشَّيْخ حَفِيْد الشَّيْخ حُسَيْن وَدْ حَمَد الشَّعَدِّينابي ويُقَال إن فَاطِمَة عَبَّاس عَاشْمِيْق هي شاعرة الأُغنيَة الْشَهِيرَة :

الـلّيـلَـة وِيـنْ لَاْ وَيْـنْ يَـا عِـيْـنَـي أنَـا عَجَبُونِيْ كَـالُوْ العِيْن يَـا عِيْنَيَ أنَـا

٧٣- قاموس العامية في السودان، د. عون الشريف قاسم ص ٦٥١.

وأنها وضعت فِيْها وسمها:

بتغنيلو بت عَبَّاس يا عيني أنا الفي القهوة مو جَلّاس يا عيني أنا
ويُقَال إن شاعرتي الأُغنيَة هما التَوأم: أم الحُسَيْن علي شِخِيْب الشِّعَدِّيْنَابِيَّة وَالِدَة الفَنَّان أحمَد الأَمِيْن هَسَايْ بالشَّعَدِيْنَاب والْشَهِيرَة بالتُّومَة بِنْت وَدْ شِخِيْب وفِي رِوَايَة أَنَّها شراكة بينهما وبَيْن أخريات حَيْثُ تضيف كلّ شاعرة أبياتاً للأُغنيَة حسب المناسبة الخاصَّة بها، وهذا هو شأن الأغاني الشعبية تكون مفتوحة للإضافة اليها حسب المناسبة. قد نظمت التَوأم كذلك أغنية بمناسبة زواج شقيقهما احمد قدور قلن فيها:

يا المحلق ميسك بعيد تعصي إنت ويطيع الحديد
أما مَدِينَة عَاشْمِيْق فقَد تَزَوَّجَهَا الرَّفِيق حمودي سَعِيْد من السَّعِيدَاب المَنَاصِيْر وأَولَادها هم (مُحَمَّد وعَبَّاس وأَحْمَد وبَابِكِرْ ومُحَمَّد أحمَد وعبد الحفيظ وخادم الله).

كذلك تزوَّج عَاشْمِيْق أحمَد فِضِيْل زَيْنَب مُحَمَّد الواور الْشَهِيرَة بـ (واورية) وأَنجَب مِنهَا (حجازي وبَدَوِيّ وبَخِيْتَة وفَاطِمَة) وأَولَاد حجازي هم (أَحْمَد وعبد الكافي ووالدتهم عَائِشَة مُحَمَّد صباحي) وأَولَاد بَدَوِيّ هم (عَبَّاس وأَحْمَد البَشِير والعَينة أم أَولَاد الخال حُسَيْن مُحَمَّد حَمْزَة والست أم أَولَاد مُحَمَّد علي بانتور بالحُوْتَاب ووالدتهم حَلِيْمَة بِنْت فِضِيْل أحمَد فِضِيْل) أَمَّا بَخِيْتَة فَهِي أم أَولَاد علي كَرَّار من البَخِيْتَاب الأَشْرَاف بالجُبَارَاب جَنوب وهُم (عَائِشَة أم أَولَاد سَعِيْد مُصطَفَى عَبد الله وعبد الرَّحمن والهادي وعمر وأخواتهم وزهراء أم أَولَاد الفاضل سَعِيْد مُصطَفَى الصَّادِق ومُصطَفَى وأخواتهم ومَدِينَة أم أَولَاد بَلَّةْ الرَّيَّح عبد الرَّحيم وبَابِكِرْ وعِزَّالدِّين وأَحْمَد وأخواتهم وفَاطِمَة الْشَهِيرَة بـ (بت سعد) وَالِدَة الفَضْل قَسْم الله علي حسن).

أما فَاطِمَة بِنْت عَاشْمِيْق فَهِي أم أَولَاد الرَّيَّح عُثمَان فَضْل الله من المَنَاصِيْر وهُم (بلة وفَضْل الله ونَفِيْسَة أم أَولَاد الخَلِيفَة أحمَد عبد الرَّحمن الخَلِيفَة عبد الله وقَسْم الله والخَلِيفَة وأخواتهم وسعدَّة وَالِدَة الأُستَاذ أحمَد التَّوم أحمَد تَاهُوْلَة وأخواته وآمِنَة أم أَولَاد الحَاج عَلِي حَسَن علي وعَوَض وفيصل وعبد الله وأخواتهم).

(٢) فِضِيْل: وأَولَاده هم (علي وعَبَّاس الْشَّهِيْر بالمدير وحَلِيْمَة وعاجبة) وأمهم مَدِينَة مُحَمَّد مَنْصُور دريدمة ولعلي فِضِيْل ولد وَاحِد هو فِضِيْل الْشَّهِيْر بالكَرَم والشهامة والمروءة وبحاتم دار جعل والذي سارت الركبان بجوده وكرمه ونخوته وأَولَاد عَبَّاس فِضِيْل هم (مُحَمَّد وَحَمَد وسيدة زوجة أبو النور بن رحمة الله حميدان الخُدْرابي الشعدينابي ومَدِينَة زوجة عوض محمد طه زروق من الشايقية) وأمهم الست بِنْت جَاد الله مُحَمَّد فِضِيْل).

(٣) حسن: وأَولَاده هم (علي ومُحَمَّد) أمهما آمِنَة بِنْت حَمَد من الكَبُّوْشَاب أولاد عبد العال بن عرمان الجعلي وأَولَاد علي هم (قَسْم الله وأَحْمَد أشقاء أمهما آمِنَة مُحَمَّد عبد الرَّحمن كَنْتُوْش العامرابي الشعدينابي وحسن وعمر والعاقب ومَدِينَة واحسان وأم ريد أشقاء أمهم مكَّة مُحَمَّد زَيْن من الجَادَاب الجعافرة) وأَولَاد مُحَمَّد أمهم السارة مُحَمَّد الأصيل وهُم (التَّوم والخَضِر وفَاطِمَة وَالِدَة عَاشْمِيْق عطا بالقَضَارِف ومُحَمَّد أحمَد علي حَسَن بالمَوْرَدَة وخَدِيْجَة زوجة التَّوم العُبَيْد بالحنيوة بالجُبَارَاب وحسينية وَالِدَة عَبَّاس بَشِير عَاشْمِيْق بالقَضَارِف والجَعَلِيّ ومُحَمَّد أحمَد عُثمَان عجب).



(التوم محمد حسن فضيل (التوم الأحمر)

(٤) أم حسين احمد فضيل: وهي جدة الشخيباب العامراب الشعديناب والطاهاب الحسيناب الشعديناب وأنجبت آمنة محمد الجنيد والدة أبناء القاضي الفكي محمد رحمة الله شخيب وهم ١- بابكر: الشاعر الفحل والشهير بالبركة وود شخيب وأبناؤه هم (الأَمِيْن، وعبد الله، والعَوَض، ومُحَمَّد المُصطَفَى، والزَّيْن، وزَيْنَب الْشَهِيرَة ببِنْت البَرَكَة) ٢- علي: وأولاده هم

احمد الشهير بقدور ومحمد علي الشهير بالقق والصادق وبَخِيْتَة أُمّ أَولَاد الأَمِيْن بَابِكِرْ شِخِيْب، وأَمَّ الحَسَـن وَالِدَة الشَّـاعر والفَنَّان/ مُحَمَّد عِمَارَة جَاد، وأم الحُسَـيْن وَالِدَة الفَنَّان/ أَحمَد الأَمِيْن هَسَـــايْ، ٣ـ رحمة الله : وهو والد والضُــــمَيْرْ/ وَالِدَة المَرحُوم/ رَحَمْة الله حَمَد الكُوْد، وأَخِيه لأمِّه، أَحمَد عبد الرَّحمن المُدني، وشَـقِيقَتِه/ بَخِيْتَة عبد الرَّحمن المُدني، (مَدَنِية) أَمّ أَولَاد مُحَمَّد عَلِى شخيب (القَقْ).

أحمد حجازي عاشميق

اشتهر المرحوم الجد أحمد حجازي عاشميق، رحمه الله، بالكرم الواسع وحسن الضيافة، وكذلك كان والده حجازي شهيراً بالكرم؛ وله ديوان كبير بالجباراب شمال (أم بوري)، تمت اعادة تشييده على طراز جميل، وهو مفتوح دوماً للأهل والمعارف والضيوف وعابري السبيل، ولاستقبال المناسبات المختلفة، كما هو ملتقى الأهل للأنس ومناقشة قضايا القرية، ويجدون فيه حسن الاستقبال وكرم الضيافة الأصيل، وأسرة الجد أحمد حجازي وزوجته الخالة الشروق محمد حمزة عاشميق وأبناؤه وبناته كرام كذلك، وأهل كرم وضيافة.

توفي الجد احمد حجازي صبيحة الجمعة (٢٠١٩/٠٨/٠٣م) الموافق (١٤٤٠/١٢/٠١هـ) بعد معاناة طويلة مع المرض المقعد والمكفر للذنوب بإذنه تعالى، وكان فقده كبيراً وعظيماً على الأهل والمعارف والمنطقة عموماً، رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وجعل البركة في أبنائه وبناته وذريته وعامة أهله وأحبابه.



(المرحوم أحمد حجازي عاشميق)

الفضيلاب بأم درمان

(فضيلاب الحوش)

الفضيلاب بأم درمان (فضيلاب الحوش) هم أبناء (علي محمد فِضِيْل بن عبد العليم بن الحَاج قُرَشِيْ بن مُحَمَّد بن الشَّيْخ حُسَيْن بن حَمَد بن سعدون بن عبد الرَّسُول بن شَاعَ الدِّيْن بن عَرْمَان الجَعَلِيّ الْعَبَّاسي) وتوفي علي محمد فِضِيْل سنة بأم درمان١٩١٧م.

قصة نزوح الفضيلاب الى أم درمان

رواية الجد محمد حمزة عاشميق:

يقول عميد الفضيلاب الجد محمد حمزة عاشميق الشهير بالأنصاري، المولود سنة ١٩٠٥م تقريباً والذي يبلغ عمره اليوم (٢٠٢١م) - (١٤٤٢هـ) حوالي (١١٥) سنة تقريباً، أنه لا يعرف متى هاجر الفضيلاب لأم درمان. يؤكد أنه منذ أن وجد بقرية الجباراب بالدَّامر وجد ان الفضيلاب يقيمون بأم درمان، مما يعني أنهم نزحوا إليها قبل أكثر من مائة سنة، أي في فترة المهدية تقريباً، واستقروا بحوشهم الشهير بمنطقة أبي عنجة بالموردة حي الضباط.
وتقول رواية كبار فضيلاب أم درمان والتي دونها منهم حفيدهم العارف بأنساب وأرحام وتاريخ أهله دكتور عمر حسن العبد احمد فضيل إن فضيلاب أم درمان ومعهم أبناء عمومتهم الحسيناب أولاد الجِرق وأولاد الحُوري وأولاد الرَيدة هاجروا من الدامر (منطقتي الحصايا والجباراب) إلى أم درمان قبل الثورة المهدية وخلالها في رواية أخرى.

كان رحمة الله بن حميدان الخُدْرابي الشعدينابي وأخوته ومنهم جاد الله، هم أول من هاجر من الشعديناب بالدامر الى الخرطوم في بداية عهد التركية السابقة، واستقروا في بداية امرهم بجهة ميدان أبو جنزير بالخرطوم، ثم هجروا الخرطوم واستقروا في أم درمان بعد أن اتخذها الامام المهدي عاصمة له، ثم لحق بهم الفضيلاب وأبناء عمومتهم الحسيناب وآل عباس رحمة الله منصور الشعدينابي بعد ذلك.

ونرجح أن هجرة أولاد حميدان الخُدْراب الى الخرطوم في التركية ثم أم درمان فيما بعد كانت من منطقة أَرْبَاب شـمال قرية الجباراب جنوب الدامر حيث كان الخُدْراب والفضـيلاب وأولاد ربيق والمناصير الشعديناب يقيمون بها.

أولاد حميدان الخُدُراب الشعديناب الجعليين:

هو حِميدان بن عَلى بن ادريس بن محمد بن حمد بن عبد الله بن ادريس بن أبو القاسم بن علي المُضَـوّيْ بن مُحَمَّد الفَقِيْه بن أبو خُدُر بن قَمَرَ الدين بن أحمَد سُـوْلَقِنْ بن شَـاعَ الدِّيْن بن عَرْمَان الجَعَلِيّ الْعَبَّاسي.

واضـافة الى أم درمان يقيم أبناء وذرية حميدان بمدينة العيلفون جنوب الخرطوم وود الزاكي ويعرفون هناك بالجعليون والشعديناب.

وأولاد حميدان هم: (جاد الله ورحمة الله ومدينة وعنولة وحبوبة).

(١) جاد الله تزوج امرأة من العيلفون وأولاده هم (عثمان وبخيت ورحمة وفاطمة). وأولاد عثمان من زوجته نقورة عبد الله ادريس هم (أبو زيد وعبد الرحمن والتاية وسـيدة وآمنة). وأبناء بخيت هم (محمد وجاد الله والجلد وآمنة) وتزوج حمد عباس فضـيل من خدوم بنت الجلد بخيت جاد الله وأنجب منها (عبد المنعم وعبد الحليم وعبد الحفيظ وعمر) وتزوج رحمة حميدان امرأة من العيلفون وأولاده هم (محمود وعباس ومبارك وحسن ومصطفى وأم قوت وأم بلة والدة عزيزة ام محمد حسـن حمادة وشـاع الدين وعوضـية أولاد عبد الله ادريس الخُدْرابي الشعدينابي).
(٢) رحمة الله حميدان الشهير بـ (أب بلة) تزوج امرأة من أم دوم اسمها النايرة وأنجب منها (علي واحمد وأبو النور والشول وفاطمة وست البنات ودرويشة). أما ابنه علي فليس له ذرية أما احمد فتزوج امرأة من أم دوم وله من الأبناء (أب بلة وسـت الكل). وتزوج نورة بنت التومة بنت العمدة عباس رحمة الله وأنجب منها (علوية) أما أبو النور فتزوج امرأة من شبشة وأنجب منها (علي) وتزوج سيدة عباس فضيل وتم ذكر أبنائه منها.
أما الشـول رحمة الله فتزوجها ابن عمتها علي ادريس وأنجب منها (مدينة وزينب والدَهَتِن) ومدينة تزوجها العمدة عباس رحمة الله وأنجب منها (إبراهيم ومنصور وكلثوم ونور والحاجة ورقية ونفيسة). وزينب تزوجت خلف الله عباس رحمة الله وله منها (محمد وعبد الله وحسن وبتول وسـتنا وبخيتة). الدَهَتِن تزوجت سـعد على التوم من الجابراب الجعليين ولها منه (التجاني وزهراء) وفاطمة تزوجت ابراهيم عبد المنعم الطيار ولها من الأبناء (بدر وعبد الصمد وعبد الرازق وعبد القادر وعبد العزيز وعبد الحافظ وسكينة). وست البنات رحمة الله تزوجها احمد علي فضيل وله منه (العبد وأم نعيم) أما درويشة فأحفادها بالجزيرة مدني.

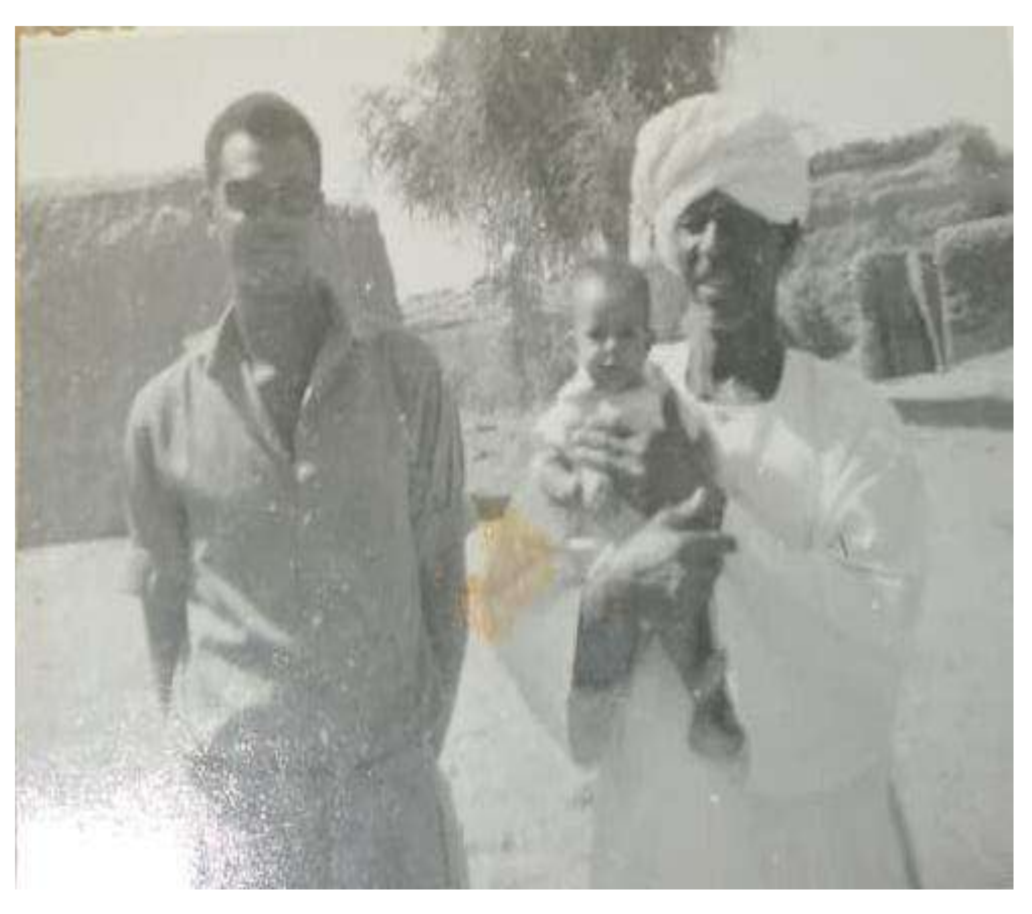
(٣) عنولة حميدان تزوجها ادريس ولها من الأبناء (علي وعبد الله وفاطمة) وتزوج علي بنت خاله الشـــول رحمة الله وله منها (مدينة وزينب والدهتن) وتزوج عبد الله ادريس بنت حسن وله منها (محمد ونقورة وبتول).

محمد تزوج من آل شـــبيكة الرباطاب الجعليين وله من الأبناء (حســـن) والذي تزوج عزيزة وأنجب منها (التوم وعواطف والتومة وخديجة) وتزوج عزيزة بنت أم بلة رحمة جاد الله وله منها (محمد (حمادة) وشـــاع الدين وعوضـــية). وتزوجت نقورة عثمان جاد الله المتقدم ذكره. وتزوجت بتول احمد الحاج ولها من الأبناء (حنان وعائشـــة وآسـيا التي تزوجها عبد الصـمد عبد المنعم وله منها (عبد المنعم ومحمد) وبعد وفاته تزوجها عباس فضـــيل الشـــهير بالمدير وليس لها منها أبناء. أما حنان وعائشة فليس لهما ذرية.

فاطمة ادريس تزوجت العوض ولها بنت اسمها كباشية تزوجت عبد الله موسى من الجابراب الجعليين وله منها (محمد واحمد ومبارك وموسى وعمر وحاجة...)

(٤) مدينة حميدان وأولادها هم (عائشة ومحمد نور وعلي).

(٥) حبوبة حميدان أنجبت حليمة أم أبناء علي محمد فضـــيل (فضـــيلاب أم درمان والحوش) (حسن واحمد وجاد الله والطيب ومدينة وعاجبة).
أما مدينة علي محمد فضـيل تزوجت احمد أبو كليب وله منها بنت تسـمى فاطمة تزوجت ابن عمها عبد الله محمد فضـيل وله منها (محمد عثمان وحسـن ومبارك). أما عاجبة محمد فضـيل فليس لها ذرية.



(أبو النور رحمة الله حميدان الخُدرابي الشعدينابي زوج سيدة عباس فضيل وابنه علي-
الصورة سنة ١٩٦٧م)

استقرار الفضيلاب بأم درمان:

وبعد استقرار أولاد حميدان الخدراب بأم درمان لحق بهم الفضيلاب وأبناء عمومتهم الحسيناب أولاد الجرق وأولاد الحوري وأولاد الريدة، وآل عباس رحمة الله من المناصير الشعديناب وذلك قبل الثورة المهدية، واستقروا في بداية أمرهم بحي الشيخ (بُرْ أبو البتول)، والذي يقع بين المجلس الوطني ومسجد النيلين اليوم.

والشيخ بُرْ أبو البتول هو صالح من شيوخ المحس أهل توتي، وسكن هذا المكان منذ زمن بعيد يرجع إلى العهد التركي. ومن قبله سكنه حمد ود أم مريوم (تصغير مريم) بعد خلافه الشهير مع الشيخ خوجلي أبو الجاز عظيم توتي، كما كان المجتمع يسميه. وكانت لبُر أبو البتول مقابر دارسة لبعض أهالي الموردة وبانت وبعض أهالي الفتيحاب والزنارخة وغيرهم، ومكانها المجلس الوطني اليوم ([٧٤]). أما مكان قصر الشباب والأطفال اليوم فقد كان عبارة عن مقبرة.

شجاعة الفضيلاب:

بعد استقرارهم بأم درمان عمل الحسيناب ومن بينهم الفضيلاب في صيد الأسماك والتماسيح، وكانوا يتابعون حركة التماسيح خارج أم درمان والخرطوم الى جهات الدويم وشبشة وغيرها، وكان كثير من سكان تلك المناطق يعجبون بشجاعتهم في صيد التماسيح ويزوجونهم من بناتهم. لذا فقد تفرعت صلاتهم وتعددت في كثير من القبائل والأسر بتلك المناطق وغيرها.

٧٤- بيت البكا، الطيب محمد الطيب، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م، ص ٤٦.

تفصيل أنساب وأرحام الفضيلاب بأم درمان

أنجب علي مُحَمَّد فِضِيْل جد فضيلاب أم درمان :(حسن واحمد وجاد الله والطيب ومدينة وعاجبة وفاطمة)، ووالدتهم جميعاً هي حليمة بنت حبوبة بنت حميدان بن على بن ادريس بن محمد بن حمد بن عبد الله بن ادريس بن أبو القاسم بن علي المُضَوّيْ بن مُحَمَّد الفَقِيْه أبو خدر بن قَمَرَ بن أحمَد سُوْلَقِنْ بن شَاعَ الدِّيْن بن عَرْمَان الجَعَلِيّ الْعَبَّاسي، وهي من الخُدراب الشعديناب والخدراب هم أبناء عمومة القرباب الشعديناب بالحصايا جنوب الدامر يلتقون معهم في الجد (قمر الدين) بن احمد سولقن بن شاع الدين بن عرمان الجعلي العباسي.

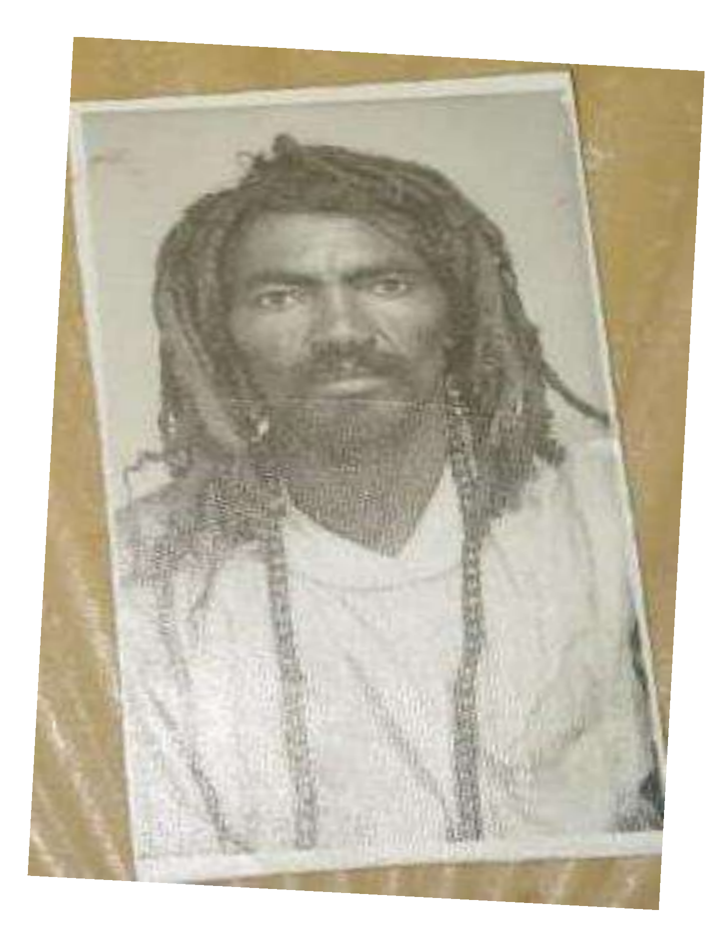
وقد دون الأستاذ أزهري عوض التوم الجرق جزاه الله خيراً تفاصيل أجداد وآباء وأبناء وذريات الشعديناب والحسيناب بأم درمان ومن ضمنهم الفضلاب حتى الجيل الحالي بكتابه القيم (الجعليون عموماً الشعديناب خصوصاً) ([٧٥]).

أبناء وذرية علي مُحَمَّد فِضِيْل

(جَاد الله وحسن والطيب واحمد ومدينة وفاطمة وعاجبة)

(١) أَولَاد جَاد الله: (توفي بالجباراب بالدامر ودفن بها سنة ١٩٣٦م: تزوج فاطمة حمزة عاشميق احمد فضيل وأولاده منها هم (١- مُحَمَّد زَيْن وله بنت واحدة هي إكرام أم أولاد ختم قسم الله علي حسن وعبد الله (توفي شاباً ولا ذرية له) ٢- التاية وَالِدَة أَولَاد قَسْم الله على حَسَن الكبار عثمان وختم وآمنة وسميرة وعفاف) ٣- بلولة وَالِدَة صديق وزَيْنَب أبناء إِبْرَاهِيْم مُحَمَّد حَمْزَة عَاشْمِيْق. وتزوج جاد الله مدينة حمد عطا فضيل وأنجب منها (١- حَلِيْمَة وَالِدَة أَولَاد جِبرِيْل حَسَن ببانت (علي وجاد الله ورابحة (فترنا) وبتول وفاطمة وسيدة وعجوبة) ٢- الست أم أَولَاد عَبَّاس فِضِيْل (مُحَمَّد وَحَمَد ومَدِينَة أم أولاد عوض محمد طه زروق عاطف ومعتز وحنان ومنال وسيدة أم أولاد أبو النور الخدرابي الشعدينابي بشبشة بالدويم: رحمة الله وأبو القاسم وأمل وأماني وتهاني).

٧٥- الجعليون عموماً ، الشعديناب خصوصاً ، أزهري عوض التوم الجرق.



(المرحوم / محمد زين جاد الله الشهير بـ (الزين أب شعر) أم درمان الموردة ـ ١٩٦٢م)



(حليمة جاد الله علي محمد فضيل مع حفيدها ابن بنتها (فاطمة) برعي عباس بدوي عاشميق والصورة بمناسبة ختانه - أم درمان)

(٢) أَولَاد حَسَـن: (توفي بأم درمان سـنة ١٩٤٦م) تزوج حليمة وأولاده منها هم (١- جِبرِيْل وتم شرح أبنائه أعلاه ٢-َحَمَد حَسَن فِضِيْل وأَولَاده عَوَض وبدر الدِّين و صَالِحة وحبوبة ٣- فِضِيْل حَسَن وأَولَاده هم الشَّيْخ وَحَمَد و سيف الدِّين وعبد الصمد (أب زوفة) وعرفة وأم نَعِيْم ٤-عَائِشَة حَسَن فِضِيْل وَالِدَة شامة وحَلِيْمَة عَوَض الطيب فضيل ٥-آمِنَة حَسَن فضيل أم أَولَاد العبد أحمَد علي فِضِيْل ٦- فاطمة حسن فضيل لا ذرية لها.



(المرحوم حمد حسن فضيل أم درمان الموردة - ١٩٦٧م)

(٣) أَولَاد الطَّيِّب: (توفي بأم درمان سنة ١٩٥٠م) تزوج خديجة من أولاد الحوري الحسيناب بأم درمان وأنجب منها (١- عوض والد شامة وحليمة ٢- حكم السَّيِّد وَالِدَة أَولَاد الجندي) وتزوج آمنة بنت العمدة عباس رحمة الله وأولاده منها هم: (١- حَمْزَة ٢- الخَيْر ٣- بثينة ٤- بِتْ المِنَىْ وَالِدَة أَولَاد سَعَد على التَّوم ٥- مسك وَالِدَة أَولَاد مُحَمَّد عَبَّاس فِضِيْل ٦- ست الكل وَالِدَة أَولَاد فِضِيْل حَسَن ٧- أَمَّ الحَسَن الْشَهِيرَة بـ (حمراء) وَالِدَة أَولَاد مُحَمَّد أحمَد على حَسَن ٨- أم الحُسَيْن الْشَهِيرَة بـ (زرقاء) وَالِدَة أَولَاد كمال وهدان.



(المرحوم حمزة الطيب فضيل في شبابه - القاهرة - ١٩٤٦م)



(المرحوم / الخير الطيب فضيل - أم درمان الموردة)

(٤) أَولَاد أحمَد: (توفي بأم درمان سنة ١٩٦٣م): تزوج ست البنات رحمة الله حميدان من الخدراب الشعديناب بأم درمان وأنجب منها هم: ١- العبد وَالِد حَسَن ومَدِينَة والعينة ٢- أم نَعِيْم وَالِدَة أَولَاد حَمَد فِضِيْل) وتزوج ست الناس خلف الله عباس رحمة الله شقيق العمدة عباس رحمة الله وأنجب منها (كتيرة أم أَولَاد مَحْمُود مُحَمَّد الزُّبَيْر الإنقيريابي هداف فريق الموردة الشهير وآل محمد الزبير من منطقة الباوقة غرب بربر.



(المرحوم / العبد احمد فضيل أم درمان الموردة - ١٩٦٧م)

(٥) أَولَاد مدينة: تزوجت احمد أبو كليب وله منها بنت تسمى فاطمة تزوجت ابن عمها عبد الله محمد فضيل وله منها (محمد عثمان وحسن ومبارك) وأبناؤها هم (١-عبد الله ٢-علي ٣-مدينة ٤- القوت ٥- مسك الجنة ومنهم: مبارك وَالِد (د. زهير ومولانا أحمَد ومُحَمَّد وعَبدَ المُنعِم والحاج وأخواتهم) وحسن عبد الله فِضِيْل وَالِد (الحَاج وحَيْدَر وأخواتهم) وعَوَض عبد الله فِضِيْل وَالِد الفاتح. وأَولَاد عبد الله فِضِيْل حسيناب شعديناب وأبناء عمومة الفضيلاب وهم أبناء محمد فضيل بن التوم بن الشرعي بن عبد الغني بن حَمَّد بن الشَّيْخ حُسَيْن بن حَمَد بن سعدون بن عبد الرَّسُول بن شَاعَ الدِّيْن بن عَرْمَان الجَعَلِيّ الْعَبَّاسي.

(٦) فاطمة تزوجها مصطفى فرح أبو سنيط الشعدينابي وله منها محمد أبو سنيط فقط حيث توفت بعد ولادته وقامت برعايته خالته عائشة حسن ويقطن آل أبو سنيط بمنطقة ود الزاكي على النيل الأبيض والتي أسسها الشعديناب والجباراب ومنهم شاعر الحلمنتيش المعروف الأمين حسن العبد الشهير بالمستعرب الخلوي.

(٧) عاجبة: لا ذرية لها.

أولاد محمد زين محمد فضيل:

وهو أخ علي محمد فضيل جد فضلاب أم درمان ويبدو انه لم يهاجر لأم درمان مع أخيه علي وبقي بالجباراب وكان يتابع شؤون وأرضي إخوته وتوفي بها ودفن وأبناؤه هم:

(١) الخير والد آمنة أم أولاد الخضر حسن فضيل بالجباراب وهم محمد وبنات أم أولاد الشم علي فضل الله وفاطمة أم أولاد احمد حجازي علي والحاج والعوض ومدينة. (٢) مراد الله محمد زين: توفيت سنة ١٩٦٥م وهي والدة أبناء الفضل الطيب بمنطقة التِميراب غرب الدامر (احمد وفاطمة ومدينة) (٣) عامرة محمد زين: وهي أم أولاد عبد المجيد جيب الله (خضر ومحمد) بقرية البسلي بنهر عطبرة وهم جعليون عبدايماب ذرية الملك عدلان بن عرمان الجعلي.

حوش الفضيلاب بأم درمان (القتال الإنجليزي)

حوش الكرم والنفاج المفتوح

بعد سقوط الدولة المهدية في معركة كرري سنة ١٨٩٨م، قامت السلطات الإنجليزية سنة ١٩٠٢م بترحيل الفضيلاب وأبناء عمومتهم أولاد الجرق وأولاد الحوري والخدراب وأولاد ربيق وأولاد الريدة من حي بر أبو البتول، وأنشأت كمندانية بهذا الحي، وأقام الفضيلاب وأولاد حميدان بحوشهم الحالي بحي الضباط جهة خور أبو عنجة بالموردة. أما آل الجرق وآل الحوري فقد أقاموا إلى الشمال منهم. وأقام أولاد حاج الريدة بالفتيحاب قرب النيل الأبيض. ويوجد لوحة قديمة بجامع بر أبو البتول بعد اعادة انشائه تشير لتاريخ نقله وتأسيسه مرة أخرى.

يقع حوش الفضيلاب بمدينة أم درمان حي الضباط بالموردة غرب خور أبي عنجة تحديداً. وهو عبارة عن مربوع سكني كبير مساحته حوالي٤٠٠ متر٢ ومسجل باسم جدهم علي محمد فضيل بالرقم (٣/٤/١٧٢٧)، ويعتبر من أعرق الحيشان بتلك المدينة. وبصورة عامة يقع الحوش الى الشمال الغربي من المجلس الوطني وقصر الشباب والأطفال ومسجد النيلين ومدرسة المؤتمر الثانوية وجامعة القرآن الكريم، والتي تقع جميعها في منطقة بر أبو البتول مقر الفضيلاب الأول في عصر المهدية. ويحده من الشرق شارع الموردة وميدان يؤدي إلى خور أبو عنجة، ومن الغرب شارع الأربعين وتحديداً (منزل علي ادريس الخُدْرابي الشعدينابي)، ومن الشمال منزل أخيه عبد الله ادريس، ومن الجنوب ميدان فريق قلب الأسد الرياضي.

واضافة الى الفضيلاب يسكن الحوش مجموعة من الأسر الجعلية التي تربطها بهم علاقات رحم ومصاهرات قوية، ومنهم آل العمدة عباس رحمة الله وآل التجاني سعد من الجعليين الجابراب، وآل رحمة الله حميدان الخدراب الشعديناب. وتقيم هذه الأسر في بيوت منفصلة، ولكنها مفتوحة على بعضها بنفاجات تربطها، بحيث يمكن لأي شخص دخول الحوش من الغرب والخروج من الشرق والعكس.

والنفاج هو باب صغير في الحائط الذي يفصل بين جارين أو بيتين متجاورين ([٧٦]). إذ كان من العرف أن يكون لساكن تلك الأحياء نفاجاً بينه وبين جاره من الناحية اليمنى وآخر بينه وبين جاره من الناحية اليسرى وثالث بينه وبين جاره الخلفي، وهدف النفاج هو تسهيل التواصل

٧٦- من نافذة القطار د. عبد الله الطيب ص ٣٤.

بين سكان الحيشان خاصة النساء ([٧٧]). وهذه النفاجات شهيرة في أحياء أم درمان وفيها دلالة على سماحة السودانيين وترابطهم وتكافلهم ووحدتهم. وكان باب الحوش مصنوع من حطب السنط كما هو حال غالب الأبواب في أم درمان في ذلك الوقت. وبالجانب الغربي من الحوش كانت هناك بئر، يشرب منها ساكنو الحوش وسكان المنطقة.

ويعتبر حوش الفضيلاب نموذج فريد للوحدة والاتفاق التام بين الأهل، فسكانه يعتبرون أنفسهم أسرة واحدة رجالاً ونساء، ويخضعون لإدارة عميد الحوش والذي هو أكبرهم سناً، حيث يكون مسؤولاً مسؤولية تامة عن ادارة الحوش والحفاظ على استقراره ووحدة أهله وعدم تفرقهم، وتودع لديه الأموال التي تجنى من العمل في صيد الأسماك برضاء تام، وهي أموال كثيرة جداً في ذلك الوقت، ويقوم هو بالصرف منها على ساكني الحوش وضيوفهم من أكل وكسوة وزواج وغيرها، كما يقوم بحل المشاكل والخلافات.

ومن كرمهم الواسع لم يكن الفضيلاب يدخرون شيئاً من المال أو يستثمرونه في شراء العقار أو غيره، بل يصرفون كل ما يجمعون من مال على الحوش واكرام ضيوفه. ويقال إن الحاكم الانجليزي وقتها كان يأتي لعميد الفضيلاب احمد علي فضيل، ويقول له ان أبنائك كثيرون وأرغب في أن أعطيك قطع أرض لتبني لهم بيوت، فكان يقول له (البيت بيت الآخرة) ويطلب من أبناء الحوش الدخول الى الغرف خوفاً من أن يصيبهم الانجليزي بالعين!

ومن أشهر عمداء الحوش احمد علي فضيل وجبريل حسن والعبد احمد فضيل والخير الطيب فضيل. وكان مطبخ الحوش واحداً ومائدة الطعام واحدة للرجال وضيوفهم وللنساء والأطفال، وتقوم كبيرة الحوش من النساء بالأشراف على المطبخ وتأمين احتياجاته وأشهرهن في هذا المجال الحاجة عائشة حسن فضيل الشهيرة بالكرم والشجاعة. وكان الحوش يمتلئ على مدار السنة بالعاملين معهم في صيد الأسماك، وبالضيوف والطلاب والموظفين من أهلهم بالدامر وغيرهم.

كان بالحوش حوالي (٣٠) عنقريباً مخصصة للضيوف وتوضع ليلاً في الباحة جنوب غرب الحوش، وبسبب كثرة سكان وضيوف الحوش وعابري السبيل كان الشاي يصنع في صفيحة كبيرة جداً. والعنقريب كلمة من اللهجة السودانية تعنى سرير مصنوع من خشب

٧٧- أقباط السودان: الماضي والحاضر، أ.د سعد محمد احمد سليمان، ص ٣٨٤.

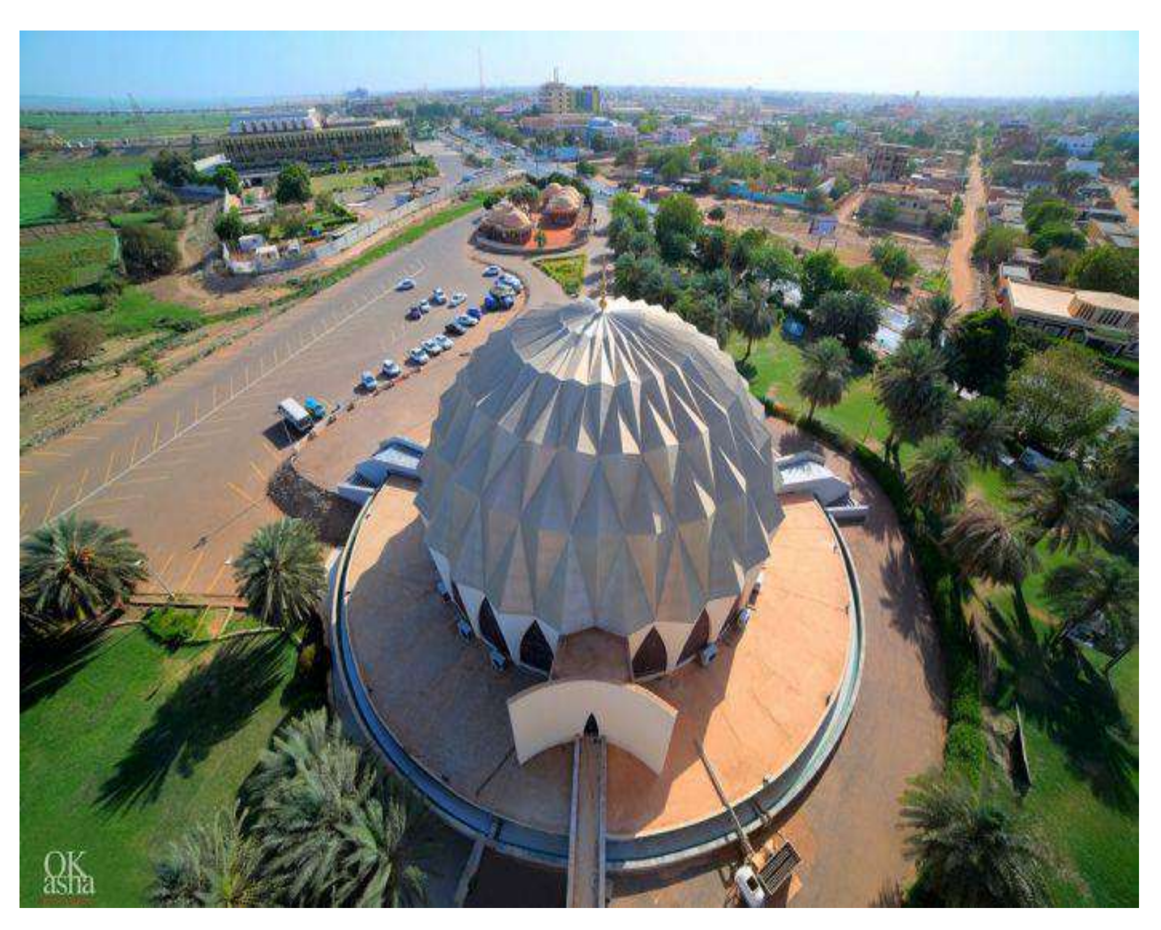
اشجار السنط ومنسوج بطريقة فنية بالحبال وأصبحت تنسج بالبلاستيك والنايلون حاليًا. تكثر صناعته في الولاية الشمالية ويوجد غالباً في بناء تقليدي سوداني يسمى الراكوبة (٧٨) .

وكان كل من يأتي الى أم درمان من الأهل والمعارف لابد أن ينزل بداية أو يستقر بحوش الفضـيلاب، ولذلك أطلق عليه ابن الفضـيلاب المثقف الراحل/ علي جبريل حسـن فضـيل (القنال الإنجليزي) (English Channel) وهو ممر مائي بين إنجلترا وفرنسـا ويربط بحر الشـمال بالمحيط الأطلسـي وهو من أكثر الممرات المائية ازدحامًا بحركة البواخر في العالم، حيث يمخر عبابه ما يزيد عن ٦٠٠ مركبة وسـفينة بحرية كل يوم، وذلك عبر مضـيق دوفر حيث تنقل المعديات والحوامات المائية المسـافرين والسـيارات من إنجلترا عبر القنال إلى فرنسا.

ومن أشهر الذين أقاموا بهذا الحوش الكبير والعريق الفنان الشهير بابكر ود السافل، (أَيْ الشَّمَال) (٧٩). والاعلامي والشاعر الشهير الأستاذ السر احمد قدور كما أقام به الأستاذ محمد الحاج احمد الحسن الشهير بود الأصيلة والذي حضر لأم درمان سنة ١٩٦٠م وعمل في مطابع الشرق الأوسط برفقة جاد الله جبريل حسن فضيل، وهو يحتفظ بصور فوتوغرافية قديمة جداً لكبار الفضيلاب بأم درمان على اختلاف مراحل أعمارهم، وقد زودنا مشكوراً ببعض من هذه الصور وبمعلومات هامة عن الفضيلاب نشرت بهذا الكتاب.

٧٨- ويكيبيديا - شبكة الانترنت.

٧٩- قَامُوس اللَّهْجة العَامِيَّة في السُّودَان، د. عَوْن الشَّرِيْف قَاسِم، ص ٥٦٩.



(صورة جوية لشارع الموردة بأم درمان والذي يقسم حي الموردة إلى نصفين شرق وغرب ويقع حوش الفضيلاب الى الشمال الغربي من مسجد النيلين)



(الأستاذ الاعلامي والشاعر الشهير السر أحمد قدور أحد أشهر من أقاموا بحوش الفضيلاب في مسامرة لطيفة مع ابن عمه وخاله المؤلف عبد الباقي الطيب - الخرطوم - فندق كانون- ٢٠١٢م)



(جانب من حوش الفضيلاب)

عَمِيْد الفِضِيْلاب

مُحَمَّد حَمْزَة عَاشْمِيْق

هو خال المرحوم فضيل شقيق والدته عائشة حمزة عاشميق الشهيرة بـ (أُم شَرَفْ)، وعميد عشيرة الفضيلاب الحسيناب بالجباراب وأم درمان اليوم. ونسبه هو (مُحَمَّد الْشَّهِيْر بالأَنْصَارِي بن حَمْزَة بن عَاشْمِيْق بن أحمَد بن فِضِيْل بن عبد العليم بن الحَاج قُرَشِيْ بن مُحَمَّد بن الشَّيْخ حُسَيْن بن حَمَد بن سعدون بن عبد الرَّسُول بن شَاعَ الدِّيْن بن عَرْمَان الجَعَلِيّ الْعَبَّاسي). وَالِدَته هي الزَمَلو بِنْت علي عوني من المَكَابْرَاب الجعليين العَرَامْنَة بِمِنْطَقَة وهيب غَرب الزِّيْدَاب ووَالِدَة الزملو هي مقوت بِنْت الحمراني الجعلية المَكَابْرَابيّة، والانصاري هو جد المُؤَلِّف وَالِد أمه.

ولد الأنصاري محمد حمزة سنة ١٩٠٩م. ويقيم بحلة الجاداب شرق الجباراب. عرف الأنصاري محمد حمزة بالتقوى والخلق الحسن والبساطة والكرم، والاقتداء بسنة رسول الله (ﷺ) في الحياة. وهو من كبار ومشاهير أنصار الإمام المهدي بالمنطقة. ومن المحافظين على تلاوة القرآن الكريم وراتب الإمام المهدي والصلوات الخمس جماعة. وقد زاره بمنزله إمام الأنصار بالسودان ورئيس حزب الأمة القومي الراحل السيد الصادق المهدي في جميع زياراته لولاية نهر النيل.

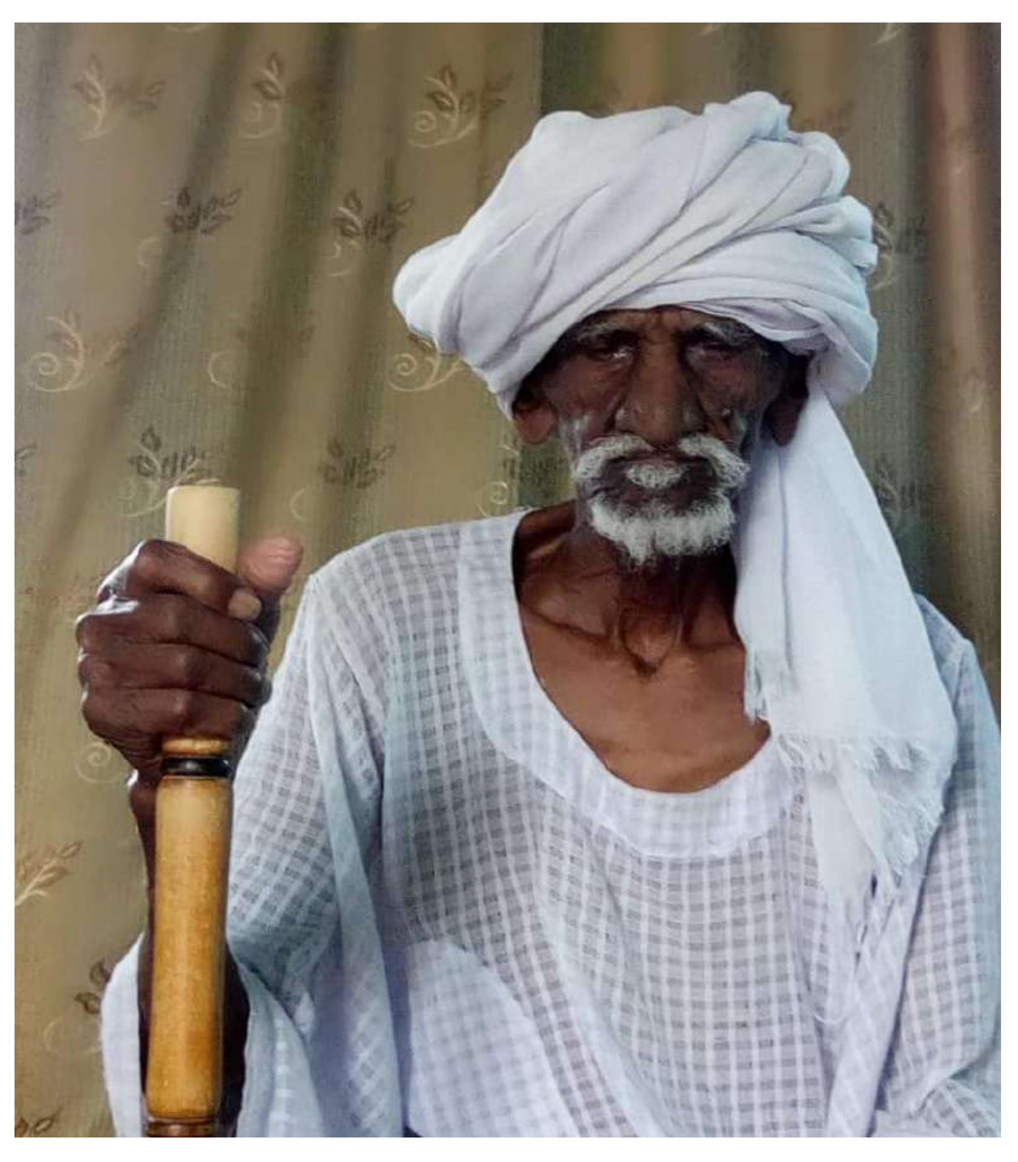
أبناؤه وبناته وذريته:

تزوَّج مُحَمَّد حَمْزَة البُرَاق بِنْت الشَّيْخ بن عَبَّاس بن عُبَيْد الله بن مُرْتَضَى بن الفَكِيْ الحَاج بَخِيْت بن الفَقِيْه علي بن مُحَمَّد المنتهي نسَبه بسيُّدنا الحُسَيْن بن عَلِي بْن أَبِي طَالِب من فَاطِمَة الزَّهْرَاء بِنْت رَسُولُ الله (ﷺ) وبراق هِذِه أَسَمَّاهَا أبوها على جدته براق بِنْت عبد الله رَاجِل دَرُوْ بن مُحَمَّد بن عِيسَى بن قِنْدِيْل بن حَمَد بن عبْد العَال جد المَجَاذِيْب أولَاد عبْد العَال بن عَرْمَان الجَعَلِيّ بالْدَّامَر والَّتي هي وَالِدَة الحَاج بَخِيْت بن علي جد البَخِيْتَاب الأَشْرَاف بالجُبَارَاب جَنوب.

أنجب مُحَمَّد حَمْزَة من البُرَاق الشَّيْخ عَبَّاس كلّ من (إبْرَاهِيْم والمرحوم حَمْزَة بالقَضَارِف وحُسَيْن والشَّيْخ والسَّيِّد (عبد الرَّحمن) بحِلَّة الجَادَاب بشَرْق الجُبَارَاب وعَبد الوَهَاب بالفاو وأَمَّ الحَسَن - أم المُؤَلِّف (توأم أخيها حسين) وزوجة المَرحُوم الطَّيِّب علي مُحَمَّد كَنْتُوْش بأُمْ بُوْرِيْ بالجُبَارَاب شَمال وآمِنَة زوجة المَرحُوم فِضِيْل علي فِضِيْل بالشقلة بشَرْق بالفِتِيْحَاب بأُمْ دُرْمَان والزملو الْشَهِيرَة بـ (بت علي) زوجة المَرحُوم عَاشْمِيْق عطا حَمْزَة بالقَضَارِف والَّتي سَمَّاهَا

والدها على وَالِدَته الزملو على عوني والمَرحُومَة فَاطِمَة زوجة مُحَمَّد صَالِح عُثمَان بأُمْ بُوْرِيْ بالجُبَارَاب والَّتي سَمَّاهَا والدها على جدته فَاطِمَة بِنْت عبيد وَدْ حَسَن الشَّعَدِّينابي والمَرحُومَة طَيْبَة زوجة المَرحُوم الحسن العَوَض أواد بالجَادَاب بالجُبَارَاب والشروق زوجة أحمَد حجازي عَاشْمِيْق بأُمْ بُوْرِيْ بالجُبَارَاب.

وتزوَّج كذَلكَ فَاطِمَة عِمَارَة مُحَمَّد علي جَاد من الجَادَاب الجعافرة الأَشْرَاف بحِلَّة الجَادَاب وأَنجَب مِنهَا التوأم شمس الدِّين والمرحوم بدر الدِّين ومِن البنات النِّعْمَة وأميمة زوجة إِسْمَاعِيْل عبد القيوم وسمية زوجة بَابِكِرْ مُحَمَّد الخَضِر حَسَن وسميرة زوجة عبد المَحْمُود أحمَد بانتور.



عميد الفضيلاب (محمد حمزة عاشميق الشهير بالأنصاري، بمنزله بحلة الجاداب شرق الجباراب جنوب الدَّامر ٢٠١٨م)

عباس بدوي عاشميق

وهو من مشاهير الفضيلاب بأم درمان وهو (عباس بن بدوي بن عاشميق بن أحمد بن فضيل بن عبد العليم بن الحاج قرشي بن محمد بن الشيخ حسين بن حمد بن سعدون بن عبد الرسول بن شاع الدين بن عرمان الجَعَلْي العباسي). ووالده بدوي عاشميق هو جد الراحل فضيل عم أمه عائشة حمزة الشهيرة بأم شَرَف، أخ أبيها حمزة عاشميق. ووالدة عباس بدوي هي حليمة بنت فضيل عمة الراحل فضيل شقيقة أبيه علي.

ولد عباس بدوي بقرية الجباراب جنوب الدَّامر. وهاجر للعمل بالقضارف والحَوَاتة وغيرها. واستقر للعمل والاقامة بأم درمان منذ وقت مبكر، ومنزله شهير بالحارة السادسة من حي الثورة. عرف عباس بالكرم والضيافة والعلاقات المتنوعة على مستوى أم درمان وغيرها والتواصل الاجتماعي والحكمة والأمثال، والتي ورثها من والدته حليمة بنت فضيل، والتي اشتهرت بالحكمة والرأي السديد والنصح والرؤية البعيدة للأمور، وخلدت في ذلك أقوالاً كثيرة وشهيرة يتداولها الناس حتى اليوم.

كان عباس بدوي من القليلين الذي يملكون جهاز تلفون (هاتف) ببيته قبل انتشاره، وعبره كانت تصله أخبار الوفيات من الأهل بالجباراب وغيرها ثم يتوجه بعد ذلك إلى مقر اذاعة أم درمان لتوصيل الخبر لإذاعته بعد نشرات الأخبار الرئيسية للإذاعة. حيث كانت له صداقات قوية ببعض القائمين على الاذاعة وببعض مذيعيها. توفي رحمه الله رحمة واسعة سنة ٢٠١٥م. وكان فقده عظيماً على الأهل والمنطقة.

وبعد رحيله المرير للدار الآخرة، رثته ابنته الشاعرة الأستاذة زينب بقصيدة رائعة، عددت فيها مناقبه وأثر فقده عليها وعلى الناس والأهل والقبيلة قالت فيها:

أبوي الهميم وكريم

يا الما فيش في الرجال قدرك   يا الما بنقدر شكرك
يا أبوي يا الكريم وجاب
يا الما بضيق صدرك   وكل السمح أمرك
يا أبوي الكريم أرباب
مين في الدنيا مين متلك   يا الما بنطفي جمرك

يا أبوي يا الكريم جَيّاب

وين في الدنيا مين زيك يا الباهي في زيك

أبوي يا شملة الأحباب المال دا ما بيهمك

يا البتهدي من دمك يا أبوي البدي دون حساب

يا أبوي يا جنة الإلفة يا أبوي يا منجم العرفة

يا الهميم وثاب

يا أبوي يا الحجر الكريم والماس يا الكيف البعدل الراس

يا الفطن الفهيم حساس يا متعة الجلاس

يا المسك البرد الانفاس يا ابوي يا البهي المرحاب

يا لي حق الناس جد عواف يا الي واجبوا جد وقاف

يا النجم المن بعيد بنشاف يا نادر الأوصاف

يا أبوي الي للصعب ركاب

ما أنت الهمة في طبعك ما انت النجدة في نبعك

يا أبوي الكريم هباب

ما بتتغابى تتخفى ولا بتتجاهل العرفة

يا أبوي يانبتة الإلفة يا للمحبة جراب

كل البقولو في شكرك قطره في بحرك

يا أبوي الوسيع الباب شكرك في الرجال معدوم

أبوي يا عزيز القوم يا للبعيد جلاب

لو ما كان الكتاب محتوم ولو ما كان القدر مقسوم

ما أصبحت بعدك يوم يا أبوي السمح موسوم

أبوي الليلة وين غاب



(المرحوم عباس بدوي عاشميق)

جبريل حسن فضيل

ومن مشاهير الفضيلاب كذلك الراحل جبريل حسن فضيل، وكان ممن اشتهروا بالكرم والجدية والصرامة والشجاعة والبيت المفتوح دوماً للضيوف والطلاب وعابري السبيل، وكان منزله ملتقى الأهل وغيرهم من القادمين إلى أم درمان والمغادرين منها إلى جهات السودان المختلفة. كما كان عميد أسرة الفضيلاب بأم درمان ورئيس مراكبهم لصيد الأسماك والتي كانت تصل حتى منطقة شبشة بالنيل الأبيض. وعرف أولاده وبناته بالكرم وحسن الاستقبال والضيافة. واشتهرت من بناته كرماً المرحومة رابحة الشهيرة بـ (فترنا)، أم أولاد المرحوم حسب الله أحمد الحاج الأزيرق من الموسياب أولاد عبد العال بن عرمان بحي الموسياب بالدَّامر، والذي كان خلوقاً كريماً كذلك.



(المرحوم علي جبريل حسن فضيل - أم درمان - بانت - ١٩٦٢م)

عائشة حسن فضيل

وهي شقيقة المرحوم جبريل وقد اشتهرت بالكرم والشجاعة. وكانت أماً لكل أبناء وبنات وضيوف حوش الفضيلاب بأم درمان، لا تقبل أن يدخل بيتها ضيف أو زائر ويخرج دون أن يتناول شيئاً من الطعام أو الشراب وكانت عميدة نساء الحوش، ومسؤولة عن اعداد الطعام لأهل الحوش وضيوفه.

ومما يحكى عن شجاعتها أن خور أبي عنجة الذي يقع على جانبه حوش الفضيلاب بالموردة كان يمتلئ بقطاع الطريق ليلاً، وشهد بعض حوادث القتل الشهيرة في تاريخ أم درمان والموردة، وكان الناس يخشون عبوره ليلاً خوفاً من فتكهم.

ويروى أن الرَبَّاطَة (٨٠) بخور أبي عنجة كانوا يهابونها ويخشونها لشجاعتها، ويقال إن بعض الرجال والنسوة يستعينون بها لتعبر بهم هذا الخور ليلاً، فتقوم معهم بكل شجاعة ومروءة وهي تحمل عكازها الكبير وتعبر بهم الخور إلى الجانب الآخر وربما عادت بآخر أو آخرين. وقيل إنها كانت تزجر الرَبَاطي الذي تجده مختفياً في طريقها بالخور بعبارات قاسية تدل على الشجاعة والثقة بالنفس.

٨٠- الرَبَّاطي من عامية أهل السودان ولعلها مأخوذة من ربط الطريق وتعني الشخص الذي يقطع الطريق على المارة والمسافرين من أجل نهب أموالهم.

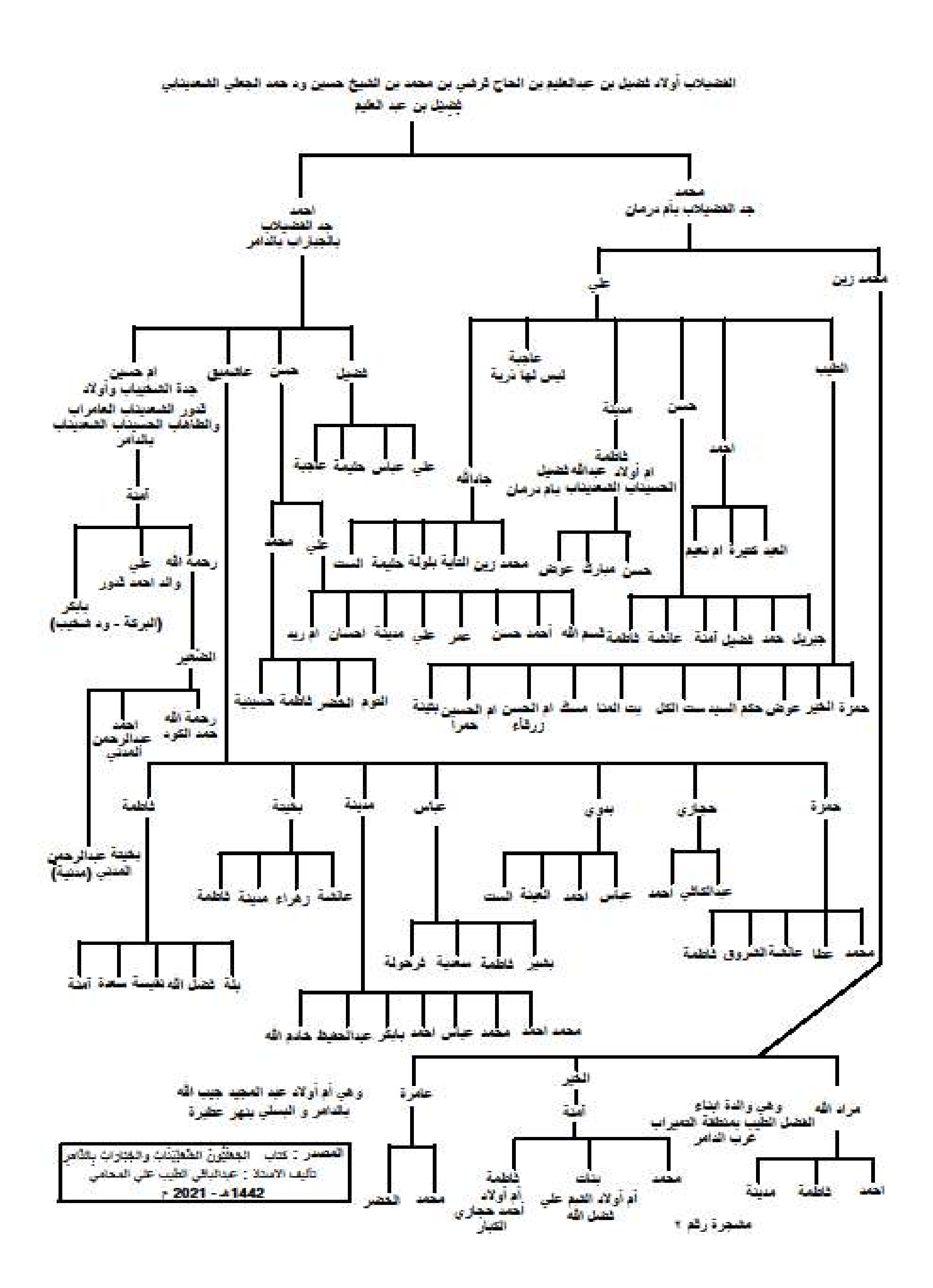


(المرحومة الحاجة/ عائشة حسن فضيل ١٩٦٥م)



المؤرخ الفوتوغرافي والذي وثق لكبار الفضيلاب بأم درمان في القرن الماضي

(محمد الحاج احمد الحسن (ود الأصيلة) - أم درمان - ١٩٦١م)



الفضيلاب أولاد فضيل بن عبدالعليم بن الحاج قرشي بن محمد بن الشيخ حسين ود حمد الجعلي الشعديناب
فضيل بن عبد العليم
محمد
جد الفضيلاب بام درمان
احمد
جد الفضيلاب
بالجبارات بالدامر
محمد زين
علي
الطيب
عاجبة
ليس لها ذرية
مبيلة
حسن
احمد
فضيل
حسن
عبدالسميع
ام حسين
جدة الشخيباب وأولاد
نور الشعديناب العامراب
والطاهاب الحسيناب الشعديناب
بالدامر
علي عباس حليمة عاجبة
جادالله
فاطمة
ام أولاد عبدالله فضيل
الحسيناب الشعديناب بام درمان
العبد كثيرة ام نعيم
آمنة
محمد
علي
محمد زين التاية بلولة حليمة الست
حسن مبارك عوض
رحمة الله
علي
والد احمد النور
بابكر
(البركة - ود شخيب)
الشخير
رحمة الله
حمد النور
احمد
عبدالرحمن
المدني
بخيتة عبدالرحمن
المدني (مدنية)
فاطمة
بخيتة
مدينة
عباس
بدوي
حجازي
حمزة
عائشة زهراء مدينة فاطمة
عباس احمد العينة الست
عبدالباقي احمد
بشير فاطمة سعدية فرحولة
محمد عطا عائشة الشروق فاطمة
محمد احمد محمد عباس احمد بابكر عبدالحفيظ خادم الله
عامرة
الخير
آمنة
مراد الله
وهي أم أولاد عبد المجيد جيب الله
بالدامر و البسلي بنهر عطبرة
وهي والدة ابناء
الفضل الطيب بمنطقة الكميراب
غرب الدامر
المصدر : كتاب الجعليون الشعديناب والجبارات بالدامر
تأليف الاستاذ : عبدالباقي الطيب علي المحامي
1442هـ - 2021 م
محمد الحضر
فاطمة
أم أولاد
احمد حجازي
الكبار
بنات
أم أولاد الشيخ علي
فضل الله
محمد
احمد فاطمة مدينة
مشجرة رقم ٢

أسر شعدينابية وحسينابية بأم درمان

يستوطن حي الموردة كثير من الأسر الشعدينابية العريقة التي نزحت من منطقتي الحصايا والجباراب جنوب الدَّامر واستقرت بهذا الحي منذ وقت مبكر، وكانت هذه الأسر ملتقى للأهل ورابطاً بينهم بأم درمان. ومن تلك الأسر آل العمدة عباس رحمة الله منصور من المناصير الشعديناب، وآل التوم حسن الجرق بحي بانت، وآل محمد الحوري بحي العمدة والثورة، وآل عبد المحمود فضل الله محمد الشهير بالكود بالموردة، وآل محمد الملقب بأبو جنة بالموردة، وآل رحمة عطا المنان الشهير بالريدة بالفتيحاب، وأولاد حميدان الخدرابي الشعدينابي وأسرة النعيم الطاهر النعيم بسوق الشجرة، وأسرة محمد حمد عبد العزيز بود نوباوي، وجميعهم من الحسيناب الشعديناب، وآل أبو سبيب، وآل علي محمد الشهير بدقيس بالموردة، من الدفيعاب الشعديناب أبناء عمومة الحسيناب، حيث أن دَفِيعة ابن سعدون هو أخ حمد بن سعدون بن عبد الرسول بن شاع الدين جد الحسيناب ومنهم الفضيلاب.

وهناك آل دولة وهم من الحسبلاب العرمانيين بغرب الدَّامر والشعديناب بجدتهم بنت عَبَّاس وَدْ رَجَّة الحوتابية، وآل محمد الزبير الإنقرياب العبدلاب الذين ترجع جذورهم لمنطقة الباوقة غرب بربر بولاية نهر النيل، واشتهر منهم كابتن المنتخب الوطني وفريق الموردة الأسبق وهدافها الشهير محمود الزبير وشقيقه الكابتن حسن بوالدتهما الحاجة/ زينب بخيت التوم الدفيعابية الشعدينابية. وكان والدهما محمد الزبير من أشهر سائقي التُرَام (الترماي) بأم درمان.

دور الشعديناب والفضيلاب في النهضة الرياضية بأم درمان والسودان:

لعب الشعديناب بأم درمان والحسيناب والفضيلاب منهم خاصة أدواراً مهمة في نشأة وتطوير الحركة الرياضية بأم درمان، والتي انطلقت منها النهضة الرياضية بالسودان عامة. وكان منهم نجوماً بارزة يشار إليهم بالبنان في هذا المجال، واشتهروا بمؤازرة نادي الموردة الرياضي بأم درمان والذي يعتبر من أوائل أندية كرة القدم بالبلاد، وقيل ان شعاره (الهِلِب) استعير من الهلب (شِعار الحَوَاتَة) (صائدو السمك) والذين كانوا ينقلون فريق الموردة ومشجعيه للمباريات بقواربهم النيلية.

وبرز من هؤلاء الشعديناب لاعبون مهرة وشهيرين جداً بفريق الموردة وغيره منهم عمر وعوض التوم الجرق ومجدي محمد عباس (مجدي أبو سعد) ومحمود وحسن الزبير كما لعب الحاج التوم الجرق بفريق المريخ بأم درمان وهناك كابتن المريخ وهدافه الشهير بدكتور الكرة السودانية كمال عبد الوهاب سليمان الشعدينابي بجده حمد شرشار الدفيعابي بالجيلي وهو من أولاد النامة بالحصاية بالدامر وهناك اللاعب يسري عبد العزيز الطيار

وجلال الخير الطيب وشـــقيقه عماد الذين لعبا لفريقي المريخ والهلال الأمدرمانيين وكان الشيخ فضيل لاعباً بفريق أبو عنجة وعاصر الكابتن كمال عبد الوهاب قبل انتقاله للمريخ.

وهناك كابتن المريخ وهدافه الأشهر برعي أحمد البشير محمد دولة والرياضي الشهير ولاعب الهلال ســابقاً والمصــرفي المعروف أحمد دولة وكابتن المريخ وأحد أبرز هدافيه أبو زيد العبد وشــقيقه حســن والذي ترجع أصــولهما لمنطقة الجباراب بالدامر وجميعهم شعديناب بجداتهم.

وفي مجال الإدارة برز الحاج التوم الجرق والذي يعتبر من مؤســـســـي نادي المريخ العريق بأم درمان وأشهر رموزه واداربيه وكان شقيقه مختار التوم رئيساً لنادي الموردة وهناك ماهل أبو جنة الشعدينابي الحسينابي الرئيس الأسبق لنادي المريخ وبرز في مجال الإدارة الرياضـية كذلك احمد ومبارك عبد الله موســى ومبارك عبد الله خلف الله أما الخير الطيب فضـــيل فقد كان رئيســـاً لنادي أبو عنجة كما كان عوض التوم الجرق أميناً لمال الاتحاد العام وعرف بالنزاهة في هذا المجال.

آل العمدة عباس رحمة الله الشعدينابي

هو المرحوم العمدة (عبّاس بن رحمة الله بن منصور بن جبريل بن محمود بن عبد المحمود بن منصور بن أحمد الشهير بـ سُولِقِنْ بن شاع الدين بن عرمان الجَعَلْي العباسي وهو من المناصير الشعديناب بقرية الجباراب جنوب الدَّامر.

ولد العمدة عبّاس رحمة الله بقرية الجباراب شمال (أم بوري) (فريق جريف بلة) جنوب الدَّامر. وهاجر برفقة شقيقه خلف الله إلى أم درمان في عهد المهدية واستقرا بحي الموردة. وبعد فترة ترك شقيقه خلف الله الموردة وسافر واستقر بمدينة سنار التقاطع.

يعتبر العمدة عباس رحمة الله علم على رأسه نار على مستوى السودان ومدينة أم درمان خاصة والتي يعتبر أشهر عمدها ورؤساء المحاكم الأهلية فيها على امتداد تاريخها الطويل. وقد ورد نسبه في جميع الكتب التي تناولت أنساب الجعليين والشعديناب مثل موسوعة القبائل والأنساب في السودان للبروفسور عون الشريف قاسم، ودليل الأنساب في السودان لعثمان حمد الله، والأساس في أنساب بني العباس للشريف حسني أحمد علي العباسي الأمين العام لأنساب السادة الأشراف العباسيين الهاشميين في العالمين العربي والإسلامي، وجامع نسب الجعليين المسمى جامع نسب الجعليين السور الحصين المنيع البأس في اتصال نسب إبراهيم جَعَلْ بأصله العباس لعبد الله محمد الخبير والجَعَلِيون العَبَّاسيون بالسودان لسفيان المرضي الشيخ .

اشتهر العمدة عباس رحمة الله بمكارم الأخلاق السمحة من مروءة ونجدة وكرم واسع وضيافة وشجاعة ونبل ومبادرة في أعمال الخير والبر وسعي في حل مشاكل الناس. حتى أصبح شهيراً وذائع الصيت في هذا الشأن على مستوى السودان والعاصمة القومية ومدينة أم درمان خاصة. وأصبح من أبرز الشخصيات وصاحب مكانة كبيرة وحظوة عظيمة لدى الإنجليز ووجهاء المدينة وعامة أهلها.

تم اختيار العمدة عباس رحمة الله عمدة لمدينة أم درمان ورئيساً للجعليين بها ورئيساً للمحكمة الأهلية لفترات طويلة. وأصبح حوشه بحي الموردة الشهير بحوش العمدة وحوش عباس والمفتوح على مدار اليوم دوحة وارفة بالكرم والمروءة والطيبة والمحبة وقبلة للأهل والضيوف والطلاب والباحثين عن العمل وللسياسيين والرياضيين والعلماء والأدباء وأصحاب الحاجات وعابري السبيل، وداراً لحل المشاكل والخصومات. وكان جميع هؤلاء يجدون الاحترام والتقدير في حوش العمدة ويعاملون ويتعاملون كأصحاب بيت وجزء من الأسرة.

كان العمدة عباس بصفته الشخصية والوطنية وكعمدة لأم درمان دوماً في مقدمة من يستقبلون الشخصيات الكبيرة والوفود الرسمية القادمة للسودان وأم درمان. جاء بكتاب جامع نسب الجعليين المسمى السور الحصين المنيع البأس في اتصال نسب إبراهيم جَعَلْ بأصله العباس لعبد الله محمد الخبير (أن الأفندي عبد الحفيظ العباسي قدم من المدينة المنورة إلى مدينة أم درمان بالسودان سنة ١٣٢١هـ الموافق ١٩٠٣م، وكان في استقباله من رجال الجعليين العباسية فضيلة الأستاذ الشيخ محمد شريف نور الدائم، وحضرة الزبير باشا الجعلي الجموعي العباسي، وحضرة رئيس قبيلة الجعليين ابراهيم بيك النفيعابي العباسي، وحضرة رئيس الجعليين بمدينة أم درمان الشيخ عباس رحمة الله الشعدينابي العرماني، وحضرة الحاج محمد مكينة المسلمابي العرماني، وحضرة الشيخ محمد دلوك الشعدينابي [٨١]).

كان الأجاويد بالسودان ومدينة أم درمان خاصة يختارون من خيار الناس ومن رجال الدين والأتقياء وذوي الشرف والذمم النظيفة ومن عمداء الأسر الكبيرة أو ذوي السوابق في الإمارة والقيادة. ولما كان العمدة عباس رحمة الله يحمل كل هذه الصفات لذا فقد أصبح من أشهر الأجاويد المتطوعين بأم درمان، يقوم بحل المشاكل والخلافات بين القبائل والناس بنفسه وجاهه وماله وبما له من علاقات. وكان من الأجاويد الذين يدفعون الغرامات التي يقررونها بأنفسهم على الخصوم إذا كان المحكوم عليه امرأة أو غير قادر على دفعها. ولكل ذلك أصبح العمدة عباس صاحب كلمة مسموعة وحكم نافذ ومقبول من الجميع.

للعمدة عباس رحمة الله حكاوى كثيرة وطريفة في حل المشاكل والجودية. جاء بكتاب أم درمان للتجاني عامر أحمد :(كان للأجاويد قصص طريفة في أم درمان إبان الحكم الثنائي فقد كان المرحوم عباس رحمة الله في الموردة والسوق الكبير أكثر المتطوعين نشاطاً لحل النزاعات. ولما عينت الحكومة محاكم الأعيان بعد ١٩٢٤م لم تعين عباس رحمة الله عضواً بالمحاكم وتعفف هو من المطالبة بشيء هو أحق به من غيره. ولكن بعض أصدقائه سألوا المفتش البريطاني (ميجر برامبل) عن ذلك فقال: (عباس رحمة الله عنده محكمة عليا في الدكان وفي البيت ومحكمة متنقلة على ظهر حماره ويصدر أحكاماً نهائية بالعصا) [٨٢]).

٨١- جامع نسب الجعليين المسمى السور الحصين المنيع البأس في اتصال نسب إبراهيم جَعَلْ بأصله العباس، عبد الله محمد الخبير، ص٢٥.

٨٢- أم درمان، التجاني عامر - ص ١٥٧.

توفي العمدة عباس رحمة الله عام ١٩٤٦م وهو عام التساب الشهير في تاريخ السودان الحديث، حيث فاض نهر النيل فيضاناً عظيماً بشكل غير مسبوق وأحدث الكثير من الخراب والدمار بالمساكن والمزارع وغير التركيبة الجغرافية والسكانية لكثير من المناطق والسكان. رحمه الله رحمة واسعة وأحسن اليه وجعل البركة في ذريته.



(المرحوم العمدة /عباس رحمة الله منصور الجعلي الشعدينابي)

آل الجرق الشعديناب الحسيناب

وهم من ذرية الشيخ الرجبي الصالح حسين ود حمد الجعلي الشعدينابي وأبناء عمومة الفضيلاب وآل الحوري وآل أبو جنة بالموردة وآل الريدة بالفتيحاب. وترجع جذورهم إلى منطقة الحصايا جنوب الدَّامر. وقد وفدت هذه الأسرة إلى الموردة في وقت مبكر قبل المهدية، وأصبحت شهيرة جداً في المجال الاجتماعي والرياضي والسياسي والاداري. وكان عميدها حسن الجرق من شيوخ أم درمان وكبار محسنيها.

والجرق هو لقب لجدهم الكبير وتعني الثور الذي يقود الساقية أو المحراث؛ مأخوذة من الجر الفصيحة، وتعني أيضاً المجرب ومنها (تور الجر)، كما تعني الثور المتمرس كما ورد في قاموس العامية للبروفيسور عون الشريف قاسم.

وقد ورد نسب آل الجرق بموسوعة القبائل والأنساب في السودان للبروفسور عون الشريف قاسم كما يلي: (التوم بن حسن الجرق بن الشرعي بن عبد الغني بن حمد بن الشيخ حسين بن حمد بن سعدون بن عبد الرسول بن شاع الدين بن عرمان الجَعَلْي العباسي). أما والدة أولاد الجِرق بالموردة فهي فاطمة أحمد علي دقيس من الجعليين الشعديناب الدفيعاب بالحصايا جنوب الدَّامر.

الحاج التوم الجرق

واشتهر من آل الجرق المرحوم الحاج التوم حسن الجرق والذي ولد بحي الموردة سنة ١٩٢٦م. ونشأ وترعرع في أحضان أسرته الكبيرة العريقة والتي خرجت أفذاذ الرجال في مختلف المجالات السياسية والادارية والرياضية والاجتماعية، منهم الإداري الشهير مختار التوم وعوض التوم، ونجم الموردة وهدافها الشهير في العصر الذهبي عمر التوم، والقانوني الشهير الراحل عبد الله التوم والذي كان قاضياً بمدينة دبي بدولة الامارات العربية.

تخرج الحاج التوم في مدرسة أم درمان الأميرية وعمل موظفاً بمصلحة الأشغال قبل الاستقلال١٩٤٣م، ثم موظفاً بمصلحة الحكم المحلي، ثم موظفاً بسكرتارية مجلس الوزراء في عهد الرئيس اسماعيل الأزهري١٩٥٢م، ثم موظفاً بمكتب وكالة الشؤون الخاصة (وزارة الخارجية فيما بعد) وموظفاً بها ١٩٥٦م. وكان من أوائل الذين أسسوا هذه الوزارة بعد الاستقلال ثم عمل موظفاً بمجلس الوزراء ١٩٥٨م، ثم مديراً لشؤون الموظفين بالنقل الميكانيكي ١٩٦١م. وفي سنة ١٩٧١م تم تعيينه برتبة مقدم بالقوات المسلحة - الشؤون المالية

وتم ترقيته عام ١٧٩٤م لرتبة عقيد ومديراً للشؤون العامة بالقوات المسلحة. كما شغل منصب مدير المراسم، لمعرفته التامة بالناس في كل قطاعات المجتمع، وبنى علاقات ودودة مع كل ألوان الطيف السوداني والرياضي. وأخيراً شغل منصب مدير العلاقات العامة بجهاز أمن الدولة من ١٨٩٠م إلى ١٩٨٥م. وكان ضابطاً رفيعاً مشهود له بالكفاءة والأمانة والخلق الرفيع. كرمته رئاسة الجمهورية بنوط الخدمة الممتازة من القوات المسلحة ووسام الرياضة سنة ١٩٧٥م.

يعتبر الحاج التوم أحد أشهر وأبرز أعلام مدينة أم درمان، ومن الذين يشار إليهم بالبنان في شتى المجالات الخيرية والسياسية والدبلوماسية والاجتماعية والرياضية. كان رجل مجتمع من الطراز الأول، ومن أهل الخير والبر والمروءة. والأمانة والصدق والكرم والشجاعة وصلة رحم وسعي في مساعدة الآخرين وحل مشاكلهم بنفسه وماله وعلاقاته. وكان عضواً بارزاً بكثير من اللجان الخيرية والصحية والعاملة في مجال التعليم وبناء المدارس ومجالس آبائها، وبلجنة مقابر حمد النيل، واشتهر بتجهيز المقابر والحرص دوماً على أن يكون أول الحاضرين للمقابر لأجراء مراسم دفن الموتى. وورث أبناؤه عنه تلك المزايا الطيبة حيث تجدهم في كل المناسبات الاجتماعية من فرح وكره وغيره.

يعتبر الحاج التوم من أعظم الرجال في تاريخ الرياضة والكرة السودانية، ومن الذين رسخوا قيم وأخلاقيات التنافس الرياضي الشريف والروح الرياضية السمحة التي وحدت أبناء الوطن بمختلف ألوانهم السياسية وأعراقهم ودياناتهم تحت راية الرياضة. وكان عنواناً للفكر المتقد والعطاء المتجرد الذي تستلهم منه الدروس والعبر من أجل غدٍ مشرق وزاهر للكرة السودانية.

وهو صاحب فكرة بناء استادات المريخ والهلال والموردة في عهد صديقه وزير الاستعلامات والعمل اللواء طلعت. فريد كما عمل في اتحاد كرة القدم السوداني وساهم كثيراً في تطوير الكرة السودانية. ولعب دوراً كبيراً في تعزيز علاقات متينة بين المريخ ونده التقليدي نادي الهلال من خلال التعاون في اقامة المباريات الودية والمشاركة الفاعلة في المناسبات المختلفة بعيداً عن العصبية وروح العداء والكراهية. ويعتبر أول من أطلق عليه لقب قطب رياضي بالسودان.

بدأ الحاج التوم نشاطه الرياضي بنادي أبي عنجة بأم درمان مطلع الأربعينات، ثم عمل ادارياً بنفس النادي، ثم اتجه هو ورفيق دربه الحاج مزمل مهدي إلى نادي المريخ سنة ١٩٤٩م لاعبا ثم ادارياً عبقرياً. وكان من أبرز وأفضل الذين ملأوا منصب سكرتارية المريخ في تاريخه

الطويل، وحقق الكثير من الانجازات للنادي، منها نقله من حي المسالمة لحي السوق شرق جامع أم درمان الكبير. وكانت نقلة نوعية كبيرة للنادي من نطاق الحي الصغير إلى فضاءات القومية ورحاب النادي الوطني الكبير والشامل لكل السودانيين. كما كان صاحب الفضل في تخصيص قطعة الأرض التي بني عليها النادي بحي العرضة. ولكل ذلك يعتبر الحاج التوم ركيزة أساسية قامت على أكتافها نهضة المريخ ودخوله التاريخ من أوسع أبوابه، وازدياد شعبيته ومحبوه في كل أنحاء الوطن.

كان لعبقرية حاج التوم وبعد نظره دوراً كبيراً في كل انجازات المريخ وبطولاته القارية والاقليمية الكبيرة (سيكافا والشارقة ودبي ومانديلا)، في تسجيل أعظم اللاعبين الذين اكسبوا الفريق الشعبية والمكانة بانتصاراتهم وبطولاتهم، منهم على سبيل المثال رئيس السودان الأسبق المشير جعفر نميري وحسن أبو العائلة وبشرى وهبة وكمال عبد الوهاب وبشارة عبد النظيف والجيلي عبد الخير وبدوي باشا وغيرهم من أفذاذ اللاعبين.

توفي الحاج التوم حسن الجرق بدبي بتاريخ الأربعاء ٢٠١٣/١/٢م، ونقل جثمانه إلى مدينة أم درمان حيث وري الثرى بمقابر حمد النيل، وخرجت العاصمة القومية عامة ومدينة أم درمان لوداع وتشييع علماً كبيراً من أعلام السودان والرياضة. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته مع الصديقين والشهاء وحسن أولئك رفيقاً، وجعل البركة في أبنائه الثلاثة وبنته وفي ذريته.

آل دلوك الشعديناب بأبي روف

ومن الأسر الجعلية الشعدينابية العريقة والشهيرة بحي أبو روف بأم درمان أل الشيخ محمد دلوك، والذين تعود أصولهم إلى الجعليين العوضاب الشعديناب بحلة الجريف بالحصايا جنوب الدَّامر وأبو سليم غرب الدَّامر، ويتصلون بالعامراب المنوفلاب الشعديناب بالحصايا وسط بجدتهم لأبيهم. وأل محمد دلوك هم أصهار الفضيلاب الحسيناب، حيث تزوج عباس بدوي عاشميق احمد فضيل الحاجة عائشة محمد دلوك وله منها أبناء وبنات ومنزلهم بأم درمان الثورة الحارة السادسة.

وكان عميد الأسرة الحاج/ محمد دلوك شخصية معروفة بأم درمان، وفي مقدمة من يستقبلون الشخصيات الكبيرة والوفود الرسمية القادمة للسودان ومدينة أم درمان. وله موقع حُفَر معروفة وشهيرة بأبي روف تسمى (حُفَر ود دلوك)، وقد شيد من ترابها كثير من مساكن أم درمان القديمة.

وقد ذكرنا في حديثنا عن العمدة عباس رحمة الله ان الشيخ محمد دلوك كان ضمن الوفد الذي استقبل الأفندي عبد الحفيظ العباسي الذي قدم من المدينة المنورة إلى مدينة أم درمان سنة ١٩٠٣م.

الفصل السابع

الحَاج/ فِضيل علي فِضيل احمد الجَعَلي العَرْمَاني

المولد - النسب - النشأة - الطفولة والشباب

سنخوض خلال الفصول القادمة في بحر لُجي خضم لا ساحل له من مكارم الأخلاق التي جاء بها الإسلام دين الفطرة السمحة، ألا وهو بحر أسطورة الجود والكرم والإحسان والشهامة والمروءة الحاج فضيل علي فضيل الجعلي العرماني، والذي يمكن عده من أبرز الذين أنجبتهم بطون العرب وحواء السودان في التزام مكارم الأخلاق النبيلة وفي الجود والكرم والشهامة والمروءة طوال حياته العامرة بالخير والاحسان.

نسبه:

ينتمي الأجواد الكريم الراحل فضيل علي فضيل أحمد إلى عشيرة الفضيلاب الحسيناب الشعديناب الجعليين العرمانيين، والذين ترجع أصولهم لمنطقة الحصايا والجباراب جنوب الدَّامر عاصمة ولاية نهر النيل. ونسبه هو المرحوم بإذن الله تعالى الحاج (فِضيل بن علي بن فِضيل بن أحمد بن فِضيل بن عبد العليم ابن الحاج قرشي بن محمد بن (الشيخ الرجبي الصالح) حسين بن حمد بن سعدون بن عبد الرسول بن شاع الدين بن عرمان الجَعَلْي العباسي).

وفضيل هو وحيد والديه المرحوم علي فضيل أحمد، والمرحومة عائشة حمزة عاشميق الشهيرة بـ (أم شَرَفْ)، إذ ليس له أخ شقيق ولا أخت شقيقة أو من أب أو من أم.

والده:

والده هو المرحوم علي فِضيل أحمد الجعلي الحسينابي الشعدينابي المتقدم تفصيل نسبه، والذي كان يسمى بـ (علي محمود) كذلك. ووالدة علي فضيل وأشقائه (عباس الشهير بالمدير وحليمة والعاجبة) هي مدينة محمد منصور دِرِيْدِمَّةُ من الجُبَاراب الجعليين العرامنة بقرية الجباراب جنوب الدَّامر، ومدينة هذه هي شقيقة آمنة محمد منصور دِرِيْدِمَّةُ والدة الحرم عثمان فضل الله الجعلية الشعدينابية أم أولاد أحمد عوض علي سعيد الشعدينابي والشهير بـ (ود ادريس وود جَمْرة) (علي وادريس وأخواتهما)، كما هي شقيقة فاطمة محمد منصور دِرِيْدِمَّةُ والدة محمد أبشر الشهير بـ (أب نجيعة) بنهر عطبرة.

وأولاد شقيقه عباس فضيل هم (محمد وحمد وسيدة أم أولاد أبو النور الخُدْرابي الشعدينابي بمنطقة شبشة بالنيل الأبيض، ومدينة أم أولاد عوض محمد طه زروق من الشايقية). ووالدة

أولاد عباس فضيل هي الست جاد الله محمد علي فضيل الحسينابي الشعدينابي. أما حليمة بنت فضيل فهي أم أولاد بدوي عاشميق (عباس وأحمد البشير والعَيْنَة أم أولاد الخال حسين محمد حمزة بالجباراب والست أم أولاد محمد علي بانتور بالحصاية)، أما العاجبة فليس لها ذرية.

مولده ونشأته:

ولد علي فضيل بقرية الجباراب جنوب الدَّامر. ونشأ وترعرع بمنزل والده فضيل بتلك القرية ومكانه اليوم (ديوان عبد المنعم محمد النو بالجباراب شمال (أم بوري). وتزوج بنت عمه الحاجة عائشة حمزة عاشميق في ثلاثينيات القرن الماضي، وأقام معها لفترة ثم نزح وعمل في صيد الأسماك بجهات نهر عطبرة حوالي ١٢ كلم شمال الدَّامر، ثم هاجر إلى أم درمان واستقر مع أهله الفضيلاب، وعمل معهم في صيد وتجارة الأسماك.

تعرضه لحادث حركة:

تعرض المرحوم علي فضيل لحادث حركة أليم سنة ١٩٧٨م، بعد أن صدمته سيارة (مجروس) كبيرة تابعة للقوات المسلحة السودانية، قرب منزل الزعيم اسماعيل الأزهري بأم درمان، نقل على أثره للمستشفى، ولكنه تعافى من ذلك الحادث وعاش عمراً طويلاً بعده. توفي علي فضيل بأم درمان سنة (١٩٨٤م) ودفن بمقابر الفتيحاب.

قصته مع الجود والكرم الزائدين لابنه فضيل:

للمرحوم علي فضيل قصة طريفة تتعلق بالكرم الزائد لابنه فضيل وتضييعه المال وما يملك على الناس وعدم احتفاظه منه بشيء. ويروى أنه طلب ذات مرة مبلغ عشرين جنيهاً من ابنه فضيل، فقال أبنه فضيل (والله يا والد ما عندي هذا المبلغ)! فقال له والده (...وين مالك يا ولدي.. وديتها وين قروشك...؟!!) فرد فضيل: (اشتريت بها إخواني وأصدقائي...) فقال له والده (اذهب وبيع واحد من إخوانك ديل وجيب لي عشرين جنيه)، فقال له فضيل: (إخواني ليسوا للبيع لكن سأذهب بك إلى أحدهم وآخذ منه المبلغ وأسلمه لك).

أخذ فضيل والده وذهب به إلى أحد أصدقائه التجار بالسوق، وقال له (هذا والدي ...) فخرج الرجل من متجره واستقبل والد صديقه فضيل بحرارة وبشاشة وأكرمه غاية الاكرام. ثم أهداه مقطع جلابية قيم وعمامة توتل إنجليزي فاخر ومبلغ خمسين جنيهاً، وكانت مبلغاً كبيراً في ذلك الوقت. سُر علي فضيل سروراً عظيماً من كرم وشهامة صديق ابنه فضيل، وقبل منه مقطع الجلابية والعِمَّة واقسم ألا يأخذ المال. ثم نظر لابنه فضيل وقال له (نعم الأخوان أخوانك يا ولدي، وانا عافي منك). وقال لصديق ابنه: (يا ولدي دا كان امتحان لأخوك فضيل ونجح

فيه ووجدتك نعم الأخ لفضيل..)، فقال فضيل لوالده (حرّم دا أبطلهم)!! أي أنه أقل أصدقائي كرماً ومروءة.

وبعد تلك الواقعة الطريفة لم يعد علي فضيل يتضجر من جود وكرم ابنه فضيل، ولا يسأله عن شيء بهذا الخصوص أبداً وتركه يعيش على فطرته وسجيته السمحة في الجود الكرم والمروءة وكسب الرجال والأصدقاء الأوفياء.

زواجه الثاني:

بعد رفض الحاجة أُم شَرَفْ استمرار الحياة الزوجية، معه تزوج علي فضيل من السيدة/ كتيرة العوض من منطقة كرري العجيجة شمال أم درمان، وأنجب منها ابناً أسماه النميري على رئيس السودان الأسبق جعفر نميري، ولكنه توفي في طفولته، كما أنجب بنتا أسماها عوضية وتوفيت في طفولتها كذلك. ولكتيرة ابن وبنت من زوجها السابق عبد القادر هما: نادر وربيعة وهي موظفة ببلدية الفتيحاب، وقد تربيا مع علي فضيل وابنه فضيل وكانا بمثابة الأبناء لهما. ولزواج علي فضيل من السيدة كتيرة قصة طريفة سنذكرها في مكانها المناسب من هذا الكتاب.

والدة الحاج فضيل

الحاجة عائشة حمزة عاشميق الشهيرة بـ (أُم شَرَف)

نسبها: والدة الحاج فضيل هي المرحومة بإذن الله تعالى الحاجة (عائشة بنت حمزة بن عاشميق بن أحمد بن فضيل بن عبد العليم بن الحاج قرشي بن محمد بن الشيخ حسين بن حمد بن سعدون بن عبد الرسول بن شاع الدين بن عرمان الجَعَلْي العباسي) والشهيرة بلقب (أُم شَرَفْ)، وهي بنت عم زوجها المرحوم علي فضيل أحمد.

أما والدة أبيها حمزة بن عاشميق فهي (فاطمة بنت عبيد بن حسن بن أحمد بن محمود بن عبد المحمود بن منصور بن أحمد سولقن بن شاع الدين بن عرمان الجَعَلي العباسي)، من المناصير الشعديناب بالجباراب جنوب الدَّامر، وعبيد حسن هو جد العبيداب وأولاد أواد (عوّاض) وأولاد عبد الواحد عبد الماجد اواد بالجباراب والدَّامر وكسلا وغيرها. وفيه يلتقي بجداتهم أولاد عجب قمر الدين الجباراب، وأولاد بابكر قدورة الجباراب، وأولاد صالح حرحوف العامراب، وأولاد القرش وأولاد الرفيق حمودي المناصير الشعديناب وأولاد محمد أبو قبالة الجباراب. وقد سمى شقيقها محمد حمزة عاشميق ابنته المرحومة فاطمة أم أولاد محمد صالح عثمان على جدته فاطمة بنت عبيد بن حسن.

ووالدة أُم شَرَفْ هي الَزَمَلُوهْ علي عوني من المكابراب الجعليين العرامنة بمنطقة وهيب غرب الزيداب جنوب الدَّامر. ووالدة والدتها الَزَمَلُوهْ هي مَقُوت بنت الحمراني من المكابراب الجعليين العرامنة أيضاً.

وأم شَرَف امرأة عظيمة شريفة كريمة وصاحبة فكر وعقل راجح وحكمة وتدبير ورؤية بعيدة للأمور. وكانت جديرة حقاً بأن تنجب رجلاً عظيماً متفرداً في قامة الراحل فضيل، معدن الانسانية المشرقة والجود والكرمَ والنخوة والمروءة والشهامة.



المرحومة (عائشة حمزة عاشميق) أم شَرَف

قصة لقب أُم شَرَف:

للقب أُم شَرَفْ قصة لطيفة ومعبرة، وهي أن زوجها علي فضيل والذي كان يقال له علي محمود أيضاً، كان قد خرج من القرية وتركها وهي حامل بفضيل وعمره ستة أشهر في بطن أمه، وأختفى لمدة ثلاثة عشر يوماً. وقام أعمامه وشقيقه عباس فضيل الشهير بالمدير بالبحث عنه، حتى وجدوه بجهات نهر عطبرة شرق شمال قرية الجباراب، وعادوا به بالقرية لكي يستقر مع زوجته.

فلما دخلوا به إلى زوجته أُم شَرَفْ، قالت لوالدها حمزة عاشميق وأعمامها: (علي محمود تاني يبقي لي في مكانتكم)، فحاولوا اثنائها عن هذا الكلام وعجزوا عن ذلك فتركوها، وقالوا سترجع لزوجها بمرور الأيام بعد زوال غضبها. وبعد أن وضعت مولودها، قام والدها وأعمامها بذبح العقيقة وتسميته بفضيل، ثم جاءوا إليها وأصروا على أن ترجع لزوجها فقالت لهم: (أنا علي محمود يبقي لي في مكان أبوي)، (أي أنه حرم عليّ). ولما وجدوها مصرة على موقفها قالوا لها (طيب خلاص يطلقك)، فقالت لهم: (ما بسوي ولدي ود مطلقة، يعايروهو بيها الأولاد في الشارع.. إنتو امشو، زوجوه بامرأة أخرى، وأنا حبالي يبقن حبال آخرة). فتركوها ولم يناقشوها في هذا الأمر مرة أخرى!

وبسبب تلك القصة الطريفة التي تداولتها القرية والقرى المجاورة، أطلق الناس عليها لقب (أم شَرَفْ). وطغى هذا اللقب على اسمها طغياناً كبيراً واشتهرت به، حتى أصبح الناس لا يعرفونها بغير أم شَرَفْ. ورفضت أم شَرَفْ رفضاً باتاً الزواج مرة ثانية، وظلت تخلص حياتها لابنها فضيل، وتهتم به إلى أن صار رجلاً. وبعد حوالي أربعين سنة من تلك الواقعة توفي زوجها علي فضيل، وقامت بالحبس عليه باعتباره زوجها شرعاً.

مشاركتها في مناسبة زواج زوجها السابق علي فضيل:

من طرائف المرحومة الحاجة (أُم شَرَفْ)، والتي اشتهرت بالحكمة والظرف، أنها قامت مع المرحومة رابحة بنت جبريل، بخطبة الزوجة القادمة لزوجها علي فضيل السيدة (كتيرة العوض)، من منطقة كرري العجيجة شمال أم درمان. وشاركت بفرح وسرور في مراسم زواجه. ومن طرائفها في هذا الشأن أن بعضاً من نساء أهل العروس اللائي حضرن مناسبة الزواج كن يسألن عن العريس، بعد أن سمعن أنه كبير في السن، فقالت لهن أُم شَرَفْ أنه ليس بكبير في السن بل صغير وجميل جداً، وأشارت إلى شاب صغير السن وجميل بحفل الزواج

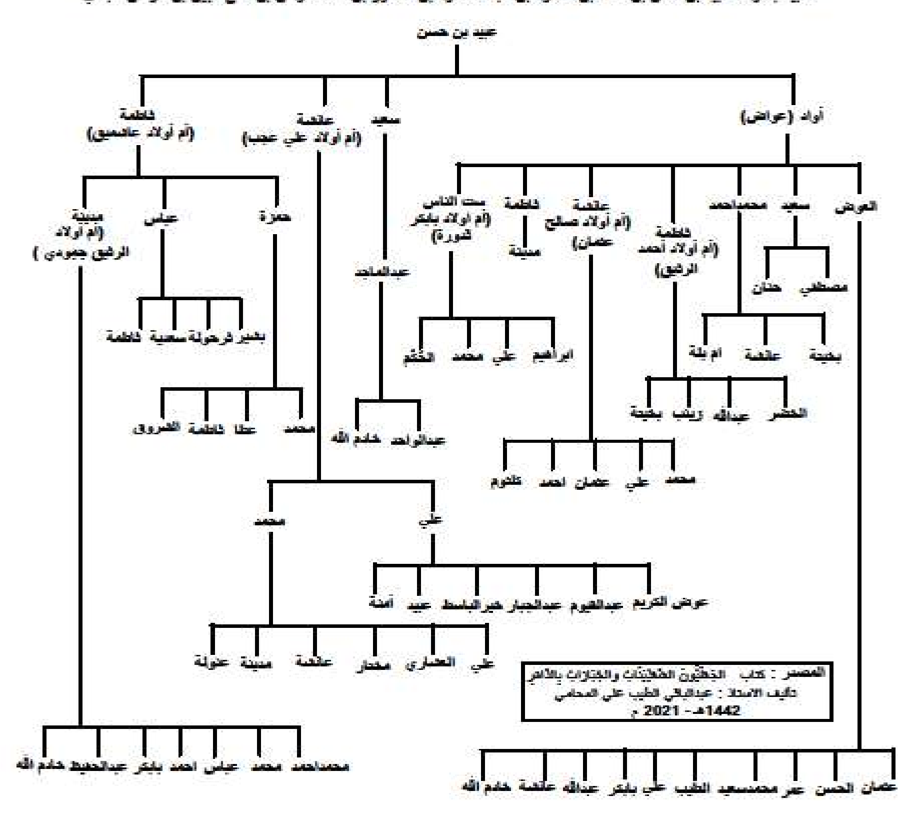
اسمه سليمان أبو القاسم، لهن :(هذا هو العريس...) فصدقنها وسررن بذلك كثيراً، قبل أن يكتشفن أنه ليس بالعريس، وأن العريس هو زوجها سابقاً والكبير في السن علي فضيل.

توفيت الحاجة أُم شَرَفْ عصر الأربعاء (١٩٩٥/١٠/١١م) عن عمر قارب المائة سنة. ودفنت بمقابر الزُرقان شرق الجامعة الاسلامية جنوب شرق الشقلة. رحمها الله رحمة واسعة.



(المرحوم/ عثمان العوض أواد)

العيداب أولاد عبيد بن حسن بن أحمد بن محمود بن عبد المحمود بن منصور بن أحمد سولفن بن شاع الدين بن عرمان الجعلي



مشجرة رقم ٣

الحاج فضيل علي فضيل

الميلاد والنشأة:

ولد المرحوم الحاج فضيل علي فضيل سنة ١٩٣٨م تقريباً، بقرية الجباراب شمال (حلة أم بوري)، على بعد (١٢) كيلومترًا جنوب مدينة الدَّامر، والتي تقع على الضفة الشرق لنهر النيل. ونشأ وترعرع بين حوشي جده لأبيه فضيل أحمد بهذه القرية، ومكانه اليوم ديوان عبد المنعم محمد عبد الله النو وحوش جده لأمه الفارس الكريم حمزة ود عاشميق بالجباراب (أم بوري)، وموقعه تحديداً بين مَتَرة (مزرعة) ومنزل محمد سعيد علي سرور الحالية ومنزل السر محمد الرفيق بحلة فوق. كما استقر الحاج فضيل لفترة من طفولته وشبابه برفقة والدته عائشة حمزة عاشميق بحلة الجاداب شرق الجباراب في معية شقيقها وخاله محمد حمزة عاشميق.

طفولته:

كانت نشأة فضيل كما يحكي أنداده بالقرية مختلفة تماماً عما كان ينشأ عليه الفتيان في ذلك الوقت وفي كل وقت وحين. حيث كان غير ميال لحياة الأطفال المعتادة من لعب ولهو وغيره. كثير المجالسة لكبار السن ومرافقتهم في مناسبات الأفراح والعزاء ومجالس الأنس والجودية والصلح وحل الخلافات، ويتكلم بكلامهم ويتبع أسلوبهم في النقاش. يحب سماع حكاوى الكرم والشهامة والشجاعة والمروءة، والخطب الحماسية والشعر القومي والذي كان يحفظ الكثير منه.

نبوءة جده حمزة ود عاشميق عنه:

يروى أن جده لأمه حمزة ود عاشميق، والذي كان فارساً أجواداً كريماً وشجاعاً، قد تنبأ أن حفيده فضيل سيكون رجلاً عظيماً وذو شأن خطير في الكرم والمروءة والشهامة. وأنه أشار إلى فضيل وهو طفل صغير وقال للناس: (إن شاء الله تحضرو زمانو). فكان فضيل تماماً كما تنبأ له جده حمزة ود عاشميق قامة رفيعة في الانسانية ومكارم الأخلاق والجود والكرم!

كرمه في الطفولة:

كان فضيل بضعة طيبة من جده الكبير الشيخ الصالح حسين ود وحمد الجعلي الشعدينابي، والذي اشتهر فوق الصلاح والتقوى بالكرم واطعام الطعام. وورث منه المرحوم فضيل ذلك منذ طفولته.

مع رواد (مُشْرَع) مُرْكَب أبو الحسن:

ما يميز الحاج فضيل أنه اشتهر بالكرم سجية وفطرة منذ الطفولة، ولم يكن كرمه طارئاً بعد تقدمه في العمر أو لأي أسباب أو ظروف أخرى. وعن كرمه منذ الطفولة يحكي الأهل وأنداده قصصاً تكاد تكون خرافية. تقول والدته المرحومة عائشة أُم شَرَفْ أنه كان يجمع الأطفال من الخارج ويأتي بهم إليها ويقول لها: (جيبي الأكل أنا معاي أُخواني)، وإذا رأى أن الطعام قليل، أو أن ماعونه صغيرًا يقول لها: (تاني ما تجيبي لينا أكل شوية ولا في ماعون صغّير)!.

ويروى أنه كان يذهب إلى المُشْرَعْ ([٨٣]) على الضفة الشرقية لنهر النيل والتي تقع عندها قرية الجباراب حيث كان الرَّيِّسْ (قائد المَركِب) أبو الحسن العشنوقابي الجعلي ينقل الناس بمُركبه الشهير شرقاً وغرباً ويعود إلى البيت بمجموعة من الضيوف لإكرامهم، ثم يرجع ويعود بجماعة أخرى وهكذا!

ويُحكى أنه خرج ذات مرة مع أهله، وهو طفل صغير للزراعة بمنطقة خلوية، وكان عندما يحين موعد الوجبة ينادى في الناس المنتشرين بالخلاء طالباً منهم الحضور لتناول الطعام معهم. وبسبب قلة الطعام بالخلاء فقد كان البعض في (التاية) (محل الاقامة) يتضجر من جمعه الناس للأكل معهم، ويقولون (فضيل جهجهنا ... وفضيل أدانا الجوع). ويروى أن بعضهم قام بطرده من التاية، وأن بعض النساء قمن بِعَضِّه مرات ومرات عقاباً له على كرمه الزائد!

قال المؤلف يمدح طفولته:

من قومة الجهل بي كب	باين في الكرم كوكب
يكابس بابو لو كركب	يهوش في ضيفو ما إتنكب

وقال في رثائه:

من قومة الجهل وانت طفيل كريماً كنت دافق سيل

في مشروع الزيداب الزراعي:

ومما يروى عن كرم طفولته كذلك أنه رافق أهله وهو طفل صغير للعمل في قطف وحصاد القطن بمشروع الزيداب غرب النيل وجنوب غرب قرية الجباراب، فوجد جماعة بالمشروع

٨٣- المُشْرَعْ كلمة عامية عند أهل النيل وتعني مرسى القوارب النيلية على ضفتي النهر.

ليس لديهم زاد، فأخذ زاد أهله خلسة دون علمهم وأعطاه لأولئك الجماعة. ولما عاد أهله من العمل ولم يجدوا زادهم، سألوه عنه فقال لهم :(شلتو أديتو ناس مساكين ما عندهم زُوَادة أي زاد..). فاضطروا للرجوع إلى القرية والعودة بالزاد مرة أخرى!

عمله بالزراعة بالجباراب:

في بداية حياته عمل فضيل بالزراعة مع أهله بقرية الجباراب جنوب الدَّامر، والتي كانت النشاط الأساسي لسكان القرية، وكانت عملا شاقاً في ذلك الوقت، وتعتمد على الري بالسواقي التي تجرها الثيران وتحتاج لقوة بدنية عالية توفرت للراحل فضيل، والذي أشتهر بالقوة والاجتهاد والاخلاص في العمل وغزارة الانتاج. ولكنه لم يكن يدخر مالاً من عمله.



(الساقية التي يجرها الثيران، وكانت إحدى وسائل الري الزراعي قديماً)

هيئة الحاج فضيل وصورته

منح الله الحاج فضيل بسطة في الجسم، وقامة مديدة متماسكة. لم يكن بالبدين ولا بالنحيف. أصفر اللون أقرب إلى البياض، حسن الصورة متألق الطلعة جهوري الصوت، تألفه النفس من النظرة الأولى وعلى خديه ثلاثة شلوخ (مطارق) عمودية راسية وهي شلوخ قبيلة الجعليين العرامنة بشمال السودان.

كُنيته:

كان الحاج فضيل يُكنى بـ (أب علي) نسبة لوالده علي فضيل وهي الكُنية الأشهر. كما كان يكنى أيضاً بـ (أبو الصادق) وهي مشهورة كذلك، والصادق هو ابنه الأكبر والبكر والذي أسماها على إمام طائفة الأنصار ورئيس حزب الأمة القومي الراحل السيد الصادق المهدي. حيث كان فضيل من غلاة الأنصار ومن مؤيدي الحزب ومحبي رئيسه الإمام الصادق المهدي.

ملبسه ومظهره:

الزي المعروف للراحل الحاج فضيل هو الزي السوداني التقليدي والذي هو الجَلَّابيَّة [٨٤] السودانية البيضاء في الغالب. ويرتدي تحتها العَرَّاقِي [٨٥] مع السروال السوداني الطويل والعمامة مع الشال والعباية (القفطان) أحياناً في المناسبات الاجتماعية والدينية والقومية. وكانت العبايات والقفاطين الفاخرة تأتيه في الغالب كهدايا من أصدقائه المقربين، وخاصة من سفير السودان المخضرم بدولة المانيا وقطر وإثيوبيا والاتحاد الإفريقي عثمان نافع حمد الجعلي الشعدينابي.

كان ينتعل في الغالب مركوب من جلد النمر الشهير ويتعطر بالعطور غالية الثمن، ويحمل في بعض الأحيان مسبحة يصلي بها على النبي صلى الله عليه وسلم. أما عندما يكون في بيته فيرتدي العراقي والسروال الطويل مع طاقية وبدونها أحياناً، وينتعل السفنجة والأحذية الخفيفة، وربما تجول حافياً داخل بيته وبين ضيوفه. وكان له ذوق خاص في اختيار أقمشة ملابسه وعممه وعباياته وقفاطينه، والتي كان يشتريها من أجود وأغلى أنواع الأقمشة. وله كذلك تفصيل خاص في خياطة جلاليبه وعراريقه بحيث تكون واسعة فضفاضة وواسعة الجيوب،

٨٤- الجَلَّابيَّة ثوب سوداني يرتديه غالب الرجال بالسودان وهي بمثابة الثوب عند العرب خاصة في الخليج.

٨٥- العَرَّاقي ثوب خفيف وأقل طولاً من الجلابية، يرتديه السودانيين تحت الجَلَّابيَّة وفي البيوت وأثناء المقيل والنوم.

بحيث إذا أراد ادخال يده في جيب العراقي يدخلها من خلال فتحة يد الجلابية. وكان لا يغسل ملابسه في البيت أبداً، بل عن طريق الغسالين والمكوجية بمحلاتهم مقابل أجر.

وبقدر ما كان الحاج فضيل نظيف الدواخل نقيها فقد كان نظيفاً أنيقاً في ملبسه ومظهره في غير تكلف أو تكبر أو تطلع للظهور والوجاهة. وكان الزي القومي يضفي عليه كاريزما شعبية رائعة، ومزيداً من الهيبة والوقار والطلعة البهية والقبول، خاصة في المناسبات الدينية والاجتماعية والوطنية، ويعطيه صورة الرجل الجنتلمان تماماً الأنيق مظهراً ومخبراً.

وسائل تنقله

كان الحاج فضيل يسخر المال وما يملك من عرض الدنيا ومتاعها من أجل راحته وراحة أسرته ومرافقيه وضيوفه. لذا فقد كان نادراً ما يستقل المواصلات العامة في تنقله من البيت إلى العمل والعكس أو للمشاركة في المناسبات الاجتماعية وغيرها.

سيارات التاكسي كانت وسيلة تنقله الأولى ووسيلة تنقل أفراد أسرته وضيوفه داخل أم درمان والخرطوم وغيرها. حتى أصبح معروفاً لغالب سائقي التاكسي بالمدينة والذين كانوا من نجوم المجتمع ويعتبرون آباء وأصدقاء للعائلات، ومدرسة في العلاقات والأدب والذوق الرفيع. وكان من أشهرهم الفنان سرور وعبد الكريم الزبير المشجع الرياضي الشهير. وكان التاكسي في البداية من ماركة الفورد ولونه أبيض وأسود ثم ظهرت سيارات الهنتر والهلمان ستين ([٨٦]).

أما وسيلة سفره إلى ولايات السودان المختلفة فكانت القطارات واللواري والبصات السفرية القديمة كالنيسان والسفنجة بد فورد والهوستن، والتي كانت وسيلة السفر الأولى قبل ظهور طريق التحدي (الخرطوم عطبرة) والذي يمر بمدينة الدَّامر، ثم بالبصات السفرية الحديثة والمريحة والتي انتشرت بكثرة بعد تشييد ذلك الطريق. وكان دائماً ما يحجز المقاعد الأمامية الجيدة والمريحة له ولمن يرافقه. وكان من كرمه وشهامته أنه يقوم بسداد قيمة الأجرة عن كل من يعرف من الرجال والنساء والطلاب في المواصلات العامة. وربما سدد عن جميع ركاب البص أو الحافلة. كما كان يسدد عن المرافقين له قيمة الوجبات بالمطاعم والكافتيريات أثناء سفرياته البرية بين المدن والولايات المختلفة.

٨٦- أم درمان زمن الأصالة والابداع، زين العابدين زكريا محمد، ص ٨٠.

الفصل الثامن

انتقال الحاج فضيل من الجباراب بالدَّامر إلى أم درمان

حوالي سنة ١٩٥٢م هاجر الحاج فضيل من قرية الجباراب بالدَّامر، واستقر بين أهله الفضيلاب بحي الموردة، وتحديداً في المنطقة الواقعة إلى الشرق من خور أبي عنجة وإلى الشمال تقريباً من قصر الشباب والأطفال. وعمل مع أهله في صيد وتجارة الأسماك. وبعد فترة استأجر منزلاً خاصاً به وبضيوفه وأصدقائه بحي الموردة. وكان هذا المنزل يقع إلى الشمال من حوش الفضيلاب بخور أبي عنجة وجنوب منزل محمد أحمد علي حسن فضيل في المنطقة المسماة بزقاق الفضيلاب. وكان من جيرانه وقتها: عمه عباس فضيل الشهير بالمدير وزوجته آسيا وأولاد علي صيامة ومحمد عصمت وعبد الله ود الرحمة وعبد الحافظ وعبد العزيز الطيار ومحمد عبد الصمد.

حي الموردة:

يعتبر حي الموردة من أعرق وأشهر أحياء مدينة أم درمان. وكان يسمى في فترة المهدية (ديم عبد القيوم)، وعبد القيوم هذا كان حارساً لبوابة أم درمان والتي اشتهرت باسمه حتى اليوم (بوابة عبد القيوم). وسبب تسمية الحي بالموردة هو أن المراكب الشراعية المحملة بالأخشاب والمواد الغذائية، كانت ترسو بالمنطقة التي بها الحي اليوم، فسميت بالموردة. وينقسم الحي إلى جزأين، الموردة غرب، والموردة شرق.

في سنة ١٩٦١م أحضر الحاج فضيل والدته الحاجة عائشة حمزة عاشميق الشهيرة بـ (أُم شَرَفْ) وزوجته آمنة محمد حمزة عاشميق من الجباراب للإقامة معه بمنزله بالموردة. ثم انتقل للسكن بمنزل بحي الفتيحاب وظل به حتى سنة ١٩٧٣م، حيث انتقل بعد ذلك إلى حي الشقلة شرق بالفتحياب.

عمله في تجارة الأسماك:

بعد هجرته لأم درمان عمل الحاج فضيل في تجارة الأسماك بين مدينتي الخرطوم وأم درمان سوق الموردة. وكان يوم عمله يبدأ عند الثانية والنصف صباحاً، حيث يخرج من بيته ويتوجه إلى زنكي السمك بالخرطوم قبل أن يتحول إلى الموردة بأم درمان بقرار من معتمد الخرطوم آنذاك السيد مهدي مصطفى الهادي، في عهد الرئيس الأسبق جعفر محمد النميري. حيث يقوم بشراء الأسماك ثم يقوم ببيعها على زبائنه الكثر بمدينتي الخرطوم وأم درمان، ثم

يشتري بعد ذلك ما يريد من حاجيات ولوازم من لحوم ورغيف وفواكه وثلج وغيرها. وظل يعمل بزنكي السمك بالموردة إلى أن أقعده المرض عن العمل سنة ٢٠١٢م.

زبائن وعملاء حاج فضيل:

للحاج فضيل زبائن وعملاء كثر من كل طبقات المجتمع بالخرطوم وأم درمان، على رأسهم رئيس القضاء الأسبق السيد خلف الله الرشيد واللواء أبو سمرة، والأب الروحي لنادي المريخ السوداني الحاج عبد الرحمن شاخور، ورجل البر والإحسان المرحوم عمر عوض الكريم، وسيد ضو البيت، وآل تبيدي تجار الذهب، وعوض الله ملة، ورئيس نادي المريخ الأسبق محمد اليأس محجوب، وعبد الله العوض سالم، وجمع كبير من التجار ورجالات المجتمع بالخرطوم وأم درمان.



(بطاقة عضوية الراحل الحاج فضيل في اتحاد تجار الأسماك بالموردة)



(الحاج فضيل في شبابه سنة ١٩٥٦م - أم درمان - الموردة وكان عمره وقتها (٣٨) سنة)

انتقاله لمدينة الفتيحاب بأم درمان:

تقع مدينة الفتيحاب في الجزء الجنوبي لمحافظة أم درمان، ويحدها من الشمال مدينة المهندسين ومن الشرق النيل الأبيض، ومن الغرب محلية أم بدة ومن الجنوب الريف الجنوبي. والفتيحاب أحد قبائل الجموعية الجعليين وهم أهل أم درمان الأصليين، وكانوا يتواجدون في المنطقة التي بها مجلس الشعب وقصر الشباب والأطفال اليوم. واشتهروا بالشجاعة واستخدام النحاس في مناسباتهم الكبيرة من حزن وفرح.

وبعد استقراره لفترة بحي الموردة انتقل المرحوم إلى منزل بحي الفتيحاب أستأجره من الحاج مَنْ السِيد أبو العول أحد أعيان الفتيحاب ومشاهيرهم. وكان من أشهر جيرانه بالفتيحاب الراحل أحمد فضل المولى أحد رموز قبيلة الفتيحاب وكرامهم، والحاج مَنْ السِيد أبو العول ومحمد عباس فضيل وهو ابن عمه ومحجوب أب شورة وعلي العوض بشيري وطه أب كريق وغيرهم.

يروي عبد الله أحمد فضل المولى والذي كان شاباً وبمثابة الابن للمرحوم فضيل في ذلك الوقت، حيث لم يكن له ولد وقتها أن الحاج فضيل كان يعود من العمل كل يوم وهو يحمل قُفة كبيرة ومليئة بأنواع اللحوم والخضار والرغيف، وبرفقته مجموعة ممن كانوا معه بالبص بعد أن يكون قد حلف عليهم بالطلاق للنزول معه ومرافقته لتناول الطعام معه ببيته. ثم يمر عليه بمنزلهم ويطلب منه مرافقته لبيته لخدمة ضيوفه. حيث أشتهر بكراهيته الأكل منفرداً وكان إذا لم يجد من يشاركه الطعام خرج وأتي به من الشارع!



(صورة جوية يظهر فيها حي الفتيحاب بأم درمان يمين الصورة، ومدينة الخرطوم يسارها، كما يظهر الجسر الجديد الذي يربط أم درمان بالخرطوم)

حفل ختان ابنه الأكبر الصادق:

بعد حوالي تسع سنوات من زواجه بالحاجة آمنة محمد حمزة، أنجب الحاج فضيل ابنه البكر الصادق. وكان ميلاده بتاريخ (١٩٦٧/٠٥/٢٨م)، بقرية الجاداب شرق الجباراب جنوب الدَّامر. وكانت فرحة الأسرة والأهل وأصدقاء الراحل كبيرة بمولده، وكذلك في حفل ختانه فيما بعد، حيث توافدوا من الجباراب بالدَّامر وغيرها من مدن وقرى السودان المختلفة لحضور حفل الختان، ونحرت الذبائح وأقيمت الاحتفالات وغنى الفنان الكبير والشهير بابكر ود السافل والذي كان صديقاً مقرباً للمرحوم فضيل. ولا زال صدى المناسبتين على لسان الأهل والمعارف رغم مرور عقود عليهما.

ولما رأى الحاج مَنْ السِيد أبو العول المال الكثير الذي توفر لصديقه وجاره فضيل من مناسبة ختان ابنه الصادق، اقترح عليه شراء البيت الذي يستأجره منه بالتقسيط المريح حتى لا يضيع المال منه في الكرم واقامة الولائم. فوافق فضيل على ذلك وسلمه المال، ولكنه ظل يسترده منه شيئاً فشيئاً حتى استرده بالكامل، وصرفه في الكرم والذبائح الولائم الفاخرة، اكراماً لضيوف مناسبة الختان وغيرهم واكرامهم بالهدايا والعطايا العينية والمادية.

قصة تزويجه لأبيه على أمه الحاجة أُم شَرَف:

ذكرنا فيما تقدم ان والدة الحاج فضيل الحاجة عائشة حمزة عاشميق (أُم شَرَفْ) رفضت العودة لزوجها والده علي فضيل، بعد تغيبه عنها لفترة دون علمها. وأصرت على ذلك اصراراً شديداً بقولها (علي محمود يبقى لي زي أبوي). وبعد فترة من ذلك قرر الحاج فضيل ضرورة تزويج والده. وقامت والدته أُم شَرَفْ ورابحة جبريل حسن فضيل الشهيرة بفترنا بخطبة الزوجة القادمة لعلي فضيل، والتي كانت السيدة (كتيرة العوض)، من منطقة كرري العجيجة شمال أم درمان. وأقام المرحوم فضيل مناسبة كبيرة لزواج والده تكفل بجميع نفقاتها، وأحضر ثلاثة فنانين ليغنوا في حفل الزواج، منهم صديقه المقرب الفنان الشهير الراحل بابكر ود السافل. ثم خصص جزءاً من منزله لوالده وزوجته كتيرة. وكان يقوم بجميع لوازم ومنصرفات والده وأبناء زوجته من زوجها السابق.



(صورة قديمة يعود تاريخها لسنة ١٩٥٦م من القرن الماضي، تجمع الراحل فضيل في شبابه الأول (٣٨ سنة) وقوفاً من اليمين، وعلى يمينه محمد أحمد علي حسن فضيل، وجلوساً يمين حسن علي حسن فضيل، وأحمد البشير بدوي عاشميق فضيل)

انتقاله إلى حي الشقلة شرق بالفتيحاب:

الشقلة أحد أحياء مدينة الفتيحاب وتتكون من جزأين: الشقلة شرق والشقلة غرب. ويحدها من الشرق النيل الأبيض ومن الجنوب جامعة أم درمان الإسلامية، ومن الغرب حي أم بدة، ومن الشمال مربع ١٢ من مدينة الفتيحاب. وسمي الحي بالشقلة نسبة لشجرة كبيرة كانت به. كما كان بالحي شجرة قديمة تسمى شجرة الحضرة الشهيرة، والتي يقال إن الامام المهدي نزل بها عند حضوره بجيوشه لفتح الخرطوم سنة ١٨٨٥م، ودفن بها اثنين من صغاره. والحضرة مقبرة لأهل الفتيحاب والزرانخة البكرية، ومن يليهم من سكان الجهة والأنصار. ويوجد إلى الشمال الغربي من الحي مقبرة كبيرة وقديمة لأهل الفتيحاب.

في سنة ١٩٧٣م انتقل الحاج فضيل من (مربع ٤) بالفتيحاب إلى منزل شيده بالشقلة شرق بحي الفتيحاب. وكان انتقاله إلى الشقلة مريراً ومفجعاً لجيرانه ومعارفه بالفتيحاب، خاصة جاره العزيز أحمد فضل المولى، والذي يقال إنه بكى رحيل صديقه وجاره الوفي فضيل بكاء حاراً ومريراً وكال التراب على رأسه وحشا به فمه، في مشهد مؤثر يحكيه الكثيرون.

وكانت المنطقة التي شيد بها الحاج فضيل منزله بالشقلة شرق أقرب للخلاء وقتها، حيث لا يوجد بها منازل كثيرة أو جيران قريبين، وكان بإمكان زواره مشاهدة منزله من مكان بعيد جداً. وكان بعض الأهل غير راضٍ من اقامته في هذا المكان الذي يرونه خلاء خوفاً عليه وعلى أسرته، والتي كانت تتكون من والدته الحاجة أُم شَرَفْ وزوجته الحاجة آمنة محمد حمزة، وابنه الصادق وابنته انتصار. وفي هذا المنزل أنجب الحاج فضيل من الأبناء المرحوم مَنْ السِيد، ومن البنات أم سلمة والسرة وابتسام وعمر وبعض الأبناء والبنات الذين توفوا صغاراً.



(الراحل الحاج فضيل مع والدته الحاجة المرحومة عائشة حمزة عاشميق، أُم شَرَفْ الصورة في سبعينيات القرن الماضي تقريباً)

منزل الحاج فضيل بالشقلة وجيرانه ومعارفه

يقع منزل الحاج فضيل على قلعة مرتفعة من الجانب الشرقي من حي الشقلة شرق بمدينة الفتيحاب. وينقسم المنزل إلى ثلاثة أجزاء: الديوان وحوشه، وجزء خاص بسكن ابنه الصادق يقع جنوب حوش الديوان، وجزء ثالث خاص بالنساء يقع غرب حوش الديوان.

يجاور المنزل من ناحية الغرب منزل أسرة شرف الدين الفاضل صباحي وزوجته انتصار، البنت الكبرى للراحل فضيل، ويلاصقه من ناحية الغرب منزل أسرة محمد الأمين أحمد وزوجته خادم الله عثمان، وهما من جيرانه القدامى وذوي الخلق الطيب والجيرة الحسنة. ويجاور المنزل من ناحية الجنوب منزل أسرة المرحوم عبد القادر حسن الزبير وزوجته ظواهر جاه الرسول. أما من ناحية الشمال فيحد المنزل شارع كبير يقع عليه منزل أسرة النقيب شرطة حذيفة السيد السماني وزوجته درية ابراهيم، ويجاوره من الغرب منزل أسرة علي الضو عبد الله وزوجته نعمة فضل، ومن ناحية الشرق يجاوره منزل أسرة محمد محمود سعيد وزوجته حرم. وعلاقات الراحل فضيل وأسرته بجيرانهم طيبة وجيدة.



(صورة لمنزل الحاج فضيل بالشقلة شرق بالفتيحاب، ويظهر الديوان يسار الصورة، وباب الحوش مفتوح)

وهناك إلى الجوار غير البعيد من منزل الحاج فضيل يوجد منزل المرحوم الزاكي الحسن من الفتيحاب الجموعية، ومنزل عبد الله فضل الله الريح عثمان وزوجته نجوى عباس بدوي عاشميق، ومنزل بابكر الشيخ عباس، وهم من أهل الحاج فضيل بالجباراب وأرحامه المقربين.

وهناك أسر أصدقائه ومعارفه الكثر بالشقلة، منهم عبد المجيد عبد الرحمن، وملك الدار محمد ملك الدار، وناصر حسن، وحسن السائح، ونايل الفحل، والطاهر محمد أحمد فضل السيد. وأسرة المرحوم فضل الله وابنه آدم، وهم ممن يكنون تقديراً كبيراً واحتراماً وافراً للحاج فضيل وأسرته، ويذكرونهم دوماً بالفضل والخير. وهناك المرحوم بابكر أحمد موسى وأخيه طلب، وعبد العزيز أبكر وأخيه المرحوم حسين، والمرحوم حاج دفع الله من سنار.

وبمنزله بالشقلة شرق قضى الحاج فضيل بقية حياته حتى انتقاله إلى الدار الآخرة سنة ٢٠١٥م، بعد أن قدم ملاحماً عظيمة ومشهودة في الجود الكرم وحسن الضيافة والاستقبال والشهامة والمروءة وحل مشاكل الناس وقضاء حوائجهم. وستظل الأجيال تتناقلها جيلاً بعد جيل، وتسير بذكرها الركبان ما دام على البسيطة انسان.



(باب ديوان الحاج فضيل ويبدو مفتوحاً للضيوف والزوار كما هو حاله دوماً)



(صورة داخلية لديوان وحوش الحاج فضيل واللذان شهدا أروع ملاحم الكرم والضيافة)

تفاصيل يوم الحاج فضيل بعد العودة من العمل

بعد انتهاء يوم عمله في تجارة الأسماك بأم درمان أو الخرطوم يعود الحاج فضيل إلى البيت عند الثامنة صباحاً في الغالب، عن طريق سيارات التاكسي حاملاً قُفَتِه الكبيرة ([٨٧])، وهي مليئة بخيرات اللحوم المختلفة والرغيف والخضروات والفواكه. وكان كثيراً ما يحضر معه ضيف أو مجموعة من الضيوف، وخروف لإكرامهم أو لإكرام ضيف آخراً أو فرحة بشفاء مريض ببيته، أو احتفالاً بمناسبة ما. وكان عادة ما يجبر سائقي تاكسي الأجرة على أن يتناولوا معه وجبة الافطار ثم يسمح لهم بالمغادرة بعد ذلك.

وبعد أن يتناول وجبة الافطار بديوانه يأخذ الحاج فضيل قسطاً من الراحة أو ينام قليلاً. ولا يغادر البيت إلاَّ لأمر ضروري، كعيادة مريض، أو المشاركة في مناسبة فرح أو عزاء. وكان إذا سمع بخبر مفاجئ كالوفاة مثلاً، وهو في العمل يقوم بإرسال حاجياته (القُفَة الكبيرة) للبيت مع أي شخص، أو مع أحد سائقي التاكسي. ويتوجه لأداء العزاء ثم يعود لبيته، وبرفقته مجموعة من الضيوف أو ممن كانوا بمناسبة العزاء من القادمين من أماكن بعيدة.

يخصص الحاج فضيل غالب يومه لأداء الواجبات الاجتماعية المختلفة من صلة الرحم والمشاركة في مناسبات الفرح والعزاء والتهنئة وعيادة المرضى، والسعي في حل مشاكل الناس والاصلاح بينهم وغيرها. وربما جمع برنامجه بين أداء العزاء في وفاة، والمشاركة في فرح، وزيارة مريض وجلسة جودية وإصلاح ذات البين.

وعادة ما يبدأ هذا البرنامج بعد العصر أو المغرب وبعد أن يكرم ضيوفه بتناول وجبة الغداء معهم بديوانه، فيخرج من البيت للوجهة التي يقصدها مستغلاً سيارة التاكسي أو الأجرة الخاصة ذهاباً وإياباً. ويرافقه في الغالب أسرته أو أحد منهم أو مجموعة من المقيمين معه بالبيت، وكان يجهد نفسه كثيراً في سبيل إنجاز هذه المهام، فتجده في تنقل دائم بين المدن والقرى والأحياء والمستشفيات والبيوت. يزرع الشوارع شارعاً شارعاً وحارة حارة محاطاً بالاحترام والتقدير والمحبة من جميع الذين يقابلونه.

كان الحاج فضيل شديد الحرص على الحضور لبيت العزاء قبل دفن الأموات من الأهل والمعارف وغيرهم، وعلى الصلاة عليهم وحضور مراسم دفنهم. ويقضي أياماً عديدة للمشاركة في تقبل العزاء في الأموات. كما كان كثير السفر لمنطقة الجباراب بالدَّامر لمشاركه

٨٧- القُفَة سلة تصنع يدوياً من سعف الدوم أو النخيل لحمل الأشياء والخضار.

أهله في مناسباتهم المختلفة، حتى أصبح معروفاً لكماسرة القطارات وأصحاب اللواري والبصات ووكلائهم. وكان يجهد نفسه كثيراً في هذا الشأن، وربما حضر من الدَّامر عصراً بعد المشاركة في مناسبة زواج أو عزاء، وعاد إليها مساء من ذات اليوم لإداء العزاء في وفاة قريب أو أحد من المعارف والأصدقاء أو ممن يلونهم!



(المرحوم فضيل في إحدى الأمسيات (عصراوية) بحوش ديوانه بالشقلة)

تعرضه لحادث حركة واصابته في الرأس:

في سنة ١٩٨٢م تعرض فضيل لحادث حركة أليم بطريق البحر (النيل الأبيض) شرق الشقلة. حيث كان يقوم بنقل جولات من الذرة لصديقه عبد المجيد عبد الرحمن بواسطة بوكس تايوتا، والذي اصطدم بسيارة بوكس أخرى. وأصيب فضيل اصابة بالغة في رأسه وبجرح في جبهته كاد أن يؤدي لفقدانه البصر، وأدخل على إثر هذا الحادث مستشفى السلاح الطبي الشهير بـأم درمان، والذي كان يشرف عليه وقتها صديقه المقرب اللواء طبيب علي محمد عثمان الفاضلابي الجعلي، من جهة أم الطيور غرب عطبرة. وظل فضيل مدة عشرين يوماً بالمستشفى منها خمسة أيام وهو في حالة غيبوبة تامة.

ولما انتشر خبر الحادث الذي تعرض له الحاج فضيل توافد أهله وأصدقائه ومعارفه زرافات ووحداناً إلى المستشفى للاطمئنان عليه. وازدحم المستشفى والساحات المحيطة به بالزوار ازدحاماً كبيراً وملفتاً للنظر وغير مسبوق في تاريخ المستشفى. حتى اضطر بعضهم لدخول المستشفى خلسة بالقفز على أسوارها، الشيء الذي أزعج ادارتها وعامة الناس وجعلهم يتساءلون عن هذا المريض الذي جلب كل هؤلاء الناس، هل هو وزير بالدولة أم شيخ قبيلة أم سفير أم شيخ طريقة صوفية؟.

واضطرت ادارة المستشفى لزيارة الحاج فضيل لتكتشف أن الرجل لم يكن بمسؤول كبير أو وزير أو شيخ طريقة صوفية، إنَّما هو رجل عظيم اشتهر بالجود والكرم والشهامة والمروءة. وأصبحوا يولونه مزيداً من الاهتمام والرعاية. وسمح مدير المستشفى لأول مرة في تاريخها بإدخال الطعام إلى المستشفى، وكان الطعام يأتي بالسيارات من أناس لا يعرفهم سوى الحاج فضيل.

وبعد تعافيه وخروجه من المستشفى توافد الأهل والأصدقاء والمعارف للتهنئة بذلك. وامتلأ بيته بالشقلة والبيوت المجاورة بالضيوف والزوار. ونحرت الذبائح وأقيمت الاحتفالات لفترات طويلة فرحة بشفاء الزعيم فضيل واكراماً للوفود الكثيرة التي حضرت للتهنئة. وأعجب ذلك المشهد خاله محمد حمزة عاشميق فقال لفضيل :(والله يا فضيل يا ولدي كنا قايلنك زول أهوج ومضيع مالك ساكت، لكن والله الحادث دا ورانا مكانتك ومقامك الذي كنا نجهله).

وتبارى الشعراء في التهنئة بشفاء الحاج فضيل بقصائد رائعة ومعبرة خلدت في أذهان الناس إلى اليوم. ومن بين هؤلاء الشعراء صديقه الشاعر الفحل عبد المنعم أحمد قدور، والشاعر محمد عمارة جاد، والشاعر عبد الله فضل الله الريح وغيرهم. وكان مما جادت به قريحة الشاعر عبد المنعم أحمد قدور بتلك المناسبة هذه القصيدة الرائعة:

حمد لله بي سلامتك أبو الصادق

حِمْدِلّه بسلامتك ... وألف ألف سلامة
وبطيبتك يمين ... نست الخلق آلامة
تفخر دار جعل ... الليها باقي علامة
في حوبة الكرم ... بدراً بتضوي ظلامة

***

اليوم بي نجاتك ... تمت الأفراح
والهم المخيم ... فوقنا ودّع وراح
جيت المولي نجاك ... من كسور وجراح
وفي الدنيا العبوس ... إن شاء الله تبقي براح

***

فاتح للضيوف ... بابك بلا مفتاح
ولو ما إرتاحو نزلاك ... انت مابترتاح
رفعنا يدينا لشفاك ... وقلنا يا فتاح
وعينا صادتك ... بالعقرب النتّاح

***

أبو الصادق يمين ضو ... في عشيرتو صباح
ومع ربعاهو مو ... رجراج ومو نباح
مع جيرانو سمحة ... أفعالو ماها قُباح
قاصد خوة الناس ... ما قصد أرباح

***

معروف أب علي ... بحر الندى الطماح
ببادر بي عفو ... الناس ودائما سماح
سمحة صفاتو طيبة ... نفسو زايدة سماح
وعند الواجبات فارس ... خيول ورماح

***

أبو الصادق يعيش ... الكفو ديمة ندية

ونجاتك سرت في الناس زي صباح عيدية
يا سمح الخصال السامية ماها ردية
أقبل دي البيوت من عبدو ليك هدية

وفي ذات المناسبة أنشد الشاعر عبد الله فضل الله الريح قصيدة رائعة تقول:

بعد الانتظار جانا الخبر تأكيد وحمدله بي سلامتو أبوك مَنْ السِيد
أبوك أسد المكارم أبوك نوعو فريد درع الملبسات الرَّايو ديمة سديد
وصفوك بالخصال ما وجدوا ليك نديد والقالو موجود ما أضافو جديد
فحول شعرانا عبدو وود عمارة أكيد ما بقولو زور ما بمدحو الرعيد
كانت محنة البقعة وظلامه شديد ورفقاء السلاح وهبوك عمر جديد
أخيراً أهلك سمعنا وعرفنا بتأكيد وأهلك كل من عاشرت يا صنديد
قدامنا الرجال زحفت بلا ترديد داهمت العساكر ماهماها التهديد
أسوداً كاسرة جاسرة فيها مَنْ السِيد وملك الدار همام وود الأمين صنديد
وسلالة الملوك اللي المكارم جيد ناصر درة الجموع أسود البيد
ومجيد مجد الشهامة وموطن التمجيد فضيل عز المعالي وطنا بيهو يشيد
وحمدله بي سلامتك إن شاء الله عمر مديد

أما شاعر الجبارب والدَّامر الكبير الفنان محمد عمارة جاد فجادت قريحته بقصيدة رائعة ضمنها ديوانه (النغم الأصيل من ربوع نهر النيل) قال فيها:

رجعت إلى البلد أحمل معايا خطاب خطاب فيهو البشاير السمحة للأحباب
والناس كلهم لاقوني شيب وشباب يسألو عن فضيل ما خرجوه ما طاب
قت ليهم خلاص رجع الأسد لي عرينو وانكشف الألم الكان مغطي جبينو
عباس بدوي جوة الحوش ضرب مرتينو وزغردن العزاز المابدورن شينو
قت ليهم رجع لي ديارو زي البلسم أبو الصادق أزال من النفوس الهم
فتح بيبانو لي ضيوفو الكتار اتحزم يقابل بي بشاشة وللجميع يتبسم
حمد لله بسلامتك يا عظيم العشرة يا الطيبتك أعادت لي وجوهنا البشرة
يا المن خلق ما شفنا منك كشرة يا البتقابل الناس بي حبابك عشرة
وجودك يا فضيل في ديارنا حاجة ضروري دايرنك تهز في البقعة هنا وأم بوري

يا أيام قسـاوتك علينا ماها ضـروري … لكن كيف على فضيل الفحل بتجوري

فضيل في قلوبنا مربوط ربطة محكمة شافية … والناس اصـلو بتعز الرجال الوافية

أبو الصـادق نجا وعادت نسـايم العافية … وألف تحية لكل القلوب الصـافية

نحمد ربنا الما رد دعوة سـائل … أعاد ابن الجباراب البعدل المايل

فضـيل الديمة بين الناس زراعتو نفايل … كم عرفنا بي أعظم رجال وقبايل



(الراحل الحاج فضيل في سبعينيات القرن الماضي)

الفصل التاسع

انسانية الحاج فضيل

الإنسانية هي الأخلاق الحسنة التي تعارفت عليها الأمم، وتحدث عنها القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾. وذكرها صلى الله عليه وسلم بقوله (إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، وبقوله (الخلق عيال الله أحبهم إليه أنفعهم لعياله). وجل أهمية الصفات الإنسانية منفعة وخدمة الناس جميعاً دون انتقائية أو تحيز، وأرفع وأكرم ما في الإنسان أن يتحلى بالصفات التي أحبها له الله.

الأُخُوَّة الإنسانيّة:

والإنسانية هي إحدى خصائص الإسلام الكبرى وهي ما يتميَّز به المرء من الأعمال الصالحة التي يقوم بها وتعود بالخير على البشر، فهي تحمل معاني الإحسان والإيثار من المشاعر أو العواطف وتحقيق العدالة الاجتماعيّة.

ومِن ثمرات إنسانية الإسلام اليانعة مبدأُ الإخاء الإنساني، الذي يقوم على أنّ البشرَ جميعاً أبناءُ رجُلٍ واحد وامرأة واحدة، ضمَّتهم هذه البنوّةُ الواحدةُ المشتركة والرحمُ الواصلة قال الله تعالى في القرآن الكريم :﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [سورة النساء]ولعل كلمة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ، وكلمة ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ تلزمنا أن نفهم كلمة (الْأَرْحَامَ) في هذه الآية على أنها الرحم الإنسانية العامة التي تسع البشر جميعاً.

الإخاء أو الأُخُوَّة الإنسانيّة يعني أن يعيش جميع أفراد المُجتمَع في ترابطٍ وتعاونٍ، دون حسدٍ، أو بغضٍ، بل يُؤازِرُ كلُّ واحدٍ منهم الآخرَ، بغضِّ النَّظَر عن العِرْقِ، أو الانتماء، أو الدِّين قال تعالى ﴿إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ سورة الحجرات: الآية ١٠. وقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:(الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) (رواه البخاري ومسلم عَنْ أَنَسٍ)؛ وفي رواية: وحتى يكره له ما يكره لنفسه. وقد ذكر بعض شُرَّاح الحديث أن كلمة أخيه في الحديث لم تُقيد بصفة

تحدُّ إطلاقها، والمُطلق في النصوص المحكمة على إطلاقه؛ إذاً فالأخوة التي قصدها المصطفى صلى الله عليه وسلم هي الأخوة الإنسانية.

الحاج فضيل معدن الانسانية المشرقة:

رحم الله الحاج فضيل فقد كان ذو نفس غلب ماؤها طينها حتى أصبح بحراً خضماً في معاني الانسانية المشرقة، ومكارم الاخلاق التي حثّ الإسلام عليها ورغّب فيها، والتي تحمل معاني الإخاء الإنساني والإيثار على النفس والترابط والتعاون وحب الخير للناس والسعي في خدمتهم والإحسان إليهم. ولا نبالغ أبداً إذا قلنا إن الزمان قل أن يجود بمثل الحاج فضيل في انسانيته الرفيعة الراقية.

جعل الحاج فضيل الإنسان محور حياته وبالغ اهتمامه. فكان يعتبر جميع الناس إخوته مهما بعدت صلتهم الرحمية أو القبلية أو المكانية به، ويعاملهم على هذا الأساس. ويسعى بكل جد واهتمام لرفعِ قيمتهم وشأنِهم واحترامهم وحفظ كرامتهم؛ يحب لهم ما يحب لنفسه وأهله من خير وعدل وانصاف، ويكره لهم ما يكره لنفسه وأهله وأسرته من ظلم وهضم للحقوق. همه الأول والأخير أن يكون جميع الناس سعداء لا يؤرقهم هم أو حاجة أو تزعجهم مشكلة.

محبته النبي صلى الله عليه وسلم:

كان الراحل فضيل يحمل مشاعر حب صاف وصادق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي هو معدن الإنسانية والخير ومكارم الأخلاق، ويكثر من الصلاة عليه في كثير من تحركاته وتقلباته، ويحب سماع مدحه ويحب كذلك مداحه ويكرمهم. وكان كثيراً ما يحيى ليالي المديح ببيته؛ وعندما يطرب للمديح النبوي يقدم فصولاً رائعة وذات ايقاع متناغم من العرضة والرقص على ايقاعات الطار، وعيناه تدمعان شوقاً ومحبة في النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن طرائفه الكثيرة مع مداح رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه بعد انتهاء مراسم عقد زواج المؤلف من كريمته (السرة)، حضر أحد المُداح وقدم فاصلاً من المديح، فطرب الراحل لمديحه وهز بيديه في وجهه ثم أدخل يده في جيبه وأخرج مبلغاً كبيراً من المال وأعطاه له؛ فلما قبض المادح المال اندهش من كثرته، فوقع على الأرض وهو يصيح (الحاج كتلني... الحاج كتلني..(أي قتلني) ويقصد أنه أغرقني بكثرة المال!

انسانية الوجدان والمشاعر:

لم تقتصر انسانية الحاج فضيل على النواحي المادية فقط، من أفعال الخير والاحسان والايثار على النفس وغيرها، بل كان إنسانياً في مشاعره الرقيقة وعواطفه ووجدانياته، منفتحاً

على الناس والمجتمع، مجاملاً هاشاً باشاً في كل مكان وزمان. لا يعرف أبداً العبوس والتكشير، يفرح بعفوية وصدق لفرح الناس وعند المسرَّات والمواقف المفرحة، ويدعو لهم بالخير والزيادة والنماء. كما كان ذو مشاعر رقيقة عند الحزن والأسى والآلام، تدمع عيناه ويبكي لفراق الأهل والأصحاب بكاءَ رحمة ورفق لا بكاء ضجر وتسخط.

حب البسطاء والمساكين واكرامهم:

من مفردات انسانية الحاج فضيل الراقية حبه للمساكين والفقراء والبسطاء ومن لا ينشغل الناس بهم في العادة. فكان يعطف عليهم ويحسن إليهم بكل ما يملك من مال ومتاع وغيره، ويستدرجهم إلى بيته بألطف العبارات وأحبها إلى أنفسهم وذلك بغرض مشاركته الطعام ومؤانسته مثل :(اتفضل معاي يا عمي ... وينك يا خالي؟ الليلة لازم تشرفني وتفطر معاي ... تعال الليلة ياخوي اتغدى معاي الليلة..)، يفعل ذلك وربما كان لا يعرف هوية من يدعوه لمنزله، أو ربما يعرفه معرفة عابرة. وكان يتواضع بشكل عفوي وغير متكلف مع هؤلاء البسطاء ويفسح لهم مساحات معتبرة في مجالسه.

مدحه المؤلف بذلك قائلاً:

جبيرة الضُعفا والغُلاب	ديارك قبلة الطُلاب
ناير الغُرّة ماك قطّاب	وكم عيان نزيلك طاب

وقال في قصيدة أخرى:

سمح الخصال والنفل	باب الديوان ما قفل
وجيه القوم والسفل	بيهم جميع احتفل

الإيثار على النفس والأهل:

الإيثار على النفس خلق قرآني عظيم مدحه الله تعالى بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩)، وكان الحاج فضيل مثالاً للإيثار على النفس وتقديم الغير على نفسه وأسرته وأهله ولو كان به أو بهم خصاصة، وقد تحلى بهذا الخلق العظيم واشتهر به حتى وفاته. وكان يعتقد دوماً ان الآخرين أحوج منه ومن أسرته وأبنائه وأحق لما يملك من مال وأراض ومتاع وما يأتيه من هدايا قيمة، رغم ان الحقيقية كانت غير ذلك في كثير من الأحيان.

عرف عن الحاج فضيل أنه لا يعرف جمع المال أبداً، وكأنَّما بينها عداء مستحكم أو ود مفقود. وعلى هذا الأساس كان يجود للآخرين بما يملك وتملك أسرته مهما كانت حاجته وحاجتها لما يجود به. وكثيراً ما كان يعطي دون سؤال ليكفي المحتاج ذُل السؤال. ولا يكتفي بذلك بل يحث أولاده وأصدقائه ومعارفه على المبادرة بالإحسان للآخرين وقضاء حوائجهم.

من النادر جداً أن ترى حاج فضيل ماشياً في حاجته الخاصة، أو حاجة أسرته أو أولاده. وربما مشى مضطراً في مثل هذه الأمور ولكنه يتحول عنها فجأة لقضاء حاجة شخص آخر عرفه أو قابله مصادفة. ويكتفى بذلك ويعود فرحاً مسروراً، وليس في باله حاجته أو حاجة أسرته التي لم ينجزها.

تقبله جميع الناس بدون تمييز:

جمع الحاج فضيل من المكارم والقيم طارف وتليد، كما وصفه بذلك صديقه الباحث في التراث السوداني الأستاذ الطيب محمد الطيب، رحمه الله. كان صديقاً وحبيباً للجميع، تحلى بمرونة عفوية عالية في تقبل جميع الناس على اختلاف أجناسهم وأعمارهم وقبائلهم. والتعامل معهم بالظرف والتهذيب والخلق الطيب والمناسب والمبني على معرفتهم وطباعهم.

كان إذا جالس كبار السن تعامل معهم بما يناسبهم من عمر وأقوال وأفعال وتقدير واحترام؛ ويفعل كذلك مع الصغار من الأطفال والشباب والطلاب المقيمين ببيته. يطيب لهم الكلام ويمازحهم ويسايرهم في أحاديثهم سواء في السياسة أو الرياضة أو الفن. ويطالبهم بإعادة الحكاوى التي يحكونها وترديدها عليه مرة أخرى إمعاناً في تقديرهم وتحفيزاً لهم وتطييباً لخواطرهم. وكان لا يحرج أحداً بقول أو فعل حتى ولو كان حديثه مخالف تماماً لما يرى ويعتقد.

الحس الاجتماعي الرفيع:

كان رحمه الله ذو حس اجتماعي متميز ورفيع. ورجل مجتمع من الطراز الأول، وبكل ما تحمل العبارة من معاني ودلالات. ينطلق في تعامله مع المجتمع وأفراده من نفس طيبة خيرة وعامرة بحب الناس وحب الخير لهم. همه الأول والأخير أن يعيش المجتمع وأفراده في استقرار وهناء وأمن وسعادة دائمة، لا يشكون هماً ولا تؤرقهم مشكلة أو حاجة. وسخر حياته وأسرته وجاهه وعلاقاته لخدمة هذا الهدف الانساني النبيل حتى انتقاله للرفيق الأعلى سنة ٢٠١٥م.

إكرام النساء والرفق بهن:

كان الحاج فضيل على هدى الاسلام وتعاليمه السمحة والتي تحث على اكرام النساء وصونهن، بقوله صلى الله عليه وسلم (إنَّما النساء شقائق الرجال، ما أكرمهن إلاَّ كريم، وما أهانهن إلاَّ لئيم)، وقوله (إنَّ اللهَ يُوصِيكُم بالنساءِ خيرًا، إنَّ اللهَ يُوصِيكُم بالنساءِ خيرًا، فإنهنَّ أمهاتُكم وبناتُكم وخالاتُكم، وقوله (واسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا)، وقوله (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي) رواه الترمذي).

وفي هذا السياق كان فضيل شديد الحرص على اكرام المرأة عامة سواء كانت أماً أو أختاً أو بنتاً أو زوجة، والرفق بهن وعدم اهانتهن أو المساس بهن بأي وجه كان، أو تركهن في موضع اهانة أو ذلة أو حاجة. وكان يعاملهن معاملة طيبة ويكرمهن غاية الكرم ويبدي لهن استعداده التام لحل أي مشكلة تواجههن مهما كانت.

كان يعتبر كل امرأة مهما بعدت علاقته بها بمقام أمه أو بنته أو أخته أو خالته أو عمته. ولا ينادي النساء إلاَّ بموجب قرابتهن به مهما بعدت أو بغيرها من الاعتبارات الودية. فيقول (عمتي فلانة وخالتي فلانة وفلانة أختي.. وإنتن أخواتي.. يا بنتي.. يا بنت أخوي ويا بنت خالي ...الخ).

لم يكن كثير المجالسة للنساء أو الحديث معهن إلاَّ لضرورة. وكان من أدبه الفطري في التعامل معهن أنه لا يرفع بصره بسوء نحو امرأة أو فتاة، ولم يكن يميز في الغالب - خاصة إذا كان مشغولاً بضيوفه - بين النساء اللائي يكن في حضرته، ولا يدري ما إذا كانت المرأة التي بين يديه زوجته أو ابنته أو كبيرة أو صغيرة!. فقد كان كل همه أن تكون المرأة في الوضع اللائق بها من صون وعدم حاجة، وكريمة عزيزة آمنة مستورة في بيتها ومع زوجها وبين أبنائها وجيرانها وغير ذلك.

قصة تمزيقه بطاقات الدعوة التي تضمنت اسم إحدى بنات الأهل:

ومما يروى بشأن إكرامه النساء والحرص على صونهن أنه اكتشف ذات مرة وجود اسم إحدى بنات أهله في بطاقة دعوة زواجها فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال: (علي الطلاق تلاتة ما عندنا بنت بجيبو اسمها في كرت...). ثم جمع بطاقات الدعوة وأحرقها وقام بطباعة كروت بديلة بدون اسم البنت. ويقال إن الباحث في التراث السوداني الأستاذ الطيب محمد الطيب قد تناول هذه القصة في إحدى مقالاته عن الحاج فضيل بالصحف، وفي برنامجه التلفزيوني الشهير (صور شعبية). وكان الطيب صديقاً مقرباً للحاج فضيل ومعجباً به كصورة شعبية رائعة تجسد قيم الجود والكرم والشهامة والشجاعة والعفة وصيانة العرض.

وفي اكرامه النساء مدحه المؤلف بقوله:

مـــالـــجَّ يـــوم مـــا لَـــكَـــن لَـــفَّـــاي الـــمـــزنـــوق وإمَـــكَـــن
قشـــــاش دمـــوع الـــبَـــكَـــن مـــنـــو الـــحـــريـــم مـــا شَـــــكَـــن

انسانيته مع الأطفال:

كان المرحوم فضيل انسانياً في تعامله مع الأطفال. يحبهم ويتفهم طبيعتهم السِّنِّيَّة. ويخفض لهم جناحه فيداعبهم ويلاطفهم ويُقبِّلهم ويحتضنهم، ويكره أن يقطع عليهم لعبهم ومرحهم وسعادتهم. وكان إذا مر على أطفال داعبهم بما يحبون من كلام طيب ومحفز لأمثالهم مثل (السلام عليكم يا أبطال..) و(سلام عليكم يا شباب الوطن..) و(السلام عليكم يا شباب المستقبل..) وهكذا.

وكان الأطفال يبادلونه ذات الشعور والحب، فما حل بين أهله بالجباراب بالدَّامر خاصة إلاَّ وتسابق أطفال القرية إلى حيث نزل فرحين بمقدمه الميمون، وكأنهم في يوم عيد سعيد. ويتلقاهم هو بروحه الشفيفة وبالفرحة والبشاشة والأحضان والقبلات والمداعبات اللطيفة نثراً وشعراً وينقلب معهم طفلاً وديعاً غريراً. ويظل بينهم هكذا إلى أن يرجعوا من عنده بالمال والحلوى والتمر وما لذ وطاب مما يهدى له ويقدم لضيافته!

انسانيته مع الحيوان:

شملت انسانية الحاج فضيل المشرقة تعامله مع الحيوان. فكان من رقيه الانساني وسموه يعتبر الحيوان كيانًا معتبرًا ذا روح يحس بالجوع ويشعر بالعطش ويدركه ما يدرك الإنسان من أعراض الجسد وتتألم نفسُه. وأنه يستحق الاكرام كالبشر ويرقُّ قلبه له. وكان إذا ربى حيواناً بمنزله أو بأي مكان اهتم به اهتماماً كبيراً وأكرمه بما يلزمه من مأكل ومشرب ومأوى. وله قصص طريفة في اكرام الحيوان سنذكرها في الفصل المتعلق بطرائفه في الكرم.

الفصل العاشر

أخلاق الحاج فضيل

كان الحاج فضيل ممن جملهم الله بمكارم الأخلاق السمحة، التي جاء الاسلام لإتمامها. وذلك لأهميتها للفرد والأسرة والمجتمع والأمة. قال صلّى الله عليه وسلّم (إنَّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق. وقال (إنّ المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصّائم القائم). وقال: (إنّ من أحبّكم إلى وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً). وقال :(ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق).

وفي هذا السياق كان الحاج فضيل عنواناً كبيراً لكل جميل ونبيل من الخلق والسلوك، ويحمل مواهباً خلقية فريدة قلما تجتمع في رجل.

مزاجه وروحه:

المزاج العام للمرحوم فضيل كان مزاجاً سودانياً قُحاً وأصيلاً. ويمكن وصفه بأنه مزاج المجتمع السوداني في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي، المتسم بالرجولة الحقة الجامعة لكل صفات الشرف، والشهامة والكرم والمروءة، ونكران الذات والثقة بالنفس والاعتداد بها واحترامها، وإباء الضيم والشعور العميق بأداء الواجب مهما كلفه ذلك. فكانت حياته خير درس للناس والناشئين يتعلمون منه الرجولة الحقة بكل معانيها.

الروح الصوفية:

تتسم أخلاقه بصورة عامة بالنزعة الصوفية التقليدية السمحة والتي تقوم عليها غالب المجتمعات السودانية. والتي تتفق مع تعاليم الدين الاسلامي الحنيف، وتهدف إلى تجريد النية واخلاصها لله تعالى، واصلاح القلوب والنفوس. والعمل والتوكل على الله، والصبر والشكر والمحبة والخوف والرجاء والرضاء، والزهد في الدنيا والبعد عن الرياء والأنانية والكبر والعجب، والحسد والحقد والكراهية.

كان الراحل فضيل رقيق النفس، ذو حياء ورحمة وشفقة ورفق سمحاً طيباً في تعامله وبيعه وشرائه، متواضعاً لطيفاً عفيفاً، متسامحاً متسامياً، بعيداً عن الشهوات الدنيئة وملذات الدنيا وحب النفس والجشع والأحقاد والانتقام. متوكلاً على الله صبوراً زاهداً في الدنيا، وفياً بالعهد راضياً بما قسم له الله من رزق، يؤثر الآخرين على نفسه وأهله ولو كان به وبهم خصاصة.

كما كان سخياً لا يبخل بشيء يملكه. حسن الظن بالناس لا يحقرهم ولا يظلمهم ولا يظهر التميز عليهم، مقل في عتابهم، لا يعتدي على أموالهم ولا على أعراضهم ويدعو لهم دوماً بالخير والنماء والزيادة وبكل ما يحبون.

الأصالة:

الأصـالة، بكل ما تحمل الكلمة من معاني ودلالات، كانت ديدن شخصية الحاج فضيل، وجوهر معدنه الكريم. ويمكن اعتباره معياراً للأصالة السودانية التقليدية في سقفها الأعلى، ونموذجاً تقليدياً صارماً لابن البلد السوداني الأصيل، وطرازاً رفيعاً للالتزام الأصيل في سلوكه وأقواله وأفعاله المتسمة بالتضحية والفداء دون تظاهر أو ادعاء. وكان حرصاً على أن يلتزم أهله وأصدقائه ومعارفه وأبنائه، وطلاب العلم الذين يقيمون ببيته وغيرهم بقيم وتقاليد الأصالة.

مدح المؤلف أصالته والتزامه:

ســــيـد الأصــــول والـعـرف	بـريـت أبــوك وأم شَـــرَفْ
تـــدي وتـــعــم مـــن طـــرف	وقـلـبـك صــــمـيـمـاً مـا رجـف

النخوة والشهامة:

النخوة:

ذكرنا فيما تقدم ان النَّخوة هي كل ما تحمله النَّفس من طبائع حميدة تحمل صاحبها على أفضل الأخلاق وأحسن العادات وأطيب الكلام والأدب الرفيع؛ ويقال إنها التطبيق العملي حين الحاجة لما هو مخزون في النفس من صلاحٍ في الأخلاق، ومنها الهبة لنصرة الحق وعدم السكوت على الظُّلم. والنخوة خُلُق عربيٌّ أصيلٌ ومن مكارم الأخلاق التي حث عليها الاسلام. وتعتبر ميزان الرجولة وتمامها ومقياسها عند الكثير من شعوب الأرض. وكلما زادت أخلاقُ المرء وعاداته الطيبة زادَت نخوته.

الشهامة:

أما الشَّهامة فهي الحِرص على الأمور العظام توقعًا للذِّكر الجميل عند الحقِّ والخلق. وقيل هي عزَّة النَّفس وحرصها على مباشرة الأمور العظيمة التي تَستتبع الذِّكر الجميل. وهي من مكارم الأخلاق الإسلامية الفاضلة ومن أهمِّ الصِّفات العربية الأصيلة، ومن مزايا الرجال العظماء وعلامة على علو الهمة وشرف النفس.

نخوة وشهامة الحاج فضيل:

كان الحاج فضيل رحمه الله وغفر الله رمزاً كبيراً وبارزًا لمعاني النخوة والشهامة، ونكران الذات والتجرد البالغ والاخلاص الصادق لخدمة الناس والمجتمع. وكانت النخوة والشهامة من أبرز تجليات أخلاقه النبيلة. وخلد من خلالهما الكثير من القصص والحكاوى الرائعة والجديرة بالاحتفاء والتوثيق والتي لا يتسع المجال لحصرها. حتى أصبح علماً على رأسه نار ومضرباً للمثل في ذلك واكتسب رفعة الذكر في الدنيا وبعد الموت.

كان غاية في الحرص على الأمور العظام التي تصب في الخير والبر ومصلحة المجتمع، وتورث الذِّكر الجميل في الدنيا والأجر والثواب عند الله. سخر حياته الطويلة وما يملك من مال وجاه وعلاقات وأسرة لخدمة الناس وقضاء حوائجهم دون رغبة في مقابل أو ثناء أو حمد. ما عرف شخصاً يحتاج للمساعدة والنجدة إلاَّ وقدمها له، إن كان يملكها أو سعى لتقديمها له من وجه آخر سواء بجاهه أو عن طريق صديق أو مسؤول أو غير ذلك.

كان يرى ان عدم علمه بمشاكل أهله وأصدقائه وغيرهم أو علمه المتأخر بها أو استمرارها بدون حل عيباً بحقه. ويسبب له ذلك الحرج والضيق. وكان إذا فاجأه أحد بمشكلة لم يكن يعلم بها يقول غاضباً: (كيف الكلام دا حاصل وأنا موجود وماني عارف؟!.. كيف دا يحصل ونحن قاعدين وما عارفين؟! والله عيب.... من متين الكلام دا؟!... الخ).

كان يرى أن من العيب بحقه ونقص المروءة، أن يطلب منه أحد من أهله أو أصدقائه المساعدة لحاجة ألمت به ولم يكن يعرفها. فقد كان يرى أن حق الأهل والأرحام والأصدقاء يوجب عليه أن يكون ملماً دوماً بمشاكلهم وحاجاتهم ويحلها لهم قبل أن يضطروا لطلب المساعدة من الآخرين أو إبلاغه بها وطلب مساعدته!

رحابة الصدر ونقاء السريرة:

لا يأخذنا شك أبداً في أن الحاج فضيل كان من مخمومي القلب، الذين عناهم صلى الله عليه وسلم بحديثه عندما سئل عن أي الناس أفضل، فقال (كل مخموم القلب صدوق اللسان). قالوا: صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب؟ قال: (هو التقي النقي لا اثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد). (رواه بن ماجة وصححه الألباني).

فقد كان رحمه الله رحب الصدر سليم القلب من أمراض الحسد والحقد، والكيد والضر والكراهية والشماتة والانتقام. نقي الظاهر والباطن، سريرته أفضل من علانيته، متفق الأقوال والأعمال والمشاعر، والقلب واللسان والوجه. لا يعرف النفاق والرياء والمداهنة، ولا يظهر بلسانه ما يخفي قلبه أبداً.

بر الوالدين:

عرف الحاج فضيل ببره بوالديه الحاجة عائشة حمزة عاشميق أُم شَرَفْ، ووالده علي فضيل أحمد، واكرامهما بما يستحق الوالدان من بر واحترام. وكان يسعى دوماً على أن يكونا في نعمة وراحة بال، لا ينقصهما شيء من حاجات الدنيا. كما كان يكرمهما فوق ذلك بمشاعره الطيبة ومداعباته اللطيفة بما يحبان من قول وفعل.

كان شديد الاحتفاء خاصة بوالدته الحاجة أُم شَرَفْ، يوفر لها ما تستحق الوالدة على ابنها من البر والصلة والاكرام. إذ كان ابنها الوحيد في هذه الدنيا وكانت تكن له بالمقابل حباً كثيراً وتدعو له بالخير والتوفيق والسداد. وكم أصابته دعواتها الصادقات.

حبه الخير للناس والفرح بذلك:

لعل أكثر شيء تتجلى فيه أخلاق الحاج فضيل هو حبه الخير للناس وتعبيره العفوي الصادق عن ذلك بفرح وسرور. فما سمع بخبر مفرح لأحد من الأهل أو المعارف أو الأصدقاء من زيادة في المال أو الولد أو الترقية في منصب، أو شراء دار أو نجاح طالب إلاَّ وفرح بذلك فرحاً كبيراً، واعتبر هذا الفرح هو فرحه الخاص، وبادر بالتهنئة لمستحقها بمشاعر طيبة صادقة. وقدم ما يلزم من واجب المجاملة لصاحب المناسبة واحتفي به.

الدعاء للناس بالخير والزيادة:

وإضافة لحبه الخير للناس وفرحه بذلك، فقد كان المرحوم فضيل دائم الدعاء بالخير والبركة لكل نعمة يراها عند الناس. فما أن يرى خيراً أصاب أحداً أو مر بمنزل فخم أو مزرعة مخضرة أو محل تجاري عامر بالزبائن، أو غير ذلك إلاَّ ودعا له صادقاً بمنظوم الدعاء ومنثوره بالخير والزيادة.

محبة العدل وكراهية الظلم:

محبة العدل وكراهية الظلم له ولغيره، خلق أصيل لدى المرحوم فضيل. فقد كانت حياته انتصاراً للخير وهزيمة للظلم والشر في كل وقت وحين. وكان يطبق ذلك قولاً وفعلاً على نفسه وعلى أفراد أسرته والآخرين ومع من يحبُّ ومن يكره. ولم تكن تدفعُه علاقة القرابة أو عاطفة الأبوة والحبِّ والكره والصداقة إلى المُحاباة بالباطل أو عن إعطاءِ الحقِّ لصاحبه. وفي سبيل ذلك كان ينهض لنجدة كل مستغيث ونصرة كل مظلوم بعزم وقوة وبما يملك من مال وجاه

وعلاقات. وكان كرهه للظلم وفرحه بتحقيق العدل ونصرة المظلوم كبيراً ويظهر بوضوح في ملامح وجهه ومزاجه.

احترام وتقدير الناس:

عرف الحاج فضيل باحترام جميع الناس دون اعتبار للجنس أو القبيلة أو العلاقة أو القرابة. يوقر الكبير ويرحم الصغير والمرأة والضعيف. لا يرفع صوته أو بصره على أحد. وكان من فرط احترامه للناس وأهله وأصدقائه أنه ما كان يناديهم أو يتكلم عنهم بأسمائهم المعروفة بل بموجب قرابتهم منه وعلاقتهم به، وبما يحبون ويستلطفون من أسماء وألقاب وكُنى مثل (يا الأرباب.. يا عظيم القوم.. عمي فلان.. خالتي فلانة.. أخوي فلان وهكذا).

السماحة والفضل:

لم يكن للدنيا وعرضها الزائل مساحة كبيرة في نفس المرحوم فضيل. لذا لم يكن يعطها كثير اهتمام إلاَّ بالقدر الذي يحقق من خلاله برنامجه اليومي في الكرم والمروءة وخدمة الناس والمجتمع. وبالتالي فقد كانت السماحة والفضل أساس تعامله مع الناس والمجتمع وفي الأسواق بيعاً وشراء.

إفشاء السلام:

السلام هو تحية الاسلام. وافشائه من صميم تعاليمه السمحة ومن خير الأعمال في الدين. وهو سبب للسلامة من الآفات وعلو شأن الأمة والرحمة ومغفرة الذنوب، قال صلّى الله عليه وسلّم: (أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوْا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوْا الطَّعَام، وَصَلُّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدخُلُوْا الجَنَّةَ بِسَلامٍ). (أخرَجَه الألبَانيُّ). وقال: (واللهِ لا تَدخلوا الجنَّةَ حتى تُؤمِنوا ولا تُؤمِنوا حتى تَحابُّوا؛ وقال: إنْ شِئتُم دلَلتُكم على ما إذا فعَلتُموهُ تَحابَبتُم: أفْشوا السَّلامَ بَينَكم). وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ان رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاسلام خير؟، فقال (تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف).

ولما كان الحاج فضيل على فطرة الاسلام السمحة وهدى تعاليمه النبيلة، فقد كان ممن يفشون السلام بين الناس بحرارة وعفوية وسماحة نفس تعطي السلام معناه الذي شرع من أجله. كان لطيفاً غاية اللطف في افشاء السلام حسب الحال. فما مر على فرد أو جماعة كباراً أو صغاراً نساء أو أطفالاً إلاَّ وبادرهم بإلقاء تحية الاسلام بصورته الجهوري المحبب (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. السلام عليكم يا جماعة.. سلام عليكم يا ناس ...سلام يا قوم.. السلام عليكم يا عرب.. سلام يا أبطال السلام عليكم يا شباب الوطن ... السلام عليكم يا شباب الأمة..

(إن كانوا شباباً أو أطفالاً صغاراً ... الخ). وكان كثيراً ما يسلم ويصافح جميع الناس الذي يلتقيهم سواء في طريقه أو في مناسبة عامة أو خاصة. أما في المناسبات الخاصة به فقد كان يسلم معانقة على جميع ضيوفه والحاضرين فرداً فرداً!

لم يكن الحاج فضيل يكتفي بإلقاء السلام اللفظي كما يفعل غالب الناس. بل كان غالب سلامه بالمصافحة والأحضان والمعانقة (القَلْدّة السودانية الشهيرة). ويضيف إلى عبارات السلام المعهودة مفردات تزيد في لطفه وحرارته، وفي المحبة والتودد لمن يلقي اليه بالسلام حسب عمره ووضعه وقرابته منه، مثلاً (سلام أهلي ... سلام عزي.. سلام عليكم عمي فلان وسلام خالي فلان.. سلام عليكم يا مك... يا أرباب). وكان في هذا كأنَّما عناه شاعر الحقيبة الكبير محمد ود الرضي في رثائه لذلك الرجل العظيم بقوله (حليل سلامو أب قَلْدّة).

رافقته عدة مرات لزيارة كبيرات السن من نساء أهله الفضيلاب بحوشهم المعروف بالموردة بأم درمان، وأغلبهن في مقام عماته وخالاته وأخواته، فكان عندما يقترب من باب النساء يبادرهن بالسلام من بعيد بصوته الجهوري: (السلام عليكن يا عباسيات.. السلام عليكن يا حسينيات..)، ويقصد بذلك نسبتهن الجعلية إلى العباس بن عبد المطلب وإلى جدهن الصالح حسين ود حمد المتقدم ذكره. وهذه العبارات اللطيفة تجي في إطار التحبب لهن والتودد، وهو من معاني السلام التي استهدفها الدين الاسلامي من هذه السنة العظيمة. فكن يفرحن كثيراً بزياراته لهن والدخول عليهن بهذا السلام المحبب اللطيف، ويستقبلنه بكل مودة ولطف واكرام.

الوضوح وعدم المناجاة:

من الأخلاق الرفيعة التي تحلى بها المرحوم فضيل طوال حياته، الوضوح التام في كل شيء، والجهر بما يريد التعبير عنه من رأي ومواقف وبصوت قوي وجهوري واضح المفردات والنبرات. فلم يكن يعرف الإسرار بما يريد أن يقول أو المناجاة في المجالس والتي هي تعتبر من الأمور التي نهى عنها الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلّم: (إذا كانوا ثلاثةٌ فلاَ يتَنَاجَى اثنانِ دونَ الثَّالثِ)، لأنها تولد البغض والحقد والكراهية.

ومن طرائفه في الإجهار بقوله ورأيه أنه كان إذا أضطر إلى إسرار القول لأحد أو تخصيصه بحديث ناداه وقربه منه، ثم كلمه بصوته الجهوري الواضح (سَجِية وليس تكلفاً) بحيث يسمعه جميع من حوله وربما البعيدون منه. حيث كان جهوري الصوت واضح النبرات. ولم تكن مناجاته للناس بهذه الطريقة الطريفة إلاَّ في أعمال الخير والبر والكرم والمروءة واصلاح ذات البين وقضاء حوائج الناس. إذ لم يكن كثير الكلام في أمور الدنيا الزائلة أو في

مصالحه الشخصية أو لغرض سيء أو ضر أو قطيعة رحم أو غيرها من المنكرات. وكان في هذا مصداقاً لقوله تعالى (ولا تتناجوا بالإثم والعدوان ولكن تناجوا بالبر والتقوى).

التركيز على الجوهر لا المظهر:

لم يكن المرحوم فضيل يهتم كثيراً بمظاهر الأشياء والرتوش والبروتوكوليات في التعامل مع الحياة والناس. بل كان يركز على جوهر الأشياء فقط. فكان يتعامل مع الناس ويكرمهم ويقضي الحاجات ويصلح ذات البين وغير ذلك من شؤونه بأي وسيلة ممكنة ومقبولة تؤدي الغرض المقصود ولا تخالف الأعراف الاجتماعية المتبعة.

الكلمة الطيبة ورحابة المجلس:

كان رحمه الله طلق الوجه طيب الكلام. ودوداً لطيفاً باسماً هاشاً باشاً طوال اليوم. ومن النادر جداً أن تراه عابساً أو غاضباً أو مهموماً. كما كان طيبَ اللقاءِ رحب المجلس لا يتلفظ إلاَّ بكلِّ ما هو خير وفيه مصلحة للناس والمجتمع واصلاح ذات البين. لا يحرج أحداً أو يؤذيه بكلام أو فعل ويترك كلَّ كلامٍ منافٍ للأخلاق الكريمة الحسنة. غير طعان ولا هماز ولا لماز. وهذا سلوك اسلامي رفيع ومصداقاً لقوله صلّى الله عليه: (مَن كان يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، فليَقُلْ خَيْرًا أو ليَسكُتْ)، وقوله: (تبسُمُكَ في وجهِ أخيكَ صدقة).

علو الهمة والعفو والصّفح:

عرف الحاج فضيل بعلو الهمة والترفع عن الدنيا ودناياها والعفو والصفح وعدم الانتقام للنفس أو للأهل، والتجاوز عن أخطاء الآخرين بحقه أو بحق أسرته، من غيرة وحسد بسبب مكانته وشهرته ومحبة الناس له وتقديمهم له في كثير من أمورهم وخصوصياتهم.

ورغم أنه عانى الكثير من الحسد والجحود ونكران الجميل في حياته، إلاَّ أنه كان يواجه ذلك بالعفو والسّماح والصفح الجميل ودون منّ أو أذى أو رغبة في الذكر، بل ارضاء لله تعالى وكسب مودة الأهل والأرحام. فتجده يقابل حاسديه ومن يكيدونه شراً وكأنهم أصدقاء مقربين، يحسن استقبالهم ويلاطفهم في مجلسه وفي المناسبات الاجتماعية. كما كان يحث الآخرين على العفو والتسامح والتجاوز عن الأخطاء، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.

كان البعض يلومه ويعاتبه على مسلكه الطيب المتسامح مع حاسديه ومن يكيدونه شراً أو يتكلمون عنه بسوء في غيبته، ولكنه لم يكن يأبه كثيراً بهذا اللوم، لأنه كان ينطلق من فطرة

سليمة سمحة في التعامل مع جميع الناس، وكان لأسلوبه هذا أَثَرٌ كبير في ذهاب الحسد والعداء الذي يكنه له البعض وتخفيفهما، وفي رفعة منزلته وجاهه بين الناس.

عفوه عن قاتل ابنه الشاب (مَنْ السِيدْ):

في سنة ١٩٩٢م توفي ابنه الشاب مَنْ السِيد عن (١٨) سنة في حادث حركة أليم بشارع الموردة بأم درمان، قبالة اتحاد الفنانين، أدى لوفاته في الحال حيث كان متوجهاً إلى المدرسة الثانوية فصدمه أحد بصات الركاب العاملة في خط الثورة خطأ. وكان حزن والده والناس عليه كثيراً. ولما حضر أهل القاتل لطلب العفو وهم يحملون بعض المواد الغذائية من سكر ودقيق وغيره استقبلهم الحاج فضيل بكل بشاشة وترحاب. وعفا عن القاتل قبل دخولهم منزله وطلب إطلاق سراحه إن كان لا يزال سجيناً، وقال قولته المشهورة والمشهودة (علي الطلاق الميت ولدي والحي ولدي، وأمركم مقضي، وأنا عافي عنه لله ورسوله، انتو تدخلوا البيت لكن حاجاتكم الجبتوها معاكم دي ماتخش بيتي). ثم أكرمهم بعد ذلك بما يليق في يوم مشهود.

مدحه الشاعر عبد المنعم أحمد قدور الحاج فضيل بالعفو والتسامح فقال:

معروف أب علي ... بحر الندى الطماح
ببادر بي عفو الناس ... ودائماً ساماح
سمحة صفاتو طيبة ... نفسو زايدة سماح
وعند الواجبات ... فارس خيول ورماح

الجودية واصلاح ذات البين:

الجودية هي عملية الصلح بين المتخاصمين. ويسمى الواحد أجواداً والجمع أجاويد. وهي من العادات السودانية الأصيلة وأفضلها. ويقوم الأجاويد بهذا العمل لوجه الله تعالى عادة. وكانت الجودية موجودة منذ سلطنة الفونج، واشتهرت بشكل نظامي في عهد السلطان عجيب المانجلك.

وظلت الجودية تلعب دوراً كبيراً في حل كثير من القضايا الكبيرة المعقدة سواء بين القبائل والجماعات والأفراد. وكثيراً ما حقنت الدماء وأعادت المياه لمجاريها. ومن الصفات المطلوب توفرها في الأجواد الحياد والسمعة الحسنة بين الناس، وألا يكون قد سبق له ارتكاب جريمة مخلة بالشرف والأمانة، وأن يكون محل ثقة مسموع الكلمة.

كان الأجاويد بالسودان ومدينة أم درمان خاصة يختارون من خيار الناس ومن رجال الدين والأتقياء وذوي الشرف والذمم النظيفة ومن عمداء الأسر الكبيرة أو ذوي السوابق في الإمارة

والقيادة. وكان من بينهم عمدة أم درمان ورئيس الجعليين بالمدينة في عهد الإنجليز العمدة عباس رحمة الله منصور الشعدينابي، والذي ترجع أصوله لقرية الجباراب بالدَّامر، والتي انحدر منها الحاج فضيل.

وكان العمدة عباس رحمة الله يحمل جميع الصفات المطلوب توفرها في الأجواد. وكان من أشهر الأجاويد المتطوعين بأم درمان، يقوم بحل المشاكل والخلافات بين القبائل والناس بنفسه وجاهه وماله وبما له من علاقات. وكان من الأجاويد الذين يدفعون الغرامات التي يقررونها بأنفسهم على الخصوم، خاصة إذا كان المحكوم عليه امرأة أو غير قادر على دفعها. ولكل ذلك أصبح العمدة عباس صاحب كلمة مسموعة وحكم نافذ ومقبول من الجميع.

وكذلك كان الحاج فضيل رمزاً اجتماعياً كبيراً وسط قبيلته وأهله ومعارفه وأصدقائه. همه الأول استقرار المجتمع واستمرار العلاقات طيبة بين أسره وأفراده. وأن يكون كل من حوله سعداء آمنون لا يعانون مشكلة أو هما. بل كان يعتبر نفسه مسؤولاً مسؤولية مباشرة عن الاستقرار الاجتماعي، ويسعى بكل جد واجتهاد في حل قضايا المجتمع واصلاح ذات بين أفراده واسعادهم.

كان الحاج فضيل يحمل من الصفات والسجايا والقبول ما أهله لأن يكون من رموز الجودية واصلاح ذات البين في المجتمع. وكان السعي في حل مشاكل الناس والاصلاح بين المتخاصمين أو الأزواج المختلفين أو المنفصلين عن بعض وحل ديون المدينين وغير ذلك من القضايا الانسانية والاجتماعية على رأس أجندة برنامجه اليومي. وتستغرق معظم وقته وتفكيره وجهده وماله.

كان يعتبر وجود مشكلة لشخص ما أو خصام بين اثنين أو زوجين من الأهل والمعارف وغيرهم في أي مكان وزمان، واستمرارها دون علمه أو دون حلها من قبل الآخرين عيباً في حقه وحق الآخرين والمجتمع عامة. وكان إذا عرف مشكلة ما تساءل باهتمام وحزن عميق (من متين المشكلة دي حاصلة يا أخوانا؟ الكلام دا حاصل من متين يا ناس؟ وليه ما حدثتوني من بدري؟ معقول العوجة دي حاصلة وأنا قاعد وماني عارف.. يشهد الله ماني عارف الحاصل دة.. والله لو عارف ما بخلي الكلام دا يستمر .. وين فلان ووين علان.. وليه ما دخلوا في المشكلة وحلوها أفوو.... أفوو.. أنا أبوك يا الصادق.. ويتأوه كثيرا وكثيراً). وكان لا يرتاح ويهنأ له بال إلاَّ إذا تدخل في المشكلة وقام بحلها بأي وجه كان.

وكان إذا عرف مشكلة ما في محيط الأهل أو بين المعارف والأصدقاء نهض في أقرب وقت ممكن وسعى في حلها إن كانت من المشاكل التي يحلها بنفسه، أو بلغ من يراه مناسباً ونسق معه لمرافقته لحلها وسعى لذلك بكل جد واجتهاد، سواء بعلاقته بأطرافها أو بوجاهته وماله ومعارفه وعلاقاته. وكان كثيراً ما يسافر خارج أم درمان ويغيب عن أسرته لأيام عديدة، وربما شهور من أجل حل مشكلة ما.

ولما كان رحمه الله تعالى سمحاً عفواً مسامحاً في نفسه وممن يقومون بحل مشاكل أسرته وأهله ومحيطه الاجتماعي القريب، فقد كان مقبولاً به ومرضياً في الجودية وحل مشاكل الآخرين. ومن النادر أن يرد أحد كلمته أو يرفض تدخله في حل مشكلة ما. لذا فقد كان موفقاً دوماً في حل المشاكل بما وهبه الله من القبول الاجتماعي والصدق والنية الطيبة وحب الخير والاستقرار للمجتمع وأفراده.

مدحه المؤلف في هذا الخصوص بقوله:

انـــت الـــزعـــيـــم والـــمـــك ودونـك قـاســـيـة مـا بـتـنـفـك
ســـــاعـــة الأمـــور تـــنـــلـــك مــا شـــفـنــاك تــب تــنــحــك

ورثاه بقوله:

رحل الكان في الكرم أسطورة ورحل سمح الطباع والصورة
تبكيك الجودية ومجالس الشورى وتبكيك المناسبات الكنت نورة

***

كم عدمان فقير واسيت وكم طلاب علم آويت
كم عوجات كتيرة قَضَيت وكم أهديت أراضي وبيت

***

كم هزيت وكم عزيت وكم مشاكل حَسَـــــم حليت
بالوالدين والرحم بريت وما اتبجحت حاشا بي سويت

***

كم مزنوق حليلتو دين وكم أصلحت ذات البين
كم وفقت بين زوجين وكم زوجت بالعديل والزين

اللطف والرِّفق والّلين:

اللطف والرِّفق والّلين من أخلاق الدين والنبوة، قال صلّى الله عليه وسلّم أنّ من ضِمن الذين لا يدخلون النّار كلّ إنسانٍ كان الّلين والسُّهولة والرِّفق من أخلاقه وصفاته في التّعامل. وقد خاطب القرآن الكريم الرّسول صلّى الله عليه وسلّم بأنّه لولا اتّصافك بصفة الّلين لتركك أصحابك، فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلم قَالَ:" (حُرِّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ).

كان الحاج فضيل رفيقاً لطيفاً ليناً في التعامل مع الناس بمختلف مستوياتهم سواء أهل بيته وأقاربه ومعارفه والطلاب المقيمين ببيته وزملائه وزبائنه في السوق، وخاصة مع المساكين والضعفاء. لا يرفع صوته على أحد ولا ينهر كبيراً أو صغيراً. لا يسب ولا يشتم ولا يعير أحداً بخُلق أو خَلق. يحادث الجميع ويداعبهم بما يحبون نثراً وسجعاً. وقد قربه هذا السلوك العفوي الطيب أكثر من الناس وزاد محبتهم فيه.

السعي لمعرفة الرجال العظام وكسب صداقاتهم:

من فلسفة الراحل فضيل العميقة في الحياة السعي لمعرفة الكرام الأفاضل وذوي الأخلاق والمروءة من الرجال وكسب صداقاتهم. وكان كثيراً ما يستشهد بالمثل الشهير (معرفة الرجال كنز). فاجتمع حوله عدد كبير من الأصدقاء الأوفياء وذوي القامات في مكارم الأخلاق من جود وشهامة وكرم ومروءة. ونمت بينه وبينهم علاقات واسعة امتدت لقبيلته وأقارب أهله ووصلت لمرحلة المصاهرة.

وقد جمعت بينه وبين كثير من هؤلاء الأصدقاء مناسبات كثيرة تجلت فيها مواقف مشهودة من الكرم والشهامة. وقد ذكرنا فيما تقدم قصة كرم وشهامة أحدهم مع والده علي فضيل والتي تقف دليلاً على قيم أولئك الأصدقاء وكرمهم وشهامتهم مع الراحل وأهله. وسنذكر سيرة بعضهم في الجزء الخاص بأصدقاء الراحل من هذا الكتاب.

قال الشاعر محمد عمارة يمدح الحاج فضيل بمعرفة الرجال:

نحمد ربنا الما ردَّ دعوة سائل ... أعاد ابن الجباراب البعدل المايل
فضيل الديمة بين الناس زراعتو نفايل ... كم عرفنا بي أعظم رجال وقبايل

الترفع عن الدنيا وعرضها:

من عاشر الحاج فضيل ربما ظن عن جهل أو عدم معرفة لصيقة به أو بسبب طبيعة حياته الصوفية القائمة على البساطة والتواضع والزهد في الدنيا ولين الجانب أن الرجل عفوي بسيط وعلى السجية تماماً. أو أنه ذو غفلة بحيث يفوت عليه الكثير من أمور الدنيا. أما من يعرفه عن

قرب فلا يفوت عليه أن الرجل كان على قدر عال من الذكاء والفهم الصحيح والعميق للناس والحياة والتي كان يعتبرها مجرد عرض زائل لا يستحق كثير اهتمام واحتفاء، مهما انقادت للمرء وأعطته من المال والرئاسة والوجاهة. وأنها بهذا الفهم لا تستحق التزاحم والعداء والخصومات، لذا فقد عاش الحياة وغادرها، وهو زاهد فيها تماماً؛ غفر الله ذنبه وأحسن اليه.

كان الزهد في الدنيا وعرضها، وعدم الاغترار بها واعتبارها مجرد مطية للعمل الطيب وكسب الأجر في الآخرة هو شعاره في الحياة. لذا لم يكن يمنحها أكثر مما تستحق؛ وعاش مترفعاً عنها وعن دناياها وعن عرضها الزائل، لا يأبه بالمال كثر عنده أو قل وان توفر لديه شيء منه أو من متاع، جعله في يده وليس في قلبه وتعجل بالتخلص منه. فكان يعطي الآخرين بطيب نفس وسخاء عطاء من لا يخشى الفقر. وكم أتته الدنيا بمالها وعقاراتها وهداياها الثمينة فما كانت تمكث عنده غير قليل، فيبعثرها غير مبال على معارفه وأصدقائه والمحتاجين وغيرهم بفرح وأريحية عجيبة ونادرة.

كان يسعى في كسب الرزق بجد واجتهاد من خلال عمله في تجارة الأسماك. فيحمد الله كثيراً ويشكره ان أصاب وان لم يصب. وكان يرى نفسه أغنى الأغنياء في الدنيا حتى وهو في أشد حالات العدم والعوز. ويقول دوماً ان الله لم يترك شيئاً لم يعطه له في هذه الدنيا، وأنه في غنى تام وخير ونعيم ولا ينقصه أي شيء. لذا فقد عاش حياة الملوك في مأكله ومشربه وملبسه وتنقله واكرام ضيوفه وأهله وأصدقائه.

كراهيته للمدح بما يقدم:

لم يكن من دواعيَ الجود والكرمِ والنخوة والشهامة عند الحاج فضيل الرغبةُ في الحمدِ والشكر ومحبةُ الثناءِ، أو عرضِ الدنيا أو الشهرةَ وذيوعِ الصيتِ أو استجلابُ منفعة أو دفعُ مضرة. بل كان جوده وكرمه وشهامته فطرة وسجية جبل عليها من أجل خدمة الناس والمجتمع ولوجه الله تعالى.

كان لا يحب أن يذكر بما قدم للناس من خير وكرم ولا يتذكر في كثير من الأحيان من أكرمهم أو قدم لهم خدمة. كما لا يتذكر مواقف الكرم والمساعدات التي قدمها للآخرين. وإذا حاول أحد أن يذكره بمعروف سبق وأن قدمه له أو سعى لرد جميل كان قد أسداه اليه فلا يهتم بذلك كثيراً ويسعى لصرفه عن ذلك بشتى السبل، ويقول له (مافي عوجة يا أخوي حبابك نحن أخوان. نحن أهل وان ما علمت لك هذا الشيء يبقى مافيني خير ولا مروءة. انت القدامي دا أنا

إن جيتك محتاج لشيء ما بتعمل معاي الواجب؟!! ... وإن احتجت لي أي شيء تاني تعال لي أخوك تلقاني قدامك...).

الإباء وعزة النفس:

رغم تنشئته الصوفية التقليدية، وطيبته وحبه للناس وعفويته وبساطته وتواضعه الجم أمام الجميع، فقد كان الحاج فضيل رحمه الله على قدر عال من الإباء وعزة النفس والشمم، ولكن في غير تكبر أو تجبر أو استعلاء. لا يتذلل ولا يتملق، عزيزاً في ضعفه وفي قوته. لا يقبل الذل والانكسار والاحتقار لنفسه ولا لمن معه من ضيف أو صديق أو نزيل أو طالب علم.

وأكثر ما كان يفجر عواصف غضبه هو إحساسه بأن أحداً ما يريد احتقاره أو اذلاله أو استغلاله أو الانتقاص منه أو من أحد من أهله أو من ضيفه أو نزيل بداره. فقد كان يعتبر كل ضيف أو صديق أو طالب علم ببيته بمثابة نفسه وأبنائه تماماً، يحب لهم ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه وأسرته وأولاده. لذلك كان يهين المال وما يملك من أجل إعلاء قيم الإباء وعزة النفس له ولغيره. ولا يهن نفسه أبداً مقابل الاحتفاظ بمال أو عرض من الدنيا.

التوكل على الله والثقة في عطائه:

كان رحمه الله غاية في التوكل على الله. عميق الثقة بربه وبرحمته وعطائه. مؤمناً بأن الرزق بيد الله وحده وأنه سيستوفي ما قسمه له الله من رزق في الدنيا. يستوي عنده حال الغني والفقر والوفرة والعدم. ويرى أن الرزق مهما كان قليلاً فهو خير يستوجب شكر الله وحمده.

وبناء على توكله على الله ويقينه القوي في رزقه وعظيم فضله فقد كان يعطي عطاءَ مَن لا يخشى الفقر أبداً. ينفق كل ما يقع في يده في وقته، ويعتبر أن ذلك من حسن الظن بالله وارضاء له ومجلبة للرزق والخير والبركة.

حب الضيوف والزوار:

تمتع الحاج فضيل بقابلية فطرية عجيبة لاستقبال أكبر عدد من الضيوف والزوار، وفي أي وقت من الأوقات وتحت أي ظرف مادي أو اجتماعي أو صحي كان فيه. يفعل ذلك حتى وهو في أشد حالات العدم والحاجة الملحة. فلا يتضايق أو يتغير له وجه أو يبدي انزعاجاً من كثرة الضيوف على بيته. بل كان يفرح فرحاً كثيراً بهم ويتلقاهم هاشاً باشاً مستبشراً سواء حلوا ببيته أو ببيت غيره أو في مناسبة اجتماعية أو عامة. بل كان يرحب بضيوف غيره أكثر من ترحيب المضيفين بهم.

كان أكثر ما يسعده في هذه الدنيا هو كثرة الضيوف ببيته أو ببيت غيره، وأشد ما يحزنه ويحز في نفسه انقطاع الضيوف عنه أو قلتهم ببيته. وكان يتشاءم باليوم الذي لا يأتيه فيه ضيف. ويردد دوماً أن همه الأول في الدنيا هو أن يكون بيته مليء بالضيوف والكسرة والمُلاح (الإدام) متوفران طول اليوم.

أسعد لحظات فرح المرحوم فضيل كانت عندما يرى ضيوفه متحلقين حول موائد الطعام، وهو يتجول بينهم فرحاً مسروراً وينادي بصوته الجهوري الشهير (زيدو الرغيف يا ولد.. وين الكِسْرَة.. جيبو الملاح يا فلان.. قوم يا فلان جيب كذا وكذا... أفو أنا أبوك يا الصادق ... بتعاينو لي النقص وقاعدين ليه؟!) وهكذا.

النفس الكبيرة والهمة العالية:

كان الحاج فضيل ذو نفس كبيرة وهمة عالية. لا ينشغل بتوافه الأمور وسفاسفها. لا يتجسس ولا يتحسس ولا يتنصت على الآخرين. ولا يتطفل عليهم أو يتدخل فيما لا يعنيه من أمور اللَّهمَّ إلاَّ إذا رأى أن تدخله في أمر ما ضروري ومن باب الخير والاصلاح وإعادة الأمور إلى نصابها والمياه إلى مجاريها.

وكان إذا مشى في الطريق العام مشى مستقيماً لا يلتفت يميناً أو يساراً ولا يهتم بمعرفة ما يحدث بالشارع من أمور لا تعنيه أو تهمه. اللَّهمَّ إلاَّ إذا صادفه موقف حرج ورأى أنه يستوجب تدخله أو مساعدته فيتدخل بنخوته وشهامته المعروفة، ويقدم كل ما يستطيع من جهد ومال وجاه لحل المشكلة وتقديم ما يلزم. فيصلح بين المتخاصمين ويسعف المصاب إلى المستشفى أو إلى بيته ويقف عليه حتى يطمئن على حاله.

وربما مكث اليوم واليومين في معالجة مشكلة صادفته فجأة في الطريق وهو لا يعرف أطرافها. وقد كسب الكثير من الأصدقاء الأوفياء والمعارف من خلال مساهماته في حل المشاكل التي تواجهه فجأة في الطريق أو الأسواق وغيرها.

العفة وغض البصر وصيانة الأعراض:

رحم الله الحاج فضيل فقد كان عفيفاً صواناً شديد الحرص على عورات وأسرار وخصوصيات الناس والبيوت والجيران وغيرهم. لا يرفع بصره في وجه رجل أو امرأة أو داخل متجر أو بيت زاره. ولا يسعى لمعرفة أخبار الناس وأسرارهم ولا يتفقد حاجاتهم واغراضهم لمعرفة تفاصيلها أبداً. وكان ربما زار البيت وخرج منه وهو لا يعرف منه غير

صاحبه أو الشخص الذي استقبله وجلس معه، ولكنه لا يعرف ما إذا كان هذا البيت فخماً أو بسيطاً أو مؤثثاً أو فارغاً.

وكان من خلقه إذا زار بيتاً أن يجلس حيث وجد نفسه من البيت ولا يتخير موقعاً لمجلسه، ويقوم كذلك من حيث جلس. لا يتجول في البيت بنظره ولا برجليه. وكان جل حديثه أثناء زياراته للآخرين ينحصر في السؤال عن حال أهل البيت وصحتهم وتعليم أبنائهم وما إذا كانت لديهم مشكلة يعانون منها أو هم أو قضية تؤرقهم ليساهم في حلها، ولا يفكر في غير ذلك أبداً.

الرضاء بالحال والصبر وعدم التضجر:

عشنا بين يديه سنوات طوال فرأيناه صبوراً جلداً على تقلبات الدنيا ومصائبها. ذو عزم وقوة ومضي. لا يفرح كثيراً بما يأتيه من خير الدنيا وعرضه، ولا يأس بالمقابل على زوال نعمة أو تقلب الأيام. لم نره مهموماً أو غاضباً أو مكشراً أو شاكياً من سوء حال، أو ظرف مادي صعب مر به، بل كان هاشاً باشاً منبسط النفس والأسارير طوال اليوم وفي كل الأحوال. ولعل هذا الخلق ناتج من فهمه الصحيح للدنيا، والقائم على اعتبارها مجرد متاع وعرض زائل لا يستقيم على حال ولا تستحق كثير اهتمام واحتفاء.

كذلك كان صبوراً على الأمراض والعلل التي تصيبه من وقت لآخر والتي تعتبر امتحاناً من الله تعالى للعبد ومكفرة للذنوب. فلم يكن يتضجر من مرض أو يشكو لأحد ولا في خلواته. كابد مرضه الأخير والذي أقعد به عن الحركة والكلام وتوفي على إثره، بصبر وعزيمة وايمان قوي. وكان مؤمناً راضٍ بقدر الله وامتحانه له به. ونسأل الله ان يتقبل صبره ويعوضه خيراً في الآخرة.

الشجاعة والاقدام:

ولما كان الحاج فضيل ممن كملت رجولتهم الحقة في كل جوانبها فقد عرف بالشجاعة والاقدام في مواجهة الحكام والناس والمحن والمصائب وتقلبات الأيام والليالي. كما تحلى بالشجاعة الأدبية كذلك واشتهر بالفصاحة والبلاغة في التعبير في المواقف والمناسبات التي تتطلب ذلك من فرح وكره وجودية وصلح وغيرها.

وما انفاقه المال وكل ما يقع بين يديه بذلك الجود والكرم والأريحية العجيبة إلاَّ دلالة كبيرة على شجاعته. فقد قيل إنه لا ينفق المال إلاَّ شجاع، ذلك لأن المال محبب إلى النفس وانفاقه على الآخرين من الأمور التي تشق عليها. ولا يقوم بذلك إلاَّ شجاع مقدام كالراحل عليه من الله أوسع الرحمات والمغفرة.

شجاعته في مواجهة رئيس السودان السابق عمر البشير:

ومن القصص الشهيرة لشجاعته قيامه بنصح رئيس السودان السابق عمر البشير في مناسبة عقد قران الأستاذ عبد العزيز الخير الطيب علي فضيل، بتاريخ يوليو ٢٠٠٨م بأم درمان. حيث كان الراحل وكيلاً عن العريس باعتباره ابن أخيه، بينما كان الرئيس البشير وكيلاً عن والد العروس الأستاذ الصحفي حاتم حسن بخيت.

قال الحاج فضيل للبشير وبصوت جهوري عال سمعه كل من حضر اللقاء: (ما بتخاف من الله ربع العيش يبقى بـ ١٥٠٠ جنيه...)، وطالبه برفع الغلاء عن كاهل المواطنين وتحسين أحوال معيشهم. فرد البشير: (والله ما عارف يا حاج فضيل). فرد حاج فضيل (ليه ماك عارف.. كلابك ما قاعدين يكلموك...؟!!). فضحك البشير وقال له (يا حاج فضيل لازم تجيي تزورني). فقال له الحاج فضيل (حَرَّم ما أجيك إلاَّ تجيني انت أولاً، أوَّل انت قايل نفسك أرجل مني، ولّ أكرم مني) ؟!. فضحك البشير وسكت.

ومن يتمعن الصورة الفوتوغرافية التي وثقت لقاء الرجلين والمنشورة بهذا بالكتاب يلاحظ الانفعال الواضح لفضيل أثناء مخاطبته الرئيس عمر البشير، وكذلك ملامح وجه البشير واندهاش أحد مرافقيه الشديد من جرأة وشجاعة الحاج فضيل في مواجهة البشير. وهذا يؤكد أن الحديث بين الرجلين لم يكن ودياً أبداً!

لم يأبه الحاج فضيل كثيراً بدعوة رئيس الجمهورية عمر البشير له لزيارته، والتي يتسابق لمثلها الكثيرون عادة وبفرح وسرور. ولم يفكر في مجرد الذهاب اليه يوماً ما، إلى أن فارق الدنيا. حيث كان غير ميال لمجالسة الحكام وذوي الشأن ورجال الدولة والوجهاء، مهما علا مقامهم ولو كانوا في مقام رئيس الجمهورية. والحق أن الرجل كان في شغل تام عن ذلك بالكرم وقضايا المجتمع وحوائج الناس، والتي كان يوليها جل وقته وجهده واهتمامه.



(الحاج فضيل ينصح رئيس الجمهورية السابق عمر البشير برفع الغلاء عن كاهل المواطنين وتحسين أحوال معيشهم ويظهر يمين الرئيس أحد مرافقيه ممتعضاً ومستنكراً نصح الحاج فضيل للرئيس بهذه الصورة غير المألوفة واللهجة الحادة).

نموذج من شجاعته في مستشفى السلاح الطبي:

مما يروى عن شجاعته وصبره وقوة تحمله انه أثناء تنويمه بمستشفى السلاح الطبي بأم درمان، أفاق من الغيبوبة الطويلة التي أصابته لمدة خمسة أيام بسبب حادث الحركة الأليم الذي تعرض سنة ١٩٨٢م، وكان في وضع صحي حرج وعينيه شبه مغلقتين بسبب الورم في رأسه وجبهته، فنهض فجأة من مرقده وجلس على السرير الأبيض وفتح عينيه بيديه بقوة وصعوبة، ثم قال للمرضى معه بالعنبر - والذين كانوا أفضل منه حالاً وصحة - :(ان شاء الله انتو كويسين يا أخوان. طمننوني عليكم).

وقد أثار هذا الموقف استغراب وتعجب المرضى ومرافقيهم من شجاعته وقوة تحمله واهتمامه بالآخرين الذين هم أحسن منه حالاً وصحة.

مدح شجاعته وقوة تحمله الشاعر عبد الله فضل بعد الحادث الذي تعرض له سنة ١٩٨٢م بأم درمان قائلاً:

بعد الانتظار جانا الخبر تأكيد — وحمدله بي سلامتو أبوك مَنْ السِيد
أبوك أسد المكارم أبوك نوعو فريد — درع الملبسات الرَّايو ديمة سديد
وصفوك بالخصال ما وجدوا ليك نديد — والقالو موجود ما أضافو جديد
فحول شعرانا عبدو وود عمارة أكيد — ما بقولو زور ما بمدحو الرعيد

كما مدحه المؤلف كذلك قائلاً:

جسوراً في الرجال مقدام — وساعة الحارة يوت قدام
بتكسي العاري بي الهَدَّام — ومن الترزي ما ها قُدَام

وقد وصف شجاعته كذلك صديقه المقرب الباحث في التراث الشعبي ومقدم برنامج صور شعبية التلفزيوني الشهير الأستاذ الطيب محمد الطيب، بقوله لأهل فضيل ذات مرة: (أبقوا عشرة على فضيل فانه أشبه بالعرب العاربة الذين عاصروا الجاهلية والاسلام فأسلموا فحسن اسلامهم وقد جمع عمنا فضيل من الشجاعة والمروءة والكرم طارف وتليد).

الاستقامة والترفع عن الصغائر:

كان الحاج فضيل رحمه الله ذو نفس عالية، ومتطلعة دوماً إلى المعالي وجلائل الأعمال. غاية الاستقامة في سلوكه مترفعاً عن الصغائر والرذائل. حريصاً على صيانة نفسه وسمعته وأسرته وأهله ومعارفه وضيوفه وطلاب بيته عن كل ما يشين ويحقر النفس أو يدنس العرض، أو يقلل من قيمة الرجولة الحقة.

قال في رثائه المؤلف:

ما اندسَّ يوم في الضرا	ومالفَ حام بي ورا
طبعو في الناس برا	وزيو ما بتجيب مرا

العفوية وحسن الظن بالناس:

عرف الراحل بالعفوية والتلقائية في التعامل دون تكلف أو تصنع. كما كان حسن الظن بالناس وبدرجة تكاد تصل الى الغفلة. حيث كان يصدق الناس في كل ما يقولون وما يتعهدون به له ولغيره، ويبني تعاملاته معهم على هذا الظن الحسن. وكثيراً ما حزن وأصيب بخيبة أمل بسبب كذب البعض عليه وغشهم له لأنه كان حسن الظن بهم ولم يكن يتوقع أن يخيبوا ظنه فيهم.

حب الأهل والأرحام وصلتهم:

كان سلوكه مع أهله وأرحامه مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي). فقد كان شديد الحب لأهله وأرحامه حريصاً على صلتهم وبرهم ومساعدتهم الواصل منهم والقاطع، وتفقد أحوالهم بالسؤال والزيارات والبقاء بينهم لحظات ودية جميلة وخالدة، تتجدد فيها حياتهم وطموحاتهم وثقتهم بالله والناس والأهل. وكانت معاني الرحم متسعة عنده بحيث تشمل معارفه وأصدقائه وغيرهم. وكانت صلته لرحمه وزياراته لهم بالبشاشة والكرم وسلامه الحار (أب قلدة) تشمل جيرانهم ومعارفهم.

مدحه المؤلف بصلة الرحم وحسن الجيرة قائلاً:

راعي الجيرة والأرحام	مواصل لي ديارن حام
ايدك طايلة يا الرحَّام	وماك الناشف الجحّام

وقال في رثائه:

وينو فضيل أب علي	وينو الفَقَّاد البَشْولي
البدي العشمان مَلي	في الفردوس ينزل عَليَّ

وقال فيه:

كنت العم والصديق والأب	وكنت رحمة نازلة من الرب
كنت زول لطيف بنحب	ومنك شينة ما شفناها تب

وقال عنه أيضاً:

كنت الضرا وكنت الضُل وكنت الخير بِعِم الكُل
ماعون الأهل عبيتو قّل وما بتقبل لـيـهـم مهانة وذُل

الوفاء والعرفان ورد الجميل:

تحلى الحاج فضيل بالوفاء المطلق والعرفان ورد الجميل لأهله، ليس بمثله كما هو الغالب عند الناس بل بما هو أكثر منه. فقد كان شديد الحرص على رد كل جميل أو معروف أُسدي اليه من الناس، سواء كان فعلاً أو قولاً ولو كان قليلاً لا يستحق الذكر.

وكان من طيب نفسه وتقديره للمعروف، أنه يكثر من ذكر الجميل الذي قدم له في مجالسه وبين أصدقائه وأحبابه، وبحجم أكبر مما كان عليه في الواقع. ويجعله هماً وديناً في ذمته ويتشوق لرده بأكثر منه ويتحين الفرص لذلك. فكم أهدى قطعة أرض لمن أكرمه بذبيحة أو لمن أهدى له شيئاً يسيراً. وكم أهدى بيتاً لمن أكرمه باستقبال حسن أو قدم له خدمة أو لأسرته أو لأحد من أهله أو أصدقائه أو معارفه وهكذا.

الجود بكل ما يملك:

كان الراحل فضيل يعتمد في معيشته واعالة أسرته واكرام ضيوفه على رزق يومه من تجارة الأسماك. وكما ذكرنا فيما تقدم أنه لم يكن يعرف جمع المال أو ادخاره ليوم الغد. بل كان منفقاً متلافاً للمال وما يملك من عرض الدنيا الزائل. يهدي لأهله ومعارفه وأصدقائه وضيوفه جميع ما يقع في يده من مال وأراض وهدايا غالية تصله من أحبابه.

وكان إهداء الأراضي والبيوت هو الأشهر في كرمه العريض بما يملك. يفعل ذلك رغم أنه كان يقيم بمنازل يستأجرها من الآخرين سواء بالموردة والفتيحاب. وقد أهدى لبعض أصدقائه أراض قيمة وبمواقع متميزة ببانت والفتيحاب والشقلة رغم حاجته وحاجة أسرته وأبنائه لها. وكثيراً ما أغضب هذا التصرف والدته الحاجة أُم شَرَفْ، والتي كانت تريد أن يبني ابنها بيتاً لأسرته على أي من الأراضي الكثيرة التي كان يمتلكها. ولكنه كان يفاجئها في كل مرة بأنه أهدى هذه الأرض لفلان وتلك لعلان من الناس.

يحكى أنه امتلك قطعة أرض في موقع جيد بحي الشقلة شرق بالفتيحاب. وأخبر والدته أُم شَرَفْ بذلك، وأكد لها أنه سيشيد عليها بيته ففرحت فرحاً شديداً بذلك. وازداد فرحها عندما رأت بعض مواد البناء على تلك الأرض ظناً منها أن ابنها قد قام بجلبها للشروع في بناء البيت.

ولكنها اكتشفت أن من قام بإحضار هذه المواد ليس ابنها فضيل إنَّما صديق له كان قد أهداه تلك الأرض دون علمها.

غضبت الحاجة أُم شَرَفْ من ابنها فضيل وباتت لا تكلمه مدة طويلة. فحزّ ذلك في نفسه وحاول التصالح معها ولكنها رفضت ذلك. فسافر الحاج فضيل إلى الجباراب بالدَّامر وأبلغ صديقه الوفي وخال زوجته الرجل الكريم محمد علي الشيخ بمخاصمة والدته له بسبب الأرض. وكان محمد علي محبوباً لدى الحاجة أُم شَرَفْ ومقدراً لديها. وطلب منه الحضور معه إلى الشقلة والتوسط لديها لمصالحته والعفو عنه فحضر معه وتمكن من الاصلاح بينهما واعادة المياه إلى مجاريها.

الفصل الحادي عشر

جود وكرم وحسن ضيافة الحاج فضيل

الحاج فضيل كاريزما الجود والكرم:

الجود السخي والكرم الحاتمي الأصيل والبشاشة، وحسن الاستقبال والضيافة صفات أصيلة تمثل جوهر شخصية المرحوم فضيل ذات الكاريزما العالية في هذه القيم. وتعتبر عنوانها الرئيسي والأكبر. وكان فضيل هكذا كما حكي عنه أهله وأنداده منذ طفولته وحتى وفاته سنة ٢٠١٥م. وخلد في ذلك روائعاً من القصص والحكاوى ستظل تتناقلها الأجيال وتسير بذكرها الركبان.

مدحه بالكرم وطيبة النفس والعفو والشجاعة والفروسية الشاعر عبد المنعم أحمد قدور في قصيد طويلة قال فيها:

حـــمـــداً لله بســـــلامـــتـــك	وألـــف ألـــف ســـــلامـــة
وبـــطـــيـــبـــتـــك يـــمـــيـــن	نســـت الـــخـــلـــق آلامـــة
تـــفـــخـــر دار جـــعـــل	الـــلـــيـــهـــا بـــاقـــي عـــلامـــة
فـــي حـــوبـــة الـــكـــرم	بـــدراً بـــتضـــوي ظـــلامـــة
مـــعـــروف أب عـــلـــي	بـــحـــر الـــنـــدى الـــطـــمـــاح
بـــبـــادر بـــي عـــفـــو	الـــنـــاس ودائـــمـــا ســـامـــاح

ومدحه المؤلف:

تبكيك الرجولة والمكارم جم	وتبكيك البشاشة وحباب حَرّم
تبكيك الضيوف ونحاير الدم	ويبكيك الجود يا البتدي خَم

ومدحه كذلك بصفات الكرم وحسن الضيافة:

جـــودك فـــطـــرة يـــا الأربـــاب	مـــأصـّــــل فيـك مـا هو أســـبـــاب
ضـــيـــفـك حـيـن وقـف فـي الـبـاب	بـــيســـــمـــع ألـــف ألـــف حـــبـــاب

وقال فيه أيضاً:

من قومة الجهل بي كب	باين في الكرم كوكب
يكابس بابو لو كركب	يهوش في ضيفو ما إتنكب
يباشر ضيفو ما اتهرب	كتير في موقف اتجرب
باسط زادو والمشرب	دة حاتم منو مابقرب

التزامه بواجبات الضيافة العربية الأصيلة:

وإضافة إلى اشتهاره الواسع بالجود والكرم، والبشاشة والترحاب وحسن الاستقبال والضيافة. فقد اشتهر الحاج فضيل كذلك بالتزامه الصارم بواجبات الضيافة على أصولها الاسلامية والعربية المعروفة، بل وبما يفوقها كثيراً في بعض الأحيان ومن تلك الواجبات:

إظهار الفرح بمقدم الضيف:

إن من حسن ضيافة الراحل فضيل وتمامها أنه كان شديد الفرح بمقدم الضيوف إلى داره وفي مناسباته المختلفة. ويزداد فرحه بهم كلما ازدادوا وتكاثروا على بيته أو مقر اقامته. وكان يستقبل الضيوف بطلاقة الوجه والتهليل والبشاشة العفوية والدموع وطيبُ الكلام وألطفه. شاكراً اكرامهم له وتشريفهم بالحضور إلى داره. بل كان يفرح بالضيوف ويرحب بهم أينما رآهم حلوا وبنفس مستوى الفرح والبشاشة الذي يستقبل به خواص ضيوفه.

كان يرفع من قدر ضيوفه ويُعلي من منزلتهم، ويتقربُ إليهم ويتجمَّلُ بالحديث والبسطُ والأنس والملاطفة، ويخدمهم بنفسه كعادة كرام الناس وسادتهم. ويظهر الغِنى وسعة الحال أمامهم رغم ضيق ذات يده في كثير من الأوقات. وهذا خلق عربي أصيل، وفيه قالت العرب (البشاشة في الوجه خير من القِرى). وقالت (إن من تمام الضيافة الطلاقة عند أوَّلِ وهْلَةٍ وإطالةُ الحديث عند المأكلة).

مدحه الشاعر عبد المنعم أحمد قدور بالباب المفتوح وحسن استقبال الضيوف واراحتهم قائلاً:

فاتح للضيوف	بابك بلا مفتاح
ولو ما إرتاحو نزلاك	انت مابترتاح

كراهيته سؤال الضيف عما يقدم له:

كان أكره ما يكره حاج فضيل: سؤال الضيف عما يقدم له أو لضيافته، وينفر من ذلك نفوراً كبيراً ويعتبره عيباً من عيوب الضيافة. كما كان يكره كذلك أن يسأله مُضيفه عما يرغب أن يقدم لضيافته ويرفض في كثير من الأحيان تناول شيئاً من مضيفه بعد هذا السؤال. وهذا الخلق يتفق مع آداب الضيافة العربية الأصيلة، قال الثوري :(إذا زارك أخوك فلا تقل له أتأكل؟ أو أأقدم إليك؟ ولكن قدم، فإن أكل وإلا فأرفع).

تعجيل الطعام:

أما تعجيل الطعام لضيوفه والمقيمين بداره فقد كان من أهم وأشهر آداب وقيم ضيافته. وكان يمثل شاغله الأساسي في حضرة ضيوفه. ويهتم بذلك اهتماماً شخصياً ومباشراً، ويبذل لتحقيق هذا الهدف معظم وقته وغاية جهده.

وكان أكثر شيء يزعجه هو تأخر الطعام عن الضيوف. فتجده ضجراً قلقاً يحث باستمرار أبنائه ومن معه بالبيت طالباً تعجيل الطعام والاكثار منه. وجل حديثه وتوجيهاته تكون في هذا الشأن ومن قبيل :(قوموا جيبوا الأكل للضيوف.. أكرموا الضيوف يا فلان.. جيبو الأكل للناس ... الأكل وينو يا فلان ... الأكل يكون كتير.. ليه الأكل دا أتأخر .... قوم يا فلان شوف الأكل ... الحق الأولاد ديل يا فلان شوفهم راحو وين غطسوا...).

وكانت أسعد لحظاته في الدنيا هي لحظة تقديم الطعام للضيوف فتراه يتهلل فرحاً وسروراً ويتجول بين ضيوفه المتحلقين حول الطعام. ويتابع الموائد ليرى ما إذا كان هناك نقص في اللحم أو الرغيف أو الملاح (الإدام). ويغضب كثيراً إذا غفل القائمين على الضيافة عن إحضار زيادة الطعام أو الرغيف أو الكسرة أو اكمال نقصها. فينادى على أولاده والمقيمين معه بصوت عال جهوري (قوم يا فلان جيب الرغيف ... جيبو الملاح ... جيبو الكسرة يا فلان ... بتعاينو لي شنو..). هذا رغم أن أبنائه والمقيمين ببيته اعتادوا على حسن الضيافة واكمال ما ينقص من موائد الضيوف في وقته وبشكل تلقائي دون حاجة لتوجيه أو تنبيه، وكان مجرد نظرة منه لأحدهم تكفي لقيامه باللازم في هذا الخصوص.

وعادة تعجيل الراحل فضيل الطعام للضيوف توافق تماماً أصول الضيافة العربية، قال حاتم الأصم :(العجلة من الشيطان إلاَّ خمسة فإنها من سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم (إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب).

الإلحاح على الضيوف بالأكل:

ما كان الحاج فضيل يترك ضيوفه على المائدة يأكلون على مشيئتهم، بل كان يتابعهم متابعة دقيقة ويلح عليهم في الأكل والاستزادة من الطعام، مردداً (اتفضلوا ... اتفضلوا. البيت بيتكم.. إنتو ما ضيوف إنتو أهل بيت.. حرم تاكلو.. حرم تكرموا.. أكل يا خالي فلان حرم تاكل يا عمي فلان.. أقرب على الطعام يا فلان.. فلان أكلك ضعيف مالو.. حرم يا فلان ما تقوم.. حرم تاكل أفوو عيب كيف تقوم تخلي الضيوف.. عيب عليك أفوو..)، وغيرها من العبارات اللطيفة التي تدل على كرم عفوي أصيل وسخاء منعدم النظير.

إقامة الولائم والمآدب الفاخرة:

كان يحب إقامة الولائم والمآدب الفاخرة لضيوفه. وكان ربما ذبح الذبيحة والذبيحتين والثلاثة في اليوم الواحد حسب الضيوف القادمين على داره. وكان في الغالب لا يأكل إلاَّ بعد أن يأكل ضيوفه ومن ذات المائدة التي أكلوا منها، وذلك بعد أن ينادي على المشرفين على الضيافة ليأتوا بمزيد من الطعام ويأكلوا معه، فتراه ينادي قائلاً (تعال يا ولدي أُكُل معاي.. تعال يا ود أخوي الناكل سوا ... تعال يا ود خالي نتغدى سوا ...) وهكذا.

عدم البخل بطعام أو الاحتفاظ به:

ومن الآداب الشهيرة لكرم الحاج فضيل بالطعام، أنه لا يبخل بمائدة أو يوارى بعض الطعام ليوم غد. ويكره أن يبقى بالبيت طعام أو لحم من الذبائح التي ذبحت للضيوف ، ويتشاءم بذلك ويعتبره من قبيل ضعف الايمان بالله والثقة بربه وبكرمه. وكان كثيراً ما يردد (نحن ضامنين نفسنا نحيا ونعيش لي بكرة). و(يوم بكرة بي خيره وبي رزقه وكرمه من الله) (وربنا الأدانا الليلة بدينا بكرة). وكان يشدد على زوجته والنساء اللائي معها أن يطبخن كل الذبيحة وألا يتركن منها شيئاً للغد، ويغضب إذا صادف لحماً قد ترك من الذبيحة، ويطلب طبخه وتقديمه للناس فوراً، وإلا تخلص منه بأي وجه كان كأن يرميه للكلاب خارج البيت.

عدم رفع المائدة قبل أن يأخذ الضيف كفايته من الطعام:

وكان من آدابه كذلك في الطعام واكرام الضيوف عدم رفع المائدة حتى يأخذ ضيفه كفايته من الطعام، ويعتبره من عيوب الضيافة ومحرجاً للضيف. وكان إذا أكل مع ضيفه لا يشبع قبله

أو ينصرف ويتركه على المائدة، ويلزم المقيمين معه بالبيت بذلك ويغضب كثيراً إذا قام أحدهم من المائدة قبل الضيف.

تشييع الضيف إلى باب الدار:

تشييع الضيف إلى باب الدار كان من أهم آداب الضيافة لدى الراحل فضيل، بل كان يشيع بعض ضيوفه إلى أبعد من باب الدار وربما إلى بيوتهم، أو إلى المكان الذي يرغبون الوصول اليه. وإذا كان مريضاً أو غير قادر عن ذلك لأي سبب كلف أحد أبنائه أو المقيمين معه بالبيت بذلك. وهذا الأدب الرفيع موافق تماماً للسنة النبوية الشريفة ومن محاسن الأخلاق. وكان يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرغب فيه بقوله (إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار) أخرجه ابن ماجة من حديث أبي هريرة، وأخرجه البيهقي في شعب الايمان.

البشاشة والترحاب الحار بالضيوف:

إن أبلغ درجات جود وكرم المرحوم فضيل كانت في بشاشته العفوية العجيبة والمتدفقة دوماً في استقبال أكبر عدد من الضيوف، وبألطف وأعذب عبارات الترحيب والبشاشة والاحترام وأغربها. يفعل ذلك في كل الأوقات والأحوال وفي حالتي الوفرة والعدم. وله في ذلك قاموس خاص تتجدد مفرداته بتجدد الضيوف وكثرتهم، منها (حبابكم عشرة.. حبابكم مليون.. حبابكم دشليون.. حبابكم وحباب الجابكم.. البيت بيتكم الدار داركم الجابكم يجيب عقابكم.. حباب عقابي حباب أهلي حباب عزي عزيتوني أكرمتموني شرفتوني ...الخ)، وغيرها من عجائب وغرائب عبارات الترحيب المقرونة بالأعداد الضخمة والتي لا يوجد بعضها في قاموس الأعداد المعروف، وتتنزل عليه في وقتها فرحة بمقدم الضيوف وكثرتهم متزامنة مع دموعه السخية والصادقة.

إن بشاشة فضيل في استقبال واحترام ضيوفه وملاطفته لهم منذ قدومهم وحتى رحيلهم، كانت تنافس إكرامه لهم بالطعام وغيره. وكم شهدنا ضيوفه يبكون من حرارة استقباله وترحيبه وصدق عاطفته!!

مدحه الشاعر محمد عمارة جاد بقوله:

حمد لله بسلامتك يا عظيم العشرة	يا الطيبتك أعادت لي وجوهنا البشرة
يا المن خلق ما شفنا منك كشرة	يا البتقابل الناس بي حبابك عشرة

وقال فيه:

قـت ليهم رجع لي ديـارو زي البلســم ‏ ‏ أبو الصـــادق أزال من النفوس الهم
فتح بيبـانو لي ضـــيوفو الكتـار اتحزم ‏ ‏ يقابل بي بشـــاشـــة وللجميع يتبســم

ومدحه المؤلف قائلاً:

تبكيك الرجولة والمكارم جَم ‏ ‏ وتبكيك البشاشة وحباب حَرّم
تبكيك الضيوف ونحاير الدم ‏ ‏ ويبكيك الجود يا البتدي خَم

ومدحه المؤلف كذلك:

وافـــر خـــيـــرو مـــا أجـــدب ‏ ‏ دقـــيـــق الـــكســـــرة بـــالأردب
يـــجـــالســـك طـــيـــبـــة يـــتـــأدب ‏ ‏ بشـــوشـــاً حـاشـــا مـا اتغضـــب

إطعام الطعام:

يبدو أن الحاج فضيل قد ورث سجية الكرم واطعام الطعام من جده لأبيه وأمه الشيخ الرجبي الصالح حسين ود حمد الجعلي الشعدينابي، صاحب القبة والمقبرة الشهيرة بالحصايا. والذي عاش قبل حوالي ٦٠٠ سنة تقريباً. وكان مشهوراً بإطعام الطعام بمسيده العامر بالحصايا جنوب الدَّامر.

ونسب للشيخ عبد القادر الجيلاني، والذي يعتبر جداً للراحل فضيل وجد جده شاع الدين بن عرمان لأمه سكينة بنت عبد الرازق حفيد الشيخ الجيلاني، أنه صعد المنبر ذات مرة وخطب أقصر خطبة في التاريخ وقال فيها: (لقمة في بطن جائع خير من بناء ألف جامع، وخير ممن كسا الكعبة وألبسها بالبراقع، وخير ممن قام لله راكع، ومن جاهد للكفر بسيف مهند قاطع، وخير ممن صام الدهر والحر واقع، وإذا نزل الدقيق في بطن جائع، له نور كنور الشمس ساطع، فيا بشرى لمن أطعم جائع).

لقد كان القرى واطعام الطعام والاكثار منه وتعجيله للضيوف من أبرز معالم جود وكرم الحاج فضيل. وكان يكرر دوماً ان همه الأول والأكبر في حياته هو أن يكون بيته عامراً بالضيوف والطعام متوفراً لا ينقطع. وله مقولات كثيرة وشهيرة في هذا الخصوص منها (همي في الدنيا أن يكون بيتي مليان ضيوف والأكل متوفراً طول اليوم).

قال المؤلف في رثائه:

فاقدنو الما رقد بي سَيَّة وفاقدنو البشبع ضيفو شية
فاقدنو الخلا نارو حية وفاقدنو الفات وقطع الجية

وقال عنه كذلك:

في الكرم وزنك عيارو تقيل وسخاك مافي ليهو مثيل
ايدك تدي ديمة ما بتشيل وحاتم فتو غادي عديل

إكرام الضيوف بقضاء حوائجهم:

لم يكن الحاج فضيل يكتفي بإكرام الضيوف الاكرام المادي المعروف من حسن استقبال واطعام الطعام والمبالغة في ذلك. بل كان يقوم مع ضيوفه ونزلاء بيته في قضاء حوائجهم المختلفة ويسعى في خدمتهم في كل شأن ومشكلة جاؤوا من أجلها إلى أم درمان. فإذا كان للضيف مشكلة بجهة حكومية قام معه فيها بكل ما يملك من جاه وعلاقات، وسخر أولاده ومن يعرف من الأصدقاء لخدمته حتى تقضى حاجته على أكمل وجه وهكذا.

وكثيراً ما كان يطمئن صاحب الحاجة من ضيوفه بأن مشكلته بسيطة وسهلة، ويطلب منه البقاء بالبيت وعدم التحرك وارهاق نفسه بالسعي في متابعتها، ليقوم هو بذلك الواجب أو يكلف صديقاً أو ذو علاقة أو صلة بمتابعتها وحلها.

عدم التفرقة بين ضيوفه:

ولما كان الحاج فضيل عفوي فطري في جوده وكرمه وترحابه، فقد كان لا يفرق أبداً بين ضيوفه ونزلاء بيته، فكانوا عنده سواء الوجيه منهم والوضيع الغني والفقير. بل كان أكثر كرماً وسخاء مع المساكين والفقراء والبسطاء يستدرجهم إلى بيته وطعامه بكل الحيل والأساليب اللطيفة، ويكرمهم غاية الكرم ويقضي حوائجهم وحاجات من يلونهم من الأهل والأبناء. ولكن لم يكن هذا الطبع السخي يمنعه من إعطاء كل ضيف مكانته ومنزلته اللازمة في الاستقبال والضيافة والتقدير.

قال بحقه المؤلف:

كــرمــاً عــجــيــب بــلــحــيــل وخــاتــي الــفــرزّة والــعــزيّــل
ضـــيــف الــهــجــعــة نــص الــلــيــل نــزولــو الشِــقــلــة ديــمــة فضـــيــل

وقال عنه أيضاً:

كــريــمـــاً لا فـــرز لا حـــاب	يفوق العِينّـة صـــابـة ســحــاب
غــريــب الــدار والأصـــحـــاب	جـميـع فـي ديـارو بـلـقـو رِحـاب

وقال فيه كذلك:

ســمــح الـخصـــال والـنَـفَـل	بـــاب الــديــوان مـــا قـــفــل
وجــيـــه الـــقـــوم والســــفــل	بــيــهــم جــمــيــع احــتــفــل

كراهيته الأكل منفرداً أو في الأسواق أو المطاعم:

كان الحاج فضيل يحب الأكل مع الجماعة ويكره الأكل منفرداً إلاَّ عند الضرورة القصوى وعدم وجود من يؤاكله، وكان هذا نادراً. كما كان يكره الأكل واقفاً أو في الأسواق والشوارع والمطاعم والمواصلات العامة، من بصات وقطارات، وغيرها أو في الأماكن المغلقة ويعده منقصة في المروءة والرجولة والخلق الكريم.

وكان إذا لم يجد شخصاً يأكل معه ببيته مثلاً خرج للشارع ليطلب من المارة مشاركته الطعام. فينادي أحدهم وربما كان لا يعرفه: (تعال أخوي أفطر معاي... تعال يا عمي اتغدى معاي.. تعال يا خالي ... تعال الليلة شرفني... اتغدي معاي...). وهكذا وإذا رفض المدعو اجابة دعوته فيصر عليه بالحلف بالطلاق عادة.

وكان في الغالب لا يسمح لمن شاركه الطعام بالمغادرة إلاَّ بعد تناول توابع الأكل من فاكهة وشاي وقهوة وغيرها. وربما أصر على استمرار بقاء ضيفه معه للمؤانسة وأخذ قسطاً من الراحة، ويشمل ذلك سائقي التاكسي الذين كان يستأجرهم لتوصيله لبيته فلا يتركهم يرجعون من عنده إلاَّ بعد تناول الوجبة التي يصادفونها معه من افطار أو غداء ثم يعطيهم قيمة الأجرة ويدعو لهم بزيادة الرزق والخير والبركات. ولسائقي التاكسي بأم درمان حكاوى وقصص كثيرة ومثيرة معه بهذا الخصوص.

كرمه في خلواته وبخصوصية حياته:

لم يكن الراحل فضيل أجواداً كريماً بالمال والطعام وبما يملك من عرض الدنيا. بل كان كريماً حتى في تفكيره وهو مختل بنفسه. رغم أنه قليلاً ما كان يختلي بنفسه إلاَّ عند الضرورة القصوى. حيث كان يحب أن يكون دوماً بين الناس وضيوفه. فكان كريماً في خلواته وبخصوصية حياته، لا يفكر فيهما بشواغل الدنيا أو بمصلحة خاصة به أو بأسرته. فتجده يفكر

إما في شخص يكرمه، أو زوجين مختلفين يعيد الصفاء بينهما، أو قريب يزوره، أو مشكلة يذهب لحلها بوجاهته أو بماله.

كرمه بخصوصية أسرته:

وكما كان كريماً بخصوصية حياته الخاصة من أجل الآخرين إكراماً وقضاء للحوائج، فقد كان الحاج فضيل كريماً بخصوصية أسرته الصغيرة المكونة من زوجته الحاجة آمنة وأبنائه المرحوم مَنْ السِيد والصادق وعمر والبنات انتصار وأم سلمة والسرة وابتسام، والتي سخرها بشكل يومي مستمر لخدمة الكرم والضيافة وبصورة لا يتحملها إلاَّ أولوا العزم من البشر ومن كان مؤهلاً تأهيلاً فطرياً ومناسباً لذلك.

لم تتمتع أسرته الصغيرة على امتداد مسيرتها الطويلة وتنقلها بين أحياء الموردة والفتيحاب والشقلة شرق، وحتى مماته بخصوصية الحياة كما هو شأن عامة الأسر، فكان من النادر ان تجده مجتمعاً بأسرته في جلسة خاصة أو لمناقشة أمر يخصهم!

أب علي المرحاب

شعر المؤلف

ويؤديها غناء فنان الجباراب الكبير عثمان حاج عوض الشهير بعثمان الجعلي.

ديارو العامرة بالأحباب   سلامو أب قلدة والترحاب

حبابو أب علي المرحاب

كريماً لا فرز لا حاب   يفوق العِينّة صابة سحاب

غريب الدار والأصحاب   جميع في ديارو بلقو رحاب

من قومة الجهل بي كب   دة باين في الكرم كوكب

يكابس بابو لو كركب   يهوش في ضيفو ما إتنكب

يباشر ضيفو ما اتهرب   كتير في موقف اتجرب

باسط زادو والمشرب   دة حاتم منو مابقرب

وافر خيرو ما أجدب   دقيق الكسرة بالأردب

يجالسك طيبة يتأدب   بشوشاً حاشا ما بغضب

كرما عجيب بلحيل   وخاتي الفرزّة والعزيّل

ضيف الهجعة نص الليل   نزولو الشِقلة ديمة فضيل

جبيرة الضُعفا والغُلاب   ديارك قبلة الطُلاب

ناير الغُرّة ماك قطّاب   وكم عيان نزيلك طاب

راعي الجيرة والأرحام   مواصل لي ديارن حام

ايدك طايلة يا الرحَّام   وماك الناشف الجحّام

جودك فطرة يا الأرباب   مأصّل فيك ماهو أسباب

ضيفك حين وقف في الباب   بيسمع ألف ألف حباب

جسوراً في الرجال مقدام   وساعة الحارة يوت قدام

بيكسي العاري بي الهدام   ومن الترزي ما ها قُدام

انت الزعيم والملك   ودونك قاسية ما بتنفك

ساعة الأمور تنلك   ما شفناك تب تنحك

الفصل الثاني عشر

وطنية الحاج فضيل

واسهاماته الاجتماعية وفي مجال التعليم

حب الوطن في الإسلام:

الوطن أغلى ما يملك الانسان بعد الدين. وما من انسان إلاَّ ويعتز بوطنه لأنه مهد صباه ومرتع طفولته ومنبع ذكرياته وموطن آبائه وأجداده. وحب الأوطان من الايمان، ومن أساسيات الاسلام ومكارم الأخلاق وعلامات الرشد. ويشترك فيه مع الانسان الحيوان والطير. وجاء في المستطرف في كل فن مستظرف ومن طبيعة النفس أن تكون إلى بلدها تواقة وإلى مسقط رأسها مشتاقة وقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه خاطب مكة المكرمة بلهجة حزينة مليئة أسفاً وحنيناً وحسرة على فراقها وشوقاً لها وقال لها: (ما أطيبك من بلد وأحبك الي، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك). رواه الترمذي.

وطنية الحاج فضيل الصادقة:

ولما كان الراحل فضيل ممن جبلوا سجية على الايمان والرشد ومكارم الأخلاق، فقد كان على قدر عال من الوطنية الحقة الصادقة، والنابعة من فطرة سليمة. كان لوحة وطنية شعبية رائعة ونادرة، شديد الحب لوطنه والاعتزاز به والاخلاص له وكثيراً ما كنا نسمعه يدندن بمقولات وأشعار وطنية من أدبيات الأنصار والشاعر عكير الدَّامر خاصة تعبر عن حب الوطن وتمجيده والوفاء له.

ومن دلالات وطنيته الرائعة أنه كان يعتبر كل سوداني أخ له في الوطن بغض النظر عن هويته القبلية أو السياسية أو الجهوية، ويحتفي به على هذا الأساس. وكان بيته ولا زال وطناً سودانياً مصغراً تلتقي فيه مختلف الأعراق والجهويات والانتماءات السياسية والاجتماعية والفكرية وتتعارف وتتمازج في بوتقة جميلة ولطيفة من الإخاء والتسامح والقبول. وكان يعاملهم بعدالة ومساواة ولا يفرق بينهم أبداً.

لم تكن وطنية الراحل تتعلق بانتماء سياسي أو انحياز حزبي معين، أو من أجل كسب دنيوي زائل؛ بل كانت وطنية حقة متفردة ومخلصة للوطن وشعبه غايتها أن يكون السودان حراً مستقلاً ومستقراً. وأن يعيش شعبه في أمان وهناء ومحبة ورخاء ونعيم ورغد من العيش.

ورغم أنصاريته الصارخة وانتمائه المعروف لحزب الأمة القومي، إلاَّ أنه لم يكن يهمه كثيراً من يحكم السودان من الأحزاب أو القادة، فالمهم عنده أن يوفر الحاكم للوطن العزة والكرامة والاستقلال، وللشعب العدالة وضروريات الحياة من أمن واستقرار وعيشة رخية وعلاج وتعليم وغيرها. وهي ذات القيم والأهداف التي ظل يسعى لتحقيقها في المجتمع وبين أفراده وأخلص حياته من أجلها.

رحم الله الحاج فضيل القامة الوطنية الصادقة، والرائد الذي لا يكذب أهله ووطنه، والذي برحيله فقد الوطن والمجتمع السوداني رمزاً وطنياً عظيماً قل أن يتكرر وجوده على ترابه الغالي، والذي انطوت برحيله للدار الآخرة صفحات رائعات من تاريخ السودان الوطني والاجتماعي.

رثى المؤلف فجيعة الوطن والقبائل في الراحل قائلاً:

يبكيك الوطن حزين بالدمعة   وتبكيك القبائل تَـــوِح مجتمعة
يا عشاي ضيوف الهجعة   نبكيك يا المشيت بلا رجعة

وقال عنه الشاعر عبد الله فضل الله الريح:

نـــاصــــر درة الجموع أســـود البيـد   ومجيد مجد الشـهامة وموطن التمجيد
فضـــيل عز المعالي وطنا بيهو يشـــيد   وحمدله بي سلامتك إن شاء الله عمر

محبته أهل الدين وشيوخ الطرق الصوفية:

كان الحاج فضيل ذو فطرة سمحة محباً للصلاح والصالحين وأهل الدين والذكر ومشايخ ورجالات الطرق الصوفية ومداح رسول الله صلى الله عليه وسلم بدون تفرقة أو تعصب لطائفة منهم فجميعهم عنده سواء في المحبة والتقدير والاكرام. يستضيفهم بمنزله ويكرمهم غاية الاكرام، كما كان يزورهم في خلاويهم وتكاويهم بماله وخيراته ويأخذ إليهم أهله وأصدقائه ومعارفه للزيارة والتبرك والعلاج وحضور حولياتهم السنوية، ومشاركتهم الذكر. وكان أكثر من ارتبط بهم من الصوفية الشيخ علي من أولاد عبد الصادق البادراب بالمندرة بالصادقاب بجهة الفاو شرقي السودان.

انتماءاته السياسية والروحية

انتمائه للأنصار وحزب الأمة:

كان المرحوم فضيل من غلاة الأنصار ومؤيدي حزب الأمة القومي العريق، والذي تقوم أدبياته على مكارم الأخلاق من كرم وشجاعة وشهامة وجهاد، والذي كان يرأسه الامام عبد الرحمن المهدي الشهير بالكرم وخدمة الناس على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وصاحب الدور الكبير في استقلال السودان من الاستعمار الانجليزي والتبعيات الأخرى. كما كان من محبي إمام الأنصار ورئيس حزب الأمة الراحل السيد الصادق المهدي. وسمى عليه ابنه الأكبر الصادق كما ذكرنا فيما تقدم.

وكذلك كان الحاج فضيل من حفظة ورواة أشعار طائفة الأنصار وحزب الأمة، يرددها في مجالسه وفي مناسبات الحزب والمناسبات الدينية والوطنية المختلفة. كما كان حريصاً على أداء صلاة العيد والجمع في مسجد السيد عبد الرحمن المهدي بود نوباوي. ويأخذ معه أبنائه وبعض من معه بالمنزل إلى هناك. وكان عادة ما يحتفظ بنسخة من الخطب التي كانت تلقى بالمسجد وتوزع على المصلين لتقرأ له بعد رجوعه إلى البيت.

ورغم انتمائه وحبه المتطرف لطائفة الأنصار وحزب الأمة القومي إلا إنه كان يكن محبة وتقديراً لكل الكيانات السياسية والطائفية الأخرى وخاصة طائفة الختمية ويشاركهم مناسباتهم المختلفة وهذا من دلائل وطنيته الصادقة والمجردة.

علاقته الخاصة بالراحل السيد الصادق المهدي:

كان للحاج فضيل رحمه الله علاقة وطيدة وخاصة مع إمام الأنصار ورئيس حزب الأمة القومي الراحل السيد الصادق المهدي، ويكن له محبة وتقديراً شديدين، وقد ذكرنا فيما تقدم القصة الطريفة المثيرة له مع السيد الصادق المهدي بعد زيارته المفاجئة له بمنزله بالشقلة.



(إمام الأنصار ورئيس حزب الأمة القومي الراحل السيد الصادق المهدي)

الاسهامات الاجتماعية للحاج فضيل

في مناسبات الأفراح:

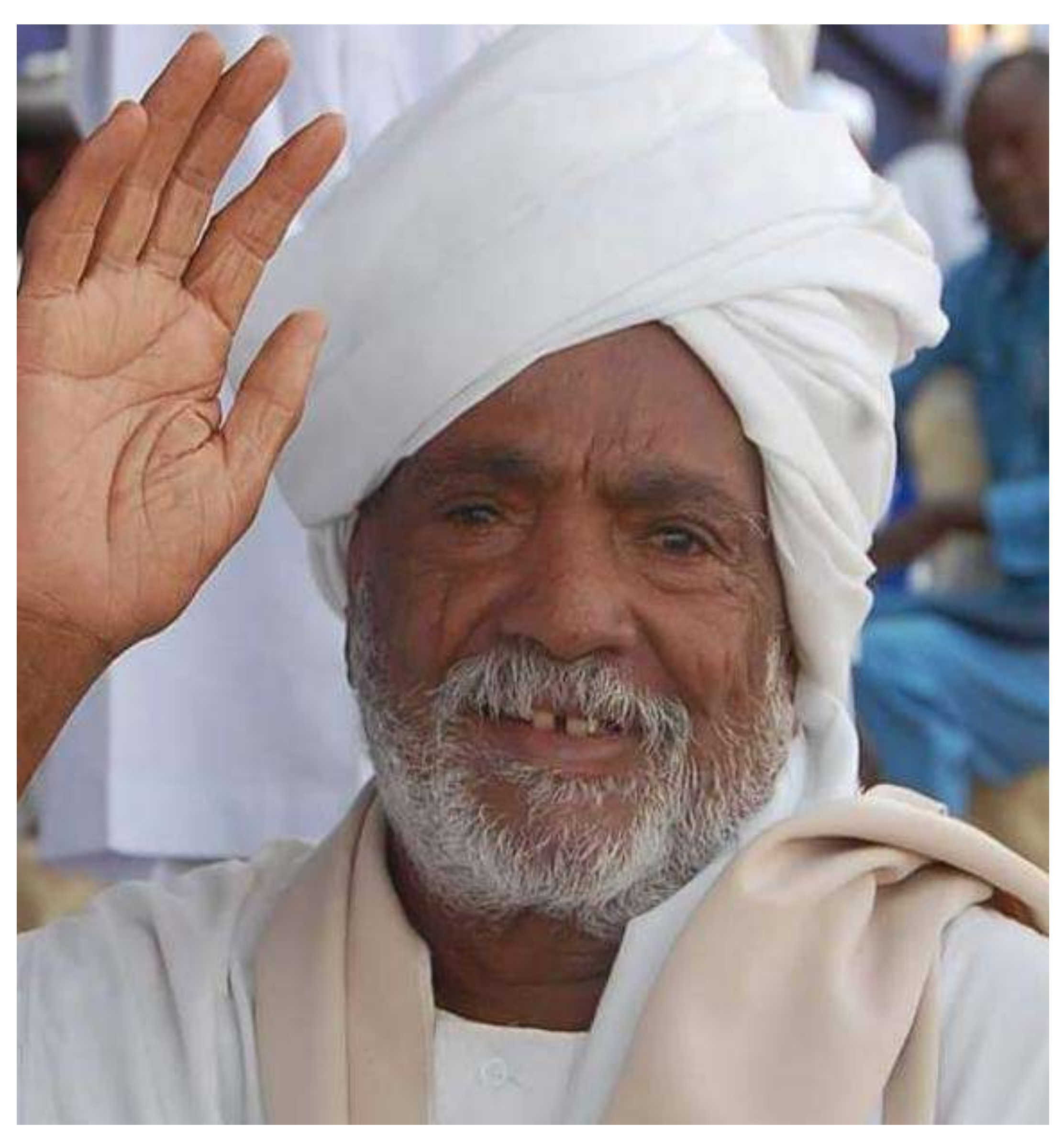
كان الحاج فضيل شخصية فذة جذابة وقريبة من القلب والوجدان، وصاحب حس اجتماعي عال ومتميز. ورجل مجتمع من الطراز الأول والفريد، ينطلق في علاقته بالمجتمع وأفراده من نفس طيبة سمحة وعامرة بحب الناس وحب الخير لهم. همه الأول والأخير صلاح المجتمع واستقراره وسعادته وأن يكون الناس في فرح وسرور دائمين لا يشكون هماً ولا تؤرقهم مشكلة أو حاجة. وكان ما حل بمكان أو شارك في مناسبة إلاَّ وترك فيها بصمته الإنسانية الجميلة الخاصة، وخلد ورائه ذكريات رائعة لا تنسى من الطيبة والمحبة والتعارف والكرم والبشاشة والترحاب.

كان رحمه الله صديقاً مقرباً وحميماً لجميع أهله وأرحامه ومعارفه وأصدقائه، محباً لهم. شديد الحرص على المشاركة في مناسباتهم المختلفة من زواج، ونجاح أبناء، وتسمية مولود، وشراء منزل...الخ. وكان يعتبر كل مناسبة فرح لهؤلاء هي مناسبته الخاصة والتي تستحق كامل اهتمامه وجهده وماله. ويفرح بهذه المناسبات فرحاً عظيماً لا يوصف وبدرجة قد تفوق فرح أصحاب المناسبة أنفسهم بها.

كان يضفي ألقاً ورونقاً خاصاً على كل مناسبة يشارك فيها، من خلال حضوره الكاريزمي الشعبي الطاغي. لذا فقد كان الأهل والمعارف يحرصون على مشاركته في مناسباتهم المختلفة والتي كانت تأخذ غالب يومه وجهده وماله. ولم يكن يكتفي بمجرد المشاركة في المناسبات والمساهمة المادية فيها بل كان حريصاً على أن يكون في مقدمة مستقبلي ضيوف المناسبة والمرحبين بهم وآخر من يغادر مكان المناسبة في الغالب.

كان يلقي الكلمات الطيبات في المناسبات المختلفة ويدعو لأصحابها والمحتفى بهم بأطيب الدعاء وألطفه نثراً وشعراً، ويحتفي بهم احتفاء خاصاً في منزله بنحر الذبائح والولائم الفاخرة، قال المؤلف في افتقاد المناسبات له:

تبكيك الجودية ومجالس الشورى   وتبكيك المناسبات الكنت نورة



(المرحوم الحاج فضيل هاشاً باشاً ومرحباً بالحضور والضيوف بعبارته الشهيرة :(مليون حبابكم والجابكم يجيب عقابكم) الصورة في مناسبة زواج محمود عوض أحمد سليمان، بأم درمان بتاريخ يوليو ٢٠١٢م)

في مناسبات العزاء والمآتم:

كان الحاج فضيل رقيق الطبع شفيف النفس قريب الدمعة، يحزن كثيراً على فقد الأهل والأصدقاء والمعارف ورحيلهم إلى الدار الآخرة، ويذرف الدمع السخين عليهم. شديد الحرص على الحضور المبكر للمقابر لدفن الأموات منهم والصلاة عليهم، والتوجه بعد ذلك لمكان العزاء والذي يمكث به أياما حزناً على المتوفي ومجاملة ومواساة لأهله وذويه وتصبيراً لهم وتثبيتاً. وكان دائماً ما يذكر مآثر الأموات ومناقبهم خلال أيام وليالي العزاء وبعدها.

ومن طيب نفسه ومحبته الزائدة للناس وتقديره لهم أنه كان يعتبر كل ميت ميته وكل عزاء عزاؤه مهما بعدت صلته بالميت. فما سمع بخبر وفاة قريب أو صديق إلاَّ وسارع بإخبار من يهمهم الأمر وطلب منهم المسارعة بالحضور للمقابر للصلاة على الميت وحضور الدفن ثم التوجه لمكان العزاء. كان يتصدر مناسبات العزاء المختلفة لأهله ومعارفه وأصدقائه وغيرهم ويهتم بإعداد المكان لاستقبال المعزين وتجهيز الطعام بشكل جيد ولائق، فتجده يتجول في صيوان العزاء لتلافي أي نقص ويحث الناس على الاهتمام باستقبال المعزين وينبه على تعجيل اكرامهم بالماء والطعام. ويساهم بكل ما يستطيع في تحمل تكاليف العزاء ويحث غيره من المقتدرين على ذلك.



(الراحل فضيل بمدينة القضارف مشاركاً في مناسبة زواج أبناء أخيه واخته/ عطا وياسر عاشميق عطا سنة ٢٠٠٦م)

مع التعليم وطلاب العلم

رغم عدم نيله حظاً من التعليم النظامي، إلاَّ ان الحاج فضيل كان يدرك جيداً قيمة العلم والتعليم، وأهميته الكبرى في الارتقاء بالأوطان والشعوب والمجتمعات وأفرادها. لذا فقد كان يولي التعليم وطلاب العلم اهتماماً كبيراً وخاصاً. كان يحب العلماء على كافة مستوياتهم، ويحترمهم ويجلهم، ويكرمهم الكرم اللائق بهم مادياً وأدبياً، ولا يخاطبهم أو يتحدث عنهم إلاَّ بما يليق بهم من ألقاب وصفات، ويحتفي بهم في بيته ومناسباته وأينما ما لقيهم. وكان بيته ولا يزال عبارة عن داخلية مفتوحة طوال العام لطلاب العلم بالمدارس والجامعات والمعاهد العليا وغيرها.

كان يطلب من أهله ومعارفه وأصدقائه إرسال أبنائهم للإقامة في بيته أثناء سنوات دراستهم بأم درمان، وألا يرسلوهم للداخليات. وكان يتعجب كثيراً من إقامة بعض هؤلاء الطلاب بالداخليات ويقول مستغرباً: (أن بيته موجود ومفتوح وفاضي فكيف يسكنوهم بالداخليات؟!). وكان يحث الطلاب المقيمين ببيته على إحضار زملائهم في الدراسة للإقامة معهم ببيته أو في أيام الجمع والعطلات الدراسية في أسوأ الأحوال. وكان يغضب إذا حضر هؤلاء الطلاب لحالهم نهاية الأسبوع وليس معهم أحد من زملائهم.

كان يعتبر الطلاب المقيمين ببيته جزءاً أصيلاً من أسرته يوليهم غاية اهتمامه ورعايته وبشكل أكثر من اهتمامه بأسرته وأبنائه وبناته. ويسعى جاهداً في تهيئة سبل الراحة والرفاهية والتحصيل الجيد لهم. وكان لهم بمثابة الأب والأخ والزميل والصديق الوفي، يجالسهم ويؤانسهم ويطايبهم بالكلام والمزاح، ويفرح كثيراً بتفوقهم ونجاحهم ويقيم المناسبات السعيدة احتفاء بذلك.

وكان الطلاب ببيته يجدون الاحترام والتقدير والرعاية المطلوبة من جميع أفراد أسرته وخاصة زوجته الكريمة الفاضلة الحاجة آمنة محمد حمزة، وبصورة ربما لا يجدونها حتى في بيوتهم أو من أهليهم المقربين، رثاه المؤلف بقوله:

كم عدمان فقير واسيت وكم طلاب علم آويت
كم عوجات كتيرة قَضَيت وكم أهديت أراضي وبيت

لم يكن الحاج فضيل يكتفي بالاهتمام بالطلاب أثناء فترة الدراسة، بل كان يبحث لهم عن الوظائف الجيدة بعد تخرجهم ويستخدم في ذلك علاقاته الواسعة بمسؤولي الدولة والقطاع الخاص، ويرغمهم على توظيف هؤلاء الطلاب بالمؤسسات الحكومية والأهلية والجيش

والشرطة وغيرها. وكان إذا ذهب لمسؤول بغرض توظيف أحد الطلاب يقول له: (دا ولدي فلان، أو ابني فلان اتخرج خلاص، وشهادته عالية ما شاء الله وعاوزك توظفو لي طوالي وبدون كلام..). كما كان يشارك هؤلاء الطلاب مشاركة فاعلة في مناسباتهم الاجتماعية ومناسبات أهليهم من زواج وترقية وغير ذلك.

مع رابطة أبناء نهر النيل بالجامعة الإسلامية:

كان لطلاب ولاية نهر النيل بجامعة أم درمان الاسلامية، خاصة في فترة منتصف الثمانينات إلى منتصف التسعينات من القرن الماضي علاقة قوية ومتميزة بالراحل فضيل وأسرته وأهله ومناسباتهم المختلفة. حيث كان منزله ملتقى لهم خاصة في أيام العطلات الدراسية ونهاية الأسبوع ومنطلقاً لكثير من برامجهم. وقد توطدت علاقتهم بالراحل وأسرته من خلال المؤلف والأستاذ خالد ابراهيم محمد حمزة، والذين كانا يدرسان بالجامعة الاسلامية ويقيمان بمنزل الراحل وينتميان لرابطة أبناء نهر النيل بالجامعة الاسلامية، ولهما علاقات قوية مع طلابها ومع غيرهم من طلاب الولايات الأخرى.

وكان طلاب رابطة أبناء نهر النيل بالجامعة الاسلامية وأصدقائهم يجدون الاحترام والتقدير والاكرام اللائق من الحاج فضيل وأسرته وأبنائه خاصة الأستاذ الصادق، والذي كانت له علاقات واسعة وممتدة مع هذه الرابطة ومع كثير من طلاب الجامعة بالولايات الأخرى، ويحسن استقبالهم واكرامهم وكذلك شقيقه المرحوم مَنْ السِيد وقتها وابنه عمر فيما بعد.

وكثير من طلاب رابطة أبناء نهر النيل بالجامعة الاسلامية (سابقاً) يشغلون اليوم وظائفاً كبيرة داخل السودان وبالمهاجر المختلفة. ويعمل بعضهم أساتذة بالجامعات العربية والخليجية المختلفة. والبعض في الحقل الاعلامي وفي وظائف أخرى محترمة. وقد سطر بعضهم مقالات رائعة ومعبرة عن الراحل فضيل بهذا الكتاب، تتسم بالوفاء والصدق والاحترام والعرفان، وشكلت إضافة قيمة ومعتبرة له.



(المؤلف طالباً بجامعة أم درمان الاسلامية ومقيماً

بمنزل خاله الحاج فضيل الصورة منتصف ثمانينات القرن الماضي)

نموذج لأحد الطلاب الذي أقاموا بمنزل الراحل فضيل

أثناء دراستهم الجامعية

(محمد الحافظ علي احمد قرشي)

نقدم هنا نموذجاً رائعاً لأحد طلاب العلم، الذين أقاموا بمنزل المرحوم فضيل أثناء دراستهم الجامعية. وهو فقيد العلم والشباب والخلق القويم المرحوم بإذن الله تعالى محمد الحافظ علي أحمد قرشي، من عشيرة القرشاب أهل العلم والدين والمساجد والخلاوى والتقوى والصلاح وحفظ الأنساب، بقرية الجباراب جنوب الدَّامر والتي هي قرية الراحل فضيل.

ويلتقي المرحوم محمد الحافظ مع الراحل فضيل بصلة قرابة ورحم في الجد حسين ود حمد، حيث أن الفضيلاب (عشيرة الراحل فضيل) هم أبناء فضيل بن عبد العليم بن الحاج قرشي بن محمد بن الشيخ حسين ود حمد الجعلي الشعدينابي، والقرشاب هم أبناء رقية بنت عبد العليم بن الحاج قرشي؛ أخت فضيل الكبير جد الفضيلاب.

وكانت هناك علاقة محبة خاصة وكبيرة ومجاملة ومؤانسة بين الراحل فضيل والمرحوم محمد الحافظ. والذي كان أكثر طلاب بيته محبة له وتقديراً واكراماً وذكراً طيباً. ولحكمة يعلمها الله فقد توفي محمد الحافظ بعد سنة واحدة بالتحديد من وفاة الحاج فضيل، والذي توفي بتاريخ (١٢/١٢/٢٠١٥م)، ولحق به محمد الحافظ بتاريخ (١٣/١٢/٢٠١٦م). رحمهما الله رحمة واسعة وجمع بينهما في الفردوس الأعلى كما جمعهما على المحبة في الدنيا.

سلام عليك في الخالدين (أبا عمرو) !:

مقال للمؤلف في ذكرى رحيل المرحوم محمد الحافظ علي احمد قرشي

نشر بصحيفة اليوم التالي اليومية.

بمداد الحزن والأسى العميق أكتب اليوم في ذكرى رحيل فقيد الشباب والعلم والثقافة والخلق الجميل، بمنطقة الجباراب جنوب الدَّامر، ابن عمي المرحوم بإذن الله (أبي عمرو) محمد الحافظ علي أحمد قرشي، سليل أسرة القرشاب الكريمة العريقة والرائدة في مجال تحفيظ القرآن واقامة

المساجد والخلاوى، والتي كان فقيدنا دوحة ظليلة ومثمرة من غرسها الطيب المبارك وخير خلف لخير سلف منها، ديناً وعلماً وخلقاً ومروءة.

كان (حافظ) كما كان يُنادى تحبباً من أصحاب الفطر السليمة. ومثالاً للالتزام والاستقامة واتفاق الظاهر والباطن. والعطاء الصامت والعلم والثقافة والأدب والتواضع الجم وحب البسطاء والمساكين. وبالإجمال كان حافظ من الذين قل أن تجد لهم مثيلاً في جيله أو في الأجيال السابقة له أو المعاصرة.

كانت حياته قصيرة في مداها ولكنها طويلة في معناها وقيمها وجديرة بالتأمل والاحتفاء. كانت البساطة بغير ابتذال عنوانه الأكبر فقد كان بسيطاً في المظهر والملبس والمأكل والمركب والتعامل مع الناس، رغم أنه كان مؤهل علماً وثقافة وحسباً ومالاً لأن يكون عنواناً للفخامة والوجاهة والعلو!

كان محباً للعلم واسع الاطلاع عميق الفكر والتأمل. تخرج من ثلاث جامعات ابتدأها بجامعة جوبا بجنوب السودان، حيث درس الاقتصاد ثم نال بكالوريوس القانون من جامعة القاهرة فرع الخرطوم، ومارس مهنة المحاماةً وختم بجامعة أم درمان الاسلامية دارساً للغة الإنجليزية وآدابها، وكان ممن يجيدونها بمهاراتها الأربع. لكن ولغلبة البساطة والتواضع على خلقه وحياته فقد يظنن من لا يعرفه أنه أمي أو غير ذي حظ وافر من التعليم. فقد كان من الذين تواضعوا لله فرفعه الله مكاناً علياً في القلوب وفي تبوء مناصب ادارية كبيرة في شركات البترول. وكان في عمله مثالاً للإخلاص والأمانة والعدل والدقة واحترام رؤسائه ومرؤوسيه.

كان حافظ جم التواضع. يقيّم الناس بمخبرهم لا بمظهرهم الخادع أحياناً كثيرة. لا يفرق بين غني وفقير وبسيط وذي جاه. لا يغادر نظره مكان جلوسه ولا يعلق سلباً على شيء أو شخص شاهده. له قناعة راسخة بأهمية العلم في التنوير والارتقاء بمستوى الإنسان والحياة. لذا فقد كان عوناً للطلاب. وتكفل بمصاريف بعضهم حتى التخرج. كما كان يدعم أهله ومؤسسات القرية بسخاء ولا يرد طالب حاجة أبداً.

كان كثير الاحتفاء بأصدقائه من البسطاء خاصة رغم أن أغلبهم من الأميين وممن لا يتذكرهم الناس أو يكترثون لهم إلاَّ لماماً. وكان يدعمهم بماله وبالنصح والارشاد وإذا افتقد أحدهم يذهب اليه للسلام والسؤال عن الحال. وكثيراً ما شوهد حافظ منغمساً بين أصدقائه البسطاء يستمع باهتمام إلى حكاويهم البسيطة والساذجة أحياناً ويبادلهم الضحكات العفوية البريئة ويتقبل المزاح الثقيل من بعضهم. وكم كنت تراه ضاحكاً حتى الاستلقاء على الأرض

ودموعه تجري على خديه بسبب مداعبة أحدهم له ووصفه بالجهل وخفة العقل و(عدم الشغلة). فقد كان يرى أن لكل انسان قيمة مهما تدنى وضعه ومستواه التعليمي أو الاجتماعي. وأن قيمة الانسان الحقيقية تمكن فيما يقدم للمجتمع والناس!

كان لحافظ فكر اجتماعي متقدم ومبادرات ايجابية مدهشة وغير مسبوقة في المجتمع وسلوك أفراده. كان يدعو للتسامح والرفق والتواصل في كل الأحوال. يقدر ظروف الناس ومشاغلهم ويجد لهم الأعذار عند تقصيرهم تجاهه في فرح أو كره ويمقت اللوم في هذه الأمور. كان حريصاً على اداء الواجبات الاجتماعية في وقتها ولا يربطها بمبدأ المكافأة وقاعدة (هذه بتلك).

كان يزور من يزوره ومن قطعه ويعزي من يعزيه ومن لم يعزه، ويجيب دعوة من لم يجب دعوته. وكم كنت تراه فرحاً مسروراً في مناسبة شخص لم يعزيه، في وفاة عزيز لديه أو لم يؤدي نحوه واجباً اجتماعياً متعارفاً عليه. وكان يؤكد دوماً أنه لن يتوانى عن مشاركة أي شخص مناسبته طالما كان قادراً على ذلك ولديه الوقت.

كان (موحد) الوجه والقلب واللسان، يكره الكذب ويعتبره رزيلة الرذائل، ويحب الصدق ويراه فضيلة الفضائل. كان وجهه مرآة كبيرة وصادقة تعكس بصدق وشفافية شعوره وعواطفه ومواقفه. وإذا ما غضب من موقف منفلت عن الأخلاق ينطق وجهه بذلك قبل لسانه وينفجر هادراً ويصبح شخصاً آخراً غير حافظ ذلك المعروف بالهدوء والوداعة. لذا تسببت الرذائل الرائجة في المجتمع من كذب ونفاق وظلم في كثير من علله وأثرت سلباً على صحته وجسمه الواهن أصلاً.

أكرم الله حافظاً بنعمة المال. إلاَّ أنه لم يسمح للدنيا أن تدخل قلبه فجعلها ذليلة بين يديه. لم يتباهى يوماً - لا تصريحاً ولا تلميحاً - بثراء أو علم. كما ظل مرتبطاً بأهله وأصدقائه القدامى باراً بهم داعماً لهم بماله ونصحه وعلاقاته. يعطي بيمينه ما لا تعلم يساره وبدون من أو أذى أو رغبة في الظهور.

كم من مرات ترك حافظ سيارته الخاصة واستقل المواصلات العامة رغبة في معرفة حال العوام وحجم معاناتهم، وتنمية لمشاعر الرحمة والعطف في نفسه، وليس من قبيل ترف المثقفين وأهل المال. وكان من خلق وأدب يتحاشى أن يجمعه مجلس أو طريق بأحد مدينيه أو المتعثرين في سداد أجرة محلاته التجارية. كما لا يبادر بمطالبتهم بالأجرة أبداً حتى يبادروا هم بالسداد ويوصي زوجته وابنه عمرو بالتعامل معهم هكذا حال غيابه أو سفره!

كان يرى أن ثروة العقل والأدب والقيم أهم بكثير لأبنائه من ثروة المال. فرباهم على القيم التي التزمها في حياته من صدق وأمانة وبساطة واستعداد لتقلبات الحياة. وكان يحذرهم من البطر بنعمة المال وألا يطغيهم على الآخرين أو ينسيهم لهم. ورغم ثراءه فقد كان يضيق عليهم بالتقشف أحياناً في المعيشة من أجل التعود والتنشئة على ذلك. وقد ساعدته زوجته المكلومة الصابرة نجوى عبد الله مهدي في تطبيق هذا النهج التربوي السليم على الأبناء. فهي سليلة أسرة كريمة وتشابه زوجها الراحل خلقاً وأدباً والتزاماً. ونسأل الله أن يصبرها على فقده وأن يكرمها بطول العمر والصحة لتربية أبنائهما وتعليمهم وتنشئتهم التي كان يبتغيها لهم والدهم.

ما حضرت للسودان في إجازة إلاَّ وكان حافظ في استقبالي بالمطار بسيارته الخاصة، ثم يرافقني إلى منزل رمز الكرم والمروءة المرحوم الخال فضيل علي فضيل. ويقضي معنا الساعات الطوال هناك مجاملة ومؤانسة. وكان بينه والخال فضيل محبة كبيرة ومتبادلة. ولحكمة يعلمها الله فقد لحق حافظ بالخال فضيل بعد سنة واحدة بالتحديد. حيث توفي الخال فضيل بتاريخ (٢٠١٥/١٢/١٢م) ولحقه حافظ بتاريخ (٢٠١٦/١٢/١٣م). رحمهما الله رحمة واسعة وجمع بينهما في الفردوس الأعلى كما جمعهما على المحبة في الدنيا.

كان رحيل حافظ المفاجئ مريراً ومؤلماً وفاجعاً لأهله وأصدقائه ومعارفه. بكوه بدموع الدم بكاء حاراً. ولا زال الحزن على فقده عميقاً ومخيماً على النفوس. رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته، وجعل البركة في زوجته نجوى عبد الله مهدي وأبنائه عمرو ولينا ولندا وفي والدته أختي الحاجة آمنة الفكي الطيب قرشي، وفي إخوانه وأخواته وعامة أهله وأصدقائه وزملائه، وأن يلزمنا جميعاً الصبر الجميل على فقده العظيم الجلل وحسن العزاء فيه. و(كل نفس ذائقة الموت) و(إنا لله وإنا اليه راجعون) [٨٨].

٨٨- صحيفة اليوم التالي اليومية.



(المرحوم محمد الحافظ علي أحمد قرشي)

الفصل الثالث عشر

طرائف من الجود والكرم الحاتمي للحاج فضيل

إن حياة الراحل فضيل وسيرته العامرة في الجود والكرم، والشهامة والنخوة والمروءة مليئة بالكثير المثير من القصص والحكاوى الطريفة واللطيفة في هذا الخصوص، والتي لا يمكن حصرها. وربما حفظ كل من عاشره وعرفه عن قرب لطيفة من لطائف جوده وكرمه العجيب وشهامته العربية الأصيلة. ونورد هنا بعضاً من هذه الطرائف. وهي قليل من كثير استطعنا حصره، ومجرد نماذج فقط تكشف عن الجوانب الانسانية المشرقة لذلك الرجل الظاهرة في الكرم والشهامة، رحمه الله وأحسن اليه.

قصته مع سائق التاكسي

سيارة تاكسي الأجرة كانت الوسيلة الأساسية في تنقل الحاج فضيل داخل الخرطوم وأم درمان وخاصة في العودة لبيته من العمل. إذ لم يكن يستغل المواصلات العامة إلاَّ نادراً أو في حالة عدم توفر التاكسي، حتى أصبح معروفاً لسائقي التاكسي. فما أن يأتي إلى موقف التاكسي إلاَّ ورحبوا به ولزم مقعده الأمامي من السيارة دون أي كلام أو اتفاق مع صاحب التاكسي على الأجرة، فكل شيء متعارف عليه بينه وبين السائق بحكم التكرار والاعتياد.

ونسوق هنا إحدى قصص كرمه الحاتمي العفوي والتي رواها سائق التاكسي بنفسه لبعض قاصدي بيت الراحل فضيل ولأبنه عمر يقول: أن الحاج فضيل استأجره ذات مرة لمشوار إلى بيته بالشقلة شرق بالفتيحاب. وفي الطريق طلب منه التوقف قرب إحدى زرائب بيع الخراف. ونزل فضيل واشترى خروفاً كبيراً كأضحية وحمله بالتاكسي.

وفي الطريق إلى البيت قال سائق التاكسي للحاج فضيل (والله يا حاج فضيل أنا مرتاح من الأضحية دي عندي ثلاث بنات وأمهن، وفي عيد الأضحى أشترى لهن اثنين كيلو لحمة وانتهى الأمر). فسكت الحاج فضيل وعندما وصل إلى منزله أراد سائق التاكسي النزول لكي يخرج الخروف من التاكسي ويدخله لمنزل حاج فضيل، فقال له الحاج فضيل (حرّم هذا الخروف هو أضحية بناتك...). فاندهش سائق التاكسي وحاول مناقشته في الأمر فحسمه الحاج فضيل، وقال له (الموضوع دا منتهي خلاص وحرّم ما فيهو رجعة).

دخل الحاج فضيل إلى منزله وأغلق الباب خلفه في وجه السائق. ورجع سائق التاكسي بالخروف مرة أخري للرجل الذي اشترى منه الحاج فضيل الخروف وسأله والدموع تملأ

عينيه: (من هذا فضيل الذي اشترى منك الخروف؟!!). فقال له ضاحكاً (مالو أداك الخروف ولّ شنو ؟!!) فقال له (أي والله أداني ليه).. فقال له (عادي يا خوي دا حاج فضيل!!).

حرّم تستحموا!

ذات ليلة شديدة البرودة حضر عنده ضيوف من معارفه فرحب بهم وقال لابنه: (قوم يا ولد جيب العشاء سريع) فقال الضيوف: (لا والله حرّم نحن متعشين يا حاج فضيل) فقال: (خلاص يا ولد أعملوا لهم شاي).. فقالوا:(لا حرّم) فقال:(خلاص يا ولد اعلموا جبنة، أي قهوة).. فقالوا:(لا حرّم). فغضب الحاج فضيل منهم وقال: (يا ناس قلنا العشاء قلتو لا، قلنا الشاي قلتو لا، قلنا الجبنة قلتو لا أها حرّم كان تقوموا تستحموا.. يا ولد جيب جردل الموية وأملاهو ليهم). وكان الماء بارداً جداً وقتها فقالوا: (يا حاج فضيل خاف الله فينا من البرد). فقال لهم (حرّم الحمام بس). فاضطروا للاستحمام. وبعد استحمامهم قدم لهم العشاء ثم الشاي ثم الجبنة كما أراد ذلك ابتداء.

إكرامه الضيف بما عند الضيف

من غرائب جود وكرم الحاج فضيل، والتي غير مشهورة لدى كرماء العرب في الجاهلية والاسلام، هو أنه كان إذا حضر اليه ضيف يعرفه أو لا يعرفه، ولم يجد شيئاً يكرمه به الاكرام اللائق والمناسب، أكرمه مما عنده، أي مما عند الضيف من مال أو غيره (أي أنه يكرمه من جيبه) كما يقال في الثقافة الشعبية السودانية. وله في ذلك مواقف كثيرة ومشهودة.

وتنطلق فلسفة الراحل في هذ النوع من الكرم من إيمانه التام بإنسانية الإخاء مع جميع الناس. والتي كان يتحلى بها ويتعامل بها مع الآخرين. حيث كان يعتبر كل أخ أو صديق أو جليس أو زائر أو ضيف هو أخيه في العقيدة والوطن والجامعة الانسانية. وأنه لا فرق بينهما بعد ذلك في أي شيء من عرض الدنيا الزائل سواء المال وغيره. وكان يحب أن يعامله الناس ومضيفوه بهذا النوع من الكرم.

وهذا النوع من الكرم العجيب يدل على نفس طيبة سمحة، تجعل الآخر بمثابة النفس في المال والحق والمتاع. ويدل على فهم عميق ومتقدم للدنيا ومتاعها ولمعاني الإخاء الانساني. وقد حبب اليه هذا النوع من الكرم الفطري الكثيرين من الذين خاضوا معه هذه التجربة المثيرة وقوى علاقات الصداقة والأواصر بينه وبينهم.

حَرَّم تضبح (تذبح) إنْتَ

يروى أنه حضر إلى بيته بعض أصدقائه. ولما أراد أن يذبح لهم ذبيحة قال له أحدهم (حَرَّم ما تضبح). فقال له الحاج فضيل (حرم كان تضبح أنت يا أخوي). فوقع الصديق في حرج كبير وقام بذبح الخروف بنفسه.

حرّم الحمار يُكرم!

اعتاد المرحوم فضيل الترحيب بالضيف بصوت عال جهوري قبل دخوله حوشه، فما أن يسمع بمقدم ضيف أو قربه من باب ديوانه المفتوح دوما للضيوف إلاَّ وصاح بصوته الجهوري :(مرحب بالضيف.. مرحب حباب الضيف.. الضيف يدخل.. الضيف يكرم.. إتفضل إتفضل حبابك.. حَرّم تدخل.. حَرّم تكرم حَرّم حبابك.. الجابك يجيب عقابك ...).

ويروى أنه وصل حمار ذات مرة بالقرب من باب ديوانه واحتك بالباب، وأحدث صوتاً كصوت النقر على الباب، وسمع الراحل فضيل الصوت فصاح كعادته (إتفضل حبابك.. حباب الضيف الضيف يدخل الضيف يكرم، الخ...). ونادى على أحد الموجودين معه قائلاً: (قوم يا ولد دَخِّل الضيف.. يا ولد جيب الضيف..). لكن لما وصل عند الباب لم يجد غير الحمار فرجع لوحده؛ فقال له الحاج فضيل (وينو الضيف ياولد، مالك جعت براك حانف وشيك!!). فرد: (لا يوجد ضيف بالباب دا حمار).. فقال الحاج فضيل: (نان مالو الحمار ما بكرم.. حَرّم الحمار يكرم ... حرم الحمار يدخل.. جيب الحمار أكرمو..).. فأتي له بالحمار داخل الحوش وأكرمه بما يستحق من كرم).

حَرّم الهواء زاتو يُكرم

ومما يروى من طرائف كرمه الفياض انه سمع صوت عند باب حوشه فنادى قائلاً: يا ولد شوف الباب دَخِّل الضيف فلما ذهب الولد ولم يجد أحداً عند الباب رجع وقال للحاج فضيل: مافي زول عند الباب دة الهواء بس فقال الحاج فضيل: (حَرّم الهواء زاتو يدخل... حَرّم الهواء يُكرَم..)!

قصة الهدايا التي أرسلت لابنه الصادق

أرسل أحد المغتربين بالمملكة العربية السعودية بعض اللوازم المدرسية القيمة جداً لابنه (الصادق)، والذي كان يدرس وقتها بثانوية الضو حجوج ببانت بأم درمان. وكانت الهدايا تشتمل على حقائب مدرسية فاخرة ودفاتر وأقلام راقية أحدها به ساعة في مؤخرته وكان

شهيراً في ذلك الوقت. وتسلم الحاج فضيل هذه اللوازم من دكان عبد اللطيف أبو جمال قرب البوستة بأم درمان. وتحرك نحو مواقف سيارات التاكسي حيث اعتاد استئجار تاكسي من السوق إلى بيته بالشقلة.

وقبل وصوله إلى موقف التاكسي التقته فجأة إحدى البنات ويبدو أنها كانت طالبة بمدرسة ما. ولما رأت القلم ذو الساعة بيده قالت له: (الساعة كم يا عمو؟). فقال لها (والله يا بتي أنا ما بقرا هاك شوفيها ...). فأخذت البنت القلم وقرأت الساعة وأعادته له. فقال لها (حرّم ما ترجعي القلم يا بتي دا حقك شيليه.. ربنا يوفقك ويعلي مقامك في العلم...). وتقول الرواية انه أعطاها بعض اللوازم المدرسية الأخرى إضافة إلى القلم، وأنه وصل الى البيت بالقليل من تلك الأغراض.

مع الشاب راغب الزواج

وهذه قصة حقيقية. وتعتبر من ألطف القصص المعبرة عن شهامة المرحوم فضيل ومروءته وسعيه في مساعدة الآخرين في كل الأحوال وبكل الطرق مهما كانت المشكلة معقدة وصعبة الحل. حيث كان يرى وجوب وضرورة حل أي مشكلة تعرض عليه مهما كلف ذلك.

يروى أن أحد الشباب من الأهل كان يرغب بالزواج بفتاة ما من أهله الأقربين. ولكنه ولبعض الاعتبارات الخاصة كان يخشى من رفض البنت له أو رفض والدها وادخاله في الحرج. وظل في حيرة من أمره لفترة طويلة يحكي محنته لهذا ولذاك من الأصدقاء والخواص دون أن يتمكن من الوصول إلى والد الفتاة والحصول على موافقته على خطوبة ابنته، ثم الزواج بها.

ذات مرة أشار اليه ناصح من الأصدقاء بالذهاب إلى الحاج فضيل وابلاغه بالأمر وطلب تدخله لحسم خطبة البنت بعلاقته ووجاهته وقبوله عند والد الفتاة. وأكد له بأنه لا يوجد شخص غيره يقوم بهذه المهمة الخطيرة. وأنه سيحل مشكلته بكل تأكيد ودون عناء كبير.

ذهب الشاب إلى الحاج فضيل وأخبره برغبته في خطوبة تلك الفتاة وتخوفه من رفض والدها له أو تعنته في ذلك. فقال له الحاج فضيل: (أبشر أمرك مقضي يا ولدي وموضوعك إعتبرو منتهي خلاص، بس وريني البنت الداير تتزوجها، وعلي بالطلاق بالتلاتة لو أبوها ذاتو بحل لك الزواج منو إلاّ اعقد لك عليه خلي بنتو ...). فضحك الشاب حتى استلقى على الأرض

من هذا اليقين العجيب بحل المشكلة، وخرج فرحاً مسروراً مطمئناً من بين يدي الحاج فضيل رحمه الله رحمة واسعة وأحسن اليه.

مع الراحل السيد الصادق المهدي والوفد المرافق له

يروى أن إمام الأنصار ورئيس حزب الأمة القومي الإمام الصادق المهدي قرر ذات مرة القيام بزيارة مفاجئة الي الحاج فضيل بمنزله. ويقال إن الحاج فضيل كان متوقفاً عن العمل وقتها ويمر بضائقة مالية، رغم أن الضائقة المالية ما كانت تؤثر في قابليته العجيبة لاستقبال أكبر عدد من الضيوف وإكرامهم بما يلزم. وأثناء تواجده بديوانه سمع بطرق على الباب. فقام بنفسه وفتح الباب فاذا به يفاجأ بالسيد الصادق المهدي أمام ناظريه ومعه وفد من الأنصار فاستقبلهم ببشاشته وترحابه المعهودين.

وبعد ذلك نادي ابنه الأكبر الصادق وطلب منه احضار السكين فلما أحضرها فوجئ الجميع بالحاج فضيل يرقد على الأرض ويقول لأبنه الصادق (لو ما ذبحتني ماني عافي منك). واحتار السيد الصادق والوفد المرافق له والحاضرون من هذا الموقف الغريب العجيب الذي أدخلهم فيه الحاج فضيل، وفي كيفية حله وبدأوا يترجونه طالبين منه القيام من الأرض. فقال لهم :(كيف يحضر الامام الصادق المهدي إلى في بيتي ويجدني ما عندي شيء مناسب أكرمه به...). وبعد جدل ونقاش طويل معه نهض الحاج فضيل، وعفى عن ابنه الصادق. ثم أكرم الامام الصادق المهدي ووفد الأنصار بما يليق بهم.

اكرام الناس في بيوتهم

من غرائب جود وكرم المرحوم فضيل ذلك الكرم العفوي الأصيل الغزير المتدفق بلا قيود، وفي كل وقت ومكان وحال، هو أنه لم يكن كريماً في بيته فقط. بل كان كريماً حتى في بيوت غيره من الناس. فقد كان لا يحب أن يزور أحداً من أهله أو معارفه أو أصدقائه أو غيرهم دون أن يحمل له هدية أو مكرمة، وإذا لم يحمل معه شيئاً لأهل البيت أرسل أحد منسوبي البيت أو أي مرافق له خفية للدكان أو السوق لإحضار حاجيات للبيت أو أعطاهم من ماله.

وكذلك كان لا يحب أن يشعر أهل البيت الذي يزوره بأنه ضيف ثقيل عليهم، إنَّما يعتبر نفسه أحد أفراد البيت، ويرغب في معاملتهم له كذلك حتى لا يرهقهم كثيراً بضيافته. لذا فقد كان يطلب لضيافته أيسر الأشياء على أهل البيت أو مما يرى أمامه من تمر أو ماء أو حلوى أو غيرها، فيقول بعد دخوله البيت (أدوني من موية الزير السمحة دي بس ... أدوني من تمركم

السمح داك.. أدنى من الحلاوة دي يا ولدي تحلى أيامك ...). كما كان يصر على مضيفيه وعلى أطفالهم خاصة أو من معهم بالبيت لمشاركته ما يقدم لضيافته من أكل وشرب حتى يشك مضيفوه أيهم الضيف الحاج فضيل أم هم!

مع أولاد المرضي والبعابيش

في إحدى مواسم خريف سنة ١٩٩٤م كان المرحوم فضيل مسافراً من الدَّامر إلى الخرطوم بعربة لوري محملا بالذرة، ويرافقه في تلك الرحلة مجموعة من الرجال والنساء والأطفال. وعند الساعة الثانية عشرة مساء وصل اللوري إلى قرية قباتي، حوالي أربعين كيلومتر جنوب الدَّامر.

فوجئ سائق اللوري بالطريق مغلقاً أمامه بسبب كثرة الأمطار والسيول الجارفة، فاقترح بعض الركاب أن يذهبوا جميعاً إلى مسجد القرية. فتعجب الحاج فضيل من قولهم وقال لهم (حرّم ما بنمشي المسجد نحن في بلد أولاد عمنا.. أولاد الحسين).

وأولاد محمد الحسين الحاج الوِد والبعابيش ذرية الصديق الفكي قمر الدين الحاج الوِد أبناء عمومة وهم من الجعليين الجباراب الذين ترجع أصولهم لقرية الجباراب جنوب الدَّامر وهي قرية الراحل فضيل، وكان أجدادهم قد هاجروا من الجباراب (أم بوري) واستقروا بقرية قباتي جنوب الدامر ومارنجان عووضة بود مدني ودار السلام المغاربة بالحاج يوسف وبقرية البابيش شرق ود راوة.

وبعد فترة قصيرة ظهر شابان يقودان تراكتور يجر ترلة خلفه، فناداهما فضيل بصوته الجهوري فحضرا أمامه بسرعة ودون تردد، وأبديا المساعدة بكل شهامة ونخوة، فقال لهما (خذوا النساء والأطفال معكما، وأنزلوهم عند أولاد الحسين ونحن سنسير ورائكم..).

وأخذ الشابان الرجال والنساء والأطفال وأنزلوهم عند أولاد الحسين، وتم توزيعهم على أربعة بيوت من القرية. ولما وصل الحاج فضيل إلى القرية طلب من أولاد الحسين أن يحضروا لهم الموجود من الطعام، لأن الناس جوعى فأكرموهم بالموجود من الطعام.

وعند الساعة الخامسة والنصف صباحاً أحضر أهل القرية الطعام إلى الضيوف، مشتملاً على ما لذ وطاب من اللحوم وغيرها حيث قام كل بيت من بيوت القرية بذبح ذبيحة إكراماً للضيوف. وعندما قدم الطعام للرجال قال الحاج فضيل (حرّم لا آكل إلاَّ بعد أن أذهب وأرى ما قدم من طعام لبقية الرجال والنساء والأطفال وهل طعامهم هو نفس الطعام الذي قدم لنا..).

فذهب إليهم ووجده كذلك فسُرّ كثيراً من هذا الكرم الفياض لأهل القرية. وعندما هبّ لوداع أولاد الحسين وأهل القرية قال لهم: (حرّم القبيلة دي كلها تجيني في أم درمان. عندكم منو في أم درمان؟)، فقالوا له (عندنا عبد الرحمن البعبوشي)، فقال لهم (حرم دا أخوي أسألوه من فضيل وهو بجيبكم لي...).

وبعد شهر من تلك الواقعة حضر عبد الرحمن البعبوشي ومصطفى المرضي وبعض أقاربهم إلى منزل الحاج فضيل بالشقلة شرق بالفتحياب. وبعد أن أكرمهم فضيل بما يلزم قالوا له: (يوم الجمعة بعد القادم سنحضر عندك ومعنا كل أفراد القبيلة). وفي التاريخ المحدد حضر وفدهم لمنزل الحاج فضيل في ثلاث عشرة سيارة.

كان في استقبالهم أبناء الجباراب الموجودين بالعاصمة المثلثة. وكان الحاج فضيل قد ذبح عشرة خراف لإكرامهم ونصبت الصيوانات خارج الحوش. وتم إكرام الضيوف كرماً حاتمياً عجيباً سيظل محفوراً في ذاكرة الكرم السوداني وقبيلة الجعليين. وشرف تلك المناسبة العظيمة المادح الشهير الباهولي والذي قدم فواصلاً رائعة من المديح النبوي والانشاد الديني نالت إعجاب واستحسان الحضور والضيوف.

وبعد أسبوعين تقريباً من تلك المناسبة حضر عبد الرحمن البعبوشي ومصطفى المرضي لمنزل الحاج فضيل مرة أخرى، وقالوا له (حرّم الجمعة القادمة إنت وكل قبيلتك معزومين عندنا بدار السلام المغاربة بالحاج يوسف). وفي الموعد المحدد أرسلوا عربتين لتكونا في مقدمة وفد الجباراب ودليلاً لهم إلى المنطقة. وكان وفد الجباراب قد تجمع بمنزل الحاج محمد فضل السيد بلة بأم بدة الحارة الرابعة، وتحرك بعد صلاة الجمعة مباشرة، يقوده الحاج فضيل والحاج محمد فضل السيد بلة حرحوف وكبار الأهل.

وعندما وصل الركب إلى دار السلام المغاربة استقبلهم البعابيش وأهلوهم استقبالاً حاراً. وكان هناك مجموعة منهم متراصين في صف واحد يتكون من ثلاثة عشر رجلاً يحملون بنادق آلية. وقالوا للحاج فضيل (إنت حرَّم تنزل آخر زول).

وبعد نزول جميع أفراد الوفد من السيارات قالوا لحاج فضيل (حرّم تنزل)، وما أن نزل من السيارة إلاَّ وأطلق الرجال الرصاص بقوة وكثافة ملأت السماء ضجيجاً ودخاناً احتفاء خاصاً به وتقديراً له، حتى أثار ذلك انتباه رجال الأمن بالمنطقة. ثم قاموا بتوزيع الضيوف على أربعة مرابيع سكنية وأكرموهم كرماً حاتمياً لا مزيد عليه. وظل ذلك الاكرام محل حكاوى الأهل حتى تاريخه.

وبعد إكرام البعابيش لضيوفهم الجباراب بما يلزم. قام متحدث منهم وقال لهم: (يا قبيلة الجباراب عندنا طلب، عاوزنكم تجيبوه لنا.. تدونا حاج فضيل دا نزوجه امرأة من عندنا ينجب لنا منها ولد بس). فرد عليه الحاج محمد فضل السيد بلة وقال: (هذا الطلب مرفوض جملة وتفصيلاً، فلحاج فضيل امرأة ولا كل نساء العالم، ولن يتزوج عليها أبداً، ولعلمكم أنتم ليس أول من طلب منا هذا الطلب). فقام الصادق ابن الحاج فضيل وقال لهم: (فضيل فات لكن حرّم ابنه الصادق موجود). فرد متحدثهم وقال للصادق: (إنت ابن أبوك لكن نحنا كنا دايرين أبوك، وليس أنت، وحرم أبوك فوق أمك مابنديهو مرة، لأن أبوك مافي مرة بتلدو تاني).

الفصل الرابع عشر

بين حَاتِم الطائي وحاتِم دار جَعل الحاج فضيل

قدم الحاج فضيل صورة مثالية لجود وكرم وشهامة العربي الأصيل في الجاهلية والاسلام. وربما تفوق في هذا الشأن على كثير من أجاويد العرب وكرمائهم. إذ كان جوده وكرمه سجية وابتغاء الأجر والثواب من عند الله تعالى، وليس من أجل الذكر والشهرة أو غيرهما.

سنعقد في هذا الفصل مقارنة بسيطة بين كريم العرب الشهير حاتم الطائي، من قبيلة طي العربية والذي يعتبر أجود العرب وأكرمهم ومضرب المثل في ذلك، وبين حاتم أهل السودان وحاتم دار جعل الحاج فضيل علي فضيل من قبيلة الجعليين العباسية العربية، والذي يعد من أفضل ما أنجبت بطون العرب بالسودان في الجود والكرم والشهامة.

عروبة قبيلتي الرجلين:

تلتقي قبيلتا الأجوادان الكريمان الشهمان: حاتم الطائي، وحاتم السودان ودار جعل فضيل علي فضيل في الأصل العربي والانتماء لجزيرة العرب.

فقبيلة حاتم الطائي هي قبيلة طي العربية، والتي كانت تقيم بشمال الجزيرة العربية (منطقة حائل الحالية شمال المملكة العربية السعودية). أما قبيلة الراحل فضيل فهي قبيلة الجعليين العباسية القرشية والتي ترجع أصولها إلى سيدنا العباس بن عبد المُطَّلِب رضي الله عنه، والمنتمي إلى قبيلة قريش العدنانية ذات المكانة العظيمة والفضل والرياسة بين القبائل. والتي كان لها سدانة البيت وسقاية الحجيج والرفادة (طعام الموسم) ودار الندوة واللواء. والتي خصها الله تعالى بسورة كاملة في القرآن الكريم، وهي سورة (قُرَيْش). لذلك يُسمى الجَعَليون بـالعَبَّاسيين.

اشتهار قبيلتي الرجلين بالكرم والمكانة العظيمة:

اشتهرت قبيلة حاتم الطائي (قبيلة طي العربية)، وقبيلة المرحوم فضيل (قبيلة الجعليين العباسية القرشية) شهرة واسعة بالكرم والشهامة والمكانة العظيمة بين القبائل.

وكان جد قبيلة الجعليين بالسودان سيدنا العباس أجود قريش كفاً، وأوصلها سديد الرأي. وكان ثوباً لعاري بني هاشم وجفنة لجائعهم ومعلماً لجاهلهم. وكان يمنح المال ويعطي في

النوائب. وكانت له السقاية والرفادة قبل الإسلام وورث بئر زمزم من والده عبد المُطَّلِب وبعد فتح مكة كانت له الرئاسة وعمادة المسجد الحرام.

المولد والنشأة:

كذلك يلتقي الرجلان في مكان المولد والنشأة (جهة الشِمال) من جزيرة العرب ومن السودان. حيث ولد حاتم الطائي وعاش مع قومه من قبيلة طي في بلاد الجبلين (أجا وسلمى) شمال الجزيرة العربية (منطقة حائل شمال المملكة العربية السعودية حالياً)، حيث يوجد اليوم بقايا أطلال قصره وقبره وموقدته الشهيرة في بلدة تُوَارِن التي تبعد حوالي ٦٥ كيلومتراً شمال غرب مدينة حائل.

أما الحاج فضيل فقد ولد ونشأ بمنطقة الجباراب الواقعة شمال السودان وإلى الجنوب من مدينة الدَّامر عاصمة ولاية نهر النيل اليوم وعاصمة المديرية الشمالية سابقاً.

الكُنية بالأبناء:

يلتقي الرجلان كذلك في أن لكل منهما كًنية (بابنه) الأكبر عرف بها وأشتهر. حيث كُني كريم العرب وأجوادهم حاتم الطائي بأبي عَدِي. بينما كني أجواد دار جعل فضيل بأبي الصادق وعرف بها وأشتهر كذلك، كما كان يُكني بأبي علي كذلك.

الاشتهار بالمثل الأعلى لمكارم الأخلاق:

يتفق حاتم الطائي وحاتم دار جعل فضيل في أنهما كانا المثل الأعلى لمكارم الأخلاق. حيث كان حاتم الطائي المثل الأعلى لمكارم الأخلاق قبل الإسلام. وقد وصفته ابنته سفانة بين يدي الرسول الكريم بقولها إنه (كان يفك العاني ويحمي الديار ويقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام وأنه لم يرد طالب حاجة قط)، ورد عليها الرسول الكريم بأن هذه صفة المؤمن وقال: (إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق).

وكذلك كان الحاج فضيل مثلاً أعلى لمكارم الأخلاق في السودان وبين قبيلته وقومه. كما كان أجواداً كريماً شهماً يقري الضيف ويشبع الجائع ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ولا يرد طالب حاجة قط، شأنه في ذلك شأن حاتم الطائي.

صلة الرحم والقرابة:

عرف الأجوادان الكريمان الشهمان حاتم الطائي والحاج فضيل كذلك واشتهرا بصلة القرابة والرحم وبرها بكل ما يستوجب البر والصلة من عمل وقول.

الضيافة واطعام الطعام:

لم تكن العرب تعدُّ الجودَ إلاَّ قِرَى الضَّيف وإطعام الطعام، ولا تعدُّ السَّخيَّ من لم يكن فيه ذلك. فمَنْ عُرِفَ بالضيافة عُرِف بشرف المنزلة وعُلُوِّ المكانة وانقاد له قومُه. فما ساد أحد في الجاهلية ولا في الإسلام إلاَّ كان من كمال سُؤدده إطعام الطعام وإكرام الضيَّف.

وكان اطعام الطعام وإكرام الضيَّف واقامة الموائد الفاخرة أساس كرم حاتم الطائي والمرحوم فضيل ومما اشتهرا به.

حَمل الكَل:

ذكرنا في حديثنا عن حاتم الطائي انه كان ممن يحمل الكلَّ، أي الانفاق على الضعيف والفقير واليتيم والعيال وغير ذلك. وكذلك كان الراحل فضيل يحمل الكلَّ وينفق على الضعيف والفقير واليتيم والطلاب ويقوم بذلك سجية ولوجه الله تعالى وليس بغرض الذكر والشهرة.

المبالغة في الالتزام بأصول وواجبات الضيافة:

يتفق الرجلان في أنهما كانا مضرب المثل في الالتزام بأصول وواجبات الضيافة العربية الأصيلة، وفي بذلهما كل ما لديهما من مال وعرض دنيا من أجل اكرام الضيوف واسعادهم.

البشاشة والترحاب في استقبال الضيوف:

اشتهر حاتم الطائي والراحل فضيل شهرة واسعة بالبشاشة والترحاب في استقبال ضيوفهما والحفاوة بهم. وكانت البشاشة والترحاب بالضيوف أساس كرم الرجلين وعنوانهما الأكبر.

افشاء السلام:

وصفت سفانة ابنة حاتم الطائي أباها بين يدي الرسول الكريم بقولها إنه كان يفشي السلام). وكذلك اشتهر المرحوم فضيل شهرة كبيرة بالمحافظة على هذه السنة النبوية وإفشاء السلام بصوته الجهوري المميز، وقد فصلنا فيما تقدم أساليبه اللطيفة في ذلك.

كرم السلوك والعفة:

ذكرنا فيما تقدم ان حاتم لم يكن كريماً في عطاء يده فحسب، بل تجسد كرمه في سلوكه وأخلاقه. فهو عفيف طاهر يدعو إلى مكارم الأخلاق. وكان عندما يفتخر بنفسه شعراً يركز على هذا النوع من الكرم.

وكذلك كان الحاج فضيل كريماً في خلقه وطهره وعفته وصيانته الأعراض. يترفع تماماً عما يدنس النفس والسمعة والأعراض خاصة في التعامل مع النساء والجيران والمعارف. فكان عفيفاً صواناً للعروض لا يخون جاراً أو رفيقاً أو ضيفاً ولا يفضح أو يكشف سراً أو عورة، ولا يرفع بصره نحو امرأة.

شكوى والديهما من جودهما وكرمهما العريض:

هناك اتفاق عجيب بين الرجلين بخصوص شكوى والديهما من جودهما وكرمها العريض وتبذيرهما المال. وقد ذكرنا ان والد حاتم الطائي استخلفه على ماله وإبله وعشيرته ونصحه قبل سفره للتجارة قائلاً له: (لا تكن أخرق اليد مبسوط الكف حتى لا يعضك الفقر بنابه.. فالفقر مذلة والسؤال مهانة، ولا تكن شحيح اليد بخيلا كنوداً فيلحقك سوء الذم.. وكن بين هذا وذاك.. تحفظ مالي وتستر غيبتي).

وقد ذكرنا فيما تقدم أن والد فضيل كان قد تضجر من الجود والكرم الزائدين لابنه فضيل، وتبذيره المال يمنة ويسرة، وعدم ابقائه على شيء منه. وأنه طلب منه الاقتصاد في الكرم ولكن دون جدوى.

ايثارهما الآخرين على النفس والأهل:

اشتهر حاتم الطائي بأنه يؤثر الآخرين على نفسه وأسرته وزوجه وبنيه، حتى اضطرت زوجته لمعاتبته على ذلك وقالت له ان لديك أبناء أصبحوا لا يجدون قوت يومهم. وكذلك كان الحاج فضيل يؤثر الآخرين من ضيوف وأصدقاء وطلاب وعابري سبيل وغيرهم على نفسه وأسرته وأبنائه، ويقدم لهم ما يملك هو وأهل بيته من مال ومتاع وطعام. وله في ذلك قصص كثيرة. وكانت الأراضي السكنية المميزة الموقع والقيمة أشهر ما كان يهدي للآخرين، هذا رغم أنه كان يسكن في منازل يستأجرها من الآخرين.

معرفة المنزلة والإقامة:

كان حاتم الطائي إذا نزل منزلاً أو مكاناً عرف بذلك المنزل وأشتهر. وكذلك كان الراحل فضيل فما حل بمنزل أو مكان إلاَّ وعرف مكان منزله وأشتهر بين الناس، وتوافدوا للسلام عليه والمؤانسة ومشاهدة عجائب خلقه وجوده وكرمه.

الشجاعة والاقدام:

ترجع أصول الرجلين إلى قبيلتين شهيرتين بالشجاعة والفروسية. وهما قبيلة طي العربية وقبيلة الجعليين العباسية القرشية. وكان حاتم الطائي شجاعاً فارساً إذا قاتل غلب وإذا غنم نهب وإذا استل وهب وإذا أسر أطلق. ويقال إن الشجاعة قرين الكرم فكل كريم شجاع بالضرورة.

وكذلك عرف الراحل فضيل واشتهر بالشجاعة والاقدام في مواجهة الحكام وذوي الشأن وعامة الناس، وفي مواجهة المواقف التي تتطلب ذلك. وقد ذكرنا قصصاً من شجاعته في مكانها بالكتاب ومنها نصحه القوي والشديد وأمام الناس لرئيس الجمهورية السابق عمر البشير برفع الغلاء عن الشعب وتحسين أحوال معيشته.

البلاغة والفصاحة:

البلاغة والشعر من الصفات التي يتحلى بها الفرسان والأجاويد والكرماء عادة. ينصرون بهما الحق ويقارعون الظالم والمستبد. وكان حاتم الطائي من فحول شعراء العرب وقبيلة طي. وكان شعره سجلاً لحياته ومآثره في الجود والكرم والسخاء. أما الراحل فضيل فرغم عدم نيله حظاً من التعليم النظامي إلاَّ أنه كان ممن امتلكوا ناصية البلاغة والخطابة المتسمة بالبساطة والوضوح والتعبير الفطري المباشر والمستلهم من التاريخ والبيئة والتراث والقيم والتقاليد المتبعة في المجتمع. كما كان شاعراً كذلك وراوية للشعر القومي الذي يمجد قيم الجود والكرم والشجاعة والفروسية وحب الوطن.

الثقة الكبيرة بالله:

يتفق الرجلان في أن كليهما كان قوي الايمان والثقة بربه وباستمرار عطائه له دون انقطاع، وبأن الجود والكرم والشهامة لا يفقران أو ينقصان الرزق بل يزيدانه ويباركان فيه.

عدم التخوف من رزق الغد:

اشتهر عن الرجلين انهما لم يكونا يخشيان الفقر أو يحسبان له حسابًا ثِقةً بالله وإيمانًا بأنَّه هو الرزَّاق ذو الفضل العظيم. وقناعة منهما بأن الله الذي تكفل لهما برزق اليوم سيرزقهما في الغد. كما كانا يؤمنان بأن لكل يوم رزقه الذي يجب أن ينفق فيه.

الجود بكل ما يملكان:

يلتقي الرجلان كذلك في انهما كانا يجودان بكل ما يملكان من مال ومتاع دون خشية من فقر أو ضائقة. وقد كنا نسمع الحاج فضيل يردد دوماً ان الله الكريم الذي أعطاه اليوم سيعطيه غداً. وان إنفاق رزق اليوم يجلب رزق الغد ويبارك فيه. فكان يبذل كل ما عنده من مال أو طعام ويكره أن يبيت شيء منه. ويصر أن تؤكل كل ذبيحة في وقتها وألا يترك منها شيئاً للغد ولو تعددت الذبائح، ويعتبر ذلك من أسباب انقطاع الرزق وقلة البركة فيه.

كرم الأبناء:

وَرَثَ الرجلان أبناءهما الجود والكرم والشهامة، فعدي ابن حاتم الطائي كان كريماً مثل والده حاتم وكذلك الحاج فضيل ورث منه أبناؤه الصادق والمرحوم مَنْ السِيد وعمر الكرم والشهامة. وأن تميز الصادق بالقرب الشديد من أبيه جوداً وكرماً ونخوة وشهامة، ويعتبر بالنسبة لأبيه بمنزلة عدي لأبيه حاتم الطائي في الكرم والشهامة.

شرف وكرم الزوجات:

كانت زوجة حاتم الطائي تدعى النوار بنت ثرملة البخترية من بني سلامان بن ثعل. وهي والدة ابنته الأجوادة الكريمة سَفَّانة. وتعود أصولها للأشراف باليمن، وتعد من أشرف وأجود نساء العرب.

أما زوجة الراحل فضيل فهي الحاجة آمنة محمد حمزة عاشميق وهي امرأة شريفة كريمة الأصل والمنبت من جهة أبيها الجعلي الحسينابي الشعدينابي محمد حمزة عاشميق من ذرية الشيخ الرجبي الصالح حسين ود حمد الجعلي الشعدينابي.

أما والدة الحاجة آمنة فهي البراق بنت الشيخ عباس من الفقرا البخيتاب الأشراف الحسيناب، الذين ينتهي نسبهم إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. والأشراف البخيتاب هم أهل القرآن الكريم والفقه

بمنطقة الجباراب وما حولها. والحاجة آمنة كذلك من أجود وأكرم نساء السودان وأفضلهن قرى وحسن ضيافة واستقبال، مثلها في ذلك مثل النوار بنت ثرملة البخترية زوجة حاتم الطائي.

كرم البنات:

يتشابه حاتم الطائي والحاج فضيل في توريث بناتهما لكرمهما وحسن الضيافة والاستقبال. حيث كانت لحاتم الطائي بنت تدعى سفانة، وهي صحابية جليلة اشتهرت بالكرم والسخاء مثل أبيها حاتم الطائي. وكان أبوها يُعطيها من إبله ما بين العشرة إلى الأربعين فتهبها وتُعطيها الناس. فقال لها حاتم: يابنية! إنَّ القرينين إذا اجتمعا في المال أتلفاه فإما أن أعطى وتمسكي وإما أن أُمسك وتعطي فإنه لا يَبْقَى على هذا شيءٌ. فقالت: والله لا أُمسك أبدًا فقال أبوها: وأنا والله لا أمسك أبدًا. قالت: فلا نتجاور فقاسمها ماله وتباينا ولم يتجاورا.

أما بنات فضيل (انتصار وأم سلمة والسرة وابتسام) فهن أجوادات كريمات مثل أبيهن وأمهن الحاجة آمنة محمد حمزة تماماً، ويحسن استقبال واكرام الضيوف كذلك.

بين سَفَّانَة بنت حاتم وانتصار بنت فضيل

ولأن تميزت سَفَّانة بنت حاتم الطائي بالقرب من والدها ومشابهتها له في الجود والكرم، فقد تميزت بالجود والكرم والبشاشة وحسن الاستقبال وطيب الكلام وبالقرب من والدها كذلك ابنة الحاج فضيل الكبرى انتصار. وهي مثل أبوها الحاج فضيل في الكرم والضيافة والبشاشة. وكثيراً ما سمعت والدتي وخالتها شقيقة والدتها أم الحسن محمد حمزة أطال الله عمرها تردد عند ذكر انتصار فضيل قائلة: (انتصار بس أبوها فضيل في الكرم والفنجرة) ([٨٩]).

٨٩- الفنجرة كلمة عامية تعني: الكرم، والشهامة وحسن الضيافة والسماحة، مقرونة بالذوق واللطف وكريم الخصال.

ملامح تفوق كرم فضيل الجعلي على كرم حاتم الطائي

يتفوق كرم الحاج فضيل الجعلي على كرم حاتم الطائي في بعض الجوانب منها:

اشتهار فضيل بالكرم منذ طفولته:

اشتهر فضيل بأنه كان كريماً بإطعام الطعام وقرى الضيوف منذ أن كان طفلاً صغيراً، وهذا مما لم يشتهر عن حاتم الطائي أو يعرف عنه. وقد أوردنا نماذجاً من كرم طفولة فضيل في مكانها من هذا الكتاب.

غنى وثراء حاتم الطائي وعدم غنى فضيل:

كان حاتم الطائي غنياً وصاحب ثروة كبيرة من المال والأبل وغيرها، وكان يجود ويكرم الناس من موقع الغنى والثراء الذي يعيشه، والعكس تماماً مع المرحوم فضيل والذي لم يكن غنياً، وليس صاحب مال بل كان رجلاً بسيطاً ومن عوام الناس في وضعه المادي، ويعتمد في رزقه ومعيشته وإكرام ضيوفه على رزق يومه من تجارة الأسماك.

بل وربما ظل الحاج فضيل بدون عمل لفترات طويلة بسبب ظروف السوق وتقلبات الأنهار وسفره الكثير خارج أم درمان للمشاركة في المناسبات المختلفة، ورغم ذلك كان أعجوبة زمانه في الجود والكرم والشهامة.

إكرام فضيل للحيوانات:

لم يقتصر جود وكرم الحاج فضيل على الناس فقط، بل إمتد كرمه ليشمل الحيوانات، وقد ذكرنا قصة إكرامه الحمار في مكانها من هذا الكتاب وأشار إليها كذلك بعض من كتبوا عنه بالجزئية المتعلقة بقالوا عنه من الكتاب، وهذا النوع من الكرم الغريب لم يشتهر عن حاتم الطائي.

إكرام الحاج فضيل للضيف بما عنده:

أي (بما عند الضيف من مال أو غيره)، عرف الحاج فضيل واشتهر بإكرام ضيفه مما عنده، إذا لم يكن لديه ما يكرم به الضيف الاكرام اللازم. وفي هذا النوع من الكرم تميز الحاج فضيل على كرماء العرب في الجاهلية والاسلام، ومن بينهم حاتم الطائي والذي لم يشتهر عنه هذا النوع من الكرم.

وتنطلق فلسفة الراحل في هذ النوع من الكرم من ايمانه التام بإنسانية الإخاء مع جميع الناس. والتي كان يتحلى بها ويتعامل بها مع الآخرين. حيث كان يعتبر كل أخ أو صديق أو جليس أو زائر أو ضيف هو أخيه في العقيدة والوطن والجامعة الانسانية. وأنه لا فرق بينهما بعد ذلك في أي شيء من عرض الدنيا الزائل سواء المال وغيره. وكان يحب أن يعامله الناس ومضيفوه بهذا النوع من الكرم كذلك.

إكرام فضيل للناس في بيوتهم:

اشتهر عن فضيل أنه كان يقوم بإكرام الناس في بيوتهم عندما يزورهم في المناسبات المختلفة أو صلة للرحم أو مجاملة، فكثيراً ما كان يحمل لهم الخراف والحاجيات ولوازم المعيشة المختلفة وغيرها، فينعكس الوضع بحيث يصبح الحاج فضيل بمنزلة المُضيف لضيوفه وليس ضيفاً عليهم. وهذا كرم عجيب وغريب لم يشتهر أو يعرف في أدبيات كرم حاتم الطائي.

ما يختلف فيه الكريمان الأجوادان

اختلاف الغاية من الكرم:

كان حاتم الطائي يكرم من أجل الشهرة والذكر وحسن الصيت والسمعة، عن عدي بن حاتم قال قلت لرسول الله ﷺ (إن أبي كان يصل الرحم ويفعل ويفعل فهل له في ذلك يعني: من أجر؟ قال: إن أباك طلب شيئاً فأصابه) أي الشهرة والذِّكر.

أما الحاج فضيل ففقد كان جوده وكرمه سجية وفي سياق مكارم الأخلاق التي جاء الاسلام ليتممها ابتغاء مرضاة الله تعالى. وليس رغبة في ثناء أو ذكر. وكان يكره أن يذكر بكرمه كما وضحنا ذلك في مكانه من هذا الكتاب.

بين الزوجات:

كان حاتم الطائي متعدد الزوجات. أما الحاج فضيل فلم تكن له غير زوجة واحدة وهي بنت خاله الحاجة آمنة محمد حمزة عاشميق. وكان لحاتم الطائي زوجة اسمها ماوية ابنة عفزر وكانت محبة له وحاولت أن تردعه عن الأفعال التي كان يقوم بها، من ترك زوجته وأولادها بالجوع ليقري الضيوف ويجود على المحتاجين بكل ما يملك، لا يترك شيئاً للغد حيث كان يرى أن رزق الغد يأتي معه. ولما لم تُجدِ كل محاولاتها معه قامت بطلاقه.

أما الحاج فضيل فقد كانت زوجته الحاجة آمنة مثله تماماً في الكرم والبشاشة والضيافة. والصبر على تحمل مشاق استقبال أكبر عدد من الضيوف على امتداد السنة واكرامهم بما يلزم. ولم تتضجر يوماً من كرم زوجها أو من كثرة ضيوفه أو طلبت فراقه بسبب ذلك. وظلت على هذا الحال وفية له ولكرمه وحسن ضيافته حتى رحيله إلى الدار الآخرة سنة ٢٠١٥م.

الفصل الخامس عشر

زوجة (أرملة) الحاج فضيل

الحاجة آمنة محمد حمزة عاشميق

وهي زوجة (أرملة) الحاج فضيل الوحيدة وأم أبنائه وبناته. وهي امرأة فريدة استثنائية في كرمها وأخلاقها وحسن استقبالها وضيافتها، شاركت زوجها مسيرة الكرم والضيافة على مدى عقود ولازمته زوجة مخلصة ووفية حتى تاريخ وفاته سنة ٢٠١٥م. ولا يمكن التطرق لمسيرة جود وكرم وضيافة الحاج فضيل دون ربط ذلك بزوجته الحاجة آمنة محمد حمزة. والتي تستحق أن يفرد له فصل كامل بهذا الكتاب.

نسبها:

هي الحاجة (آمنة بنت محمد بن حمزة بن عاشميق بن أحمد بن فضيل بن عبد العليم بن الحاج قرشي بن محمد بن الشيخ حسين بن حمد بن سعدون بن عبد الرسول بن شاع الدين بن عرمان الجَعَلْي العباسي). وهي من ذرية الشيخ الصالح حسين ود حمد الشعدينابي المتقدم ذكره. وبنت خال الحاج فضيل علي فضيل (محمد حمزة عاشميق) شقيق والدته عائشة حمزة الشهيرة بأُم شَرَف وخالة المؤلف شقيقة والدته أم الحسن محمد حمزة عاشميق.

مولدها ونشأتها:

ولدت الحاجة آمنة بالجباراب جنوب الدامر سنة ١٩٤٣م تقريباً. ونشأت وترعرعت بحوش والدها محمد الشهير بالأنصاري بتلك القرية، وتزوجت من الحاج فضيل سنة ١٩٥٨م. وانتقلت معه برفقة والدته وعمتها الحاجة عائشة أُم شَرَفْ من الجباراب إلى الموردة بأم درمان سنة ١٩٦١م. ثم إلى مدينة الفتيحاب في العام ١٩٦٥م. ثم انتقلت الأسرة إلى الشقلة شرق بالفتيحاب سنة ١٩٧٣م. والحاجة آمنة حية ترزق، ونسأل الله أن يطيل عمرها في الصالحات والطاعات وأن يتقبل ما قدمت وما تقدم إكراماً للضيوف ونزلاء بيتها.

والدة الحاجة آمنة هي البِرَاق بنت الشيخ بن عباس بن عبيد الله بن مرتضى بن الفكي الحاج بخيت بن الفقيه علي بن محمد المنتهي نسبه بسيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي سميت على جدتها البراق بنت عبد الله راجل دَرُّو بن محمد بن عيسى بن قنديل بن حمد بن عبد العال، جد المجاذيب بالدَّامر أولاد

عبد العال بن عرمان الجعلي، والمدفون بقوز درو بحلة الشعديناب القديمة. والبراق هذه هي والدة الحاج بخيت بن علي جد الفقرا البخيتاب الأشراف بالجباراب جنوب الدامر.

وأهل والدتها البخيتاب من الرواد في تعليم القرآن الكريم والفقه بمناطق الدَّامر وما حولها. ولهم خلاوى قديمة وشهيرة بهذا الخصوص. وكان جد البخيتاب السيد علي قد هاجر بأسرته من الحجاز إلى كربلاء بالعراق، ثم انتقل إلى منطقة دراو بمصر بغرض نشر الاسلام والعلم. وتزوجت أخته التي تصغره بمنطقة قنا بمصر وذريتها هناك. وكان هناك تواصل بين أحفادها بمصر وأهلهم البخيتاب بالجباراب حتى عهد الرئيس جمال عبد الناصر عن طريق المرحوم محمد علي الشيخ.

دخل الشريف علي السودان ووصل إلى حلة الشعديناب القديمة بالدَّامر (شعديناب درُّو) واستقر هناك. ثم تزوج (البراق) بنت عبد الله راجل درُّو بن محمد بن الحاج عيسى بن قنديل بن حمد بن عبد العال بن عرمان الجعلي العباسي جد المجاذيب بالدَّامر، ووالد الفقيه حمد مؤسس مدينة الدَّامر ([٩٠]). وتزوج البنت الثانية لعبد الله راجل درو رجل من المكابراب ورزق منها حاج عبد الباقي جد البللاب.

وبعد استقرارهم بشعديناب درو انتقل البخيتاب للإقامة بقرية أرباب شمال أم بوري وغرب الموسياب، لذا سميت القرية باسمهم (أرباب الفقرا). وسبب نزوحهم إلى هناك هي أنه ظهر بقرية أرباب جان يقوم بقتل الناس بكسر الرقبة، وأضر كثيراً بسكان القرية ومنعهم من الزراعة على النيل. فذهبوا إلى شعديناب درو وطلبوا من الحاج بخيت أن يحضر لأرباب ويقرأ القرآن الكريم لطرد هذا الجان، فاشترط أهله أن يكون ذلك بمقابل، فوافقوا على أن يعطوه مساحة (إنقاية) من كل ساقية زراعية. والإنقاية قطعة معينة تفرد لزراعة لون من الخضار وهي ١٤/١ من الحواشة ([٩١]).

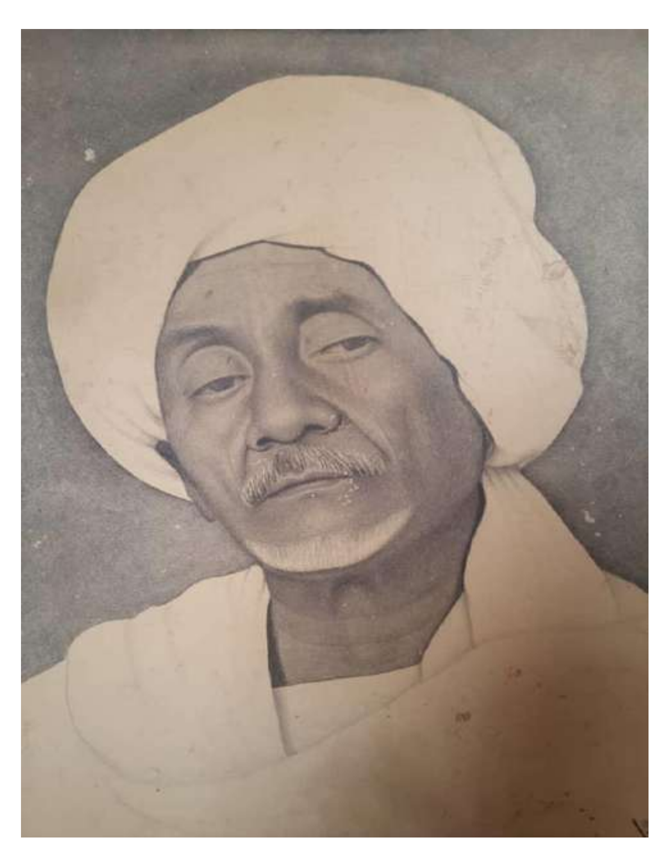
حضر الحاج بخيت لأرباب، ووفقه الله في طرد الجان من المنطقة بقراءة القرآن الكريم، ثم استقر هو وأسرته لفترة بأرباب، ثم انتقلوا فيما بعد واستقروا بالجباراب جنوب والذي هو موطنهم اليوم. وواصلوا مسيرة نشر العلم والفقه بالمنطقة وما حولها فكانوا العلماء والفقهاء

٩٠- المجاذيب نير وأنوار -الجزء الأول، د. أحمد بابكر الطاهر، ص ١٦- الجعليون العباسيون بالسودان، سفيان المرض الشيخ، ص ١٦٧.

٩١- قاموس اللهجة العامية في السودان، عون الشريف قاسم، ص ٥٥.

والقراء والمرشدين والوعاظ ولا زالوا يتوارثون تعليم وتحفيظ القرآن والفقه والعلم جيلاً بعد جيل.

ووالدة والدة الحاجة آمنة البراق الشيخ عباس هي مدينة محمد مصطفى حسن سعيد من الجعليين الجباراب العرامنة أولاد عبد الرحمن بن عبد العال بن عَرْمَان الجَعَلْي. ووالدة مدينة محمد مصطفى هي بنونة بنت حسن عابدين بن حَجّاز بن أبو حامد بن منوفل بن علي أبو كرد بن محمد بن حبيب الله بن عبد الرحمن الشهير بـ (جبارة) بن عبد العال بن عَرْمَان الجَعَلْي.



(المرحوم سعيد محمد مصطفى جد الحاجة آمنة خال أمها البراق الشيخ عباس)

الحاجة آمنة امرأة متفردة في كل شيء، وامرأة من نسيج زوجها الراحل فضيل، وكأنَّما صنعها الله خصيصاً لذاك الرجل العظيم وجمع بينهما بالزواج لإنجاز المهام الكبيرة في الكرم والضيافة، لا تقل عن زوجها كرماً ومروءة ونبلاً. إعانته بجدارة وصبر وعزيمة قوية على برنامج الكرم الحاتمي الذي حمل لوائه طوال حياته. وظلت في صحبته وخدمة ضيوفه ووفية له حتى لقاء ربه راضياً مرضياً عنه سنة ٢٠١٥م.

كرمها وحسن ضيافتها:

أخلصت الحاجة آمنة حياتها من أجل نزلاء بيتها من الضيوف والطلاب والمرضى وغيرهم، تكرمهم ترحيباً واطعاماً ورعاية ومطايبة بالقول والعمل وبأريحية فطرية وسماحة نفس عفوية، ودون كلل أو ملل أو تضجر أو من أو أذى أو انتظار مقابل وحمد وشكر.

وفي سبيل إكرام ضيوفها ونزلاء بيتها تحملت الحاجة آمنة من العناء والإجهاد ما لا يتحمله أشداء الرجال وأقواهم عزيمة. كانت تطبخ الذبيحة والذبيحتين والثلاثة في اليوم الواحد، وتبيت في المطبخ الأيام العديدة لزوم إكرام الضيوف وبسبب ازدحام المنزل بالضيوف أحياناً وعدم وجود مكان للنوم فيه.

ورغم ذلك كنت تراها تشعر بالرضاء التام والتقصير تجاه ضيوفها وتعتذر لهم بعفوية وصدق. وإذا صادف وأن زارها ضيف صائم أو مستعجل فتزوده بما تيسر عندها من مواد غذائية وغيرها.

عشنا سنوات عديدة في كنف الحاجة آمنة ولم نرها غاضبة يوماً أو مستاءة أو شاكية من تعب أو إرهاق أو من نقص شيء بالبيت، أو من كثرة الضيوف واستمرارهم وبقائهم لشهور ببيتها. حامدة لربها شاكرة، مواظبة على صلواتها وصلاتها بأهلها وأرحامها وجيرانها ومعارفها، برة بهم القريب منهم والبعيد الواصل والقاطع الصديق والعدو.

انسانيتها المشرقة وخُلقها:

عرفت الحاجة آمنة بالإنسانية الراقية المشرقة ومكارم الأخلاق السمحة التي جاء الاسلام لإتمامها، بقوله صلى الله عليه وسلم (إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق). ذات خلق طيب متسامحة متواضعة لطيفة لينة الجانب، حسنة الجيرة والعشرة عفيفة أمينة ذات وجدان سليم وفطرة سمحة مستقيمة. وفية صادقة حنونة عطوفة قريبة الدمع.

الحاجة آمنة امرأة طاهرة القلب زكية النفس لا تعرف الحقد والحسد والكراهية والغيبة والنميمة والشماتة. ظاهرها كباطنها قلبها واحد ولسانها ووجها. ليس لها عدو في الظاهر ولا في الباطن.

اشتهرت الحاجة آمنة كذلك بالمروءة المتناهية. تشارك الناس مناسباتهم المختلفة وتخدمهم بإخلاص ووفاء. وقد شهد لها الكثيرون بالصلاح والقبول ونحسبها من صالحات النساء. ونسأل الله أن يجزيها خيراً بما قدمت وأن يطيل عمرها في طاعة الله ورسوله. وأن يجعل البركة فيها وفي أبنائها وذريتها.



(الحاجة آمنة محمد حمزة مع جارتها درية إبراهيم وأبنيها الصادق وعمر وبناتها انتصار وأم سلمة والسرة وابتسام وابنة أخيها أميرة إبراهيم زوجة الصادق فضيل وحفيدتها شيرين شرف الدين الفاضل)



(منزل الحاج فضيل/ قسم النساء والخاص بست البيت / الحاجة آمنة محمد حمزة والبنات ويبدو باب المنزل وحوش النساء مفتوحاً دوماً للضيوف والزوار وإلى يسار الباب الغرفة التي قضى بها الحاج فضيل أيامه الأخيرة مع المرض وحتى وفاته)

قصة المرض والشفاء:

تحكي الحاجة آمنة أنها أصيبت بمرض عضال في بداية رحيل الأسرة إلى حي الشقلة بالفتيحاب سنة ١٩٧٣م. وعجز الأطباء عن علاجها فظلت حبيسة سرير المرض لفترات طويلة. وفي أحد الأيام قامت عمتها ووالدة زوجها الحاجة أُم شَرَفْ بالدعاء الصادق لها بالشفاء، متوسلة إلى ربها ببركة أجداد الحاجة آمنة البخيتاب الشهيرين بالتقوى والصلاح.

وبعد فترة من دعاء وابتهال الحاجة أُم شَرَفْ لشفاء بنت أخيها وزوجة ابنها، رأت الحاجة آمنة في المنام مجموعة من الصقور كبيرة الحجم تحلق فوق سريرها. ثم قام اثنان منهما بالإمساك بسريرها من طرفيه وحملاه إلى أعلى وهزه بقوة حتى خافت الحاجة آمنة من ذلك وفزعت.

وضع الصقور السرير في مكانه، وبعد ذلك مباشرة نهضت الحاجة آمنة فجأة من سريرها مذعورة خائفة، وتحركت بشكل تلقائي كعادتها قبل المرض، وباشرت حياتها الطبيعية بالبيت وكأنها لم تكن مريضة قبل ذلك. ولما عاد زوجها الحاج فضيل إلى البيت وجدها صحيحة معافاة تدير شؤون البيت كما كانت من قبل. وكانت الفرحة عظيمة بشفاء الحاجة آمنة ونحرت الذبائح.



(الحاجة آمنة محمد حمزة عاشميق)



(والدة المؤلف الحاجة/ أم الحسن محمد حمزة عاشميق بالجباراب بالدَّامر شقيقة الحاجة آمنة محمد حمزة وبنت خال الحاج فضيل)

قصيدة للمؤلف في مدح الحاجة آمنة:

حفيدة الكرام

آمنة بت أمحمد ود حمزة ود عاشميق   وآمنة حفيدة الكرام حقيقة مو لفيق
يا مطر الجود البكب دفيق   تستاهلي القومة والغنا والصفيق
من الرياض سلام عليك يا خالة   واسمحيلي الليلة فيك أقول مقالة
يا سليلة الصُلاح نساء ورجَالة   يا حليفة التقوى الما بتشيلي قوالة
في الكرم والخُلق الجميل يا آمنة   انتي الأولى أكيد وماكي التامنة
مرتاحة الضيوف في دارك دوام مطامنة   وخيراتك فوقن تكب مزامنة
من الله نورة ما هو نور مصباح   وزاد آمنة شفا وجواره رباح
بالضيوف مشغولة يومي ما بترتاح   الوجبات تلاتة وشاي الزلابية صباح
آمنة قمر البيت ونور الساحة   وآمنة الزاد والشفا والراحة
آمنة ما بتَقَفِل حاجة بي مفتاحة   ولي المحتاج بتقمت يمين براحة
آمنة حاجة وفي الناس حكاية   وآمنة فلتة وفي بنات حوة آية
آمنة نور ونارًا للضيوف دفاية   وآمنة لي العيان بخور ومحاية
آمنة نسمة وفي الكون قصيدة   وآمنة غنوة الناس تحب ترديدة
تسلم الخالة من العيون لا تصيدة   وفي العمر يا ربي بارك زيدة
آمنة ما بتقفّل تدس في رفوف   وما بتخاف من يكمل المصروف
آمنة تطبخ في اليوم تلاتة خروف   وآمنة في الهجعات تكفي ألوف
أم الطلبة والبيت الملان ضيوف   آمنة الهنا والنعيم محل ما تشوف
لي آمنة مفروض الناس يقيفو صفوف   ولي آمنة التحية واجبة وقوف
منو الزي آمنة وشبيه أمونة   ولو تعرفو مثيلة يا جماعة أفتونا
آمنة فريدة الجيل وآية كونة   وآمنة أجوادة تدي بي الكرتونة
آمنة مطمورة وآمنة تكية وشونة   وفوق الزاد آمنة تدي المونة
ما انقفل باب يوم ما برد ماعونة   ربي أحفظ آمنة كون في عونه
آمنة سليلة الصالحين الرُكع السُجود   وآمنة شريكة فضيل في الجود

آمنة من المافي تدي تجود ... وزي آمنة حوة تاني مابتجود
آمنة حفيدة جدها الحاج بخيت ... وآمنة سليلة الشرف والعلم والصيت
آمنة ما بتشيل وبي الغبينة تبيت ... والبصابح آمنة سعيد ويومو بخيت
آمنة مافي مقنعة في الحريم بتطولة ... وكاس المكارم شاليهو ديمة بطولة
البي الطلبة والضيوف دوام مشغولة ... آمنة تستحق الناس يقيفوله
آمنة ما بترميله كلمة شينة تقولة ... وما زروها آمنة يوم في قولة
بالكتاب والسنة طايعة رسوله ... وخايفة الحساب يوم الفزع والهولة
آمنة فريدة وآمنة نوعه عجيب ... وأولة الدفعة ديمة في الترتيب
آمنة أكسير وآمنة عود الطيب ... وزي آمنة حوة تاني ما بتجيب
آمنة نور الكون وقمر البيت ... وآمنة عقد الدر والسوميت
فاهمة وراقية وعندها الأوتوكيت ... وكضاب اليقول زي آمنة يوم لاقيت
آمنة خريف الضيف والبجيها نزيل ... وآمنة تدي ديمة ما بتشيل
آمنة البحر وآمنة نهر النيل ... وآمنة الشمس فى سماها عديل
حافظة الجيرة ومواصلة أرحامة ... ودماعة تباشر الزول قبال سلامة
مي شنافة آمنة حاشا مي لوامة ... راسية ورزينة وتاني مي حوامة
ملاك الرحمة آمنة زولة انسانة ... بالاحترام والذوق بتدي الكل مكانة
آمنة مدرسة ومستشفى وأجزخانة ... والسعيد في بيت آمنة يلقى خانة
ست المكارم آمنة وصنائع المعروف ... وفي الجود شبيهة (أب علي) المعروف
سائلين الكريم وليه رافعين الكفوف ... تتهنا بالحجة والكعبة الشريفة تطوف



(جانب من حوش الحاجة آمنة بالمنزل ويمين الصورة الغرفة التي قضى بها المرحوم الحاج فضيل أيامه الأخيرة مع المرض)

الفصل السادس عشر

أبناء وبنات وأحفاد الحاج فضيل

أسرته الصغيرة:

تتكون أسرة الراحل فضيل الصغيرة: من أرملته وزوجته الوحيدة الحاجة آمنة محمد حمزة عاشميق، أما أبناؤه من الحاجة آمنة فهم: الصادق، وهو ابنه الأكبر ومن كُني به (أبو الصادق)، والمرحوم: مَنَّ السِّيْد، والذي توفي صغيراً سنة ١٩٩٢م عن ١٨ سنة في حادث حركة أليم بشارع الموردة، وعمر، وهو أصغر أبنائه. أما بناته فهن: انتصار وهي الكبرى، وأم سلمة، والسُّرَّة، وابتسام.

ورغم أنه كان في شغل كبير عن أسرته الصغيرة بالكرم وقضاء حوائج الناس وحل مشاكلهم، إلاَّ ان فضيل كان شديد الاهتمام بأسرته الصغيرة، مخلصاً لها. يعامل زوجته وأبناءه وبناته بالمحبة والمودة والرفق، ويوفر لهم احتياجاتهم وطلباتهم ولا يحرمهم من شيء أبداً. كما رباهم على قيمه وأخلاقه السمحة في التعامل مع الحياة والناس والضيوف.

من النادر أن تجد فضيل جالساً بين أفراد أسرته الصغيرة أو مختلياً بهم. فهو مشغول عنهم دوماً باستقبال وإكرام الضيوف وقضاء حوائج الناس وحل مشاكلهم ومشاركتهم الأفراح والعزاء وغير ذلك. ولذلك لم تجد هذه الأسرة الكريمة حقها في خصوصية الحياة التي تتمتع بها الأسر في العادة. بل كانت حياتها مسخرة بالكامل لخدمة الآخرين من ضيوف وطلاب ومرضى مقيمين بالبيت.

أسرة الحاج فضيل الكبيرة:

أما أسرة الحاج فضيل الكبيرة والتي أخلص لها جل حياته، فقد كانت تتكون من جميع المقيمين معه بالبيت من الطلاب والأهل والمرضى والضيوف وغيرهم. حيث كان يعتبر كل مقيم ببيته فرداً من أفراد أسرته الحقيقيين ويتعامل معه على هذا الأساس. ويخصص لخدمة هؤلاء وراحتهم غالب وقته واهتمامه وجهوده وماله وعلاقاته. وكان لا يفرق بينهم في اهتمامه وعنايته بل يوليهم اهتماماً مشتركاً وأكثر من اهتمامه بأسرته الصغيرة. ويبذل لهم من العطاء ما لا يبذل لأبنائه وبناته، فتجده يقوم مع هذا إلى المستشفى ومع ذاك إلى المحكمة ومع ثالث في قضاء حاجته بالدوائر الحكومية أو غيرها. ويسافر مع آخر خارج أم درمان لحل مشكلة أو حضور مناسبة ما.

أولاده وبناته

أكرم الله المرحوم فضيل بمجموعة من الأبناء والبنات من زوجته الحاجة آمنة. وهم من طينة وطبع والدهم ووالدتهم وخلقهما السمح في الكرم والشهامة وحسن الاستقبال والضيافة.

أعان أولاد وبنات الحاج فضيل والدهم ووالدتهم بقوة وعزم في أداء رسالة الكرم والضيافة. يستقبلون هذا ويودعون ذاك. ويذهبون مع هذا للمستشفى وهكذا. ونشهد بأنهم كانوا شركاء أصيلين في رسم لوحة الكرم الاستثنائية والخالدة للراحل فضيل. ونسأل الله أن يجزيهم خيراً بما قدموا ويقدمون وينزل البركة فيهم وفي ذريتهم وأن يوفقهم في حمل لواء والدهم بقوة وعزيمة ماضية.

وأولاد فضيل بالترتيب هم: الصادق وهو أبنه البكر والأكبر. ولد بقرية الجباراب بالدَّامر، ثم انتصار وهي أكبر بناته وولدت بحي الفتيحاب بأم درمان، ثم اشتياق وحيدر وولدا بالفتيحاب وتوفيا صغاراً، ثم مَنْ السِّيد ثم أم سلمي وازدهار الأولي، توفيت ابنته ازدهار الأولى ثم أنجب ازدهار الثانية والتي توفيت صغيرة كذلك، ثم أنجب بحي الشقلة شرق بالفتيحاب ابنته السرة ثم ابتسام ثم عمر وهو أصغر أبنائه.

الصادق

(حَاتم دَار جَعل الصَغير)

وهو أول مواليد الحاج فضيل الذكور وأكبرهم سناً. وبه كُني حيث أشتهر بـ (أبو الصادق) إضافة إلى (أب علي). وكان والده يعبر بهذه الكُنية ويشدد بها في حديثه والتزاماته وفي كثير من المواقف، ويقول: (أنا أبوك يا الصادق.. أنا أبوك يا الصادق !!).

ولد الصادق بقرية الجباراب جنوب الدَّامر بتاريخ (١٩٦٧/٠٥/٢٨م) وكان ميلاده بعد حوالي تسع سنوات تقريباً من زواج والده بوالدته الحاجة آمنة. وكانت الفرحة بميلاده عظيمة عمت الأسرة وأهل وأصدقاء ومعارف المرحوم فضيل، وأقيمت بشأنها الاحتفالات ونحرت الذبائح.

والصادق كثير الشبه بوالده فضيل من حيث الانسانية والتحلي بمكارم الأخلاق من بر بالوالدين وكرم وشهامة ومروءة، وحسن استقبال وضيافة وصلة رحم واحترام للكبير والصغير. ذو نفس طيبة سمحة لا تعرف الحقد والكراهية والحسد والخصومة. كما يتمتع بحس اجتماعي رفيع وفهم راق للعلاقات الاجتماعية. حريص غاية الحرص على مجاملة أهله وأرحامه وأصدقاء والده والتواصل معهم. وقد سَدّ كثيراً من الفراغً الكبير الذي تركه رحيل أبيه في المجتمع وفي قيم الكرم والمروءة.

وإذا جاز لنا تسمية الحاج فضيل بحاتم دار جعل، كما يلقبه الكثيرون بذلك فيمكن القول بأن الصادق هو بمثابة عَدِي بن حاتم الطائي، والذي كان يشابه أباها كرماً وشهامة ونخوة وضيافة وقِرى.



(الصادق فضيل أم درمان - الشقلة شرق الفتيحاب - ٢٠١٩م)

في سنة ١٩٩٢م تزوج الصادق من ابنة خاله أميرة ابراهيم محمد حمزة عاشميق احمد فضيل، والتي تقيم أسرتها بمدينة القضارف شرق السودان. وأنجب من الأبناء محمد وهو خريج إحدى كليات الطيران المدني ويعمل في مجال الأعمال الحرة، وأحمد وهو خريج كلية التمريض العليا ويعمل في ذات المجال، وكمال أصغر أبنائه وهو طالب بمرحلة الأساس. وكانت أسرته تقيم معه بمنطقة الدوادمي بالمملكة العربية السعودية حتى عودته النهائية للسودان سنة ٢٠١٣م.



(الصادق فضيل الأول جلوساً يسار بين خاله المرحوم عمر محمد علي الشيخ والمؤلف ومحمد عباس الشيخ وقوف - منتصف ثمانينات القرن الماضي)

عمله بالسودان وهجرته للسعودية:

عمل الصادق في تجارة الذرة بمحلات الحاج محمد فضل السيد بلة الشهيرة بأم درمان. ثم بحلويات سلا بالخرطوم. ثم هاجر سنة ١٩٩٧م إلى المملكة العربية السعودية وعمل بمنطقة الرياض حتى سنة ٢٠٠٤م. وكان عضواً فاعلاً وخيراً بين أبناء منطقة الجباراب والجالية السودانية بالرياض.

كان الصادق عضواً بارزًا ونشطاً برابطة المريخ بالرياض والتي تضم كبار محبي النادي بالمدينة من أساتذة الجامعات والأطباء والمهندسين وغيرهم. واكتسب مكانة طيبة وسمعة حسنة بينهم لما تمتع به من خلق طيب وكرم ومروءة ودعم سخي للمريخ. حيث اشتهر أنه من غلاة محبي الفريق ومشجعيه. وكان مشهوراً جداً في مدرجات تشجيعه سواء في التمارين أو في مبارياته المختلفة.



(الصادق مع أعضاء اللجنة التنفيذية لرابطة المريخ بالرياض العاصمة السعودية سنة ١٩٩٨م ويظهر في الصورة وقوفاً من اليمين (المهندس مأمون قناوي والمرحوم حسن محمد نور وإبراهيم العمدة ومحمد عباس والصادق فضيل والمهندس عبد العظيم الحلو والمؤلف وبسطاوي وجلوساً من اليمين (الأستاذ صلاح محمد ابراهيم ود البيه (ناظر قبيلة الجعليين حالياً ٢٠٢١م) والبروفسور عثمان الحسن محمد نور (مدير جامعة المغتربين حالياً ٢٠٢٠م) والمرحوم أنور عتباني ود. علي الصوفي وسكرتير الرابطة المهندس محمد محمود الفضلي). (٩٢).

٩٢- المريخ عبر التاريخ (٧٥) عاماً من العطاء والاعجاز، ص (١٩٢).



(المؤلف "الأمين العام لملتقى مريخاب الرياض بالسعودية - الرياض في الفترة من ٢٠١٠م - ٢٠٢١م" وعلى يساره ابنه عمار، وهو يلقي كلمة الملتقى خلال احتفاله بفوز المريخ ببطولة سيكافا للمرة الثالثة في تاريخه).

الصادق بمنطقة الدوادمي بالسعودية:

في سنة ٢٠٠٤م انتقل الصادق من الرياض العاصمة السعودية للعمل بمنطقة الدوادمي غرب الرياض. وكان عنصراً فاعلاً وسط الجالية السودانية هناك. واشتهر بينها شهرة واسعة لما تمتع به من خلق طيب وكرم وشهامة واستقبال للسودانيين بالمنطقة واستضافتهم وخدمتهم، حتى عرف الشارع الذي يعمل به بـ (شارع فضيل). وكوّن الكثير من العلاقات الطيبة والقوية بأفراد الجالية هناك ومع كثير من المواطنين السعوديين بالدوادمي والذين كانوا يكنون له محبة وتقديراً. ويعتبرونه نموذجاً حياً للسوداني الشهم الكريم. واستمرت علاقات متصلة مع الجميع حتى بعد عودته النهائية للسودان.

مع آل الصعب بالدوادمي:

عمل الصادق بمطاعم ومطابخ أجدادنا بالدوادمي لصاحبها ابراهيم عبد الله الصعب (أبو عبد الله)، وهو أحد أفراد أسرة الشيخ عبد الله بن سعد بن عبد العزيز الصعب السعودية، تلك الأسرة الكريمة الفاضلة والملتزمة بالقيم العربية الأصيلة من شهامة وكرم ونخوة. وكانت أسرة الصعب تعامله معاملة طيبة كريمة وكأحد أفرادها تماماً. وظل يعمل معها لمدة عشر سنوات، لم يشعر فيها بالغربة أو البعد عن الأهل والوطن.

وعند حضور الحاج فضيل لأداء فريضة الحج سنة ٢٠٠٦م، قام العقيد سعود الصعب من أسرة الصعب الكريمة باستقباله بمكة المكرمة، واكرامه بإقامة دعوة غداء فاخرة، نحر فيها الذبائح وأهداه مبلغاً كبيراً من المال. في العام ٢٠١٣م عاد الصادق إلى السودان بشكل نهائي. واستقر بمنزل الأسرة بالشقلة شرق الفتيحاب، وظل مرافقاً لوالده براً به وملازماً له أثناء مرضه الأخير حتى وفاته بتاريخ (٢٠١٥/١٢/١٢م).

وظلت أسرة آل الصعب في تواصل حميم ومستمر مع الصادق وأسرته حتى بعد استقراره النهائي بالسودان، وذلك عن طريق ابنها الأكبر سعد عبد الله الصعب (أبو عبد الله) وابن عمهم أبو عمر الصعب. وفي سنة ٢٠١٦م قام العقيد سعود الصعب بتسجيل زيارة خاصة للصادق بالسودان استمرت لمدة خمسة أيام، وذلك بغرض العزاء في وفاة والده الحاج فضيل. واستقبله الصادق والأهل استقبالاً حاراً وأكرموه الاكرام اللائق به. وبعد أدائه واجب العزاء ألقى العقيد سعود كلمة بليغة معبرة بحق الراحل فضيل ومكانته وكرمه، قال فيها انه كان يتمنى زيارته وهو حي يرزق، ولكن الموت حال دون ذلك.



(الصادق فضيل يتوسط أسرته: زوجته أميرة إبراهيم محمد حمزة وأبناؤهما محمد واحمد وكمال)

المرحوم مَنْ السِيد

وهو الابن الثاني للحاج فضيل في الترتيب بعد الصادق. ولد بالشقلة شرق سنة ١٩٧٤م. وأسماها والده على صديقه المقرب الحاج مَنْ السِيد أبو العول أحد رموز قبيلة الفتيحاب، والذي كان جاره بمربع ٤ بحي الفتيحاب وصاحب المنزل الذي استأجره منه وقتها. وكان مَنْ السِيد رحمه الله طيباً خلوقاً كريماً محباً للناس ولأهله وأرحامه ومحبوباً منهم، ومقرباً كثيراً من والده ويعاونه في العمل وفي كثير من شؤونه وأموره.

وفاة المرحوم مَنْ السِيد:

توفي المرحوم مَنْ السِيد عن (١٨) سنة، إثر حادث حركة أليم بشارع الموردة وذلك بتاريخ الخميس ٢٦ رمضان١٩٩٢م، عندما كان متوجهاً للمدرسة الثانوية. وأثناء عبوره شارع الموردة قرب دار اتحاد الفنانين صدمه أحد بصات نقل الركاب العاملة في خط الثورة وأودي بحياته. ودفن قبل صلاة المغرب بمقابر الحضرة بالفتيحاب جنوب الشقلة وسط - المحطة القديمة. وقد حزن عليه والده وأسرته والأهل حزناً كبيراً. وكان تشييعه وعزاؤه عظيماً مهيباً ومشهوداً.

وفي اليوم الثاني للوفاة حضرت قبيلة قاتل ابنه بالخطأ للحاج فضيل بمنزله في وفد كبير. فاستقبلهم وأهله ومعارفه استقبالاً طيباً حسناً. وبادر الحاج فضيل بالعفو عن القاتل منذ الوهلة الأولى وقبل أن يدخل الوفد الى المنزل، وقال لهم قولته المشهورة (حرّم لو ولدكم ما طلع من السجن ما في كلام نهائي بيننا وبينكم). ورفض أن يتقبل منهم المساعدات المالية والعينية التي احضروها معهم، وقال لهم (المات ولدي والحي ولدي، وأنا عافي له لله والرسول، أنتم تدخلوا لكن الحاجات الجبتوها دي ترجع معاكم..).

وكان من المؤسف يومها أن القاتل كان ضمن الوفد، لكن أهله أخفوا ذلك عن الحاج فضيل، وأهله، وتظاهروا بأنه لا يزال حبيساً بالسجن. فلما اكتشف الحاج فضيل والأهل ذلك غضبوا غضباً شديداً وثاروا وحدث هرج ومرج كبير وكادت أن تحدث فتنة، لو لا أن قام الحاج فضيل بتهدئة الناس. وفي هذا الأثناء حضر الإمام الصادق المهدي للعزاء في الفقيد فقام فضيل وخطب في الناس قائلاً: (لقد عفوت عن القاتل قبل حضورك يا إمام الأنصار، والآن بحضورك أنا عافي عنه لله والرسول).

قصة عفو الحاج فضيل عن قاتل ابنه خطأ:

وبعد حوالي شهرين تقريباً من تلك الحادثة حضرت قبيلة القاتل، فاستقبلهم المرحوم فضيل والأهل والمعارف استقبالاً حاراً مشهوداً ذبحت فيه الذبائح. وكان من ضمن الذين حضروا ذلك اليوم قائد السلاح الطبي اللواء طبيب علي محمد عثمان الفاضلابي، والباحث في التراث السوداني ومقدم برنامج صورة شعبية الشهير الأستاذ الطيب محمد الطيب رحمهما الله، وكانا من أصدقاء الراحل فضيل المقربين.

وقام اللواء الفاضلابي وابتدر الحديث وقال من ضمن ما قال لوفد القاتل: (والله والله لولا أن منعنا هذا الرجل الفارس لقلعنا الكاكي وجئنا قلعناكم من بيتوكم لكن هذا الرجل الفارس هو من أوقفنا وهو مكلوم وامتثلنا لأمره).

ثم قام الحاج فضيل ووالدة المرحوم من السيد الحاجة آمنة محمد حمزة وأفراد الأسرة بالعفو عن القاتل عفوا نهائياً وشاملاً وطويت تلك الصفحة الحزينة.

وقد رثى المؤلف المرحوم مَنْ السِيد بقصيدة طويلة، لكنه لم يتمكن من الحصول عليها، حيث ضاعت مع بعض أوراقه بمدينة الرياض بالسعودية. رحم الله الفقيد من السيد رحمة واسعة وعوضه شبابه الجنة وجمع بينه وبين والديه وأسرته وأهله في الفردوس الأعلى.



(الراحل مَنْ السِيد فضيل، منتصف ثمانينيات القرن الماضي)



(المرحوم مَنْ السِيد فضيل الأول جلوساً (يسار)، وإلى يساره محمد عباس الشيخ، وعبد الاله حمد الكندو وقوفاً يسار والمؤلف إلى يساره - منتصف ثمانينيات القرن الماضي).

المهندس عمر

أما ابنه الثالث والأصغر فهو المهندس عمر. وقد أسماها والده على المرحوم عمر محمد علي الشيخ، ابن خال والدته الحاجة آمنة محمد حمزة. وعمر قريب الشبه بوالده في صفات الكرم والشهامة والمروءة.

مولده وتعليمه:

ولد عمر بمنزل والده بالشقلة شرق بالفتيحاب بتاريخ (١٢/٠٨/١٩٨٢م). والتحق بجامعة العلوم والتقانة بأم درمان وتخرج ببكالوريوس - مرتبة الشرف في هندسة الحاسوب ٢٠٠٧م - تخصص شبكات.

عمله بالسودان والسعودية:

عمل المهندس عمر لفترة بالسودان ثم هاجر سنة ٢٠١٤م إلى المملكة العربية السعودية، وعمل بمؤسسة البعيز للتكييف والتبريد. ثم عاد سنة ٢٠١٥م لإتمام مراسم زواجه وصادف هناك وفاة والده بتاريخ (١٢/١٢/ ٢٠١٥م). وعاد بعدها للسعودية لمدة سنة ثم عاد للسودان، واستقر به بشكل نهائي سنة ٢٠١٦م.

يقيم عمر بمنزل والده بالشقلة شرق. ويعمل حالياً بشركة وايد ايريا للتقنية الحديثة والتسويق - قسم ادارة التسويق. وهو متزوج من السيدة / فاتن صلاح الدين مكي السيد علي من قبيلة الركابية ذرية الشيخ الشريف غلام الله بن عايد وتقيم أسرتها بمدينة أم درمان وله منها: رغد وفضيل والذي أسماه على والده (فضيل).



(المهندس عمر فضيل وزوجته فاتن صلاح الدين وابنيهما رغد وفضيل)

بنات الحاج فضيل

للمرحوم الحاج فضيل أربع بنات، وهن حسب الميلاد: انتصار وأم سلمة والسُّرة وابتسام، وهن يشبهن والدتهن الحاجة آمنة ووالدهن الحاج فضيل في كثير من صفاتهما خاصة في الكرم والمروءة وحسن الضيافة. قد لعبن دوراً كبيراً وهاماً في خدمة والدتهن ووالدهن في إكرام الضيوف والنزلاء الذين يزدحم بهم المنزل طوال اليوم.

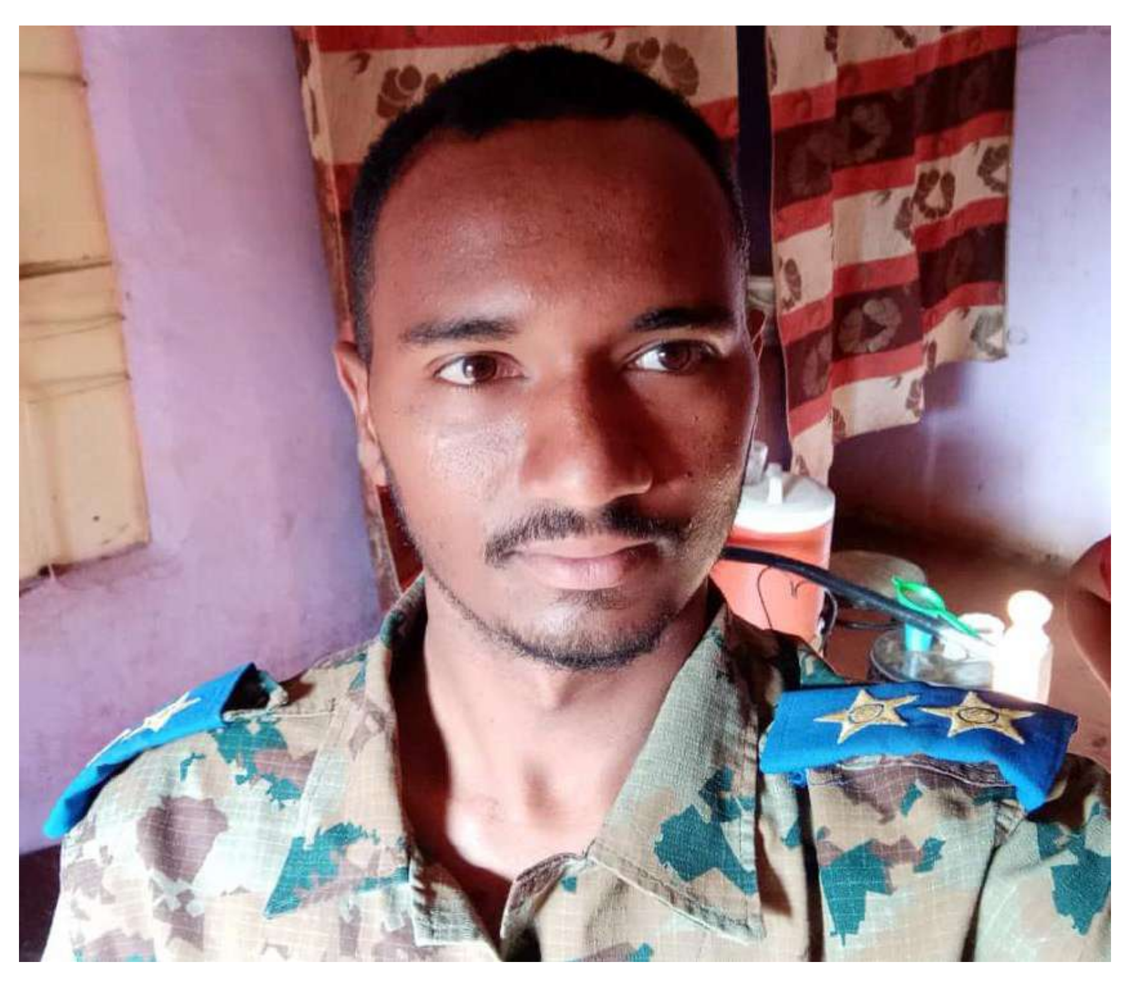
انتصار

وهي كبرى بناته، وتقرب كثيراً من والدها ووالدتها في الكرم وحسن الاستقبال والضيافة. وكانت مقربة كثيراً من والدها خاصة، في أيام مرضه الأخير. وقد حزنت كثيراً على رحيله من الدنيا. وإذا جاز تسمية والدها بحاتم دار جعل كرماً وشهامة، فيمكن أن يقال إنها تمثل (سَّفّانة بنت حاتم الطائي)، والتي كانت تشابه أباها كرماً وضيافة وقرى.

تزوجت انتصار من السيد/ شرف الدين الفاضل صباحي، من الأهل الجعليين بمنطقة الجباراب جنوب الدَّامر. ويعمل سائقاً باحدى شركات البترول بالسودان، ولها منه من الأبناء (مَنْ السِيد أو مصطفى، وهو أكبر أبناءها، وأسمته والدته على خاله الراحل مَنْ السِيد، وقد تخرج ضابطاً في سلاح الطيران السوداني برتبة (ملازم مهندس)، ويعمل بالقيادة العامة بأم درمان. أما ابنها الثاني فهو مصعب وهو طالب بكلية القانون بجامعة النيلين. أما بناتها فهن: شيرين وهي الكبرى، وهي حاصلة على ماجستير في اللغة الانجليزية وتعمل معلمة لغة انجليزية بمدارس كمبوني بأم درمان، ومتزوجة من السيد/ حجازي أحمد حجازي عاشميق (الخليفة) من عشيرة الفضيلاب بالجباراب جنوب الدَّامر، ولها منه ولدين هما: أحمد ويدرس بمرحلة الأساس وأمجد وهو الأصغر. أما ابنتها الثانية والصغرى فهي نسرين وهي محامية.



(انتصار فضيل وزوجها شرف الدين الفاضل وأبناؤهما مصطفى ومصعب ونسرين وشيرين وأبنيها احمد وأمجد)



(حفيد الحاج فضيل ابن بنته انتصار: الملازم أول مصطفى شرف الدين الفاضل)

أم سلمة

وهي ثاني بنات الحاج فضيل من حيث الميلاد. وقد أسماها والدها علي أم سلمة زوجة صديقه ابراهيم الأمين من منطقة ود ربيعة بالجزيرة. وهي متزوجة من السيد/ مبارك المرضي عبد الله ابراهيم من قبيلة البديرية الدهمشية الجعليين، الذين ترجع أصولهم لمنطقة الدبة والغابة بشمال السودان. ولها منه من الأبناء: محمد وسمي على جده لأمه محمد حمزة عاشميق الأنصاري، وفضيل وسمي على جده لأمه فضيل. ومن البنات آلاء وهي طالبة بكلية الزراعة بجامعة الخرطوم، ونعمات، وسبأ وهي أصغر بناتها.



(أم سلمة فضيل وأسرتها زوجها مبارك المرضي وأبناؤهما محمد وفضيل ونعمات وسبأ)

السُّـــــرَّة

(زوجة المؤلف)

وهي ثالث بناته ترتيباً في الميلاد. وقد أسماها والدها على السُّرَّة بنت الحبوب زوجة صديقه وجاره الأول بمربع ٤ من حي الفتيحاب بأم درمان، الرجل الكريم المرحوم أحمد فضل المولي من قبيلة الفتيحاب الجموعية. ولدت بمنزل والدها بالشقلة شرق بالفتيحاب.

لها من الأبناء: عمَّار وهو أكبر أبنائها وهو طالب بكلية الدراسات التجارية بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا بالخرطوم، وعُلا وتدرس بالصف الثامن أساس، وأوَّاب وهو أصغر أبنائها، ويدرس بالصف الثالث أساس.



(زوجة المؤلف السرة فضيل وأبناؤهما عمار وأواب وعلا)

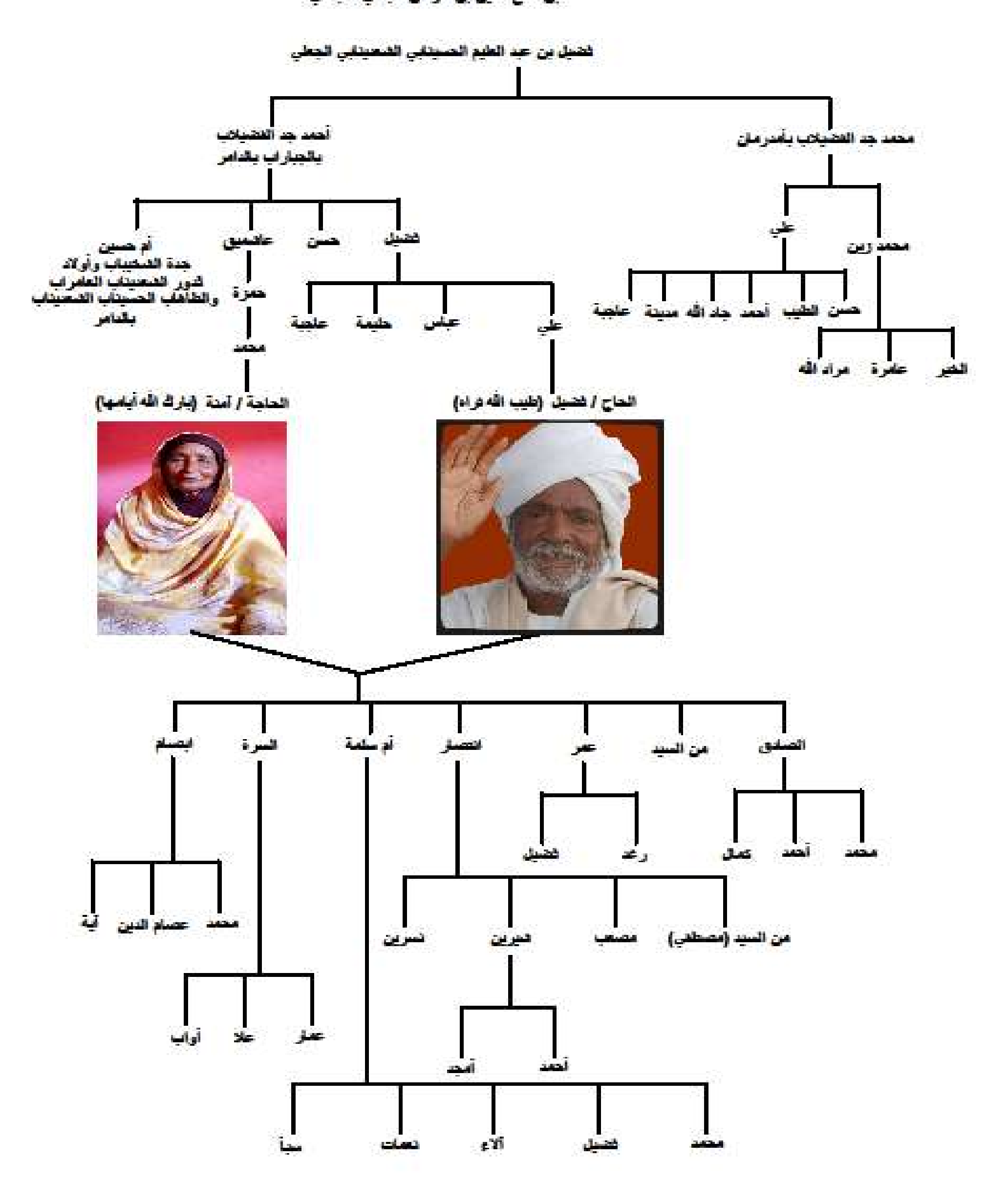
ابتسام

وهي أصغر بنات المرحوم فضيل. ولدت بالشقلة شرق بالفتيحاب، وهي متزوجة من السيد/ فضيل مصطفى شرف الدين صباحي من الأهل الجعليين بمنطقة الجباراب. ولها من الأبناء: محمد وهو طالب بالجامعة وعصام الدين، ويدرس بالمرحلة الثانوية، وآية، وهي طالبة بمرحلة الأساس.



(ابتسام فضيل وأبناءها / محمد وعصام وآية)

مشجرة آل وأبناء خالد الذكر الحاج / فضيل بن علي بن فضيل بن أحمد بن فضيل بن عبد العليم بن الحاج ترهي بن محمد بن الشيخ الصالح / حسين بن حمد بن سعدون بن عبد الرسول ابن شاع الدين بن عرمان الجعلي العباسي



الفصل السابع عشر

الحاج فضيل في الصحافة السودانية

يتناول هذا الفصل بعض الذي تيسر لنا الحصول عليه من الكتابات الصحفية الكثيرة التي نشرت بحق الحاج فضيل في حياته خاصة. والتي وللأسف ضاع أكثرها بسبب عدم التوثيق والحفظ، ومن أهمها ما كتبه بحقه صديقه الباحث في التراث السوداني ومقدم برنامج صور شعبية التلفزيوني الشهير الراحل الأستاذ الطيب محمد الطيب.

أيضا هناك مقالات صحفية رائعة سطرها بحقه الكاتب الشهير الأستاذ أحمد عبد الوهاب بعموده اليومي المقروء بصحيفة ألوان اليومية (فنجان الصباح) والتي جاءت بعنوان (فضيل رجل مهنته الكرم) ولكن لم نستطع الحصول عليها كذلك.

(فضيل على فضيل زعيم الجباراب)

بقلم: العمدة الحاج علي صالح جيب الله
نشر بصحيفة الوطن بتاريخ (٣١/ ٢٠١٢/٠٧م)

وهاك من دار جعل كما تقول الكاتبة الصحفية منى أبو العزائم بجريدة «أخبار اليوم»، ومن دار جعل ومن قرية الجباراب من أعمال مركز الدَّامر نقدم لكم الزعيم فضيل علي فضيل الذي يلبس الجعلية عمة وشال. وقد جاء فضيل للعاصمة، وسكن أم درمان في جنوبها واختلط بالجموعية والقبائل الأخرى، وصار علم على رأسه نار. وكأني بالشاعرة الخنساء كانت تقصده بقولها:

إن صخراً تأتم الهداة به كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ

كذلك كان الزعيم فضيل علم جعلي في رأسه نيران وضو قبيلة ويرتاد الضيوف منزله، وحينما يخلو منزله من الضيفان يذهب لسوق أم درمان أو الخرطوم ليحضر ضيفان ينورون منزله ويقول لهم حبابكم حرّم مليون مرة. ولعل الطلبة الوافدين من قريته الجباراب وما جاورها يأتون ليسكنون بمنزله ويواصلون تعليمهم ويقول لهم فضيل يومياً صباح الخير وحبابكم مليون مرة.

هذا هو فضيل زعيم الفضيلاب وعميدهم وزعيم الجباراب. وفي هذه المناسبة لذكراه أمد الله في عمره، كان أصيب سنة ١٩٨٢م في حادث حركة في جبهته، كاد أن يؤدي بنظره وجاءت الوفود ليزدحم المستشفى بالزوار. وقال أحد الممرضين يا جماعة الزول دا حاكم

مقاطعة، أو وزير في الحكومة، قالوا له ليس كذلك، وإنَّما عميد وزعيم قبيلة عرف بالشجاعة والكرم، وقال الممرض لله درك يا هذا الفضيل. وكان الشاعر ود عمارة ضمن الزوار الذين أتوا من قرية الجباراب ولما رجع جاء الناس يسألونه عن فضيل ما خرَّجوه؟ وما طاب؟.

وود عمارة شاعر فذ، ووقف فيهم وارتجل هذه القصيدة العصماء قائلاً:

رجعت إلى البلد أحمل معايا خطاب خطاب فيهو البشـــاير الســـمحة للأحباب
والناس كلهم لاقوني شـيب وشـباب يســـألو عن فضـــيل ما خرجوه ما طاب

(القصيدة منشورة كاملة بالجزئية المتعلقة بتعرض الحاج فضيل لحادث حركة)

لله درك ود عمارة فقد أوفيت الزعيم فضيل حقه في شعرك الأصيل؛ ولكنك من الطرائف تقول في شعرك: "يا التقابل الناس بي حبابكم عشرة".. ولكن فضيل يقابلك قائلاً: "حبابكم مليون"!! وانت يا ود عمارة قلت: "بقول حبابك عشرة، بدل مليون".. وأجاب ود عمارة في ذكاء: (نعم الآن ارتفعت الأسعار، وفي السلام صار غالي، ولذلك فضيل يصح أن يقول مليون بدل عشرة"!!).

وحين تريد أن تتحدث عن أرض الجعليين وشخصياتهم تقول: "هاك من دار جعل".. وهاكم الآن من دار جعل، فحين انتهى الاحتفال بدار المريخ، كان هناك حفلاً رائعاً بدار الجعلي الجبارابي يوسف حسن حمزة، بضاحية أم بدة، تلك الدار الزاهية الحافلة دوماً بالضيوف من قرى الجباراب وغيرها.. عملوا كرامة كبيرة، نحرت فيها الثيران احتفالاً بابنهم محمد الحسن يوسف حسن حمزة، الذي تخرج ضابط شرطة.

وكان هذا احتفالاً جعلياً جاءت وفوده من الجباراب والدَّامر والموسياب لحضور التخريج، وحضور هذا الاحتفال الذي شرفه الفنان الشعبي عمر الحواري ذو الصوت الرخيم، وفرقته وهو من أبناء كبوشية، حيث نشأت حقيبة الفن وعبد الله الماحي، وتغنى "بالعمدة الحسن ود ضبعة سيد مَحْكَر الديوان"، وتغنى قائلاً: خايلة الملكة فوق مختار.

واختلط الحابل بالنابل، وجاطت داره، وانبرى شباب الجعليين من أبناء الجباراب ليعلوا السوط ظهورهم، وتسيل دمائهم، ويهزون وأيديهم في ثبات قائلين: "أبشر!!" .. ويعلو حس الدلوكة مع الفنان:

شــــالــــوا الســــــوط دوروا يــا ديــبــة الــعــيــال الــلــيــلــة جــو
وشالوا السوط دوروا

وهكذا أطرب الجماهير الفنان الرائع عمر الحوري.. وكان احتفالاً جعلياً بابنهم الملازم محمد الحسن يوسف، وانفض الحفل بعد صلاة المغرب مباشرة، وتحركت الحافلات التي تقل الجعليين من الجباراب وغيرها، مودعين بالأماني والدعوات أن يوفق الله الأبناء الخريجين، وابنهم محمد الحسن المحتفى به جعلياً بالدلوكة والنحاس.

هكذا أيها السادة كتبت استراحة عامة ستنشر في جريدة آخر لحظة يوم الأحد، أما هذه فهي أخذت عنوانها من قلم الأستاذة منى أبو العزائم.

هاك من دار جعل وهاكم الآن من دار جعل تحيات وتمنيات أيها الخريجون، وأيها الخريج الابن محمد الحسن المحتفى به جعلياً وجباراباياً.. وتغنى ود عمارة بقصيدة رائعة تقديراً للخريج ولأبيه يوسف حسن حمزة وكأني به يقول:

أولئك الجباراب جيني بمثلهم   إذا جمعتنا في البلاد الجوامع

(وداعاً حاج فضيل.. ستظل بيننا نبراساً للجود ومكارم الأخلاق!)

مقال صحفي بقلم المؤلف نشر بصحيفة ألوان اليومية بتاريخ (٢٠١٦/٤/٧م)

بمستشفى تُقى بأم درمان ودع دنيانا الفانية قبل أيام معدودات المرحوم بإذن الله تعالى الخال الحاج/ فضيل علي فضيل بن أحمد بن فضيل بن عبد العليم ابن الحاج قرشي بن محمد بن الشيخ حسين بن حمد بن سعدون بن عبد الرسول بن شاع الدين بن عرمان الجَعَلْي الشعدينابي العباسي). والذي شكل رحيله المر فاجعة مؤلمة لعامة أهله بالجباراب بالدَّامر وما جاورها وكافة مدن السودان ولأصدقائه وأحبابه ومعارفه وقبيلة الجعليين بولاية نهر النيل والذين فقدوا برحيله قامة سامقة من قامات الكرم والإحسان ومكارم الأخلاق التي قل أن يجود بمثلها الزمان. ولكنه قدر الله المحتوم والمكتوب على كل إنسان. فكل نفس ذائقة الموت ولا نقول إلاَّ ما يرضي الله.

ينتمي الراحل فضيل إلى عشيرة الفضيلاب الحسيناب الشعديناب ذرية الشيخ الصالح حسين ود حمد صاحب القبة والمقبرة الشهيرة بالحصايا جنوب (الجريف). ولد فضيل بقرية الجباراب شمال (أم بوري)، من والدته عائشة بنت حمزة بن عاشميق بن أحمد بن فضيل بن عبد العليم ابن الحاج قرشي بن محمد بن الشيخ حسين بن حمد بن سعدون بن عبد الرسول بن شاع الدين بن عرمان الجَعَلْي العباسي. وهي ابنة عم والده ومن الفضيلاب الحسيناب الشعديناب كذلك.

كان فضيل رحمه الله قامة سامقة في الكرم والجود والشهامة والرجولة الحقة قال بحقه صديقه الباحث في التراث الشعبي السوداني المرحوم/ الطيب محمد الطيب :(ما في ود مَقَنّعة بقدل مع حاج فضيل على امتداد أرض الجعليين من الجيلي إلى مقرن الْأَتْبَرَاوِيْ) (نَهْر عَطْبَرَة). ولا نبالغ أبداً إن قلنا إن فضيل يعد من أكرم الكرماء الذين أنجبتهم بطون العرب وقبيلة الجعليين على امتداد تاريخهم الطويل، إن لم يكن أكرمهم على الإطلاق!

قال الزميل الصحفي عبد العظيم سعيد حدثني الكاتب الأديب عوض حدباي قال: كنا ذات يوم في منزل خالنا المرحوم فضيل، والمنزل كالعادة يعج بالداخلين من الضيوف والزوار الكثر كل يوم، فجمعتني المائدة والأستاذ أحمد عمر مع الباحث الطيب محمد الطيب وآخرين. فقال الأستاذ الطيب: أنتم من آل فضيل قلنا: نعم فقال: (أبقوا عشرة على فضيل فانه أشبه بالعرب العاربة الذين عاصروا الجاهلية والاسلام فاسلموا فحسن اسلامهم. وقد جمع عمنا فضيل من الشجاعة والمروءة والكرم طارف وتليد). والحديث للطيب محمد الطيب وكان من أعز أصدقاء الراحل فضيل لهما الرحمة والمغفرة والرضوان.

كان الراحل فضيل ممن غلب مائه طينه فأصبح نهراً في كل شيء. كان نسيج وحده وحالة استثنائية متفردة في عالم الكرم والترحاب وظاهرة إنسانية فريدة لن تكرر كما وصفه بذلك أديب الجباراب بالدَّامر وشاعرها محمد عمارة جاد. اختصه الله وأهله تأهيلاً فطرياً للقيام بمهمة الكرم وحل مشاكل الناس وإدخال الفرح على قلوبهم وسخر لتلك المهمة العظيمة حياته ومكانته وأسرته وعلاقاته وكل ما يملك في الدنيا حتى أصبح (رجلاً مهنته الكرم)، كما قال عنه الكاتب الصحفي أحمد عبد الوهاب في مقالاته الشهيرة عنه بصحيفة ألوان والتي جاءت بعنوان (رجل مهنته الكرم). ويشهد كل من عرفه أنه أدى تلك المهمة بفطرة الإسلام السمحة سلوكاً وعملاً ودون مَنٍّ أو أذى أو انتظار مقابل. فكان ممن أتموا مكارم الأخلاق التي جاءت بها شريعة الإسلام السمحة.

أشتهر فضيل منذ طفولته وحتى مماته بالكرم الحاتمي الأصيل. والبشاشة والنبل والخلق الجميل والمعشر الطيب والبساطة والتواضع وحسن الجوار والصحبة. والترفع عن دنيا الناس ودناياهم. كان كريماً بما يفوق الخيال. كريماً في كل خطوة مشاها، وفي كل كلمة قالها، وفي كل سلام ألقاه ومجلس غشاه ومناسبة شارك فيها ومشكلة ساهم في حلها. بل في كل لحظة عاشها في حياته الخصبة.

كان الحاج فضيل خيراً براً محسناً عطوفاً رحيماً رحب الصدر طاهر القلب لا يعرف الحقد والبغضاء والحسد والكيد والضر والدسائس والكراهية والشماتة. عفيف اللسان عذب الحديث والمزاح نقي السريرة والعلانية. محباً للناس ولحب الخير لهم، صالحاً شفافاً خفيف الروح والحجاب.

كان فضيل (قاموساً) فريداً لمعاني الكرم والبشاشة ومكارم الأخلاق النبيلة. وكان عبقرية المكان والزمان وجمالهما ما حلّ بمكان إلاَّ حلّ فيه شيءُ جديدٌ ومتميزٌ من الخير والكرم والبشر والترحاب وترك فيه بصمته الجميلة والمتفردة. غاية سعادته ومتعته في الدنيا أن يكون بيته عامراً بالضيوف والطعام متوفراً لا ينقطع على مدار الساعة. مهما كتبنا عن كرمه فلن نوفيه قليلاً من حقه وذلك بسبب تنوعه وتميزه وطرافته وتفوقه على كرماء عرب الجاهلية والإسلام وعصرنا الحالي.

كان ينثر كرمه العفوي الفياض مصحوباً بالاحترام والتقدير والتواضع والعطف أينما ذهب وحلّ. فكان كريماً في بيته وبيت غيره حتى يشك مضيفه في أيهما الضيف. كان كريماً في الشارع والمواصلات العامة والأسواق والمناسبات فرحها وكرهها. وفي سفرياته الكثيرة بالقطار واللواري والبصات والطائرات والبواخر، وبين أهله وغيرهم ومع الصغار والكبار

والنساء والأطفال. بل كان كريماً حتى بالحيوانات، وله في ذلك قصص شهيرة. يفعل كل هذا رغم أنه لم يكن غنياً كأنَّما أراد أن يعلم الناس أن الجود أكبر من المال. له في كل أنواع الكرم المتفرد قصص وطرائف عفوية عجيبة تستحق أن يفرد لها المجلدات والقواميس وتدرس في المدارس والمعاهد والجامعات لتنشأ عليها الأجيال. وتصلح لأن تكون مواضيع بحث لنيل الدرجات العلمية المختلفة من ماجستير ودكتوراه.

أبلغ درجات كرم الراحل فضيل كانت في بشاشته العفوية العجيبة والمتدفقة في استقبال الضيوف (بدون فرز)، وترحابه بهم في كل الأوقات والأحوال وفي حالتي الوفرة والعدم. كان يستقبل ضيوفه بألطف وأعذب عبارات الترحيب والاحترام وأغربها.

وله في الترحيب بالضيوف قاموس خاص تتجدد مفرداته بتجدد الضيوف وكثرتهم منها (حبابكم عشرة.. حبابكم مليون حبابكم دشليون.. حبابكم وحباب الجابكم.. البيت بيتكم الدار داركم الجابكم يجيب عقابكم.. حباب عقابي حباب أهلي حباب عزي عزيتوني أكرمتموني شرفتوني ...الخ)، وغيرها من عجائب وغرائب عبارات الترحيب المقرونة بالأعداد الضخمة والتي لا يوجد بعضها في قاموس الأعداد، وتتنزل عليه في وقتها فرحة بمقدم الضيوف متزامنة مع دموعه السخية والصادقة. إن بشاشة الراحل فضيل في استقبال واحترام ضيوفه وملاطفته لهم منذ قدومهم وحتى رحيلهم كانت تنافس إكرامه لهم بالطعام وغيره. وكم شهدنا ضيوفه يبكون من حرارة استقباله وترحيبه وصدق عاطفته!!

لم يكن فضيل غنياً بالمال يوماً ولكنه كان غنياً بربه وبثقته فيه وتوكله عليه. وكان يعتبر نفسه أغني أهل الدنيا ويتعامل على هذا الأساس حتى وهو في أشد حالات العدم. لم نشاهده حزينا يوماً أو مهموماً بسبب قلة المال أو استمرار بيته مزدحماً بالضيوف والمقيمين. لا يتخاذل عن واجب أو مساعدة مهما كانت ظروفه المادية أو الصحية ولذلك لم يخذله ربه يوماً في إكرام الضيوف وقضاء حوائج الناس.

لم يمنعه المرض المقعد وانقطاع مصدر الرزق عن ممارسة مهنة الكرم ومساعدة الناس. فكان يجبر من يزورونه وخاصة النساء والطلاب والصغار على استلام عطاياه المالية ويلح عليهم في ذلك بقوة تعكسها ملامح وجهه البهي الصبوح، بعد أن فقد القدرة على التعبير بالكلام بعد اصابته بالجلطة في آخر أيامه، ويعبر عن شعوره بالتقصير بما استطاع من إيماءات وحركات.

تميز فضيل بالحس الاجتماعي المتفرد وجسد من خلاله أنبل القيم. كان برنامجه اليومي لا يخلو من عيادة مريض أو سعي في حل مشكلة أو صلة رحم أو زيارة صديق ومساعدة هؤلاء في أفراحهم وأتراحهم وقضاء أوقات جميلة بينهم بقصد إرضائهم وجبر خواطرهم. وكان يجهد نفسه كثيراً في ذلك ويحملها فوق طاقتها. فكنت تراه في حركة دائبة وتنقل دائم في البلاد وبين الدَّامر وأم درمان والأحياء والقرى والحلَّال. يزرع الشوارع شارعاً شارعاً وحارة حارة محاطاً بالاحترام والتقدير والمحبة والترحاب من كل الذين يقابلونه!

كان فضيل آية في محبة أهله وأرحامه ومعارفه وأصدقائه وفي صلتهم وبرهم والإحسان إليهم، يعتز بهم ويفتخر ولا يتكلم عنهم أو يناديهم بأسمائهم المجردة بل بموجب قرابتهم منه (خالي فلان وعمي فلان ...). وفي ذلك كان مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: (خيرُكم خيركم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي).

كان كريماً محسناً في صلة أرحامه وجيرانه ومعارفه وأصدقائه الواصل منهم والقاطع يصلهم بنفسه وماله وطعامه وسلامه الحار (أبْ قَلْدَة). ويبذل لهم من بشاشته وطيب كلامه ودموعه السخية أكثر مما يبذل من ماله وزاده. ويبقى بينهم لحظات ودية جميلة وخالدة تتجدد فيها حياتهم وطموحاتهم وثقتهم بالله والناس والأهل.

كان لا يقصر زياراته وصلته على أرحامه وجيرانه وأهله بل يمر على البيوت المجاورة لهم فيمنح أهلها ما منح أرحامه من البشاشة والكرم. فقد كان فضيل خيراً عميماً ورحمة تتنزل في كل دار يدخلها!

كان فضيل كريماً في حبه للمساكين والبسطاء ومن لا ينشغل بهم الناس في العادة. يستقبلهم ويناديهم بأحب وألطف العبارات ويستدرجهم بطيب كلامه لمشاركته الطعام بمنزله. كان كريماً في حبه للأطفال والذين كانوا يبادلونه ذات الحب فما حل بين أهله بالجباراب بالدَّامر خاصة إلاَّ وتسابق أطفال القرية إلى حيث نزل فرحين بمقدمه الميمون كأنهم في يوم عيد سعيد. ويتلقاهم هو بروحه الشفيفة وبالفرحة والبشاشة والأحضان والقبلات والمداعبات اللطيفة نثراً وشعراً وينقلب معهم طفلاً وديعاً غريراً. ويظل بينهم هكذا إلى أن يرجعوا من عنده بالمال والحلوى والتمر وما لذ وطاب مما يهدى له ويقدم لضيافته!.

كان كريماً في سماحته وتسامحه. يجود على الجميع سواء المحسن فيه والمسيء المقدر له والجاحد.. وشهد الناس كيف انه عفا عن قاتل ابنه الشاب (من السيد) (خطأ) سنة ١٩٩٢م منذ الوهلة الأولى ودون أي مساومات. كان كريماً في عفته وصون أعراض الآخرين لا يرفع بصره نحو امرأة أو جارة أو فتاة، ولا يهمه كثيراً أو يميز إن كان الشخص الذي أمامه امرأة

عجوز أو رجل مسن أو فتاة جميلة أو غير ذلك. فقد كان في شغل عن هذا فكل همه أن يوفر الكرم والاحترام والمساعدة للإنسان الذي بين يديه مهما كان. وأن يكون الناس سعداء في حضوره ومجلسه ليس لديهم هم أو حاجة. فقد كان يعتبر نفسه مسئولاً عن إزالة هموم الناس وحل مشاكلهم. وكان يكره أن يمدحه الناس بكرمه وأعماله السمحة وسريعاً ما يصرف المتكلم بهذا بالحث على إكرام الضيوف واستعجال إحضار الطعام أو بالمناداة على أحد للقيام بمهمة ما.

كان يعتبر كل ضيف أو جليس أو نزيل بداره بمثابة أخيه وأبيه وابنه وخاله وعمه وجده (حسب الحال) وبغض النظر عن اختلافهم وتنوعهم وعمرهم. أسرته الحقيقية كانت تتكون ممن يتواجدون معه بالمنزل من المقيمين والضيوف والطلاب وغيرهم. وليس في مجرد زوجته وأولاده. ونشهد أنه لم يفضل أسرته على أسرة نزلت بداره أو نزيلاً أو طالباً أو طالبة على أبنائه أو بناته بل كان يقدم هؤلاء على أبنائه وبناته وأسرته في محبته وعطفه ويخصهم بالمزايا والعطايا. ويغلظ كثيراً على أبنائه وبناته إرضاء لغيرهم وتطييباً لخواطرهم.

وكم كانت تأتي الهدايا والعطايا القيمة لأبنائه وبناته فيوزعها على غيرهم دون أن يعرفها أولاده لأنه يرى أنهم أحوج إليها وأولى بها منهم رغم ان الحقيقة خلاف ذلك في كثير من الأحوال. ونشهد أن ما ناله الآخرون من كرمه وعطائه كان أكبر بكثير مما نالته أسرته وأولاده. فلله دره مع الخالدين في بيت الكرم بالفردوس الأعلى!.

كان فضيل كريماً رحيماً عطوفاً حتى بالباعة في الأسواق وخاصة النساء والأطفال، فكثيراً ما كان يحضر للسوق نهاراً ويجد بضاعة النساء والأطفال والبسطاء كاسدة فيجمعها كوماً واحداً ويعطي صاحبها سعرها، ليس لأنه يحتاجها ولكن اكراماً للبائع ورحمة به من الانتظار وحر الشمس ومساعدة له ولمن يعول!!

من النادر أن ترى حاج فضيل ماشياً في حاجته الخاصة أو حاجة أسرته أو أولاده، بل وربما مشى في مثل هذه الأمور وتحول عنها لقضاء حاجة شخص آخر عرفه أو قابله مصادفة واكتفى بذلك وعاد فرحاً مسروراً وليس في باله حاجته التي ذهب لقضائها. سخره الله واختصه بقدرة عجيبة لقضاء حوائج الناس وإكرامهم وحل مشاكلهم وإدخال الفرح عليهم. وسخر لهذا الهدف العظيم أبنائه وأسرته وعلاقاته وأصدقائه. وكان يسعد بذلك غاية السعادة فكم من أسرة أهداها قطعة أرض وكم من زوجين أعاد لهم صفاء حياتهم الزوجية وجنبهم شر الطلاق وتشتت الأبناء. وكم من طالب تكفله حتى تخرج من الجامعة.

وكم أولئك الذين وظفهم بالدولة والقطاع الخاص وشفع لهم بمكانته ووجاهته. وكم من آلاف تمتعوا بماله وكسواته وخيرات طعامه ونعيم شرابه. فقد كان رحمه الله ممن أتموا مكارم الأخلاق السمحة التي بعث رسول الله (ﷺ) لإكمالهما. ولذلك انعقدت القلوب على محبته واحترامه ونطقت الألسن بذكره والثناء عليه في حياته وبعد مماته.

كان كريماً حتى في تفكيره وهو مختل بنفسه. فكان لا يفكر في خلواته في نفسه ومصلحته الخاصة أو مصلحة أولاده أو أسرته حتى وهو جالس لحاله. فتراه يفكر في شخص يكرمه أو زوجين مختلفين يعيد الصفاء بينهما أو قريب يزوره أو مشكلة يذهب لحلها بوجاهته أو بماله. فكثيراً ما ينهض متعجلاً لحل مشكلة وربما مكث اليوم واليومين والأسبوع والشهر خارج البيت في مهام تتعلق بمشاكل الناس والسعي في حلها.

كان فضيل كريماً بحياته الخاصة وبخصوصية أسرته الكريمة التي لم تتمتع على امتداد مسيرتها الطويلة وتنقلها بين الموردة والفتيحاب والشقلة بأي خصوصية في الحياة، كما تعيش عامة الأسر في العادة. فكانت حياته وحياة أسرته وأبنائه مسخرة بالكامل وبشكل يومي ومستمر للناس والضيوف وبصورة لا يتحملها إلاَّ أولوا العزم ومن كان مؤهلاً تأهيلاً إلهياً فطرياً ومناسباً لذلك!

كان عامر القلب بتوحيد الله والتوكل التام عليه. واثقاً من كرمه له وفضله عليه راجياً عطائه وإحسانه لا يخشى فقراً أو ضائقة. ينفق كل ما بيده وجيبه وبيته ثقة بما عند الله. وكان من باب ثقته المطلقة بعطاء الله وفضله أنه لا يرضى أن يبيت مال بجيبه أو لحم أو طعام بالبيت. كما كان محباً لرسول الله (ﷺ) كثير الصلاة عليه ومحباً لمداحه مكرماً لهم. أكرمه الله بحج بيته المحرم وأداء العمرة مرتين. نسأل الله أن يشمله بعفوه وأن يرحمه رحمة واسعة وأن يجزيه خيراً بما قدم. (٩٣).

٩٣- صحيفة ألوان اليومية - عدد الخميس (٢٠١٦/٠٤/٠٧م).



10

إعلان

ألوان

الخميس 29 جمادى الآخر 1437هـ 7 أبريل 2016م

وداعا حاج فضيل.. ستظل بيننا نبراسا للجود ومكارم الأخلاق..

قبل أربعة أشهر تقريبا ودع دنيانا الفانية بمستشفى تقى بامدرمان المرحوم بإذن الله تعالى الخال الحاج / فضيل علي فضيل احمد الجعلي والذي انتقل إلى الرفيق الأعلى في يوم السبت (٢٠١٦/١٢/١٢م) الموافق (١٤٣٧/٣/١هـ) والذي برحيله فقدت قبيلة الجعليين عامة وولاية نهر النيل خاصة وأهله وأحبابه ومعارفه بقرية الجباراب بالدامر وأم درمان والقضارف وكافة مدن السودان قامة سامقة من قامات الكرم والمروءة ومكارم الأخلاق النبيلة التي قل أن يجود بمثلها الزمان ولكنه قدر الله المكتوب على كل إنسان فكل نفس ذائقة الموت ولا نقول إلا ما يرضي الله إنا لله وإنا إليه راجعون.

ينتمي الراحل فضيل من جهة أبيه علي فضيل احمد وأمه عائشة محمد حمزة إلى فرع الفضيلاب الحسيناب الشعديناب الجعليين عاشميق الشهيرة بـ (أم شرف) وهو وحيد والديه ومن ذرية الشيخ (الرجبي) العراملة بقرية الجباراب جنوب الدامر والذي ورد ذكره بكتاب الطبقات لود الصالح حسين ود حمد الشعدينابي الشهير بـ (راجل الحصايا) وصاحب المقبرة والقبة الشهيرة بقرية الجريف بالحصايا جنوب الدامر ضيف الله.

المرحوم / فضيل علي

عبد الباقي الطيب علي

(صورة ضوئية للمقال بصحيفة ألون اليومية)

بقلم : عبد الباقي الطيب علي

كان الراحل فضيل نسيج وحده وظاهرة إنسانية فريدة لن تتكرر في عالم الكرم والبشاشة والمروءة والخلق الجميل كما وصفه بذلك أديب العبارات وشاعرها محمد عمارة [illegible] وطاقة عجيبة للقيام بمهنة الكرم واستقبال الكم [illegible] من الضيوف بالفرح والبشاشة في كل الأحوال والأوقات والظروف وحل مشاكل الناس وإدخال الفرح عليهم ووهب حياته لتلك المهنة الإنسانية العظيمة وسخر لها وقته وممتلكاته وأسرته وعلاقاته وكل ما يملك في الدنيا حتى أصبح (رجلا مهنته الكرم) كما وصفه بذلك الكاتب الصحفي الكبير أحمد عبد الوهاب في مقالة عنه بصحيفة الوان ويشهد كل من عرف فضيل أنه أدى رسالة الكرم والمروءة بفطرة الإسلام السوية سلوكا وعملا ودون من أو أذى أو انتظار مقابل فكان ممن أتموا مكارم الأخلاق التي جاءت بها شريعة الإسلام السمحة قال عنه صديقه الباحث في التراث الشعبي السوداني (المرحوم) الطيب محمد الطيب (إنا في [illegible] مع حاج فضيل على امتداد أرض الجعليين [illegible] من الجيلي إلى مقرن الاتبراوي) وقال ذات مرة (إنه يتمنى أن يحضر حاج فضيل وفاته ويشيعه) وقد كان له ما أراد ومن هنا لا نبالغ أبدا إن قلنا أن الراحل فضيل كان من أكرم الكرماء الذين أنجبتهم بطون العرب على امتداد تاريخهم الطويل إن لم يكن أكرمهم على الإطلاق) قال الزميل عبد العظيم سعيد حدثني الكاتب الأديب عوض حسباي قال كنا ذات يوم في منزل خالنا المرحوم فضيل.. والمنزل كالعادة يعج بالداخلين من الضيوف والزوار الكثر كل يوم.. فجمعتنا المائدة .. شخصي والأستاذ أحمد عمر مع الباحث الأستاذ الطيب محمد الطيب وآخرين فقال لنا أنتم من آل فضيل قلنا نعم:

فقال: (ابقوا عشرة على فضيل، فإنه أشبه بالعرب العاربة الذين عاصروا الجاهلية والإسلام .. فأسلموا وحسن إسلامهم. وقد جمع عمنا فضيل من الشجاعة والمروءة والكرم.. طارف وتليد!!

والحديث للطيب محمد الطيب وكان من أعز أصدقاء الراحل لهما الرحمة والمغفرة والرضوان.

كان فضيل عبقرية المكان والزمان وجمالهما ما حل بمكان إلا حل فيه شيئا جميلا ومتميزا وترك فيه بصمته الجميلة والمتفردة من التعارف والخير والكرم والبشر والترحاب اشتهر منذ طفولته وحتى مماته بالكرم الحاتمي الأصيل والبشاشة والنبل والمروءة والخلق الجميل والمعشر الطيب والبساطة والتواضع وحسن الجوار والصحبة والترفع عن دنيا الناس ودناياهم كان كريما بما يفوق الخيال كريما في كل خطوة مشاها وكلمة قالها وسلام ألقاه ومجلس غشاه ومناسبة شارك فيها ومشكلة ساهم في حلها بل في كل لحظة عاشها في حياته كان خيرا برا محسنا عطوفا رحيما رحب الصدر طاهر القلب لا يعرف الحقد والبغضاء والحسد والكيد والضر والدسائس والكراهية والشماتة عفيف اللسان عذب الحديث والمزاح نقي السريرة والعلانية محبا للناس ولخيرهم صالحا شفافا خفيف الروح والحجاب:.

كان (قاموسا) فريدا لمعاني الإنسانية والكرم والبشاشة والمروءة ومكارم الأخلاق النبيلة غاية مناه وسعادته أن يكون بيته عامرا بالضيوف والنزلاء والطعام والشراب متوفرا على مدار اليوم وألا يكون هناك شخص لديه مشكلة تزعجه أو هم يؤرقه مهما كتبنا عن كرمه فلن نوفيه قليلا وذلك بسبب تنوعه وتميزه وطرافته كان ينثر كرمه العفوي الفياض مصحوبا بالاحترام والتقدير والتواضع والعطف أينما ذهب وحل فكان كريما في بيته وبيت غيره حتى يشك مضيفه في أيهما الضيف كان كريما في الشارع والمواصلات العامة والأسواق والمناسبات فرحها وكرهها وفي سفرياته الكثيرة بالقطار واللواري والبصات والطائرات والبواخر وبين أهله وغيرهم ومع الصغار والكبار والنساء والأطفال بل كان رحيما حتى بالحيوانات يفعل كل هذا رغم أنه لم يكن غنيا يوما ما كأنما أراد أن يعلم الناس أن الجود أكبر من المال له في كل أنواع الكرم المتفرد قصص وطرائف عفوية عجيبة تملأ المجلدات وتستحق أن تدرس في المدارس والمعاهد والجامعات لتنشأ عليها الأجيال وتصلح لأن تكون مواضيع بحث لنيل الدرجات العلمية من ماجستير ودكتوراه!!

أبلغ درجات كرم الراحل فضيل كانت في بشاشته العفوية العجيبة والمتدفقة في استقبال الضيوف وترحابه بهم في كل الأوقات والأحوال كان يستقبل ضيوفه بألطف وأعذب عبارات الترحيب والاحترام وأغربها وله في ذلك قاموس خاص يتجدد بتجدد الضيوف وكثرتهم (حبابكم عشرة .. حبابكم مليون حبابكم [illegible] وحباب الجابكم البيت بيتكم الدار داركم الجابكم يجيب عقابكم حباب عقابي حباب أهلي حباب عزي عزيتوني أكرمتوني شرفتوني ...الخ) وغيرها من عجائب وغرائب عبارات الترحيب المقرونة بالأعداد الضخمة والتي لا توجد في قاموس الأعداد وتتنزل عليه في وقتها فرحة بمقدم الضيوف متزامنة مع دموعه السخية والصادقة .. إن بشاشة الراحل فضيل في استقبال واحترام ضيوفه وملاطفتهم منذ قدومهم وحتى رحيلهم كانت تنافس إكرامه لهم بالطعام وكم شهدنا ضيوفه يبكون من حرارة استقباله وترحيبه وصدق عاطفته!!

كان على فطرة الإسلام السمحة موحدا لربه متوكلا عليه وموقنا برحمته محبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم كثير الصلاة عليه ومحبا لمداحه مكرما لهم أكرمه الله بحج بيته وأداء العمرة مرتين وبصلوات كثيرة ومتواصلة بالحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة لم يكن غنيا بالمال يوما ما ولكنه كان غنيا بربه وبثقته فيه وتوكله عليه وكان يعتبر نفسه أغنى أهل الدنيا ويتعامل على هذا الأساس حتى وهو في أشد حالات العدم لم نشاهده حزينا أو مهموما بسبب قل المال أو حاجته له أو استمرار بيته مزدحما بالضيوف والمقيمين لا يتخاذل عن داعي المروءة أو مساعدة المحتاجين مهما كانت ظروفه المالية والصحية ولذلك لم يخذله ربه يوما في إكرام الضيوف وقضاء حوائج الناس لم يمنعه المرض المقعد وانقطاع مصدر الرزق عن ممارسة مهنة الكرم ومساعدة الناس فكان يجبر من يزورونه وخاصة النساء والطلاب والصغار على استلام عطاياه المالية ويلح عليهم في ذلك بقوة تعكسها ملامح وجهه الصبوح بعد أن فقد القدرة على الكلام في أيامه الأخيرة ولكل ذلك انعقدت القلوب على محبته واحترامه وانطلقت الألسن بذكره والثناء عليه في حياته وبعد مماته.

تميز الراحل فضيل بالحس الاجتماعي المتفرد وجسد من خلاله أنبل القيم الإنسانية والاجتماعية وكان يجهد نفسه كثيرا في تطبيق برنامج يومي اجتماعي صارم وصعب يتضمن استقبال الضيوف بداره العامرة وعيادة المرضى والسعي في حل المشاكل وصلة الرحم وزيارة الأصدقاء والمعارف والمشاركة في الأفراح والأتراح فكنت تراه في حركة دائبة وتنقل دائم بين الدامر وأم درمان وغيرها من المدن والقرى والحلال كان آية في محبة وبر وصلة أهله وأرحامه الواصل منهم والقاطع مفتخرا بهم لا يتكلم عنهم أو يناديهم بأسمائهم المجردة بل بموجب قرابتهم منه وإن كانت بعيدة (خالي فلان وعمي فلان.. عمتي وخالتي فلانة ...) يصلهم بنفسه وسلامه الحار (أب قلدة) وبماله وطعامه ويبذل لهم من بشاشته وطيب كلامه ودموعه السخية أكثر مما يبذل من ماله وزاده ويبقى بينهم لحظات ودية جميلة وخالدة تتجدد فيها حياتهم وطموحاتهم وثقتهم بالله والناس والأهل والخير وكان لا يقصر زياراته وصلته على أرحامه فقط بل يمر على جيرانهم فيمنحهم من كرمه وبشاشته الكثير وبالعموم كان المرحوم فضيل خيرا يمشي على قدمين ورحمة تتنزل في كل دار يدخلها!.

كان كريما في حبه للمساكين والبسطاء ومن لا ينشغل الناس بهم في العادة يستقبلهم ويستدرجهم إلى بيته ومشاركته الطعام بألطف العبارات كان كريما رحيما حتى بالباعة في الأسواق فكثيرا ما كان يحضر للسوق

فضيل علي فضيل حاتم دار جعل

العمدة الحاج علي صالح جيب الله

نشر المقال بصحيفة الانتباهة بتاريخ (٠٨ -٠٣ -٢٠١٤م)

سيداتي سادتي، أظنكم جميعاً تسمعون بحاتم الطائي قديماً في العرب الأوائل والذي يضرب بكرمه المثل.. وكذلك جعفر البرمكي يضرب به المثل في الكرم يقولون البرامكة.. وكان جعفر هذا وزيراً لهارون الرشيد في العهد العباسي.. وقد كان الرشيد يحب هذا الجعفر البرمكي وفي نفس الوقت يحب أخته العباسة التي لم تتزوج ولم يسمح الرشيد أن يزوجها لأي أحد. إلاَّ إذا كان ذا مواصفات معينة لأنها عباسية وأخت الرشيد.

ولم يتقدم لها أحد بهذه الشروط وكانت تأتي إلى مجلسه العامر للمؤانسة وجعفر كذلك: ولكنه لم يسمح كبرياؤه أن يزوجها له لأنه لا يكمل الشروط الملوكية، وفكر أن يعقد له عليها فقط لتجلس معه في مجلس الرشيد على ألا يستعملها كامرأة بالرغم من أنه عقد له عليها: وكانت كأي أنثى تحن للرجل وإلى تكوين الأسرة هكذا سُنة اللَّه في خلقه ولن تجد لسُنة اللَّه تبديلاً.

وكان جعفر يحبها جداً وبموجب هذا العقد عاشرها كأمة وحبلت منه وولدت وجابت ولد ولكنها كانت تخفي هذا الأمر خوفاً من سيف الرشيد. ولما كان هناك جماعة الأمن والمباحث أخطره أحدهم بهذا الأمر وبداية بدأ بالذي أخطره بهذا الأمر وقتله لئلا يحدث الآخرين. شوف باللَّه هذه القسوة وهذا التصرف.

وهكذا تدور الأيام ويأمر الرشيد السياف مسرور أن يقتل جعفر البرمكي بسبب أنه عاشر العباسة وولد ولداً. وذهب مسروراً يحمل سيفه إلى جعفر البرمكي يحدثه بأمر الرشيد بقتله، وقال له مش ممكن وقال له خلاص اذهب وقل قتلته وأتركني، وذهب إليه قائلاً يا أمير المؤمنين خلاص قتلته قال اذهب وجيب رأسه وعاد إليه قائلاً أمرني بإحضار رأسك، وهنا ردد جعفر الشهادة وتقدم في شجاعة قائلاً مرحباً بالموت ولكنه خلف وراءه كرماً وكلاماً قال الشاعر العربي:

ليت جعفر كان حياً	ويفنى بعده الناس الفناء
ليبكي على جعفر كل خيل	تمور لدى معاركها الدلاء
لقد وارى جديد الأرض	منه كرماً لا يفارقه الوفاء

وهكذا كان جعفر البرمكي يضربون المثل بكرمه وكذلك حاتم الطائي. وتنطلق الأيام سائرة وتظهر شخصيات في ديار الجعليين الذين تفوقوا في الكرم، وعلى سبيل المثال يذكر الحاج علي الحداد، الذي أجرى الله المال على يديه، وظل ينفقه في سبيل الله في المساجد وللمرضى الذين تكثر عليهم التكاليف، وظل يكفل اليتامى، ولذلك قام أهله بالفريخ بتكريمه وتقديره، وتجمع أبناء المنطقة من كل قرى نهر النيل ونهر عطبرة وأقاموا حفلاً بالخرطوم تغنى فيه الشعراء ودقوا فيه نحاس الجعليين، وعرضوا وبرجوا واندقوا بالسوط كعادتهم وكان فرحاً وابتهاجاً. ذلك اليوم كان تكريماً للحداد الذي لا يحب الحديث عنه، إلا أننا والصحافة نتكلم ونكتب ليتشبه به أصحاب النقود والتشبه بالرجال فلاح.

نتمنى للحداد دوام العافية.. والذي يدفعني لكتابة هذه الاستراحة هو فضيل علي فضيل الشعدينابي الجبارابي، وهو لا يملك مالاً كثيراً في هذه الدنيا الزائلة، ويسكن معه أي طالب قادماً من الشمال إلى الجامعة، وحتى طلبة الخارج وجدتهم بمنزله. وفضيل هذا إذا رأى عابر سبيل عارياً يملص قميصه ليكسيه، وذات مرة كان مريضاً بالمستشفى وتكاثر الناس حتى امتلأ بهم المكان وضاقت المستشفى بما رحبت، وسأل الدكتور هل فضيل هذا حاكم أم وزير؟! أجابوه بأنه رجل عادي، ولكن سكينه حمراء يذبح للضيف في حالة الهجوع.

وفضيل هذا قبيلة قائمة بذاتها كرماً وشجاعة، وحينما يأتي إليه الضيف كان يرحب به قائلاً حبابك مليون، واليوم فضيل رقد مشلولاً بمنزله، أسأل له الله الشفاء العاجل وأن يعود الأسد لعرينو، وأن يضرب تاني عباس بدوي يهز مرتينو ويزغردن العزاز الما بيدورن شينو، أدعو معي أن يقوم أبو الصادق ليقول حبابكم مليون، وأن يقدل فوق الضيفان كالعادة. ليه يا دنيا على فضيل الفحل بتجوري دايرنك تهز في البقعة هنا وأم بوري. قوم يا فضيل وأقدل كما كنت فوق ضيف الهجوع والسلام .

عيد الحيشان التلاتة!

مقال بقلم المؤلف نشر بصحيفة الانتباهة اليومية

مر عيد الأضحى الفائت على أهلي وخاصة بأم درمان و(الجباراب) بالدَّامر، ولسان حالهم يردد مع المتنبئ:

عـــــيدٌ بِـــــأَيَّةِ حـــــالٍ عُـــــدتَ يا عيدُ بِـــــما مَـــــضى أَم بِـــــأَمرٍ فيكَ تَجديدُ

وذلك بعد أن أُبتليت ثلاثة من حيشانهم الشهيرة، في ثلاثة من أعمدتها ورموزها المعروفة بسماحة الفطرة الإنسانية السليمة ومكارم الأخلاق.

بالشقلة شرق بالفتيحاب بأم درمان، أصيب صاحب الديوان الكبير والعامر دوماً بالضيوف والطلاب وأصحاب الحاجات، وذو المناقب العظيمة في الكرم الحاتمي، خالي ووالد زوجتي (الحاج فضيل علي فضيل) بجلطة مفاجئة، سببت له شللاً أقعده عن الحركة ومشاركة أهله ومعارفه أفراحهم وأتراحهم. فتلون عيدهم ومناسباتهم بمسحة حزن واضحة بعد أن فقدوا قيمة انسانية واجتماعية كبيرة، وواجهة عظيمة اعتادوا وجودها بينهم في كل مناسباتهم. وهكذا حال الدنيا والمرض سلطان ونسأل الله الشفاء العاجل للخال فضيل.

حوش الجد جبرين ود حسن فضيل ببانت بأم درمان، والذي اشتهر أيضاً بالكرم واستقبال الضيوف والطلاب، فجع قبل العيد برحيل الخالة (رابحة بت جبرين (الشهيرة بـ (فترنا) (المرأة / الرجل)، الكريمة النقية ذات الروح الجميلة. والتي كانت نور بيتها وأهلها الفضيلاب، والعلامة الفارقة في جميع مناسباتهم.

وقد ترك رحيلها المر والمفاجئ أسى عميقاً عند أهلها ومعارفها خاصة، وأنه جاء بعد فترة قصيرة جداً من رحيل زوجها الطيب الكريم (حسب الله أحمد الحاج). وبرحيل (فترنا) فقد حوش جبرين وحوش الفضيلاب بأم درمان دعامة كبيرة من دعائمه. وانطفأ نور طالماً كان مضيئاً بالحوشين لعقود من الزمان. رحمها الله وزوجها حسب الله رحمة واسعة وجعل البركة في ذريتهما.

أما بحوش جدي وأخي قسم الله ود علي حسن فضيل بفريق جريف بلة بالجباراب، فقد ذرفت الدموع غزيرة على رحيل أخي ابن خالتي وخالي في ذات الوقت (ختم ود قسم الله ود علي حسن)، الذي كان كبيراً في كل شيء. وغاية في سماحة النفس والخلق وصلة الرحم والمروءة والنصح وقول الحق وحسن المعشر، والزهد في الدنيا والترفع عن دناياها. كان ختم

نبيلاً جهوري الصوت ذا وجه واحد، سرَّه كعلانيته وظاهره كباطنه. كما كان ولياً لأمر كل بيوت الحلة يحسم (الخمج) البعيد بصيحة واحدة وهو مستلق على سريره بداره.

ولكم أعجبتني عفوية وبلاغة إحدى قريباتي عندما قالت في رثائه: (كنا بنكون مطامنين في بيوتنا وكت نسمع صوت ختم في بيتو)، وهي مقولة معبرة وافية لا مزيد عليها في رثائه. كان فقد ختم عظيماً على الجميع والعزاء أنه فارق الفانية في يوم جمعة عظيمة شهدت بحسن خاتمته، بعد معاناة طويلة ومريرة مع مرض الفشل الكلوي. رحمه الله وأسكنه فسيح جناته وبارك في عقبه.

يا عشـــاي ضـــيوف الهجعة   فـاقـدنـك يـا الـمشـــيـت بـلا رجـعـة

أسطورة الكرم والشهامة.. حاتم دار جعل.. الحاج/ فضيل علي فضيل.. في ذكرى رحيله الثالثة

بقلم المؤلف ونشر المقال بصحيفة اليوم التالي اليومية - ٢٠١٨م

تمر علينا هذه الأيام الذكرى الثالثة لرحيل أسطورة الكرم والشهامة - حاتم دار جعل – المرحوم بإذن الله تعالى الخال الحاج/ فضيل علي فضيل أحمد الجعلي العرماني الشهير بأبو الصادق وأب علي. والذي أصيب بجلطة مفاجئة سنة ٢٠١٢م وجرت محاولات كثيرة لعلاجه داخل وخارج السودان، وظل طريح الفراش بمنزله بالشقلة بالفتيحاب.

انتقل الحاج فضيل إلى الرفيق الأعلى صباح السبت (٢٠١٥/١٢/١٢م) بمستشفى تقى بأم درمان. وكان فقده ولا زال عظيماً أليماً وترك فراغاً واسعاً لا يسد. وقد بكته البلاد وأهله الجعليين بكاء حاراً وكان عزاؤه حدثاً استثنائياً واستفتاء عظيماً لمكانته الكبيرة في القلوب وبين الناس.

لقد ترك الراحل فضيل ذكرى عظيمة وجديرة بالاحتفاء والتقدير والتناول، لما فيها من المعاني والقيم الانسانية والاجتماعية النبيلة والقدوة الطيبة. فقد كان الراحل أمة وقامة في كل جميل ومكارم أخلاق سمحة تمشي على رجلين. سخر حياته وما كان يملك من جاه وعلاقات وأسرة وأبناء للكرم والمروءة وقضاء حوائج الناس دون من أو أذى أو انتظار مقابل.

فقيدنا الراحل هو (فضيل بن علي بن فضيل من عشيرة الفضيلاب الحسيناب الشعديناب بمنطقة الجباراب بالدَّامر ذرية الداعية الاسلامي الكبير في عهد العنج الشيخ الرجبي والقطب الصالح (حسين ود حمد) صاحب المقامات والكرامات والقبة الشهيرة بالحصايا جنوب مدينة الدَّامر والشهير بـ (راجل الحصايا) و(جبل الحديد) و(راجل الجريف أب إيداً درقة وسيف) و(حسين ود حمد حصاية الرمد)، والمتوفى سنة ١٤٨٣م ، والذي اشتهر فوق تقواه بالكرم العريض واطعام الطعام، وقد ورد ذكره بكتاب الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان لمؤلفه محمد ضيف الله الفضلي الجعلي الذي ترجع أصوله لقرية الفاضلاب غربي الدَّامر.

ولد الراحل فضيل بقرية الجباراب شمال (أم بوري) جنوب الدَّامر حوالي ١٩٣٨م، من والدته بنت عم أبيه الراحلة عائشة حمزة عاشميق أحمد فضيل الشهيرة بـ (أُم شَرَفْ) وهو لقب

يعبر تماماً عن أصالة معدن تلك المرأة العظيمة وجدارتها بأن تلد رجلاً في قامة الراحل فضيل معدناً وانسانية وكرماً ومروءة.

نشأ الحاج فضيل وترعرع بين حوشي والده علي فضيل وجده لأمه الفارس الكريم حمزة ود عاشميق الفضيلابي الحسينابي بقرية الجباراب بالدَّامر. وكانت نشأته - كما يحكي بعض أنداده بالقرية - مختلفة تماماً عما كان ينشأ عليه الفتيان في ذلك الوقت وفي كل حين. حيث كان غير ميال أبداً لحياة الأطفال من لعب ولهو وغيره.

كان الحاج فضيل كثير المجالسة لكبار السن بالقرية ومرافقتهم في المناسبات المختلفة من أفراح وعزاء ومجالس الصلح. يحب الحكاوى والقصص التي تجسد قيم الكرم والنبل والشجاعة والمروءة والنجدة ويهوى سماع الخطب الحماسية والشعر القومي والذي كان يحفظ الكثير منه. ويروى أن جده حمزة ود عاشميق كان قد أشار له وهو طفل صغير وقال للناس (ان شاء الله تحضرو زمانو) فكان فضيل كما تنبأ له جده حمزة أسطورة متميزة في الكرم والانسانية والمروءة وكل القيم السمحة والنبيلة!.

عن كرمه منذ الطفولة يحكي الأهل وأنداده من الرجال والنساء قصصاً وحكاوى تكاد تكون خرافية. تقول والدته المرحومة أُم شَرَفْ أنه كان يجمع أنداده من الأطفال الذين يلعبون بالخارج ويأتي بهم إليها ويقول لها (جيبي الأكل أنا معاي اخواني)، واذ رأى أن الأكل قليلً أو أن ماعونه صغير يقول لها (تاني ما تجيبي لينا أكل شوية ولّ في ماعون صغّير).

ويروى أنه كان يذهب إلى المشرع (مرسى المراكب النيلية) على ضفة نهر النيل الذي تقع عليه قرية الجباراب - حيث كان الريس أبو الحسن ينقل الناس بمُركبه الشهير شرقاً وغرباً - ويعود إلى البيت بمجموعة من الضيوف لتناول الفطور أو الغداء ثم يرجع ويعود بجماعة أخرى وهكذا!.

روى أنه خرج - وهو طفل صغير - ذات مرة مع جماعة للزراعة بأحد الوديان الخلوية، وعندما يحين موعد الوجبة كان ينادى الناس المتفرقين بالخلاء للحضور وتناول الطعام معهم. وبسبب قلة الطعام بالخلاء وحاجة الناس له فقد كان البعض يتضجر من كرمه وجمعه الناس عند كل وجبة، ويقولون (فضيل جهجهنا وفضيل أدانا الجوع). ويروى أن منهم من قام بالاشتباك معه، وأن إحدى النساء قامت بعضه مرات ومرات وتم طرده من التاية (محل اقامة فريق العمل)!.

ومما يروى عن كرمه في الطفولة كذلك، أنه ذهب ذات يوم مرافقاً لأهله للعمل في "القيط" قطف القطن، بمشروع الزيداب جنوب غرب قرية الجباراب. وبعد أن وضعوا زادهم من الدقيق والشاي والسكر بالتاية خرج فضيل يتجول بالمشروع فوجد جماعة في تاية مجاورة، ولما عرف أنهم لا يملكون شيئاً من الزاد رجع إلى تاية أهله وكانوا قد تفرقوا للعمل بالمشروع فأخذ كل ما لديهم من زاد وذهب وأعطاه أهل التاية المجاورة.

ولما عاد أهله من العمل وجدوا التاية فارغة من الزاد فسألوه عنه فقال لهم (لقيت ناس مساكين ما عندهم زوادة وأخدت الحاجات وديتها ليهم..). فاضطروا للرجوع إلى القرية والعودة بالزوادة مرة أخرى!.

حوالي ١٩٥٢م هاجر الراحل فضيل من الجباراب بالدَّامر واستقر مع أهله الفضيلاب بحي الموردة العريق بأم درمان شرق خور أبي عنجة، وعمل معهم في صيد وتجارة الأسماك ثم استأجر منزلاً بالموردة خصصه لضيوفه وطلاب العلم والقادمين من البلد. ثم انتقل بعد ذلك إلى حي الفتيحاب، واستقر بمنزل أستأجره من الراحل من السيد أبو العول مجاوراً لمنزل الرجل الكريم أحمد فضل المولى، وقد أحضر زوجته آمنة محمد حمزة ووالدته أُم شَرَفْ من الجباراب لتقيما معه بذلك المنزل.

وبحي الفتيحاب ترك الراحل فضيل قصصاً وحكاوى مثيرة في الكرم والمروءة. روى لي العم عبد الله أحمد فضل المولى والذي كان بمثابة الابن له في ذلك الوقت أن حاج فضيل كان يعود للبيت كل يوم وهو يحمل قفة كبيرة ومليئة باللحوم والخضار ومعه مجموعة من الناس لتناول الطعام معه. حيث اشتهر بأنه لا يأكل وحده أبداً واذا لم يجد من يأكل معه خرج إلى الشارع بحثاً عمن يشاركه الطعام!.

انتقل الراحل فضيل من الفتيحاب إلى منزل امتلكه بالشقلة شرق بالفتيحاب وظل به حتى وفاته. وكان انتقاله إلى الشقلة مريراً ومفجعاً لجيرانه ومعارفه بالفتيحاب خاصة أحمد فضل المولى والذي يقال إنه بكى رحيل صديقه وجاره فضيل بكاء حاراً (وكال التراب على رأسه وحشا به فمه) في مشهد مؤثر يحكيه الكثيرون ممن عاصروه. وبمنزله بالشقلة قدم الراحل فضيل ملاحماً عظيمة من الكرم والجود تظل تتناقلها الأجيال وتسير بذكرها الركبان!.

كان الراحل فضيل ممن غلب مائه طينه فأصبح بحراً عريضاً في الانسانية والطيبة والسماح والكرم والمروءة والبشاشة والشجاعة وصلة الرحم وحسن الخلق والصحبة والجيرة، يفعل كل

ذلك بعفوية وفطرة سليمة دون تكلف أو مَنٍّ أو أذى أو انتظار مقابل أو مدح. ولا نبالغ أبداً إذا قلنا إن الزمان لن يجود أبداً بمثل هذا الرجل العظيم وأن النساء لن تنجب شبيهاً له من الرجال!

تميز فضيل بسلامة القلب ورحابة الصدر ونقاء السريرة والعلانية. لا يعرف الحسد والحقد والكيد والضر والكراهية. كان طيب المعشر بسيطاً متواضعاً ذو مشاعر عفوية صادقةً مترفعاً عن الدنيا ودناياها خيراً باراً محسناً عطوفاً رحيماً عفيف اللسان عذب الحديث والمزاح. لطيفاً خفيف الظل والروح محباً للناس ومسخراً نفسه ووقته وكل ما يملك لخدمتهم وقضاء حوائجهم!

القيم الانسانية النبيلة للراحل فضيل وكرمه وجوده معروفة وشهيرة شهرة واسعة تملأ الآفاق. ولا تضف الكتابة جديداً لسيرته العطرة في هذا الشأن والتي قيل بحقها الكثير من القصائد والأغاني والمقالات الصحفية والإسفيرية. ولعل أبلغ من عبر عن قيم ومكانة الراحل فضيل هو صديقه الباحث الشهير في التراث الشعبي الراحل الطيب محمد الطيب والذي قال: (ما في ود مقنعة بِقْدِل مع حاج فضيل على امتداد أرض الجعليين من الجيلي الى الْأَتْبَرَاوِيْ) (نَهْر عَطْبَرَة).

كما كتب عنه صاحب الاستراحات بالصحف السيارة العمدة الحاج علي صالح جيب الله كثيراً من المقالات الصحفية. ودعا الجعليين وخاصة العرامنة بولاية نهر النيل ومسؤولي الدولة والولاية لتكريم فضيل وتنصيبه عمدة للجعليين بالسودان لكن حالت ظروف مرض الراحل دون أن ترى هذه المبادرة الطيبة النور. وإن كنت على يقين تام بأن الراحل فضيل ما كان ليوافق على هذه المبادرة أبداً. وعلى كل حال يظل المرحوم فضيل هو (حاتم دار جعل) وعمدة كرماء القبيلة والسودان غير المتوج رسمياً وذلك بما قدم من نماذج اسطورية غير مسبوقة في الانسانية والكرم والشهامة والمروءة.

أسرة الراحل فضيل (زوجته وأبناؤه وأحفاده) كان لهم دورٌ عظيمٌ في رسم لوحة الكرم الاسطورية والاستثنائية للراحل فضيل. ولولاهم لما اكتملت هذه اللوحة ولما كانت بهذا الجمال والروعة.. أرملته الحاجة آمنة محمد حمزة عاشميق امرأة فريدة طيبة صالحة كريمة. وذات خلق ودين ونبل لا تقل كرماً ومروءة عن زوجها الراحل.. أعانته بصبر وعزيمة قوية وكانت شريكاً أساسياً له في مسيرة الكرم التي أخلص لها حياته.. عاشت حياتها من أجل الضيوف والطلاب والمرضى تكرمهم ترحيباً واطعاماً ومطايبة بالقول والعمل وبأريحية وسماحة نفس ودون كلل أو ملل أو تضجر أو من أو أذى!.

عشنا في كنفها سنوات عديدة، ولم نراها غاضبة يوماً أو مستاءة أو شاكية من تعب أو ارهاق أو من نقص شيء بالبيت أو من كثرة الضيوف واستمرارهم وبقائهم لشهور طويلة ببيتها. حامدة لربها شاكرة مواظبة على صلاتها وصِلاتها بأهلها وأرحامها برة بهم القريب منهم والبعيد الواصل والقاطع الصديق والعدو.

الحاجة آمنة امرأة حنونة عطوفة قريبة الدمع لا تعرف الحقد ولا الحسد ولا الكراهية. ظاهرها كباطنها قلبها واحد ولسانها واحد ووجهها كذلك ليس لها عدو في الظاهر ولا في الباطن. شهد لها الكثيرون بالصلاح والمقام الطيب عند الله تعالى وحسن الخاتمة، ونحسبها من الصالحين الأبرار ونسأل الله أن يجزيها خيراً بما قدمت وتقدم وأن يطيل عمرها في طاعة الله ورسوله.

أبناء الراحل وبناته (الصادق والمرحوم من السيد وعمر وانتصار وأم سلمة والسرة وابتسام) أعانوا والديهم بقوة وعزم في الاكرام وحسن الضيافة. وأحسنوا أداء الرسالة معهما بلا كلل ولا ملل وكانوا شركاء أصيلين لهما في هذا العمل العظيم. ونسأل الله أن يجزيهم خيراً بما قدموا ويقدمون وينزل البركة فيهم وفي ذريتهم وأن يوفقهم في حمل لواء والديهم بقوة وعزيمة ماضية.

سلام عليك في الخالدين حاج فضيل.. ثلاث سنوات حزينة ومظلمة مرت على غيابك المرير وكأنها ثلاثين عاماً.. فقدنا بفقدك رجلاً أمة عظيماً لا يعوض أبداً.. غاب بغيابك الكرم الحاتمي الأصيل والجود ورحلت برحيلك البشاشة العفوية المتدفقة صدقاً ومحبة.... فقدك الأهل والأرحام وكل من كنت تصلهم بفرح ومودة وسماحة نفس وطيب قول وتهديهم الأمل والأمان والطمأنينة.

افتقدتك مجالس الجودية وبكتك المروءة.. فقدت المناسبات بفقدك ألقها وبريقها وفرحها وجمالها.. وذلك الترحاب الحار والصادق بضيوفها.. افتقدت القاعات وصيوانات الأفراح وبيوتها وحيشانها روحك الطيبة واستقبالك الودي الحميم وسلامك الحار أب قلدة.. وذلك الصوت الحبيب إلى النفوس والمجلجل عالياً ترحاباً وتودداً (حبابكم عشرة.. حبابكم مليون.. حبابكم.. والجابكم يجيب عقابكم).

افتقدك طلاب العلم الذين كانت ولا زالت دارك تستقبلهم من كل بقاع السودان وكأنها دارهم وأكثر.. يفتقدونك يا من كنت لهم الأب الرحيم والأخ الوفي والصديق العزيز والزميل المخلص.

كنت في دنيا الناس كنسمة حلوة لطيفة مرت متعجلة.. كنت للناس رحمة وملاذاً وأمناً.. كنت أيقونة الأفراح والبلسمَ الشافيَ والملطف للمحن والمآسي.. كل شيء في غيابك غير ومختلف.. وبلا طعم ولا لون ولا رائحة.. الفرح في غيابك حزناً والحزن موحشاً ومقيماً.. غابت بغيابك البسمة من وجوه الفقراء والطلاب والبسطاء والأيتام والأرامل والمكلومين وأصحاب الحاجات.

يا حامل المسك والخير والخضرة والأمل.. افتقدتك البيوت والدواوين والحيشان والمناسبات وتوشحت السواد حزناً.... تفتقدك الأرض اليباب يا خريف الرتوع وتبكي السماء شمسك شمس الكرم وبدرك بدر السبوع والجود والمروءة.. الأطفال يسألون ببراءة وعفوية عن غياب من كان يلاطفهم بحنان ومودة ويملأ قلوبهم فرحة وجيوبهم مالاً وحلوى!.

يفتقدك أصحاب القلوب الكسيرة وذوي الحاجات وأولئك الذين كنت تدعمهم بالمال والجاه والتواصل الحميم وطيب القول والمداعبات.. تفتقدك مناسبات العزاء وقد كنت تبدد وحشتها وتخفف الأسى على أهلها بفاتحتك القوية الشهيرة ودعواتك الصادقة لفقيدهم والذي كان فقيدك دوماً..

تفتقدك ليالي المولد بحوش الخليفة، وليالي المديح في المناسبات والبيوت والتي طالما ازدانت بوجودك وطعامك وتعطرت بروحك الشفيفة وحبك لرسوله الله صلى الله عليه وسلم وعرضتك الرائعة المموسقة وذات الهيبة!

نم في عليائك هادئاً مطمئناً.. عهدنا معك كما هو وكما كنت تحب دوماً.. رايتك في الكرم لا زالت عالية.. حوشك لا زال أخضراً ندياً والبركة فيهو نازلة.. ديوانك بالشقلة كما تركته مفتوح وعامر دوماً بالضيوف والطلاب والأهل وغيرهم..

نارك.. نار الكرم ما انطفت ولا بتموت.. الصواني لا زالت تخرج للديوان كبيرة ومملوءة بخيرات الطعام وكثيره.. أسرتك.. أرملتك الحاجة آمنة.. أبنائك.. بناتك.. أحفادك كما تركتهم ورجوت لهم دوماً.. يسيرون على خطاك وعلى ذات الطريق الذي رسمته لنفسك ولهم وسرت فيه طويلاً.. طريق الكرم والجود والمروءة والبشاشة وحسن الضيافة..

سيرة كرمك وجودك وانسانيتك ستظل عطرة وشامخة باسقة كنخيل بلادي.. تسري بين الناس كالأساطير والأحاجي.. تعطر المجالس وتبركها وتعطي الأمل والقدوة الطيبة للأجيال المتلاحقة.. وتعلن للملأ أن الدنيا بخير.

وستظل.. دعواتنا لك متصلة بالرحمة والقبول عند الله، وأن ينزلك أعالي الجنان فأنت كريم في الدنيا قدم على رب الكرم والجود في الآخرة وللكرماء بيت خاص بالجنة كما في الأثر.

رحم الله الحاج فضيل رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى من جناته وجعل البركة في أهله وأرملته الحاجة آمنة وفي أبنائه وذرياته ومتعهم بالصحة والعافية ([٩٤]).

٩٤- صحيفة اليوم التالي اليومية مع بعض التصرف والاضافات اللاحقة.

الفصل الثامن عشر

قالوا عن الراحل فضيل

يشمل هذا الفصل مقالات متنوعة وخواطر عن الراحل الحاج فضيل، سطرها نخبة أجلاء من أهل القلم والصحافة ممن عرفوا الراحل وعايشوه عن قرب. كما يشمل الفصل بعض المقولات الشهيرة والمأثورة عنه.

الكتابة في مقام رَاجِل الشقلة الحاج فضيل

بقلم: أحمد عبد الوهاب *

سمعت بحكايات أهل الكرم وقصص أهله.. وسمعت ورأيت نماذج من أهل الجود والسخاء.. ولكن لم أجد نسخة منقحة ومزيدة وأصيلة إلاَّ في العام ١٩٩٤م، عند راجل الشقلة الحاج فضيل علي فضيل بدارته الرحيبة وتكيته الماهلة بضاحية الشقلة جنوبي أم درمان، والتي مارس عبرها وخلال نصف قرن أروع عمليات قطع الطريق، وإعادة مسلسل عوج الدرب، ذلك الذي تقوم القوافل بتعديل خط سيرها لتغشاه فتجد عنده ما يجده ضيف الهجوع من فرح غامر وابتسام وافر يشرح القلب ويزيل الكرب ويسد الجوع.

هبطت الشقلة في ضحى خريفي.. وأم درمان يومئذ ممطورة والنهر غاضب معتكر. ومنزل الحاج فضيل على بعد خطوات من الشاطئ.

هش الرجل في وجهنا وبش.. وانطلقت عبارات الترحيب الأصيلة والضيافة الجميلة. كصراف كرم آلي: (مليون.. مليون.. حبابكم واليوم الجابكم يجيب عقابكم).

الدار الرحبة مقسمة إلى غرف بسيطة كثيرة مرتبة بذوق.. وداخل الفناء عدة حيشان لسكن الأسرة ولكن الأولوية للضيفان.. ولكن كان لحوش الرجال نصيب الأسد.. حيث ديوان كبير له عدة أبواب تنتشر فيه. الأسِرّة والعناقريب والكراسي والفرش والوسائد. لا هي جديدة ولا قديمة من كثرة ما يغشاها من ضيوف عابرين ودائمين وطلاب ودارسين وأصحاب حاجات. وأصدقاء ومحبين.

ستجد لا محالة في هذه الدار الماهلة عبارات الترحاب والابتسام الغزير. والماء والعصير.. وسيكون تناول الطعام المبارك حد الاكتفاء. والماء والشاي حد الارتواء فرضاً واجباً لا محالة. وستتناول طعامك إن كنت من أهل العرفان من أجل الدواء قبل الغذاء، أن طعام الكرام شفاء ودواء..

وأنت إذ تدخل طائعاً ولكن خروجك يحتاج إلى أن تقنع نفسك أولاً قبل اقناع الحاج فضيل وأبنائه الغر الميامين.. فهذه الدار لا عيب فيها سوى أنها تنسيك الديار والأهل والأوطان.. فهي دار يفرح أهلها بكل قادم ويحزنون مثله تماماً لمغادرته..

ملأ الحاج فضيل الدنيا بحكايا كرمه الفياض، وأقاصيص جوده العريض، وشغل الناس.. وكان مع تفرغه لإكرام الضيفان والطلاب وعابري السبيل. يعمل في تجارة السمك.. وينفق ما تجود به في شراء مستلزمات الديوان وقرى الضيفان. ولذلك سارت بذكره الركبان وهو يفتأ يزداد سماحة وتواضعاً وسخاء نفس ويد.. حدثني عن مرض ألم به في بداية العقد الثاني من القرن الحالي عدد من محبيه وعارفي فضله.. فوجدناه جبلاً أصماً من الصبر مثلما كان بحراً ذاخراً متلاطماً من الجود. وكنا في شهر الصيام فأمر بكرسي له فوضع في منتصف الشارع قبيل الإفطار. وقال دعوني أقطع الطريق..

سخر المولى الكريم لحاج فضيل في محنة مرضه لفيفاً من الأهل والأصدقاء والمعجبين دعك عن أبنائه البررة من يؤنسون وحشته في ليالي المرض الطويلة وسني من الألم والوجع وفقدان القدرة على الحركة واستقبال الوافدين والزوار من كل أصقاع البلاد.. وفعلا فان الكريم لا يضام..

وفي خواتيم عام ٢٠١٥م أسلم الرجل روحه الطاهرة إلى بارئها الكريم الرحيم. مات الرجل الأمة.. مقنع الكاشفات.. عشاء البايتات. وبسام العشيات السخي.. مات ولم تبق روضة غناء إلا اشتهت أنها القبر.. وبكته قبائل السودان وتبارت في ذكر مناقبه الشعراء بالدارجي والفصيح، وأفاض الكتاب في تبيان جوده وفضله ولا يزالون.. وكأنه لا يزال على قيد الحياة.. ولا غرو فقد أكرمه ربه بأن أعطاه بعد الموت عمراً ثانياً.. لأن الذكر للإنسان عمر ثان..

- كاتب صحفي ومحرر عمود (فنجان الصباح) بالصحف السودانية.

فضيل قامة سامقة سطر اسمه في سجل التاريخ

دكتور/ بابكر رحمة الله محمد أحمد جارة *

بكل الفخر والاعزاز أكتب هذه الكلمة المتواضعة عن علم من أعلام السودان ومنطقة الجباراب جنوب الدَّامر. أنه سليل الحسب والنسب فضيل على فضيل الجعلي الحسينابي الشعدينابي (أبو على). ذلك الرجل الذي عاش من أجل الناس ومن أجل حل مشاكلهم ومن أجل تقديم العون والدعم لكل من يلجأ إليه أو يسمع به. نذر نفسه لكل الناس كبيرهم وصغيرهم ذكرهم وأنثاهم، فكان انساناً شهماً بكل ما تعنى هذه الكلمة. ألا رحمه الله رحمة واسعة، فقد فقدته النخوة والشهامة والكرم والعطاء والترحاب غير المحدود.

وانني حين أكتب عن الخال فضيل على فضيل أبي علي، فلأن قاعدة الوفاء لأهل العطاء تحثني أن أذكر محاسن الموتى ولأنه أيضاً مدرسة يتعلم منها الأجيال العطاء والترحاب والبذل والسخاء.

طبعاً هذه المدرسة والشخصية الفردية الخال فضيل على فضيل (أبو علي) التحدث عنه وفي مناقبه متشعب وصعب. ولكن سوف أذكر جانب من كرمه وعطاء وترحابه بطلاب العلم واكرام العلماء والشيوخ والدعاة.

كان رحمه الله تعالى مشجعاً للعلم والتعلم ويكرم طلاب الولايات الذي يدرسون بالجامعات بولاية الخرطوم ومدينة أم درمان من أبناء الدَّامر ومنطقة الجباراب والقضارف وكل الولايات. كان منزله ملتقي للطلاب ومقراً للسكينة والكرم والترحاب ومحل اجتماعات للروابط والجمعيات. وكان يحتفل بنجاحهم ويكرم ويحتفل بالخريجين ويتوسط في توظيفهم بعلاقاته الممتدة في السودان حتى ينالوا حظهم في العمل.

كان محباً للعلم والعلماء والشيوخ والدعاة وأهل الطرف الصوفية وصاحب عطاء وافر لهم. يزورهم ويشجعهم ويكرمهم ويدعوهم لمنزله ويقيم لهم الولائم ويذبح الأنعام ويدعوا الأهل في داره من أجلهم.

ألا رحم الله الرجل المعطاء فضيل على فضيل وجعل الجنة مثواه. فمثله لا يمكن اغفال سجله التاريخي المليء بكل الخير والعطاء غير المحدود وترحابه المشهود. ولقد فقدناه فقد عزيز يندر التاريخ أن يجود بمثله. وحقاً أنه رجل في زمن الرجال فيه قليلون وحقا ينطبق عليه قول الإمام الشافعي رحمه الله حيث قال:

ومـا أكـثـر الإخـوان حـيـن تـعـدهُـم   ولـكـنـهـم فـي الـنـائـبـات قـلـيـلُ

لقد فقدته منطقة الجباراب خاصة، وأهل أم درمان والسودان عامة، ولكن في رحاب الله تعالى سيجد برحمة الله الجزاء الأوفى لما قدمه في هذه الدنيا المشهود له فيها بكل خير، حيث أنها لا تخفي على أحد ممن عرفه أو سمع بخصاله وترحابه وكرمه الفياض.

- رئيس قسم الثقافة الإسلامية وعميد شؤون الطلاب بجامعة المغتربين الخرطوم.

الكرم الفضيلي ماركة مسجلة!

بقلم / عبد اللطيف السيدح ود ضحوية*

وجدت نفسي في وضع لا أحسد عليه حينما هاتفني الحبيب عبد الباقي الطيب من مدينة الرياض حاضرة المملكة العربية السعودية، وأنا منكب على عملي في دوام صباحي بجريدة مكة التي تصدر من أطهر البقاع.

وذلك بعد عدة أشهر على الرحيل المر لوالدنا فضيل علي فضيل أحمد الجعلي، ليخبرني أنه قد عقد العزم على توثيق حياة رجل استثنائي نذر عمره وماله وصحته وكل ما يملك للكرم وخدمة الناس. ودعاني للمساهمة بالكتابة عن الراحل بقدر ما أستطيع. رحبت بالمقترح رغم ما اعتراني من خوف ووجل لأن الكتابة في حق العمالقة لا ينبغي أن ينبري لها الأقزام مثلي، ورغم ذلك توكلت على الله وقررت أن أدلي بدلوي وسط دلاء الأدباء والكتاب والمفكرين.

الكتابة عن صاحب المدرسة الفضيلية المتميزة ترتكز على معرفة بالبدايات الأولى لنشأة صاحبها. فالرجل سليل أسرة بطبعها كريمة، وحينما شب عن الطوق وسلك طريقه وجد الخصلة السمحاء مغروسة في وجدانه، وما كان عليه إلاَّ أن يطورها ويحولها إلى أكاديمية حتى تصبح ماركة مسجلة باسمه، وقد فعل.. فقد افتتح مدرسة كرم حديثة المباني والمعاني، انتقل بها من الموردة بعد أن ضاق حوش الفضيلاب رغم رحابته، وسعة صدور قاطنيه ومحبتهم لأهلهم المنتشرين على طول البلاد وعرضها، فالعادة المعروفة أن الأهل ينزلون العاصمة عابري سبيل أو طالبي علاج، أو طلاب جامعات وغير ذلك، وكانوا كلهم أو جلهم يختارون وبصدور منشرحة أم در، وبين أحيائها لا يروق لهم المقام إلاَّ في حوش الفضيلاب بالموردة، لأن به ماسح الدمعات ومقنع الكاشفات الأسد الهصور" ود أُم شَرَفْ وأبو الصادق" الحاج فضيل.

وهكذا مرت السنوات حتى قرر أب علي الانتقال "بالمدرسة الفضيلية" سنة ١٩٥٨ من حوش الفضيلاب إلى الفتيحاب مربع ٤ ومكث بها حتى سنة ١٩٧٣، ومنها إلى الشقلة جنوب شرق مدينة الفتيحاب. وهناك أنشأ المدرسة الفسيحة بفصولها الرحبة وحيشانها الوسيعة واضعاً في صدارتها الديوان أو الصالون أو المجلس سمه ما شئت، حاوياً للخدمات المطلوبة لاستقبال الضيوف دورة المياه والحمام والمغسلة كل ذلك من أجل إغراء القادمين إليه بالبقاء معه أكبر مدة ممكنة، لأنه لا يهدأ له بال إلاَّ في وجودهم، وتيرمومتر الانبساط والراحة النفسية يمكن قياسها لدى أبو أم سلمة عندما ترى المنزل يعج بالضيوف القريبين منهم والبعيدين، وهكذا

تكثف نشاط المدرسة الفضيلية واكتملت جميع المراحل الدراسية بدء من محو الأمية والابتدائي والثانوي والمراحل الجامعية حتى وصلت في أسمى تجلياتها إلى الجلوس لمنح الشهادات العليا في الكرم الفضيلي.

لم يترك لي الحاذقون والكتاب وخبراء القلم ومبدعو المفردة ما أقوله عن الراحل المقيم، ويكفيني شرفاً وتيهاً أنني تعرفت عليه في بداية التسعينات من القرن الماضي وأنا على أعتاب الجامعة، ومعي زملاء كرام كلهم من مجرور البحر، وجمعتنا أواصر المحبة والجعلية والدم الحار الذي وجدناه متبلوراً في رابطة أبناء النيل التي أنشأها من سبقونا من الرجال الصنانيد، وأصبحت فيما بعد الحبل المتين الذي وثق عرى تواصلنا ومعرفتنا "بجبل الكحل" عن طريق أبنائه وزملائنا. وهم الأحباب ابن الراحل الصادق فضيل، وابن أخته ومؤلف هذا السفر عبد الباقي الطيب، والراحل محمد الحافظ وخالد إبراهيم، وكثير من أبناء الجباراب سواء كانوا قاطنين بالدَّامر أو طابت أو القضارف أو غير ذلك.

وطأت قدماي داره العامرة لأول مرة في مناسبة ما كانت سعيدة بالنسبة لي ولا لكل مرتادي الدار في تلك الليلة الحزينة لكنها أقدار الله. فقد قطع الحزن أكباد كل القبيلة وفاة ابنه "مَنَّ السِّيد" في حادث مروري مؤسف، بشارع الموردة عن طريق أحد باصات ريفي ود حامد. وكان الجرح عميقاً والألم قاسياً. وفوق هذا وذاك كله سجل أهل السائق القاتل في بدايات الأمر موقفاً غير مشرف، واستهانوا بدم الفقيد حينما أخرجوا السائق من الحبس عن طريق الواسطة، وما دروا أن للراحل قبيلة تغطي عين الشمس. ووسط الهرج والجدال المحتدم وقف أبو انتصار كالطود الشامخ وهكذا في مثل هذه الحالات تظهر معادن الرجال مخاطباً الجموع بالقول: "أنا عافي دم ولدي لوجه الله وصاح الناس مهللين مكبرين، وبعد ذلك توالت مراحل الصلح حتى توجه الجميع بالعفو الشامل بحضور أعيان الجعليين: الراحلان الطيب محمد الطيب، واللواء طبيب علي محمد عثمان الفاضلابي والفريق د. عمر قدور وغيرهم الكثير.

ومن تلك اللحظة العصيبة ثبتت في قلبي محبة لهذا الرجل كما ثبتت في الراحتين الأصابع، سملت عليه وعرفته بنفسي "وقال لي بالحرف الواحد تاني أوع أشوفك بره البيت ده يا ود السيدح، وتركة ود ضحوية، وأنا سجلتك مع أولادي تسجيل تبس".. وتبس هذا للذين لا يعرفونه خواجة تخصص في تسجيل أراضي البحر للجعليين، ومن يسجل له تبس طيناً يستحيل أن ينزعه منه أحد، وهكذا من تلك الفترة أصبحت ابن الروح لوالدي فضيل.

ومضت السنوات ومنزل الراحل مأوى للطلاب وكعبة لأصحاب الحاجات وتخرجنا كلنا من جامعتين، ونلنا شهادتين الأولى أكاديمية من الإسلامية، والشهادة الكبرى التي أصبحت الزاد والمكسب الأكبر وسترافقنا ما دمنا على وجه البسيطة تمثلت في معرفة ومرافقة أبي ابتسام والنهل من معين كرمه الذي لا يعرف "الشوية.."

الحالة الفضيلية وإن التقت بالحالة الحاتمية في صفة الجود والسخاء والعطاء اللامحدود إلاَّ أن مشاهدات كثيرة تجعلني أرفض تشبيه الحالة الفضيلية بالحاتمية.. فحاتم الطائي تقول الروايات أنه كان ميسور الحال يذبح ما يشاء، متى شاء من ماله الذي يملك لكن رأيت كثيراً وبأم عيني أبو السرة. يعزم على المافيش والراجل الضكر إذا ما عندو بيكرمك من جيبك، ومما أستدل به على تفوق كرم أب علي على حاتم، أن الأول اختصه الله بإكرام الإنسان والحيوان، بينما حاتم عرف بإكرام البشر فقط وهنا الفرق...

"ذات أمسية شاتية سمعنا حركة غير عادية شبيهة بطرق باب حوش الديوان فرحب أبونا فضيل ترحيبه المعهود عنه: "حرم حبابك.. قوم يا ولد شوف الباب فيهو منو.. "ذهب أحدنا فلم يجد أحدا سوى حمار، ربما يكون احتك جسمه بالباب، فعاد وقال مافي زول.. فسأله فضيل الدق الباب منو؟ فرد ما في زول، حمار بس.. فقال أب علي: "نان الحمار ما بكرموه؟ حرم تدخلو وأدوه قش ففعلنا ما أمر به".. وأكتفي بواحدة من مناقب ذاك الرجل لأن المساحة لا تسمح لي بسرد عشرات الحكايات من نوعية هذا الكرم الاستثنائي.

ومما رصده المتابعون أن الراحل كان على ثقافة واسعة وفصاحة ناطقة ذرب اللسان فصيح البيان يذكرنا كثيراً بخصال نقلتها لنا كتب السيرة عن الفاروق عمر بن الخطاب. كما أنه واكب في عزائمه التضخم الذي ضرب الجنيه السوداني بعد تعويمه في عهد وزير المالية عبد الرحيم فتناقصت قيمة الجنيه، وكان أب علي يرحب بضيوفه بكلمة حبابك مليون حتى تحولت إلى دلشيون مع التضخم: حبابك دلشيون.. حرم حبابك.!!

ومما لا يمكنني إلاَّ أشير إليه هو أن مراسم زواجي بدأت من منزله، وأول خضاب على رجلي وأيدي بدأ من داره العامرة، وكان هذا بمثابة الفأل الحسن لزواجي المبروك. وتوج الراحل ذلك بحضوره الشخصي للبلد وحضور المناسبة. إن الحديث عن عمدة الجعليين بالعاصمة لا يمل ولا ينتهي وأحسن القصص عن الكرم هي التي يتحدث بها الناس عن فضيل علي فضيل رجل الشقلة الشامخ.

الراحل فضيل جمع بين الحسنيين الجعلية والأنصارية القاطعة، أذكر في زواج ابن خالتي حامد، وابن خالي سليمان ضحوية بالمايقوما تم الترتيب على أن يعقد قرانهما الإمام الصادق المهدي. رحب الإمام بالدعوة وسبقه بالحضور الحبيب عبد الرسول النور، وبينما الناس في انتظار الإمام نما إلى أسماعهم أن جهاز الأمن اعتقل الرجل قبل وصوله إلى مكان المناسبة. فنزل الخبر كالصاعقة.

وفي هذا الأثناء كان مأذون المنطقة جالساً بأوراقه ويبدو أن له ارتباطات أخرى فنادى في الجميع قائلاً: "يا إخوان زولكن ده وينو"، يقصد السيد الصادق قالها بطريقة استخفاف. فسمع والدنا فضيل رحمه الله هذه العبارة تخرج من الرجل فتململ، وسخن واحمرت عيناه واشتاط غضباً من الرجل الذي يتحدث عن الإمام بهذه الطريقة، فما كان منه إلاَّ أن صاح بصوته الجهور المعروف مخاطباً الحضور: "يا جماعة عبد الرسول يعقد، والإمام يجي يبارك بس، نحنا علي الطلاق جالون بنزين دايرلو قشة كبريت بس". بعد هذه الكلمة رأيت المأذون كأنَّما نزلت على رأسه كمية من الطيور. عقد الناس ولملم المأذون أوراقه واختفى في زحام القوم.

أستميحكم عذراً بأن أكتفي بما ذكرت من نذر يسير من مناقب أبو السرة الحليم فضيل فالرجل جوده كالمحيط ليس له ساحل، وقد غرف منه محبوه في حياته وبعد مماته عزاؤنا أنه رحل مخلفاً وراءه إرثاً عظيماً من النبل والوفاء وداره عامرة ونارو ما خمدت من بعده أبداً، رحل أب علي تاركاً خلفه ذرية أرضعها الكرم وفطمها على التعفف وأورثها الشهامة، رحمك الله بقدر سخائك وعطائك ولترقد بسلام مع الآمنين.

- صحفي بصحيفة مكة التي تصدر من مكة المكرمة.

فضيل وما أدراك فضيل؟!

متوكل عدلان الشيخ أبو الكيلك*

منذ مدة وأنا أحاول أن اكتب عنه ولكنني أتردد وأتراجع وأتساءل هل أنا جدير بالكتابة عنه؟ هل أنا قدر هذا الأمر؟ هل أملك من البلاغة ما أستطيع أن أصوغ به ما يجيش بخاطري وما يعتمل في دواخلي وما أعرفه عنه وما يعرفه كل الناس؟ هل أستطيع أن أصوغ كل ذلك بأسلوب سهل وعبارات تصل لكل الناس؟؟ أظنني لا أستطيع. ولكنني سأحاول. والمثل يقول شيء خير من لا شيء.

الكتابة عن شخص عادي سهلة جداً لأنك تمسك بالقلم وتظل تستجدي الأفكار وتستدعي التعابير فتأتيك على مهل فتختار منها ما تنمق به حديثك وتزين به مقالك. ولكن ما أصعب الأمر إذا كانت الكتابة عن شخص غير عادي، بل والأكثر صعوبة إذا كان ذلك الشخص هو فضيل. هنا تنهمر عليك الخواطر والأفكار والتعابير ولا تجد حتى فرصة لتنتقي منها أو تختار؛ فكرمه وشهامته ورجولته وأريحيته وحبه للخير وحبه لأهله ومواصلته لأرحامه ومعارفه وأصحابه في السراء وفي الضراء واصلاح ذات البين وفي مقامه وسفره وفي حله وترحاله وكل حركاته وكل سكونه. كل لا ذلك لا تستطيع أن توفيه مهما كتبت ومهما سطرت. ألم أقل لكم أنه شخصٌ غير عادي. بل إنه استثنائي.

أذكر في مرة من المرات في مستشفى عطبرة حضرت وفاة والد أحد أصدقائي وكانت بنته تبكيه وتعدد في محاسنه ومن ضمن ما وصفت به والدها قالت:

اللـيـلـة يـا أب نـفـيـلـة   والـلـيـلـة يـا الـبَـرَاكْ قـبـيـلـة

.. استوقفني هذا الوصف وهزني هذا التعبير وسرحت قليلاً بخيالي أبحث عن الرجل القبيلة عندنا لم يطل بحثي، ففضيل كان حاضراً في الذهن وماثلاً في الخاطر فهو بحق رجلٌ قبيلة.

فالقبيلة مجموعة من مكارم الأخلاق تتوزع بين أفرادها فمنهم الكريم ومنهم الشجاع ومنهم الحليم ومنهم الحكيم ومنهم ذو المروءة وغيرها من المكارم. وقلما ما تجتمع هذه الخصال في شخص واحد، وإذا اجتمعت كان ذلك الرجل بمثابة قبيلة كاملة. ولكنها في فضيل اجتمعت وكان قبيلة، فكان حقاً علينا أن نفتخر به. فاذا جاءت القبائل بأكرمها جئناهم بفضيل، وإذا جاءت بأفرسها جئناهم بفضيل، وإذا جاءت بأحلمها وأحكمها جئناهم بفضيل، وإذا جاءت بأوصلها للرحم جئناهم بفضيل، وإذا جاءت بكل صاحب فضيلة جئناهم بفضيل. فكل هذه الخصال

الحميدة فيه كانت طبعاً وسجية لم تكن تطبعاً ولا رياءً ولا تكلفاً بل كان يعيشها ويمارسها كما يمارس حياته الطبيعية العادية حتى ولا ينتظر حمداً أو ثناءً أو شكراً من الناس.

فضيل كان متفرداً في كل شيء تميز بالتفرد وحده. فلا يشابهه أحد ولا يماثله شخص. فكان متفرداً في سلامه؛ وكان عندما يعانقك تحس بطمأنينة وسلام روحي حقيقي. وكان أكثر ما يميزه إذا سلم على مجموعة يوزع وده عليهم بالتساوي، ولا يميز أحداً على أحد، وهذه قلّ من يجيدها. وأيضاً في ترحيبه واستقباله لضيوفه يباشرهم جميعاً ويوزع حفاوته عليهم بالتساوي، ولا يميز ضيفاً عن ضيف، وهذا دليل قاطع على أن كرمه سجية وليس تكلفاً أو رياء.

فضيل كان متفرداً في مواساته للمرضي وكان إذا زار مريضاً تهلل ذلك المريض كأنَّما جاءه فضيل يحمل اليه العافية. وحقاً، فكلماته ودعواته كانت تزرع في نفوس المرضي الأمل بالشفاء وقرب العافية.

فضيل كان متفرداً في مؤاساته وعزائه وحضوره المآتم، وكان إذا جاء معزياً كأنَّما جاء الناس جميعاً وكان كل عزاءٍ عزاءه وكل فقد فقده، يشاطر أهل الميت مصابهم ويقاسمهم حزنهم ويخفف عنهم ألم فقدهم.

فضيل كان متفرداً في تهنئته ومشاركته في الأفراح فاذا جاءك مشاركاً جاءك وهو يحمل أطناناً من الفرح والسرور؛ فحضوره عرساً ووجوده فرحاً وبذا يصير العرس عرسين والفرح فرحين.

بل كان متفرداً في حب الناس له كل الناس. ولا أظنني أكون مبالغاً ان قلت لكم ليس له عدو. أو على الأقل وحرصاً مني على تحري الصدق أنا شخصياً، وطيلة حياتي لم اسمع بأن هنالك عداوة ما بين فضيل وشخص آخر. ورجل مثل فضيل لا أظنه يسمح للغل والحقد ان تتزاحم مع المحبة والتسامح والفضائل التي في قلبه. وكما قال الشاعر:- وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا.

رحم الله الراحل فضيل الرجل القبيلة المتفردة في كل جميل ونبيل من القيم والمكارم وأحسن اليه في الخالدين.

فضيل علي فضيل

(أسطورة السخاء)

بروفيسور. عمر احمد صديق المجذوب *

تعد قبيلة الجعليين من أكبر القبائل السودانية وأوسعها نفوذاً. ويقطن الجعليون الخلَّص المنطقة الواقعة بين الشلال السادس والتقاء النيل بنهر عطبرة، وهي المنطقة التي تعرف بوطن الجعليين استناداً على ما أورده هارولد ماكمايكل فإن هناك ثمانية عشر قسماً للجعليين الخُلَّص. يرجع الجعليون بأصلهم الملقب بإبراهيم جعل. واسم القبيلة مشتق من الفعل "يجعل"، حيث تقول الروايات الشفاهية أن جدهم هذا ينحدر من سلالة العباس عم النبي (ص) وكان جدهم كريم ويؤوي الضعيف.

يرتبط الجعليون من عدة نواح بكثير من القبائل السودانية وقد تمتعوا معهم بعلاقة الحامي والمحمي (الجعلي جنس الماعندو جنس). وأيضاً كانت معبراً لطرق التجارة، لقد وصف كراوفوت شندي بأنها (بمثابة عنق الزجاجة لطرق القوافل). ويظهر تأثير السكان المصريين على حكاية الجعليين وعلاقاتهم القديمة مع الفراعنة، وأيضاً علاقتهم مع غرب أفريقيا ومملكة كانو عبر الحجاج. وقد وجدت بعض الآثار التي تدل على علاقتهم بالرومان وأيضاً قصة أبو زيد الهلالي التي تدل على علاقتهم بالعرب وشمال أفريقيا.

مدينة الدَّامر العريقة، والتي اختزنتها ذاكرتي أثناء نشأتي الأولى، عن مكانتها المرموقة وعن تراثها ألأصيل في مجالات عدة، وكذلك عن الشخصيات البارزة التي سكنتها منذ عشرات بل ومئات السنين. فهي من المدن التاريخية العريقة التي عرفت على مستوى العالمين العربي والإسلامي بوجود أضرحة (السادة المجاذيب) وبعدد من المدارس والجامعات الدينية الشهيرة وكذلك الكثير من الشخصيات المرموقة التي احتلت مواقع دينية وعلمية وثقافية وسياسية وعسكرية.

ومن المشاهد الجميلة التي تأسر القلوب، في مدينة الدَّامر أناس من شتى الطوائف والمذاهب والفئات الاجتماعية المختلفة. وكانت تسود بينهم روح المودة والجيرة الحسنة والمصاهرة المباركة. فتجد المسلم إلى جانب المسيحي وإلى جانبهما أهل الديانات المختلفة.

ان مدينتي الحبيبة، مدينة الدَّامر العريقة التي يعود تأريخها إلى عدة قرون، كانت وبحق بمثابة منزل الأسرة الكبير الذي يحتضن كافة افراد العائلة الواحدة، حيث تسود بين أبنائها روح المحبة والتعاون والتسامح، وسوف تظل كذلك بالنظر لعمق جذورها الثقافية وصدق تاريخها وأصالة أبنائها الكرماء الطيبين.

ومما أتذكره عن تلك الأيام الجميلة التي قضيتها مع العم فضيل في أم درمان والدَّامر، نسلك طريقاً خاصاً يربط ما بين (الدراسات الأكاديمية) و(الأنشطة الثقافية المختلفة، والعمل التطوعي لخدمة البلد والأهل)، حيث تمتد أنشطتنا جميع مدن وقرى مديرية النيل سابقاً.
والعم فضيل ليس رجلا بألف رجل بل إن "صوته" فقط خير من ألف رجل.. ولا غرابة في ذلك، والأصل تتبعه الفروع وهو من نسل شاع الدين، والشاعديناب هم أبناء (الأمير) شَاعَ الدين بن (الملك) عَرْمَان.

حين يكون الرحيل.. يذهب كل شيء يتعلق بالإنسان ويبقى عمله وسيرته والأثر الذي تركه في قلوب الناس وبصماته التي أحدثت فارقاً. وعندما نكتب عن صاحب قلب اتسع للجميع وامتلك من الأخلاق منظومة قيم متكاملة انعكست على سيرة حياته المليئة بالأحداث والمواقف والأعمال القيمة، يقف القلم عاجزاً عن سرد مشاعر لا يمكن أن تكتب على صورة تواريخ أو أحداث.

ولم ينقطع معه ذلك العطاء. كان الأب والأخ والصديق بكل مثالية.. كان الشيخ والقائد بكل اقتدار.. كان الوجه الجميل والمشرق للإنسان...صاحب الابتسامة المشرقة الذي تبسم لكل شيء في الحياة بكل ما حملته من آلام ومصاعب وتحديات.. متفائل دوماً.. محب للجميع.. كان إذا تكلم قال خيراً.. وكان حين الغضب من الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس.

أحب جميع الناس.. الطفل والكبير والقريب والبعيد.. والتمس العذر لمن أخطأ أو قصر.. وكان سباقاً في كل المواقف والمناسبات.. صاحب بصمة لا تنسى في لمسات يطفى بها على كل تعاملاته مع الآخرين وفي جميع المواقف والتصرفات. كانت له لفتات تميزه في التعامل مع الأطفال وزيارات الآخرين في مختلف المناسبات، يشغل وقته رغبة وحب في السؤال عن الجميع والاهتمام بأدق التفاصيل. كان الجميع في حضوره يشعر باهتمامه ورعايته وتميزه عن الآخرين.

أبي هذا الرجل الذي كان أباً بكل ما تحمله الكلمة من معنى.. كان الحنون الكريم والسند في كل الأمور. كان المعلم والقدوة والحريص المحب في جميع أمور الحياة.. وفر لنا أجواء البيت الدافئ والغني بالقيم والأخلاق والمبادئ. ذهب وترك لنا تركة من الأخلاق وحب الناس له.. وقد أنار حياتنا بنور يأبى أن ينطفئ بغيابه لأنه أضاءه بإفناء حياته للآخرين ليظل حياً في قلوب الجميع.

رحل العم والصديق الذي صادق بكل صدق ومحبة.. والأخ الذي كان مثال في الأخوة والقرابة.. رحل الزوج الذي أضفى السعادة على الحياة والدار.. ورحل الأب الذي لم يترك شيء إلاَّ وقدمه ولا إدخر مشاعراً إلاَّ ما أسرف فيها. وكان الجد الذي عنده الملاذ وفيض يغطي أي نقصان.

لقد اشتهر رحمه الله بالطيبة والجود والكرم وله مآثر طيبة سيظل يذكر بها بعد مماته رحمه الله عمقت علاقتي به وأنا في مرحلتي الجامعية ومنذ تلك اللحظة وجدته صفحة مضيئة في حياتي. كان بطلاً صنديداً ويمثل عنواناً لكل المروءة ويمثل روعة الحق.. كان هامة ملء الوطن.. ومهما قلنا في هذا الرجل من كلمات لا نستطيع أن نوفيه حقه فهو أكبر من كل الكلمات.

هذا الرجل الفذ الذي كان مثالاً للشخصية المتسامحة الكفؤة الصبورة المثابرة.. بل لقد كان بنكاً من الأخلاق الحميدة التي يجب أن تحتذي بها الأجيال القادمة. لقد كان يتمتع رحمه الله بالعديد من المناقب لا نستطيع أن نعدها ونحصيها من أهم هذه المناقب أنه كان يحب الناس جميعاً ولا يحب أن يراهم متخاصمين ولذلك كان يحرص دائماً على أن يقوم بالإصلاح بين الناس وكان من أفضل الناس الذين عرفتهم.

إن المكان أفق يمتد، والزمان والإنسان فعلان يتصاعدان ثم يتقاطعان عند لحظة تفجر عارمة، هي ما يحتفظ لنا به التاريخ، وهكذا يتقادم بنا الزمان رويداً رويداً. المكان ثابت والزمن متحرك، المكان متحرك والزمن ثابت، المكان متحرك والزمن متحرك، إخضاع المكان لعوامل الزمان وإخضاع الزمان لعوامل المكان، إسهام المكان في تشكيل الشخصيات، الشخصيات تحرّك المكان وتشكلّه، كما قال الفلاسفة وأهل العلم والدراية، وحياتنا في الدَّامر أشبه بحياة البادية لشبه نسيجها الاجتماعي والثقافي والفكري وطبيعة وظروف الحياة.
ولأن حياة البادية متماسكة ومترابطة لذا كان للكرم قيمة كبرى، ولهذا شاع صيت الكريم وتحدثت به الركبان وأصبح حاتم الطائي مثلا يحتذى به، في ظل هذه المعطيات تصبح مشاركة الفرد الآخرين فيما يملك سمة ثقافية متأصلة وقيمة اجتماعية تلازم حياة البداوة، والكرم هو الاستثمار الوحيد الذي يمكن التعويل عليه في مجتمع لا يعرف التكديس والتخزين.

والحقيقة أن الكرم المحتفى به ليس ماديا فقط، بل إن الكرم المادي يتوج بكرم معنوي تجسده المروءة والأخلاق في التعامل، يقول علي بن الحسين عليهما السلام: تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم بنفسه وأهله، أما تسمع قوله: وامرأته قائمة. إشارة لقوله تعالى:

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوب﴾. وقائمة تعني تخدم ضيوفها.

وقال الأصمعي: سألتُ عنبسة بن وهب عن مكارم الأخلاق فقال: أما سمعتَ قول عاصم بن وائل:

وإنا لنقري الضيفَ قبل نزولِهِ ونشبعه بالبِشْرِ من وجه ضاحكِ

ويقول المقنّع الكِنْدي:

وإنّي لعبد الضيف ما دام نازلاً وما شيمةٌ لي غيرها تشبه العبدا

وحقيقة بعد فراق عمنا فضيل أصبحنا في صحراء مهلكة، كانت الشجاعة القيمة الكبرى الثانية؛ فالشجاع هو من ينقذ الأرواح إن جار بقومه الغزو ردَّ وصدَّ عنهم، وإن جار بهم الجوع تقدم الصفوف وغار على من لديه لينقذ من لا يملك، وهذا ما جعل العم فضيل ظاهرة فريدة تلبي قيمة اجتماعية. ليس صاحب مال ولا مادة بل صاحب قيمة إنسانية وذلك مما جعله يسمو بكرمه ونبله، وكأنه حكاية وأسطورة شعبية ليس ببعيدة عن مالك العبسي، يزوج ابنته لعنترة بن شداد العبد، ليس لأنه جلب له المهر بل لأنه جسد الفروسية والشجاعة التي تعتبر قيمة كبرى، وهي قيم الشجاعة والفروسية والكرم والذكاء والجرأة. نجد هذا في حكايات أبو زيد الهلالي، وحكاية ابن الذئب، وولد العقيلي، ووضحى وابن عجلان، وغيرها من حكايات البوادي الشعبية، وهي حكايات متشابهة في أي مكان من أرجاء الوطن العربي، وكثيراً ما تدخل في خانة الأساطير المجافية للمنطق.

السخاء أساس كثير من الفضائل، أساس الألفة والمحبة والتعاون. والسخاء والجود والكرم ألفاظ جميلة، معانيها نبيلة، وحديثها عذب شيق، ينعش الأرواح ويشرح الصدور، إنه يخلد الذكر وهي تبقى لصاحبها لسان صدق. هؤلاء الأسخياء إن عاشوا فهم في أعين الناس عظماء وإن ماتوا فهم في أعين الناس أحياء.

وحد السخاء هو بذل المال مما أعطاك الله في الأمور المحمودة دون مقابل أو عوض ودونما إسراف ولا تفريط لا سيما إذا كان لسد حاجة أو لإغاثة ملهوف أو حفظ نفس من الوقوع في المذلة والهوان.

يقول تعالى:﴿ يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَـكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَـفِرُونَ هُمُ الظَّـلِمُونَ ﴾. ولقد جعل الإنفاق والبذل من خصال البر، فقال

تعالى:﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْـمَلَـٰئِكَةِ وَالْكِتَـٰبِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْـمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَـٰمَىٰ وَالْـمَسَـٰكِيْنَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾.

وأما السنة المطهرة ففيها الكثير والكثير الذي يدعو إلى البذل والإنفاق ويرغب في الجود والكرم، يقول (صلوات الله وسلامه عليه): «إن السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد عن النار. وإن البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار. والجاهل السخي أحب إلى الله من عالم بخيل».

ويقول (صلوات الله وسلامه عليه) فيما يرويه عن رب العزة، يقول الله عز وجل: «إن هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه إلاَّ السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما».

ألا ما أعظم فضل السخاء إنه الخلق الذي يجب أن يتزين به كل إنسان وأن يتحلّى به كل مسلم أحبه الله واتصف به فهو جواد كريم وهو أكرم الكرماء يرزق من يشاء بغير حساب، ويعطى ولا راد لعطائه ولا تنفد خزائنه، وجمل بالسخاء أنبياءه ورسله؛ فقد كان محمد صلى الله عليه وسلم أجود الناس ما سئل عن شيء فقال: لا. ولو أن الناس يعلمون ما في الكرم من مآثر وحسنات لأسرعوا ولجادوا بأنفسهم وأرواحهم في سبيل الحصول على هذه المفاخر. إن السخي يحبه الناس في حياته وبعد موته ويجلونه في حضرته وغيبته ويقلدونه في قوله، وفعله كلمته مسموعة وأمره مطاع ورأيه سديد وحكمه نافذ.

إن السخاء يقلل الأعداء ويكثر الأحباء ويغفر الزلات ويستر العيوب.

يغطى بالسماحة كل عيب وكم عيب يغطيه السخاء

إن السخاء عمدة مكارم الأخلاق يفتخر به الأبناء والأحفاد وتتناقله الأخبار الركبان وتدونه الصحف والكتب ويسجله التاريخ بمداد الفخر على صفحات الأيام:

وكم مات قوم وما ماتت مآثرهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

وإن في قصص التاريخ لعبرة وعظة. فقد كان معن بن زائدة من أجود وأسخى أمراء المسلمين، وحدث أن جاء إلى مجلسه رجل من البوادي يحمل جرة، فسخر بعض الناس منه، وقالوا لمعن: سل هذا الرجل كيف ولم جاء بهذه الجرة إلى مجلسك هذا؟ فسأله معن فقال الرجل:

لما رأيت الناس شدوا رحالهم إلى بحرك الطامي أتيت بجرتي

فأعجب لفصاحته معن، وقال لعماله: املؤوها له ذهبًا. فخرج الرجل بها، وما أسرع ما التف الفقراء حوله، فجعل ينفق منها يمينًا وشمالاً حتى نفدت عن آخرها، ورآه بعض من كان في مجلس معن، فأوعزوا إلى معن وقالوا له: لو كان هذا يعرف قيمة ما أخذ ما أنفقه كله فقال: عليَّ به، فجاءه الرجل وهو يقول هذا البيت:

يجود علينا الخيرون ونحن بمال الخيرين نجود

إن السخاء ذخيرة الرجل لأولاده بعد موته، به يكرمون وبسببه ينالون جميل العطف، ويدفع عنهم كثيرًا من نوائب الدهر. يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث عليّا (كرم الله وجهه) إلى طيء فهرب عدي بأهله وولده، ولحق بالشام، وترك أخته سفانة فأسرها المسلمون. فلما أُتي بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت: هلك الوالد وغاب الوافد، فإن رأيت أن تخلى عني، ولا تشمت بي أحياء العرب، فإن أبي كان سيد قومه، يفك العاني، ويقيل الجاني ويحفظ الجار، ويحيي الزمار، ويفرج عن المكروب، بإطعام الطعام ويفشي السلام، فلا أتاه طالب حاجة ورده خائباً، أنا بنت حاتم الطائي. فقال لها الرسول صلى الله عليه وسلم: «يا جارية هذه صفات المؤمنين فقال: خلوا عنها؛ فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق».

دَعوتُك يا كُليب فلم تجبني وكيف يُجيبني البلدُ القفار
أَجِبني يا كليب خلاك ذمٌّ فقد فُجعت بِفارِسها نِزار
سَقاك الغَيثَ إنّك كنتَ غيثا ويسراً حينَ يُلتمسُ اليَسار
سَألت النّاس أين دَفنتُموه فقالوا لِي بِسَفح الحيّ دار
وَحَادت ناقتي عن ظلِّ قبر ثَوَى فيهِ المَكَارم والفَخار

تفاصيل كثيرة دُفِنت بجوار عمي فضيل، كضحكته تلك التي تمحي كل أحزاني، ونظرته المليئة بالحنان التي تزيل أوجاعي. ذكرى تتجدد باستمرار يا لها من ذكرى، تقطع قلبي وتفطر شوقاً لك يا ما ضحكنا سوياً يا ما ضممتني إلى صدرك الحنون، يا ما أتمنى لو عادت الذكريات فقد صبرت دون جدوى، فقد تكلم قلبي قبل لساني، فقد انجرح قلبي جرحاً لن يتداوى بفراقك أيها الغالي، فقد عجز اللسان أن يتكلم وعجز القلم أن يكتب بشوقي لك، فقد اشتقت لك شوق الأم لابنها وشوق المغترب لبلاده، وشوق العطشان للماء، فهل من كلام يعبر لك عن شوقي لك؟ ولي في غيابك قصة وجع لا تنتهي، رحمك الله وأسكنك فسيح جناته. الكرم كله دُفِن مع العم فضيل.

فوَ اللهِ ما أَسْقِي البِلاَدَ لِحُبِّهَا ولكِنَّنِي أَسْقي الحَبِيبَ المُوَدَّعَا

تَـحِـيَّـتَـهُ مِـنِّـي وإِنْ كـانَ نَـائِـيـاً   وأَمْسَـــي تُرَابـاً فَوْقَـهُ الأَرْضُ بَلْقَعَا

الصوت ليس هو الصوت فقد تغيرت نبراته، امتلأ بجراح لا تقوى الأيام على علاجها، إذا فرقت الأيام بيننا فلا تتذكّر لمن كنت تحب غير كل إحساس صادق ولا تتحدّث عنه إلاَّ بكل ماهو رائع ونبيل فقد أعطاك قلباً، وأعطيته عمراً وليس هناك أغلى من القلب والعمر في حياة الانسان.

لَعَمْرِي ومـا دَهْرِي بتـأْبِيـنِ هَـالِـكٍ   ولا جَـزَعٍ مِمَّـا أَصَـــابَ فـأَوْجَـعَـا

لـقـد كَـفَّـنَ الـمِـنْـهَـالُ تَـحْـتَ رِدَائـهِ   فَتيٍ غيرَ مِبْطَـانِ العَشِـيَّـاتِ أَرْوَعَـا

ولا بَرَمـاً تُهْـدِي النِّسَـــاءُ لعِرْســـهِ   إِذَا القَشْـعُ مِــــنْ حَسِّ الشِّـتَاءِ تَقَعْقَعَا

لَبِيـبٌ أَعَـانَ اللّـبَّ منـهُ سَـــمَـاحَـةٌ   خَصِـيبٌ إِذَا ما رَاكِبُ الجَدْبِ أَوْضَـعا

تَرَاه كَصــــدْرِ السَّـــيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّـدَى   إِذَا لم تَجِدْ عِندَ أمرئ السَّــوْءِ مَطْمَعَا

فَـعَـيْـنَــيَّ هـلاَّ تَـبْـكِـيـانِ لِـمَـالِـكٍ   إِذَا أَذْرَتِ الرِّيحُ الكَنِيفَ المُـــــرَفَّعَا

ولـلشَّـــرْبِ فَـابْكِـي مـالِكـاً ولِبُـهْمَـةٍ   شَـــديدٍ نَوَاحِيـهِ علي مَنْ تَشَـــجَّعا

وأَنِّي متى مـا أَدعُ بـاسْـــمِكَ لا تُجِـبْ   وكُنْـتَ جـدِيراً أَنْ تُجيـبَ وَتُسْــمِعَا

وكان العم فضيل جديراً بالسمع والاستجابة، ألا رحم الله العم فضيل رحمة واسعة وجعل الله البركة في أهله وعشيرته وأحبابه وجيرته وأولاده، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

● عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة السلطان قابوس- عمان.

فضيل .. أيقونة المكارم ..!!؟

عبد العظيم سعيد خالد - رابطة الإعلاميين بالدامر.

فضيل علي فضيل رجل من الزمن الجميل .. ولد اوائل الثلاثينيات من القرن الماضي .. نشأ وترعرع على ضفاف النيل والنخيل بالجباراب جنوب الدامر .. حيث جمال النفوس والخضرة والماء والوجه الحسن والكسب الحلال .. ومكارم الأخلاق من آباء كرام أماجد .. فشب الفتى وشاب على صنائع المعروف وإكرام الضيوف منذ نعومة اظفاره وصباه الباكر .. كان فريد عصره وزمانه ونسيج وحده .. رجل من اواسط الناس وعامتهم .. جمع كل الناس واجتمعوا حوله وأجمعوا على محبتهم له ومحبته لهم جميعاً..

داره المرحابة الواسعة المفتوحة دوماً آناء الليل وأطراف النهار .. كانت ومازالت مركزاً ومأوى للناس كل الناس .. العابر والمريض والصحيح والمسافر والمقيم ..طلاب العلم والجامعات القدامى والجدد كل سكن واستقر ردحاً من الزمان في دار فضيل حتى تخرج وبعد التخرج .. وكل منهم له ذكريات جميلة وأيام خضر نواضر وقصص وسمر وأنس لطيف مع فضيل واسرته الكريمة المضيافة .. ومن خالط الكرام يكرم .. ومن عاشر السعيد يسعد.. وهكذا دواليك وفضيل ..هو نفسه فضيل بسمته وأريحيته وكرمه وبشاشته المعهودة وجبينه المطروح الوضاح وصفاء سريرته وعلنه ..

كان فضيل رجلاً عجيباً.. فريداً لا يجارى في كل مناحي حياته العامرة الزاخرة بكل المحاسن وجميل الصفات وكريم المعاني .. لم أرى في حياتي نهجاً وطريقاً وسلوكاً أجمل وأفضل وأروع ..من نهج فضيل .. هذا الرجل الأمة ذو الخصال السمحة والفيوض الزاخرة كالبحار الدافقة في المروءة ومكارم الأخلاق ..فضيل رجل سارت بذكره الركبان.. وله في دروب الجود والكرم ونصرة المظلوم وكفالة الأيتام والأرامل والمساكين قصب سبق ويد طولى .. قصص وحكايا ..لا يسعها مقال كهذا ..بل لا يسعها كتاب ضخم .. ومن أراد أن يعدد مآثر الرجل الكبير ..فقد سلك طريقاً صعباً دونه خرط القتاد ..ففضيل رجل أكبر من المعاني والعبارات وأكبر من المعاجم والمفردات ..!! ..وما حديثي هذا وكليماتي هذي القاصرات..إلا كقطرات صغيرات في محيط الرجل الكبير وبحره اللجي .. وقديماً ..كانت العرب تقول (حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق) ..

حدثني أخي الأكبر المرحوم علي سعيد خالد.. حدثني عن قصص كثيرة وحكاوي جميلة في حياة الفقيد الراحل المقيم فضيل ..نذكر منها .. أن أخي علياً .. عليه رحمة الله كان صاحب عربة شاحنة (قندران) ماركة فيات ..وكان كثير السفر والترحال ذلك بطبيعة عمله.. قال لي

يوماً ونحن في طريقنا من مدينة الرنك بجنوب السودان إلي الخرطوم .. والحديث لعلي ..قال ..حينما وصلنا إلي منطقة جودة أردنا ان نشتري الزوادة ..فوجدنا على حافة الطريق سوقاً للسمك فتوقفنا عنده ..والباعة من قبيلتي الشلك والنوير ..وقفت عند أحد الباعة وهو يفترش أكواماً من السمك ..فقلت له بكم سعر هذا الكوم .. فقال لي بجنيهان ..فقلت له ممازحاً .. إن سعر هذا السمك عند فضيل أقل من ذلك بكثير ..فرفع الرجل رأسه وقال لي مندهشاً .. أو أنت تعرف فضيل ؟!..فقلت نعم هو أخي ابن عمي ..فقال لي مبتسماً .. إذن خذه بالجنيهان وخذ معه ثلاثة أكوام هدية مني لمعرفتك وصلتك بفضيل صديقي العزيز الذي أعرفه منذ زمان بعيد ..

كان فضيل يعمل في مهنة التجارة بسوق السمك في الموردة بأم درمان .. يعرف كل أهل المدينة الوطنية تقريباً ويعرفونه أيضاً .. وكان مواطناً صالحاً مقيماً في مدينة الفتيحاب العريقة (حي الشقلة شرق) الكبير .. بل هو تاجر في المكارم .. وحسن الخصال وكريم السجايا وجميل الفعال ..كأنه خلق لذلك ليهديها للناس ..كافة الناس ..دون من أو أذى .. ودون مال.. فقط لوجه الواحد المتعال.. وليس ذلك بعسير على الله سبحانه وتعالى وهي نفحة يختص الله بها من عباده من يشاء وليس ذلك بكثير كسب أو بكثير مال وكل ميسر لما خلق له...

كان فضيل عليه الرحمة والرضوان يطوف بالأسواق الشعبية بمدينة أم درمان الكبرى مساء كل يوم ليشتري كل ما تبقى من مفروشات النساء الأرامل ومن بضائع الفقراء والمساكين ويجمعها في (قُفَاف) وهو غير محتاجاً لها البتة .. فقط إكراماً لأصحابها ولحفظ ماء الوجه ورفع الحرج عنهم واحترامهم ..ومن ثم يقوم بتوزيعها لآخرين الله أعلم بهم ..وصدق زميلنا الأستاذ احمد عبد الوهاب ..حينما كتب ذات صباح في عموده المقروء (فنجان الصباح) بصحيفة ألوان .. كتب مقالاً رائعاً عن فضيل .. تحت عنوان ((فضيل .. رجل مهنته الكرم)) نعم وهو كذلك..أخي احمد .. رجل مهنته الكرم ومكارم الأخلاق...

رحم الله أخينا وكبيرنا وعزيزنا وقدوتنا وفخرنا وعزنا ومنارتنا السامقة (أبو الصادق) ..وعلى مثل فضيل فلتبك البواكي..!! نسأل الله له الرحمة والمغفرة والرضوان ..ونسأله تعالى أن يسكنه أعالي الجنان.. الفردوس الأعلى إنه ولي ذلك والقادر عليه .. وأن يجعل البركة في عقبه وأحفاده جميعاً ..وأن يحفظهم بخير ما يحفظ به عباده الصالحين ..وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين .. سيد الأولين والآخرين ..سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم ..وعلى آله وصحبه أجمعين.

هلْ العظماء يرحلون؟

النّذير أحمد الكُردي*

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران: ١٨٥).

علمتُ من الأخ الفاضل/ عبد الباقي الطيب أنهم بصدد اصدار كتاب عن الراحل الكبير "الوالد العم فضيل" عليه رحمات الله وسلامه وغفرانه، سائلاً الله العليّ القدير ومتضرعاً إليه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أن يسكنه فسيح الجنان مع الصديقين والصالحين، بكل لقمةٍ قدّمها وبكل قطرةَ ماءٍ اسقاها، وبكل حلفٍ نطق به لسانه الصَدوق، لسانه الذي انطبعَ على الالحاح لإكرام كل مَـنْ يصادفه قريباً كان أو غربياً. نعم، كنتَ، عليك رحمات الله، نَحَّار الشتاء وسقّاء الصيف.

لولا أن الموت حق، كان حال كل من وصله نبأ رحيل "الوالد العم فضيل" أنْ لو يكون الخبر كاذباً، وذاك حال المتنبئ عندما بَلَغه خبرَ فَقْدٍ فاجع، وهو بصحراء الجزيرة العربية فأنشد قائلاً:

طَوَى الجزيرةَ حتى جاءَني خَبَرٌ فَزِعْتُ فيه بآمالي إلى الكَذبِ
حتى إذا لم يَدَعْ لي صِدْقُهُ أملاً شَرِقْتُ بالدّمعِ حتى كادَ يشرَقُ بي

حقّاً وصِدقَاً تتضاءل الكلمات وتتقاصر المعاني في الكتابة عن رجل مثله، فإن كانت الكلمات عنه رثاءً فإن مثله يستحق الرثاء لأن فقْده جلل، وإن كانت الكتابة عنه استعادة لذكرى، فانه يُرثى لأن ذِكراه وذكْرَه مَدْحَاً له في قبره عليه، رحمات الله وسلامه وغفرانه، فقد كان كريماً كرماً أرْوَشَاً، قلّ نظيره في عظمته وتلقائيته، وفي القول المأثور، إن العظماء من الرجال ثلاثة، رجلٌ ورِثَ المجدَ فوُلد عظيماً، ورجلٌ تنزّلَتْ عليه العظَمَة فصار عظيماً، ورجلٌ صنع مجْدَه وعظمته بيديه المعطاءتين وأفعاله السمحة وعقله الراجح، وخلقه الرفيع ولسانه الذي انطبع على قول مرحباً، وكم كم شَهِدَ له الناس بعطاء يديه وسماحة أفعاله ورجاحة عقله، عليه رحمات الله وسلامه وغفرانه...

الكرم صفة من صفات الله سبحانه وتعالى، والكريم اسم من أسمائه جلّ وعلا. ويذكر العلماء أن الكَرَم إذا اقترنَ به سبحانه وتعالى فهو اسمٌ لإحسانه وجوده وإنعامه على العباد، وإذا وُصفَ به الانسان فهو كناية ووصف للأخلاق والأفعال المحمودة التي تتدفق من بين يدي صاحبه

كأنه في نشوة المُحِب، وكذا كان "الوالد العم فضيل"، فوالله الذي لا إله غيره لا يتبادر اسمه إلى ذهني إلا استحضرت الكرم والإكرام. فكما اقترن القرآن العظيم في ذهني بصفة الكريم، كذلك اقترن اسم "الوالد العم فضيل"، في ذهني بصفة الكرم.

لقد حباه اللهُ تعالى نخوة ورجولة قلَ نظيرهما فيما رأيتُ وسمعت، فإن كان الكرم تاجاً فكم وكم كان يجلس مفتخراً متلألئاً على رأسه المرفوع والشامخ، وإن كان الكرمُ صَرحاً فوالله أنه قد شيّده بيديه الكريمتين، وجلسَ في ظله منادياً لإكرام الضيوف بصوته المجلجل، وإن كان الكرم دابة تمشي على أربع فهو تعهد بتربيتها وأطلقها تجول ذكرى عطرة في ذهن كل من شرّفته الأيام بلقائه والتعرف عليه.

نَمْ قرير العين أيها "الوالد العم فضيل"، فلن يرد ذكر اسمك إلاَّ وذكرَ الناس الكرم والبشاشة والرجولة في أسْمى معانيها، نَمْ قرير العين، وقد تركتَ بيننا الأخ الفاضل/ الصادق وهو الذي نهلَ من يديك الكريمتين ومن كرم أخلاقك وشهامتك ونسأل الله أن يعينه ويجعله خير خلف لك.

نَمْ قرير العين وأنت الباقي في أذهان وقلوب كل من عرفك وسمع بمناقبك ذكرىً خالدة عَطِرة بكل معاني السماحة والسموِ والطبع الذي يتمنى الناس أن يسود ويبقى... قال المتنبئ:

وما الموت إلاّ سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل

وإن كان الموت يصول بكف ويسعى برجل ليأخذ مثلك، فكم وكم من رجال كانوا يفتدونك.

رحمك الله رحمة واسعة وأسكنك فسيح جناته، "إنا لله وإنّا إليه راجعون".

● من أبناء "قرية حدّاف - محافظة البطانة"، جامعة الخرطوم - كلية الآداب "شعبة اللغة الانجليزية" مايو ١٩٩٢، يعمل مترجم بوزارة الداخلية بدولة قطر.

العم فضيل!

د. ماهر العبيد العوض *

الكتابة عن العم فضيل ضرب من المستحيلات، إن كانت لحصر صفاته وسمته وكرمه لكنها محاولة للتركيز على بعض منها للتوثيق ولنقل التجربة للأجيال التي لم تعاصر فترة حياته. فالعم فضيل فريد زمانه في الكرم والشهامة والأخلاق الفاضلة. هو رجل سوداني بسيط عاش بقيم الصحابة وقدم تجربة حياة فريدة مليئة بالحكم والجواهر. قدم تجربة متميزة لنا نحن أبناءه الذين ليسوا من صلبه وهنا سر التميز.

في مقالي هذا سوف أسرد بعض من المواقف على سبيل المثال لا الحصر خلال فترة دراستنا الجامعية نحن وكنا رابطة أبناء النيل بالجامعة الاسلامية في الفترة من ١٩٨٨م الي ١٩٩٣. هذه الفترة التي كانت دار العم فضيل هي مأوي لأبناء الرابطة طلاباً وطالبات حيث كانت كل أو معظم الفعاليات الثقافية والاجتماعية تنطلق من داره العامرة بشقلة الفتيحاب.

العم فضيل كان لنا ملاذاً آمناً نأتي اليه ولداره ملتمسين منه الحكمة في كل ما يستشكل علينا نحن أعضاء اللجنة التنفيذية لرابطة أبناء النيل، فنجد عنده الحل؛ لكن قبل ذلك نجده عنده الحفاوة والكرم حيث تجده قد هب من مكانه تسبقه ابتسامته المعهودة وكلماته المبشرة والمباشرة: (حرم حبابكم ..تفضلوا الجابكم يجيب عقابكم).

كان يخجلنا بكلماته وعتابه علي التأخير في زيارته علماً بأن زيارتنا له من كل أعضاء الرابطة تكاد تكون أسبوعية وبعض من الإخوان الذين يتواجدون بسكن الجامعة الاسلامية بالفتيحاب يزورونه بصورة شبه يومية نسبة لقرب المكان والزمان، ومع ذلك يري في هذه الزيارات تأخير عليه، فلقد كان رحمه الله رجلاً شفيفاً مرهفاً تلامس قلبه رقة ومحبة لكل أبناء منطقته، بل لكل الانسانية جمعاً.

كان له قلب يسع الجميع محبة وكرماً وضيافة، فقد عاش حتي مات لغيره ينثر الدرر من الحكم والاطعام والشراب والدواء والكساء لكل طالب علم ومحتاج. فالعم فضيل نسيج زمانه وفريد عصره لن توفيه الكلمات والمقالات مقامه مهما كتب أو قيل عنها ولكنها كما ذكرت في مقدمة المقال محاولة للتوثيق لا للحصر فذلك بعض من كل بل قليل من كثير وغيض من فيض وشلو من بحر، لأن العم فضيل بحر لا ساحل له وعميق بعمق محبته للخير والعفو والكرم والشهامة ولكل الصفات الانسانية النبيلة التي تربي عليها وتشربها سجية وطبعاً لا تطبعاً.

ومن الصورة التي لا تزال عالقة بالذاكرة هو يوم زواج ابنه الذي ورث كرمه الحبيب الأخ الصادق فضيل، هذا الزواج كان استفتاء لكرم العم فضيل، وكنا جميعاً حضور فلقد أصبحنا جزءا أصيلاً من هذه الأسرة.

فكانت دعوة العم فضيل لكل طلاب وطالبات الرابطة للحضور لكل مراسم الزواج الذي امتد الي أكثر من أسبوع شاهدنا فيه كل طقوس الزواج السوداني الذي يبارك فيه للعريس بالعديل والزين وعشنا فيه حميمة الأهل وهم يتبادلون التهاني تسبقهم كلماتهم وفي أحيان كثيرة دموعهم التي بلا شك دموع فرح مزجها الشوق والحنين لأنها معاني عميقة ولصيقة بالعم فضيل وبيئته وأسرته وأهله التي تشرفنا بنسب الانتماء إليها رباطاً انسانياً خالصاً تظل عراه وثيقة وقوية مهما تقادم الزمن ورمي بكل منا في مكان.

ومهما فرقتنا دروب الحياة والمعيشة، سوف نظل نحفظ هذا الود ونحفظ هذا المقام للعم فضيل الذي تعلمنا منه أكثر من تعلمنا بالجامعة فلقد كان مدرسة وجامعة مفتوحة لكل طالب علم. ونعيش علي أمل أن نلتقي مرة أخري مع هذه الأسرة الجميلة الفريدة ويدور الزمان بنا ونعيدها سيرتها الأولي لقاء ومحبة ووصالاً ولسان حالنا يقول (قد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا).

وفي ختام مقالي لم أجد شعراً ولا نثراً يصور شخصية العم فضيل في الكرم والجود والشهامة، غير إني أدون الأبيات التالية أدناه، عسى أن تصف الجزء اليسير من صفات هذا الرجل القامة:

ما أكل حلو بيتو والمعاهو جَعَّان   وما لبس الرفيع والمعاهو عريان

رحم الله العم فضيل ونور قبره بأعماله الصالحات بصدقاته، بكرمه، بكل ما قدم من عمل صالح، نحن شهداء له، وأسكنه فسيح جناته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فقد كان رجلاً أمة، وكانت حياته خير لكل من عرفه أو عاشره أو تعامل معه.

- عميد معهد الخط الأحمر - سلطنة عمان - مسقط.

الحاج فضيل قبلة الطلاب والمحتاجين

كمال احمد ضحوية

تعرفت على الوالد الراحل المقيم فضيل على فضيل، عن طريق الحبيب نصر الدين الطيب العكادي وذلك في تسعينيات القرن الماضي. وكنت أسمع عنه كثيراً من الحبيب الصادق عثمان عبد الكريم أيام كنا طلاباً بجامعة أم درمان الاسلامية.

وأذكر أن الحبيب عبد اللطيف الأمين السيدح كان مريضاً بمنزل الوالد فضيل، وحضرت لهذا المنزل لأول مرة بغرض زيارته. لقد كان الفقيد قبلة للطلاب والعشام والمحتاجين.

ويوم زواجي كان وكيلاً لي وقال لي يا ولدي الليلة شيطان البلد دي بنطيرو، وكان من المفترض أن يقوم بعقد الزواج السيد الامام الصادق، ولكنه لظرف ما لم يتمكن من الحضور، والمأذون قال يا جماعة زولكم ده ماجاي ولا شنو؟ وهنا غضب الحاج فضيل (أب على)، وقال: يا عبد الرسول النور أعقد والسيد الصادق يجي يبارك، والله نحنا جالون بنزين داير كبريت. وتم عقد القران ولله الحمد.

الحاج فضيل أب على كان كريماً هاشاً باشاً، من خشم الباب يسلمك مليونين سلام، ويقول ليك حبابك مليون وفوق المليون مليون. وكان أنصارياً قُحاً، وكان بيته قبلة للناس، وكان صاحب فضل، فقد عفي عن قاتل ابنه من السيد. أن أمثال الحاج فضيل لن يتكرر ونذكر هنا قول الشاعر الفرزدق:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

له الرحمة وأسكنه الله فسيح جناته مع النبيين والصديقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وجعل البركة في أبنائه والأمر لله من قبل ومن بعد ولا حول ولا قوة الا بالله.

سِدَادة الباب من الجُبَاراب الى الفِتيحاب

نصر الدين الطيب علي (العكادي)

حبابكم مليون والله مرحب حبابكم مليون... (الصـــــادق ولدي إن فقد أخو واحد الله ادَّاهو أخوان كُتار إنتو كلكم أخوانو انتو كلكم أخوان الصادق...)

كانت هذه أولى العبارات التي لامست أذني من ذلكم الرجل الشـامخ الراسـخ بكل عنفوان في القيم والمبادئ والمثل...

وفاة ابنه مَنْ السِـيد في حادث حركة بشـارع الموردة بأم درمان مطلع التسـعينات ...وبعد تواصل بين الطرفين أسرة الوالد فضيل من جهة والطرف الآخر أسرة من تسبب في الحادث وكانوا من منطقة بقروســي ...ولاية نهر النيل... حدث ذلك اللقاء الحاشـد الجامع الذي دعينا إليه فكانت أول زيارة لمنزل الوالد الحبيب فضــيل علي فضـيل رحمه الله بالفتيحاب الشــقلة شرق سوق الحفيان.

وكان حشــد فخيم بكل المعاني وكنا في بداية حياتنا الجامعية وكنا في لهفة للولوج لعالم المحاضـــرات والقاعات فإذا بنا وعلى غير موعد نتلقّى محاضـــرةً من نوعٍ خاص وبمذاق مختلف محاضــرة خاصــة نادرة قل أن يجود الزمان بمثلها محاضــرة تدهش لها وتعجب بها فقط ولا تُمتحن فيها محاضرة تجعلك تحلق في سماوات السمو الأخلاقي والرقي الاجتماعي.

كان أول المتحدثين فيها الفريق المرحوم علي محمد عثمان الفاضـلابي قائد السلاح الطبي الســابق... والباحث في التراث الســوداني المرحوم الأســتاذ الطيب محمد الطيب ثم جاءت كلمات الرجل الظاهرة تزف البشرى وتحمل الخير (السلام عليكم الحضور جميعا كل القبائل والعشـــائر نيابة عن والدة المرحوم وأهله من أعمام وأخوال في الجباراب والقضـــارف وأم درمان نعفو عفوا تاما وكاملا وشـاملا والكلام انتهى وحرّم أيُّها زول في هذا الدار يُكرم ... يا ولد جيب العشاء....)

كلمات بسـيطة وعبارات صــادقة مليئة بالأيمان والاحتســاب والعفو والصـفح والذي هو شـــيمة الاكرمين.... يا لجلال الله .... هذا الرجل البســيط يبلغ هذه الدرجة الرفيعة والمنزلة العالية! إنّها الفطرة السـليمة وحسـن النيّة وسـلامة الطوية التي قادته إلى هذا الأمر والموقف العظيم والمشرف ليس عند الناس فحسب بل عند المولى عز وجل الذي ذكر في محكم تنزيله (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) يا لبشراك بذلك يا عم فضيل فأنت تستحق ذلك وأكثر.

بعد ذلك امتدت العلاقة مع هذه الأسرة الكريمة سنين عددا كانت حافلة بالكثير من الأحداث والمواقف التي تؤكد أصــالة هذا المعدن ونفاسـته. الحوش في قلب ديار فتيح بن منصـور بن جموع (الفتيحاب) يحتل مكانا بارزاً في الشقلة شرق سوق الحفيان ومن ذلك المكان إذا سألت أي شـخص مهما كان عن بيت عم فضيل يدلك عليه بسـهولة ووضـوح ودقة لا لبس فيها لما للوالد الحبيب فضيل من مكانة بين أهل تلك المنطقة.

فناء المنزل صـــالون من الناحية الشـــرقية للحوش على طول وعرض يتجاوز الأربعين متر وهو مشيد من الجالوص وسقفه البلدي وهو مع الحوش يشكل المضيفة المضيافة في بيت الرجال في منزل العم فضـــيل. باب الحوش بخلاف كل أبواب الحي الذي يقع فيه والتي غالبا ما تكون وعلى الدوام مغلقة ولا تفتح إلا بتحفظ وحرص شديدين.

أما باب بيت الوالد فضيل فعلى الدوام مفتوح يرحب بكل القادمين. (اتفضل حبابك مليون أدخل أدخل)... (ياعم فضيل ما في زول في الباب... ده الهواء)...

(حرّم الهواء ذاتو حبـابو مليون نحن كمـان بنـابـا النـاس) ... هكذا الاريحيـة والحفـاوة والأصالة. إذن تكمن معاناة باب حوش العم فضيل في أنّ وظيفته ملغاة تماما ومهمته معدومة كأنّه بابُ بيتٍ في القرى والأرياف والتي غالبا ما تكون بدون أبواب وتكون فقط مداخل مفتوحة للجميع السوام والعوام. وغرس المكارم المتجذرة في عم فضيل جعله يلحق باب بيته في الفتيحاب بأبواب بيوت قريتنا الحبيبة الجباراب لتنتقل معاناة ســـدادة الباب من الجباراب الى الفتيحاب.

أثاث غرفة الصــالون بما لا يتجاوز العشـرة من الأسِرَّة بصـورة أكثر من عادية وبسيطة أثاث يفتقر تماما الى العصـرية والمواكبة لكنه غني بالحفاوة والترحاب والبشـر ثم إنك عندما تلجـه يمكنـك أن تجـد فيـه كـافـة ألوان الطيف الاجتمـاعي من الأهـل والأرحـام والأقـارب والمتزاورين او المتراحمين او من قصد العاصمة لعلاج أو سفر أو قضـاء حاجة.

وجميعهم دون اســـتثناء يجدون الراحة الكاملة بكل أريحية بلا تعب أو تكلف أو عناء ولم لا فكافة أهل البيت في خدمته وراحته ليس الوالد فضـيل فحسـب بل أيضـاً ذلك الأسـد الهاش الباش الصـادق فضـيل والضـرغام عمر وأحفاد الوالد الحبيب فضـيل أيضـاً في الموعد ومن ورائهم أم الكل ومكرمة الجميع الوالدة آمنة محمد حمزة عاشميق.

رحم الله الوالد الحبيب فضيل وأحسن اليه وجعل البركة في أسرته وعقبه وأهله.

العم فضيل .. كرم يجري مثل السيل!

خالد عبد الله قاسم العفيف *

من محاسن الصدف أني حصلت على منحة دراسية مقدمة من حكومة السودان لشقيقتها اليمن، وذلك في إطار التبادل الثقافي بين البلدين. وفي العادة تكون المنح الدراسية الى جامعات حكومية، ولكن شاءت الأقدار الجميلة أن أكون ضمن أربعة طلاب يمنيين، تم قبولهم كاستثناء بكلية الهندسة بجامعة العلوم والتقانة، والتي هي جامعة أهلية.

بتاريخ (٢٠٠٢/١٢/٢٦م) حضرت من اليمن الى الدراسة بالسودان، وفي الجامعة تعرفت على مجموعة من الإخوان والأخوات، كان من بينهم أخي الذي لم تلده أمي عمر فضيل علي فضيل، ابن الوالد الأجواد الكريم فضيل علي فضيل رحمة الله عليه.

وكعادة السودانيين في الكرم وحسن الضيافة، دعاني الصديق عمر لزيارته بمنزلهم بالشقلة شرق بالفتيحاب، وهناك التقيت بالحاج فضيل والذي أدهشني كرمه وحسن ترحابه وسلامه الحار بصوته المميز.

قدمني الصديق عمر الى والده قائلاً: (دة زميلنا في الجامعة خالد اليمني) وأضاف: (...هذا عمك فضيل يا خالد)، فضمني العم فضيل اليه بأريحية ومحبة، ولسانه لم يتوقف عن الترحيب بي، غمرني بكرم الترحاب والضيافة، ومنذ الوهلة الأولى زالت الحواجز بيننا، وأحسست أنني في بيتي وبين أهلي، وكنت في حالين، حال الطمأنينة في البيت وبين الأهل، وحال الذهول من نهر الكرم الفضيلي الفياض الذي غمرة به.

جلسنا للأكل، وتربع الحاج فضيل على كرسيه المتواضع شكلاً والعظيم كعظمة عروش الأباطرة معنى، وجوهراً وهيبة ووقاراً، ولما أردت أن أشرب أثناء الأكل منعني قائلاً: (حَرَّم ما تشرب)، وظل يأمرني أن آكل من هذا الصحن ومن ذاك ومن هذا الطعام ومن غيره، وأقسم عليَّ أن آكل من اللحوم بأنواعها المختلفة، الشَيَّة والمطبوخة ومن الدّمْعة، وما أن ينقص من الطعام شيء إلا وأمر أن يؤتى بالزيادة أو بصنف آخر.

وعندما اكتفيت من الأكل وأردت القيام حلف عليَّ قائلاً (حرَّم ما تقوم) وبعد أن امتلأت تماماً من الأكل، طلبت منه أن يسمح لي بالقيام لعدم مقدرتي على المزيد من الأكل فسمح لي !.

عندما أردنا مغادرة منزله بعد الضيافة والاكرام، حلف علينا الحاج فضيل أن نبيت معه بالبيت، ولم يتركنا نغادر إلا بعد أقسمنا له أن نعود اليه غداً، فعدنا اليه حسب التزامنا

له وعدنا الى بيته مرة ومرات، وكنا إذا تخلفنا عن الحضـور لمنزله زجر ابنه عمر قائلاً: لماذا لم يأتي بنا. وظل العم فضـيل يهتم بنا ويسـأل عنا وعن أحوالنا وعن سـير الدراسـة. وكثيراً ما طلب منا أن نترك سكننا لنأتي ونسكن ببيته.

عرفنا الحاج فضـــيل وأصـــبحنا جزء من أســـرته وأحبابه، وكثيراً ما تحدثنا معه، واستأنسنا بكلامه الطيب ونصائحه القيمة وقصصه العجيبة. سألني ذات مرة عن أهلي فقلت له: انهم في اليمن فقال لي: احضرهم ليسكنوا معنا في هذا البيت، وأشار الى غرفتين ومطبخ وحمام وحوش صـــغير داخل حوش بيته الكبير، اعتذرت له بأني لا أســـتطيع احضارهم للسودان، لأن والدي لن يقبل ذلك، وانه متمسك ببقائهم معه، ويرفض مغادرتهم اليمن، فأيَّد كلام والدي، وقال يحق له ذلك.

عاشرت العم فصيل ثلاث سنوات متصلة، لم أحضر الى بيته ألا وجدته قادم من واجب اجتماعي أو ذاهب الى آخر، لم أزره ألا وديوانه عامراً بالضـــيوف والنزلاء من بقاع متعددة من السودان. في منزله تعرفت على طلاب كثر يسكنون بداره العامرة ولا تربطهم به صلة قرابة ولا نسب، فهم: إما ابن صديق له أو ابن شخص تعرف عليه في مناسبة أو في الطريق أو غير ذلك!.

بكيت بحرارة عندما ودعت الحاج فضـيل مغادراً الى اليمن بتاريخ أغسطس ٢٠٠٧م، وذلك بعد انتهاء الدراسة الجامعية، وقدم لي العم فضيل ولأهلي هدايا كثيرة، ستظل ذكرى عطرة من ذاك الرجل العظيم حقاً.

لو لم أشاهد بعيني كرم وجود العم فضـيل لما صـدقت ما يقال عنه، وعندما حكيت عن كرمه وشهامته لأصدقائي لم يصدقوا ان في هذا الزمن رجل بهذا الكرم والجود، فقلت لهم إذا كان هناك كرم حاتمي عند العرب في الجاهلية، ففي عصـــرنا هذا وفي القرن الحادي والعشرين، يوجد في السودان كرم فضيلي لا يقل عن كرم حاتم الطائي إن لم يزد عليه.

الحاج فضيل علم على رأسه نار في الكرم والشهامة والمروءة، يداه مبسوطتان للجميع بالخير والعطاء، يغمر بكرمه العجيب ضيوفه وزوار بيته العامر، ومن يأتون للسلام عليه أو لمؤانسته. وإذا ما أتاه صاحب حاجة فلا يخرج إلا وقد قضيت حاجته مهما كانت، لذلك أصبح الرجل كمزار صوفي لأهل الحاجات المختلفة شيخه وعموده وقبته الحاج فضيل.

وفي الحاج فضيل أقول:

عم فضيل قوي الحيل ـــــــ كرم يجري مثل السيل

قلب عامر بالجود ــــــــ ويد بيضاء تضيء الليل

شهم شامخ ما له مثيل

وأيضاً أقول: -

إذا كان حاتم للأعراب عالم" في الكرم

ففي دار السودان ألف حاتم

فضيل الذي فاض في الجود والشيم

كفيض النيل يعتلي القمم

يد تضيء بالكرم ليل البخل

وان بسطت تحرق البخلاء كالحمم.

• من أبناء دولة اليمن الشقيق - محافظة إب.

مقولات مأثورة ومعبرة عن الراحل فضيل

قال عنه الباحث في التراث الشعبي وصديقه المقرب الراحل الأستاذ الطيب محمد الطيب):

(مافي ود مَقَنّعة بِقْدِل مع حاج فضيل من الجيلي الي الْأَتْبَرَاوِيْ) والمنطقة من الجيلي شمال الخرطوم الى الْأَتْبَرَاوِيْ (نهر عطبرة) شمالاً هي منطقة قبيلة الجعليين العرمانيين بولاية نهر النيل.

ويروى كذلك ان الباحث في التراث الشعبي وصديق الحاج فضيل المقرب الراحل الأستاذ الطيب محمد الطيب كان متواجداً ذات يوم بديوان الحاج فضيل بالشقلة شرق بالفتيحاب والديوان مليء بأهل فضيل وأصدقائه وغيرهم فقال الأستاذ الطيب مخاطباً هذا الجمع:

(أبقوا عشرة على حاج فضيل فانه أشبه بالعرب العاربة الذين عاصروا الجاهلية والاسلام فأسلموا فحسن اسلامهم وقد جمع عمنا فضيل من الشجاعة والمروءة والكرم طارف وتليد).

والأستاذ الطيب كان محاضراً أولاً في الدراسات الاجتماعية والشعبية بمركز محمد عمر بشير بجامعة أم درمان الأهلية وبوحدة أبحاث السودان بجامعة الخرطوم وبوزارة الثقافة والاعلام ومديراً لمركز الفولكلور وهو مقدم برنامج صور شعبية الشهير.

أما السفير/ عثمان نافع حمد فقد قال عن الحاج فضيل: (فِضيل علي فِضيل الأيقونة النادرة والكَاريزما العالية).

وعثمان نافع دبلوماسي مخضرم، وسفير السودان سابقاً بدول ألمانيا وإثيوبيا وقطر والأردن، وعضو الاتحاد الإفريقي عن السودان، وباحث في القضايا العربية والافريقية والعلاقات الدولية.

وعن الحاج فضيل قال عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الاجتماعية - جامعة السلطان قابوس- عمان. بروفيسور عمر احمد صديق المجذوب:
(العم فضيل ليس رجلاً بألف رجل، بل إن "صوته" فقط خير من ألف رجل..).

أما الأديب والكاتب الصحفي المعروف أحمد عبد الوهاب فقد سطر مجموعة مقالات عن الحاج فضيل بعموده الراتب بصحيفة ألوان اليومية (فنجان الصباح) تحت عنوان: (فضيل رجل مهنته الكرم).

كذلك كتب عنه عمدة المقرن بنهر عطبرة سابقاً وكاتب الاستراحات اللطيفة والخفيفة بالصحف اليومية (العمدة الحاج علي صالح جيب الله) من الجعليين العبدايماب مقالين بالصحف السودانية تحت عنوان: (فضيل علي فضيل حاتم دار جعل) و(فضيل علي فضيل عمدة الجباراب).

وفي حفل تأبينه بالشقلة شرق بالفتيحاب قال عنه الأديب والشاعر القومي الشهير بمنطقة الجباراب والدامر محمد عمارة جاد: (فضيل ظاهرة انسانية فريدة لن تتكرر في عالم الكرم والضيافة).

أداء الحاج فضيل فريضة الحج والعمرة

في شهر رمضان المبارك من سنة ٢٠٠٢م، أكرم الله الراحل فضيل بأداء شعيرة العمرة وزيارة مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والروضة الشريفة، وقضاء أيام طيبة بالحرمين الشريفين الحرم المكي بمكة المكرمة والحرم المدني بالمدينة المنورة.

وفي سنة ٢٠٠٦م قام الراحل بأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة. وكانت أيام حجه وزيارته المدينة المنورة من الأيام الخوالد المشهودة والعامرة بالروحانيات والكرم والعطاء. وكان إذا عاد من الحرم المدني بعد صلاة العشاء يحضر معه مجموعة من السودانيين من زوار الحرم المدني، ومداح الرسول صلى الله عليه وسلم، لتناول وجبة العشاء معه، وأداء المدائح النبوية بمقر اقامته.

وبعد عودته من المدينة المنورة استقر عدة أيام بمنزل قريبيه الشيخ فضيل وعثمان قسم الله علي حسن فضيل بجدة. وتوافد الأهل والمعارف والأصدقاء والأحباب للسلام عليه والتهنئة بإتمام المناسك. وتباروا في خدمته واكرامه، ولكنه وكعادته دوماً لم يكن ليقبل أن يكون ضيفاً بينهم، بل كان بمقام المُضيف وصاحب البيت بذلاً وكرماً.

وبعد عودته من الأراضي المقدسة أستقبله الأهل والمعارف والأصدقاء بالسودان استقبالاً عظيماً، واحتفوا به غاية الاحتفاء. وامتلأت ساحته بالهدايا القيمة والمواد الغذائية والخراف فرحاً بإتمام الحاج فضيل مناسك الحج ومقدمه الميون.

كانت عودته من بلاد الحرمين موسماً عظيماً من مواسم الجود والكرم والخيرات التي تنزلت بعودة حاتم دار جعل من الأراضي المقدسة. نسأل الله أن يتقبل حجه وعمرته وأن يجزيه خير الجزاء بما قدم من نماذج الجود والكرم والشهامة والمواقف الانسانية النبيلة وأن يرحمه ويسكنه الفردوس الأعلى من جناته.

دعوات تكريم الحاج فضيل وتنصيبه عمدة للجعليين

ونسبة لما تمتع به الراحل فضيل من شهرة ومكانة وإعلاء لمكارم الأخلاق السمحة من جود وكرم ومروءة وشهامة وشجاعة بين الناس وقبيلة الجعليين، فقد دعا الكثيرون - شفاهة وكتابة - الدولة وحكومة ولاية نهر النيل والجعليين بالولاية لتكريمه التكريم اللائق به وتنصيبه عمدة لقبيلة الجعليين بالسودان.

هذا رغم أنه لم يكن يرغب يوماً ما في أن يكرم على جوده وكرمه أو أن يكون ذا مكانة ومنصب، أو عمدة للجعليين أو غير ذلك من الاعتبارات التي كان يراها من متاع الدنيا الزائل الذي لا يستحق الاهتمام والعناية، وهو من عرف عنه بأنه يرفض أن يذكر ما يقدم للناس من خدمة وكرم أصيل انطلاقاً من نفس طيبة وفطرة سمحة ولا يطلب أو يفكر أن ينال مقابلاً على ذلك.

العمدة الحاج علي صالح جيب الله:

ومن الذين طالبوا بتكريمه وتنصيبه عمدة للجعليين هو عمدة المقرن بنهر عطبرة سابقاً والنائب البرلماني المعروف، والكاتب الصحفي والمتخصص في مجال (الاستراحات) الخفيفة بالصحف السيارة، العمدة الحاج علي صالح جيب الله. والذي دعا الدولة وحكومة ولاية نهر النيل وعامة الجعليين وخاصة العرامنة بنهر النيل لتكريم المرحوم فضيل وتنصيبه عمدة للجعليين بالسودان.

وقد حالت ظروف مرض الراحل دون أن ترى مبادرة طلب تكريمه وتنصيبه عمدة للجعليين النور. وإني على يقين تام بأن الراحل فضيل ما كان ليوافق على هذه المبادرة أبداً، لأن العمودية والزعامة لم يكونا هماً له في يوم من الأيام ولم يفكر فيهما خلال حياته الطويلة والعامرة بالجود ومكارم الأخلاق.

ولكن وعلى كل حال يظل المرحوم فضيل هو (حاتم دار جعل) وأيقونة كرماء القبيلة والسودان غير المتوج رسمياً، وذلك بما قدم من نماذج أسطورية غير مسبوقة في الكرم والشهامة والمروءة وخدمة الناس والمجتمع.

وقد ذكرنا فيما تقدم أن العمدة حاج علي صالح جيب الله سبق وأن خصص استراحتين عن الراحل فضيل تحت عنواني (فضيل علي فضيل حاتم دار جعل) و(فضيل علي فضيل عمدة

الجباراب) بصحيفتي الوطن الانتباهة اليوميتين، تناول فيهما مناقبه وخلاله الكريمة في الجود والكرم الحاتمي الأصيل وذكر قصصاً من جوده وكرمه.

الأستاذ أحمد عبد الوهاب:

وعبر عموده اليومي المقروء (فنجان الصباح) بصحيفة ألوان اليومية سابقاً، سطر الأديب والكاتب الصحفي المعروف الأستاذ أحمد عبد الوهاب عدة مقالات رائعة عن الراحل فضيل بعنوان (رجل مهنته الكرم)، تطرق فيها لجوده وكرمه وشهامته وتسخير حياته للكرم واتخاذه له مهنة، ودعا الدولة وقبيلة الجعليين لتكريمه التكريم اللائق به.

الفصل التاسع عشر

رجال حول الحاج فِضيل

للراحل الحاج فضيل علاقات واسعة وأصدقاء كثر من مختلف قبائل وبلاد السودان وأطياف المجتمع. وغالبهم من تلك الفئة التي تلتقي معه في مكارم الأخلاق من جود وكرم وشهامة. ومنهم سياسيون وسفراء ووزراء وموظفين كبار وتجار ومنهم بسطاء ومن عوام الناس. وكان رحمه الله يكن لأصدقائه المودة والتقدير يزورهم في بيوتهم بماله وخيراته ويشاركهم مناسباتهم المختلفة، ويقف معهم في كل كبيرة وصغيرة. ويسأل عنهم إذا غابوا ويزورنهم وكانوا يبادلونه المودة والتقدير والاحترام ومن هؤلاء الأصدقاء نذكر:

المرحوم الطيب محمد الطيب

العلامة الأستاذ الطيب محمد الطيب من عشيرة الرزقلاب المجاذيب الجعليين العرمانيين بالدَّامر، أبناء رزق الله بن محمد بن الحاج عيسى ود قنديل بن عبد العالي بن عرمان الجعلي. وهو من مواليد منطقة المقرن ريفي الدَّامر والتي هي موطن أهله الرزقلاب بعد هجرتهم إليها من قوز الشعديناب بالدَّامر. والطيب علم على رأسه نار في السودان وخارجه. وكان محاضراً أولاً في الدراسات الاجتماعية والشعبية بمركز محمد عمر بشير بجامعة أم درمان الأهلية.

عمل الطيب بوحدة أبحاث السودان بجامعة الخرطوم وبوزارة الثقافة والاعلام مديراً لمركز الفولكلور. وهو مقدم برنامج صور شعبية الشهير والذي استمر لحوالي (٢٧) سنة متصلة ونال الكثير من الأوسمة والشهادات التقديرية.

كان الأستاذ الطيب من أقرب أصدقاء الراحل فضيل ومن المحبين له والمعجبين به، وكان يرى فيه لوحة شعبية مميزة في الجود والكرم والشهامة. وكثيراً ما كان يحضر لبيت صديقه فضيل بالشقلة شرق ويقضي لحظات تأملية في استقباله للضيوف وفي طريقة إكرامه لهم وله مقولات معبرة عن الراحل فضيل والقيم الانسانية التي كان يحملها في الجود والكرم، والتي ملأت الآفاق كما تطرقنا لها فيما تقدم

ويروى أن الطيب تمنى أن يحضر الحاج فضيل وفاته وعزاؤه، وقد كان له ما أراد، حيث توفي بتاريخ ٢٠٠٧م، أي قبل وفاة صديقه فضيل بثمان سنوات تقريباً، والذي توفي بتاريخ (٢٠١٥/١٢/١٢م). وقد شيع أهل السودان الطيب محمد الطيب في موكب مهيب تقدمه رئيس الجمهورية وصديقه الحاج فضيل كما تمنى ذلك رحمه الله وغفر له.

السفير المخضرم عثمان نافع حمد

وهو دبلوماسي شهير وسفير مخضرم من الشعديناب قبيلة الحاج فضيل وكان صديقاً حميماً ومقرباً له. ولد عثمان نافع بمدينة الدَّامر سنة١٩٤٠م. وتخرج ببكالوريوس الآداب من جامعة الخرطوم ١٩٦٤م. وحصل على دبلوم حلقة تدريب الدبلوماسيين العرب بيروت ١٩٦٨م، وماجستير الدراسات الاستراتيجية من الأكاديمية العسكرية العليا السودانية - الخرطوم ١٩٨٥م.

عمل ادارياً بمجلس ريفي غرب النوير- بانتيو بجنوب السودان ١٩٦٥م، والتحق سكرتيراً ثالثاً بوزارة الخارجية السودانية ١٩٦٩م، وبسفارة السودان ببيروت لبنان ١٩٦٩م -١٩٧١م، وسكرتيراً أولاً بالإدارة الإفريقية بوزارة الخارجية ١٩٧١ -١٩٧٣م، وبسفارة السودان بإثيوبيا. ومستشار/ وزير مفوض سفارة السودان ببون المانيا ١٩٧٧-١٩٨٠م، وسفيراً ومديراً للمكتب التنفيذي الوزاري بوزارة الخارجية ١٩٨٣-١٩٨٤م.

عمل سفيراً للسودان لدى جمهورية المانيا الديمقراطية - برلين ١٩٨٣ -١٩٨٤م، وسفيراً ومدير إدارة غرب أوروبا - وزارة الخارجية الخرطوم ١٩٨٤-١٩٨٥م، ودارساً بالأكاديمية العسكرية العليا السودانية - دورة الدفاع الثانية.

عمل سفيراً للسودان لدى اثيوبيا، ومندوبًا للسودان لدى منظمة الوحدة الافريقية. تقلد عدة وظائف بديوان وزارة الخارجية، منها مدير الادارة العربية، ومدير عام التعاون الفني ومدير عام الشؤون السياسية، وسفيرًا للسودان لدى دولة قطر.

له عدة بحوث في التفاوض الدولي، والتدريب الدبلوماسي، وعن البحر الأحمر والاستراتيجيات الدولية وبحث في القضية الفلسطينية. نال وسام الإمبراطورية الإثيوبية - نجمة اثيوبيا ١٩٧١م. ووسام الاستقلال الأردني من الدرجة الأولى - الحسين بن علي ١٩٩١م. ونال وسام الجمهورية السودانية من الطبقة الثالثة ١٩٩٧م. ونال وشاح الاستحقاق القطري ١٩٩٩م.

وكان بينه وبين الراحل فضيل تواصل حميم حتى وفاته سنة ٢٠١٥م، وقد سطر كلمات رائعة ومضيئة بحق صديق الراحل فضيل بمقدمة هذا الكتاب.

الحاج مَنْ السِيد أبو العول

وهو من قبيلة الجموعية الجعلية أبناء جموع بن غانم بن حميدان الجعلي العباسي، ومن أوائل أصدقاء الراحل فضيل. ويبدو أنهما تعرفا على بعض بمدينة الفتيحاب، بعد انتقال الحاج فضيل إليها من حي الموردة واستئجاره منه منزلاً بمربع ٤ جوار منزل أحمد فضل المولى. وقد سمى المرحوم فضيل ابنه المرحوم (مَنَّ السِّيْد) على صديقه مَنَّ السِّيْد أبو العول تيمناً به وبخلاله الطيبة. رحمه الله وغفر له.

المرحوم محمد علي الشيخ

المرحوم محمد علي الشيخ عباس عبيد الله، من الفقرا البخيتاب الأشراف الحسينية بمنطقة الجباراب جنوب بالدَّامر. وهو خال زوجة الحاج فضيل الحاجة آمنة محمد حمزة شقيق والدتها البراق الشيخ عباس. وكان من أحباب فضيل وأصدقائه المقربين.

اشتهر محمد علي بالجود والكرم والشهامة والمروءة والخلق الحسن الطيب والديوان المفتوح دوماً للضيوف والأهل وعابري السبيل، وحب الفقراء والبسطاء من الناس واكرامهم. وكان يعرف الأنساب وأهله وأرحامه معرفة وثيقة وجيدة ويقوم بوصلهم وبرهم بكل السبل والتعريف بعلاقته بهم.

وكان له تواصل حتى مع أرحامه الأشراف بجمهورية مصر العربية حتى وفاته. وقد سار أبناؤه على دربه في صلة الرحم ومحبة أهلهم وبرهم وفي الكرم والمروءة. رحمه الله رحمة واسعة.

الفريق ركن طبيب محمد عثمان الفاضلابي

وهو من الجعليين الفاضلاب أبناء دياب بن ضواب الجعلي القاطنين بمنطقة الفاضلاب غرب عطبرة. وكان برتبة فريق ركن طبيب جراح بالجيش السوداني وقائداً عاماً للسلاح الطبي بأم درمان لفترات طويلة. كان من الأصدقاء المقربين للحاج فضيل. أشتهر بأخلاقه العالية والكرم والشجاعة وانسانيته الجمة والمشهودة. توفي سنة ٢٠٠٥م. رحمه الله رحمة واسعة.

بروفسور حسن يسن محمد بدوي

البروفسور حسن يسن محمد بدوي من الجعليين الشعديناب بمنطقة الحصايا جنوب الدَّامر. وهو مهندس وأستاذ جامعي سابق بدول الخليج العربي. ورجل أعمال معروف وناجح وصاحب مصانع زيوت المأمون المشهورة. عرف بالالتزام والكرم والشهامة وأعمال البر. وكان من أصدقاء الراحل فضيل المقربين والمتواصلين معه حتى تاريخ وفاته. وفقه الله ومتعه بالصحة والعافية.

أحمد عبد الله الماحي

وهو من قبيلة الجموعية الجعلية بأم درمان، والشهيرة بالكرم والشجاعة والنحاس. كان ثرياً يملك الكثير من قطعان الماشية والأبقار ومجموعة من الشاحنات الكبيرة. وقد شهدناه كثيراً بمنزل الراحل فضيل بالشقلة. وقد حضر للعزاء في وفاة صديقه فضيل بالشقلة أمد الله في أيامه.

المرحوم أحمد فضل المولي

وهو من قبيلة الفتيحاب الجموعية الجعلية بأم درمان. وكان الراحل فضيل قد جاوره لفترة طويلة بمربع ٤ بالفتيحاب أثناء إقامته بالمنزل الذي استأجره من المرحوم من السيد أبو العول. كان أحمد فضل المولى كريماً شهماً، وربطت بينه وبين الراحل فضيل علاقة صداقة قوية وجيرة طيبة حسنة حتى صارا أسرة واحدة بالفتيحاب، وسمى فضيل ابنته السرة (زوجة المؤلف) على زوجة صديقه أحمد فضل المولى (السرة بنت الحبوب)، وكان ابنه عبد الله بمثابة الابن لحاج فضيل قبل أن ينجب أبنائه الصادق ومَنَّ السِّيد وعمر. رحمه الله رحمة واسعة.

ملك الدار محمد ملك الدار

من منطقة ود جار النبي بجهات جبل أولياء بأم درمان، وهومن أقدم أصدقاء فضيل. وأسرته من أقدم الأسر التي سكنت الشقلة برفقة أسرة فضيل وكان يرافق المرحوم فضيل كثيراً في رحلاته وأسفاره إلى قرية الجباراب بالدَّامر، حتى صار معروفاً لأهل المنطقة بالجباراب. ولا زال يقيم بالشقلة شرق. أمدَّ الله في أيامه ومتعه بالصحة والعافية.

بروفسور عمر أحمد قدور

الدكتور فريق شرطة عمر أحمد قدور من الجعليين الشعديناب العامراب بالجباراب بالدَّامر. ومن أقرباء الراحل فضيل من ناحية أبيه وأمه عن طريق جدهما الصالح حسين ود حمد الجعلي الشعدينابي. ويكن عمر قدور محبة وتقديراً كبيرين للراحل فضيل وكان يحرص على زيارته بمنزله بين كل حين وآخر. وقد رثاء بليغاً بعد دفنه بمقابر حمد النيل وخلال أيام وليالي العزاء بمنزل الراحل بالشقلة شرق.

ويعتبر د. عمر قدور من رموز السودان والجعليين الشعديناب في مجال الأدب والثقافة والاعلام وعلوم القانون والشرطة. ومن العشرة الذين صاغوا دستور السودان ١٩٩٨م بشكله النهائي. كما له معرفة واسعة بالقبائل والأنساب والأهل والأرحام.

حاز على درجة الأستاذية في القانون وعلوم الشرطة. وهو أستاذ جامعي في عدد من الجامعات والأكاديميات والكليات العليا داخل وخارج السودان. ومن مؤسسي جامعة الرباط الوطني وعميد الدراسات العليا بجامعة الرباط الوطني ومدير أكاديمية الشرطة العليا سابقاً.

وهو رئيس قضاء الشرطة والشؤون القانونية سابقاً. ومدير الادارة العامة للتخطيط والبحوث سابقاً. والرئيس الحالي للاتحاد القومي للأدباء والكتاب السودانيين (٢٠٢١م)، والأمين العام المساعد للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب ومساعد الأمين العام لاتحاد إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية لشؤون العضوية. وهو شاعر وكاتب بارز في مجال الأدب والشعر والحديث الأدبي.

صدرت له أربعة دواوين شعر هي «صوت من السماء» الذي قدم له العلامة عبد الله الطيب، وصدرت منه طبعتان، وديوان «عيون الآخرين» الذي قدم له مبارك المغربي ونشر في ذلك الوقت على نفقة المجلس القومي لرعاية الآداب والفنون ١٩٧٩م، وديوان «لن تغيب الشمس» وديوان «نشيد النيل».

ساهم بالكتابة الراتبة في بعض الصحف منها جريدة «السياسة» في الثمانينيات «فكر وفن»، وجريدة «أخبار اليوم» منذ تأسيسها، وجريدة «آخر لحظة»، وكان له فيها عمود «أطياف». إعلامي واذاعي له العديد من البرامج الاذاعية والتلفزيونية. مساهم مساهمة فعالة في الحياة الثقافية داخل وخارج السودان.

قال عن أدبه وشاعريته العلامة الدكتور عبد الله الطيب (أن الأستاذ القانوني الإداري الحربي والشرطي اللواء/ الدكتور عمر قدور من بحبوحة الشَعَدِيناب أدباً وشرفاً وموهبة شعرية).

المرحوم الفنان بابكر ود السافل

اسمه بابكر ابراهيم منصور وأشتهر ببابكر ود السافل. وهو من قبيلة الميرفاب الجعليين بمنطقة السعدابية جنوب بربر. وكان والده من أعيان الميرفاب، وذو مكانة كبيرة بينهم. ولد ود السافل في الثلاثينات من القرن الماضي، وتزوج من منطقة أم الطيور غرب عطبرة.

كان ود السافل صديقاً حميماً ومقرباً جداً للحاج فضيل وشاركه السكن مرات عديدة ولم يكونا يفترقان إلا نادراً.

انتقل ود السافل مبكراً إلى أم درمان حاملاً معه إيقاع الدلوكة المميز، وألتحق بدار فلاح للغناء الشعبي وتناغم مع رواد الفن الشعبي. وأصبح من أشهر فناني السيرة في مسيرة الأغنية السودانية. ومن البقعة انطلقت أغانيه إلى بقاع السودان المختلفة.

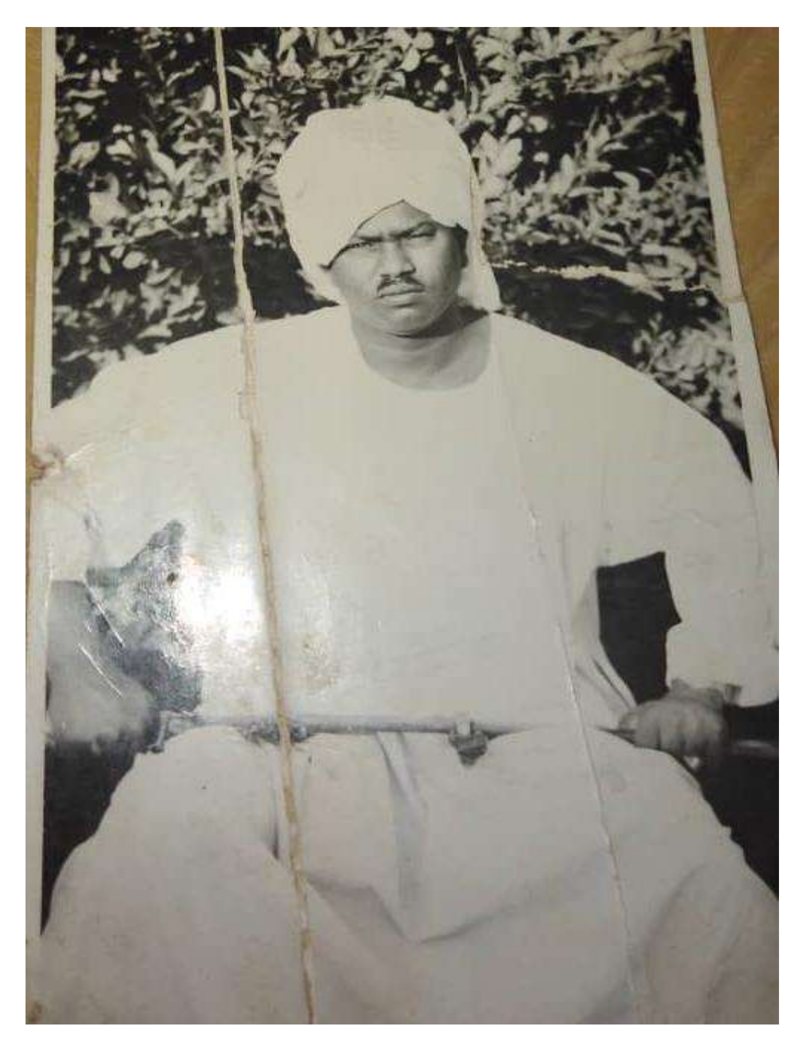
وأكثر من غنى له ود السافل هو الشاعر الرصين المرحوم محمد عيسى، من منطقة دار مالي المجاورة لموطنه السعدابية. ولود السافل مدائح في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

أقام ود السافل لفترة بحوش الفضيلاب بالموردة ثم بمنزل جبريل حسن فضيل ببانت. وكان صديقاً مقرباً لأحمد البشير بدوي عاشميق في بداية أمره بأم درمان ثم تشاركا السكن بمنزل استأجراه بالعباسية بأم درمان. وعن طريق أحمد البشير بدوي تعرف ود السافل على الراحل فضيل وقويت بينهما علاقة الصداقة.

شارك ود السافل في الغناء في حفل الزواج الثاني لوالد صديقه فضيل، المرحوم/ علي فضيل من زوجته كتيرة العوض. من أشهر أغاني ود السافل التي لاقت رواجاً كبيراً وانتشاراً واسعاً أغنية:

آمنــة الفي الضـــمير مــازيـانـي مـــا شـــــفـــتـــوهـــا يـــاخـــلانـــي

هاجر ود السافل للمملكة العربية السعودية، واستقر للعمل بالمنطقة الجنوبية. وتوفي هناك سنة ١٩٨٣م، ودفن بالبقيع بالمدينة المنورة رحمه الله رحمة واسعة وغفر له.



(الفنان الشهير المرحوم بابكر ود السافل ـ ١٩٦١م)

الملك ناصر عبد الرحمن

وهو من سلالة مكوك الجموعية الشهيرين بأم درمان. أشتهر بالكرم والمروءة والشهامة. وكان صديقاً حميماً ومقرباً للراحل فضيل حتى وفاته، وكثيراً ما سافر معه للمشاركة في مناسبات أهله الجعليين بالجباراب بالدَّامر. وتوجت علاقته بفضيل وأهل منطقة الجباراب بزواجه من الأستاذة الدهيبة العشاري محمد عجب وله منها أبناء وبنات.

وإني لأتذكر أن الملك ناصر كان مريضاً وطريح الفراش بمنزله بأم بدة، وكان فضيل وقتها في زيارة لشيوخ الصادقاب بالفاو. ولما عاد من هناك أحضر منهم علاجاً لصديقه ناصر، وطلب مني مرافقته إلى بيته لزيارته وإعطائه العلاج. وعند اقترابنا من البيت شاهدنا صيواناً ينصب قرب بيت الملك ناصر وجماعة بالمقابر يحفرون قبراً.

طلب الراحل فضيل من سائق سيارة الأجرة التوقف قليلاً للاستفسار، وسأل أحد المارة، فقال له أن الملك ناصر قد توفى قبل قليل. فحزن المرحوم فضيل حزناً كبيراً على الخبر المفجع بموت صديقه. وعندما وصلنا إلى بيت الملك ناصر انفجر بالبكاء والنويح على فقد صديقه المقرب، ومكث أياماً بالعزاء، رحمه الله رحمة واسعة.

عطية محمد عبد الرحمن كنتوش

وهو من الكناتيش العامراب الشعديناب بالجباراب جنوب الدَّامر. وكان كصديقه المرحوم فضيل قامة سامقة في الجود والكرم والمروءة والشهامة والإيثار على النفس والشجاعة ونفاذ الكلمة. ذو نفس تجمع مكارم الأخلاق السمحة والقيم النبيلة وقلما تجد له مثيلاً. ويعد من رموز الكرم الحاتمي الأصيل على مستوى قبيلة الجعليين والمنطقة والشَعَدِيناب. كان يعطي بلا من ولا أذى عطاء من لا يخشى الفقر حتى أصبح مضرباً للمثل في هذا الشأن وخلد في ذلك قصصاً كثيرة متفردة ومدهشة تملأ مجلدات. واشتهر بترديد كلمة (جرابيع) بكثرة وغضب، في مواجهة أصحاب المواقف الضعيفة والمهزوزة وحالات البخل ونقص المروءة.

أشتهر عطية بالنظافة وحسن المظهر والهندام. وكان من كرمه لا يرد طالب حاجة قط سخر نفسه وماله ونفوذه وعلاقاته الواسعة مع المسئولين وغيرهم لقضاء حوائج أهله ومعارفه وأصدقائه والوقوف معهم ودعمهم في كل الأوقات والحالات. وقد اعتاد أن يرسل في كل موسم عربة قطار محملة بالعيش من القضارف لتوزع على الأهل والمحتاجين بالجباراب وأم بوري. وعندما يعود للبلد بعد موسم الحصاد ينفق جميع أمواله على أهله ومعارفه والمحتاجين، ثم يعود لمقر عمله بالقضارف خالي الوفاض.

ومن نوادره في الكرم الحاتمي أنه كان يمر صباحاً على جزاري القرية برفقة أحد أبنائه أو طفل من أطفال الأهل ومعهم الأواني المنزلية، ويتوقف أمام التربيزة التي يكوم عليها الجزار اللحمة، ويخاطب الجزار والأطفال قائلاً: (الكوم دا ودوه لفلان، والكوم داك رسلوه لي فلانة، والكومين ديل ودوهن لفلان... الخ). وهكذا إلى أن يوزع جميع أكوام اللحمة إلى أصحابها ثم يعطي الجزار ثمنها.

حكا أحد الذين سافروا معه بالقطار من الخرطوم للدامر أنه كان يوزع الأموال والخبز والطعام بمحطة السكة حديد، ويرمي بالرغيف محشواً بالمال للأعراب والبدو أثناء مرور القطار بالمناطق الخلوية. وعندما قال له مرافقه: يكفي أن ترمي لهم المال فقط رد عليه عطية :(أنه إذا رمى لهم المال فقط فربما لا يجدوه أو لا يستفيدوا منه إذا وجدوه في تلك المناطق الخلوية، وأنا أريد لهم أن يجدوا المال والرغيف في نفس الوقت). توفي سنة ١٩٧٩م رحمه الله رحمة واسعة.

الفصل العشرون

المرض الأخير والرحيل المرير

الإصابة المفاجئة بالجلطة:

عند الساعة السابعة صباحاً من يوم السبت الموافق (٢٠١٢/٠٩/١٥م)، وأثناء تناوله شاي الصباح كما هي عادة السودانيين، شاءت ارادة الله أن يصاب الحاج فضيل بجلطة مفاجئة، سببت له عجزاً كاملاً بالجهة اليمنى من جسمه، وأقعدت به عن الحركة والكلام. وعلى إثرها ظل حبيس المنزل وغير قادر على مشاركة أهله ومعارفه أفراحهم وأتراحهم، بعد أن كان سيد المناسبات الاجتماعية المختلفة ورجلها الأول.

محاولات علاجه بالسودان ومصر

وجرت محاولات كثيرة لعلاجه بعدة مستشفيات ولدى أطباء اخصائيين كبار داخل السودان برعاية واشراف قريبه اختصاصي المخ والأعصاب دكتور الفاضل عثمان العوض أواد، من المناصير الشعديناب بالجباراب جنوب الدَّامر وأحد أقرباء الحاج فضيل.

وبعد فترة من العلاج الطويل والمستمر بالسودان، قرر فضيل السفر إلى العاصمة المصرية القاهرة بغرض مواصلة العلاج والاستشفاء هناك. ورافقه في رحلة العلاج ابنه الصادق وزوجته الحاجة آمنة محمد حمزة والمؤلف. وظل يتلقى العلاج لمدة ثلاثة عشر يوماً بالقاهرة على يد الطبيب المصري المعروف أحمد زهدي، وشمل العلاج السباحة والدلك وحدث تطور ايجابي بسيط في صحته.

وبعد عودته من القاهرة إلى أرض الوطن واصل الحاج فضيل علاجه بمستشفى تقي ومستشفى آسيا بأم درمان، تحت رعاية الأطباء عمر وعفاف محمد اسماعيل. واستمر العلاج لمدة ثلاثة سنوات متصلة. وتحسنت حالته الصحية كثيراً. ولكن قدر الله أن يظل أسير المرض وحبيس داره بالشقلة شرق بالفتيحاب وفي حالة عجز كامل عن الحركة والكلام. ولكنه ظل محل عناية الأهل والأصدقاء والأحباب يزورونه ليلاً ونهاراً، داعين له بالشفاء والعودة لميدان الكرم والترحاب والجودية، ولسان حالهم يردد قول المتنبي بمناسبة شفاء الأمير سيف الدولة الحمداني:

المجد عوفي إذا عوفيت والكرم وزال عنك إلى أعدائك الألم

وبعد اصابة عمها الحاج فضيل بالجلطة، والتي أقعدته عن الحركة والكلام، وجعلته حبيس المنزل، جادت قريحة ابنة أخيه الشاعرة الأستاذة زينب عباس بدوي عاشميق، بقصيدة رائعة عبرت فيها عن مكانته العظيمة بين الناس، وفي الكرم والجودية وحل المشاكل، وعن الفراغ الذي خلفه غيابه عن الساحة، وعن حزنها الشديد لمرضه، وعن فقد الأهل والقبيلة له، قالت فيها:

معروف المرض بصـــيب خيار الناس	لكن ضــــربنـا نحن في وتر حســـاس
ومن دون البنـا هبش قواعد الســـاس	ومـن دون الـجـواهـر عـزل الألـمـاس
دة فضـــيل العليهو كل القلوب مجتمعة	والكرم الحقيقي مـا هو ســـاكـت لمعـة
دايرينك يا فضيل تتبرا وتطيب وتقيف	لكل المواقف البتدور حســن تصـــريف
ولكل المواقع البتدور همام وحصـــيف	مـا يـاك الخريف المـا وراهو خريف

وما ياك البحر الما بسدو القيف

تنجيك يا فضـــيل نيتك وأعمـالك	وتتكتب ليك العافية وتجيب على سـؤالك

من طرائف تنويمه بالمستشفيات السودانية

ومن القصص الطريفة التي حدثت أثناء علاجه بالمستشفيات السودانية أن الحاج فضيل كان منوماً بالجناح الخاص بمستشفى أم درمان. وكان الأهل والمعارف والأصدقاء يأتون زرافات ووحداناً لزيارته بالمستشفى. وحقق المستشفى دخلاً مادياً كبيراً جداً خلال الأيام الثلاثة التي حل فيها فضيل منوماً بها، حيث يقوم زوار المستشفى بدفع مبلغ مالي كقيمة للزيارة ودخول المستشفى.

ويحكى أنه ذات يوم حصل نقاش حاد بين أحد موظفي المستشفى ومديرها العام، حيث طلب الموظف سلفة مالية على الراتب من المستشفى، فرفض المدير العام طلبه بحجة عدم وجود المال. فصاح الموظف في وجه المدير وقال له (كيف قروش مافي وهلال مريخ شغالة ليها تلاثة يوم؟!!). ويقصد الموظف بمريخ هلال أن دخل المستشفى خلال الأيام الثلاثة الماضية لتنويم الحاج فضيل بها كان مثل دخل مباريات مريخ هلال الشهيرة، والذي عادة ما يكون ضخماً عطفاً على الجمهور الكبير للفريقين وحدة المنافسة بينهما.

الرحيل المرير

بتاريخ الخميس الموافق (٢٠١٥/١٢/١٠م)، حدث تدهور مفاجئ في صحة الحاج فضيل، وتم على إثره نقله إلى مستشفى تُقى بأم درمان وتنويمه هناك. وتوافد الناس من فج عميق لزيارته والاطمئنان على صحته والدعاء له. وظل الحاج فضيل يتلقى العلاج بهذا المستشفى حتى انتقل إلى الرفيق الأعلى عند أذان فجر السبت الموافق (٢٠١٥/١٢/١٢م) الموافق غرة ربيع الأول (١٤٣٧/٠٣/٠١هـ).

انتشر خبر وفاته بسرعة كبيرة وملأ الأفاق والأسافير، وتسارع الناس من كل البقاع إلى مستشفى تقى واحتشدوا هنالك على قلب رجل واحد، ليستودعوا حبيبهم فضيل رباً لا تنسى ودائعه. وبكاه الناس بكاء حاراً وبدموع الدم كما يقال. وفقدوه بفقده قامة عظيمة لا تعوض في الجود والكرم والشهامة والمروءة وخدمة الناس والمجتمع.

التشييع المهيب للراحل

تم تشييع الحاج فضيل إلى مثواه الأخير تشييعاً رائعاً مهيباً كما تشيع الشعوب والأمم رجالاتها الأفذاذ عادة. وكان مشهد التشييع والدفن من الهيبة والجلال بحيث لم تشهد مدينة أم درمان العريقة مثيلاً له في تاريخها الطويل.

وجسد ذلك التشييع المهيب حقيقة ومكانة الراحل في قلوب الناس ومدى حبهم وتقديرهم له ولما كان يحمل من قيم ومكارم أخلاق.

دفن المرحوم فضيل عند الساعة العاشرة والنصف من صباح السبت (٢٠١٥/١٢/١٢م)، الموافق (١٤٣٧/٠٣/٠١هـ)، بالجزء الجنوبي الغربي من مقبرة الشيخ حمد النيل الشهيرة غرب أم درمان وقبره بيّن هناك.

وشهد مراسم دفنه جمع غفير من الأهل والمعارف والأصدقاء من مختلف ألوان الطيف السياسي والاجتماعي والثقافي والرياضي. وكانوا جميعاً في العزاء فيه سواء. وكانت أيام وليالي عزائه حدثاً استثنائياً فريداً واستفتاء عظيماً لمكانته في القلوب وبين الناس، وقل أن يشاهد مثله في عالم العزاء والمآتم.

وبرحيله المرير المفجع عن الدنيا، فقد السودان علماً من أعلامه البررة، ورمزاً عظيماً من رموز الوطنية الحقة المتسمة بالتضحية والفداء والاخلاص لأجل الأخرين. وغابت عن الدنيا

وبلاد السودان ودار جعل، شمس الانسانية ومكارم الأخلاق السمحة والتي ظلت ساطعة مشرقة بالخير والضياء لحوالي الثمانين عاماً من الزمان، وأفل بدر الجود والكرم والشهامة والرجولة الحقة والمروءة وخدمة الناس والمجتمع، وانطوت بموته مسيرة حياة عظيمة وحافلة ومليئة بكل القيم الانسانية النبيلة، التي قل أن تتكرر في عالم البشر وعلى هذه البسيطة.

التأبين بالمقابر

وبعد الدفن تبارى الخطباء من الأهل وغيرهم في نعي وتأبين حاتم دار جعل وحاتم أهل السودان الحاج فضيل علي فضيل أحمد. واتفقت كلماتهم الحزينة الباكية في أنهم ينعون في الحاج فضيل الانسانية المشرقة، ومكارم الأخلاق النبيلة والجود والكرم والشهامة والأريحية، والجودية وخدمة الناس والمجتمع وصلة وبر الرحم وحل المشاكل والخلافات، والتي كان يبذلها بسخاء وفرحة انطلاقاً من طبع سخي وسجية سمحة وفطرة مستقيمة وبلا من ولا أذى أو انتظار مقابل مادي أو أدبي.

أكد الناعون أن فقده كان فقداً عظيماً للأهل والمجتمع وقبيلة الجعليين والوطن الكبير. وأن ذكراه الطيبة وسيرته العطرة ستبقى حية متقدة دوماً، وستظل إحدى المنارات المتوهجة الضياء في طريق الكرم والشهامة وخدمة المجتمع والوطن. وسيظل اسمه منقوشاً في صفحات أفذاذ رجال السودان إنسانية وكرمًا وعطاء ووطنية مخلصة ومحفوراً في سجلات التاريخ ما بقي على البسيطة إنسان يمشي على رجلين.

رحم الله الحبيب الانسان العظيم الأجواد الكريم الشهم، وصاحب المروءة والخلق الرفيع الخال فضيل علي فضيل رحمة واسعة، وقدس روحه ونوّر قبره، وسقى ضريحه صوب الرحمة والغمام وأسكنه ببيت الكرماء في الفردوس الأعلى من جناته العلى. وجعل البركة في عامة أهله وأحبابه وأصدقائه ومعارفه وفي أرملته الحاجة آمنة وفي أبنائه وذرياتهم ومتعهم بالصحة والعافية.



(قبر المرحوم الحاج فضيل بمقبرة الشيخ حمد النيل بأم درمان)



(بعض متعلقات الحاج فضيل/ العصا الكريز التي كان يحملها دوماً وحذاء)



(قبر المرحوم محمد عباس فضيل ابن عم المرحوم الحاج فضيل)



(قبر المرحوم الخير الطيب فضيل ابن عم المرحوم الحاج فضيل)

مقبرة الشيخ حمد النيل بأم درمان

تقع مقبرة الشيخ حمد الشهير بالنيل - والتي ضمت جسد أيقونة الكرم والشهامة الحاج فضيل علي فضيل - إلى الجانب الغربي من أم درمان. وسميت المقبرة على الشيخ الصالح / حمد ابن الشيخ أحمد الريح بن الشيخ يوسف أبو شرا من قبيلة العركيين الرفاعية الجهينية ومركزهم أبو حراز بالجزيرة، وأحد خلفاء سجادتهم الشهيرة في الطريقة القادرية العركية.

عاش الشيخ حمد النيل بين أهله في أبي حراز بالجزيرة. ولقب حمد بالنيل كناية عن الجود والكرم والزهد في الدنيا. وكان حمد النيل كريم اليد وافر العطاء والجود غزير العلم وتحلق من حوله آلاف المريدين. وكان يقوم بإرشاد الناس وتعليمهم الفقه والعلوم الشرعية. وتخرج في مسيده كثير من حفظه كتاب الله من كل بقاع السودان وأخذوا الطريقة على يديه.

ولما طبقت شهرته الآفاق استدعاه الخليفة عبد الله التعايشي لأم درمان في فترة المهدية وحبسه مع كثير من عمد ومشايخ الطرق الصوفية والقبائل بسجن الساير خوفاً من تحلق الناس حولهم (٩٥).

ذكر الأسير الألماني والطبيب (شارلس نيوفيلد)، والذي كان سجيناً بسجن الساير بأم درمان لمدة (١٢) عاماً في كتابه (سجين الخليفة -اثنا عشر عاماً أسيراً بأم درمان)، أن الشيخ حمد النيل من النيل الأزرق وكان معلماً للدين وأنه رافقه في سجن الساير، وكان يعلم الناس القرآن والعلوم الدينية بالسجن ويعلمه كيف يقرأ ويكتب العربية، ويتناقش معه حول مرتكزات الديانتين الاسلامية والمسحية (٩٦).

توفي الشيخ حمد النيل بسجن الساير بأم درمان قبل ستة أشهر من معركة كرري. ودفن قرب النيل الضفة الغربية، جهة المسرح القومي وبجوار الطابية. وبعد سنة من وفاته رأي أحد حيرانه الشيخ حمد النيل في المنام يقول له أن ماء النيل قد وصل قبري فأنقلوني من هنا. ولما تكررت الرؤيا لثلاث ليال تم نبش قبره ووجدوا جثمانه وكأنه قد دفن للتو فحملوه ودفنوه في مكانه الذي هو فيه الأن، وكان ذلك سنة ١٨٩٨م ولكن يرجح أن تاريخ إنشاء المقبرة يعود إلى سنة ١٨٢١م ولكنها لم تعرف بمقابر حمد النيل إلاَّ بعد أن دفن هو بها (٩٧).

٩٥- مقالات عن مقابر حمد النيل بشبكة الانترنت.
٩٦- سجين الخليفة -إثنا عشر عاماً في أسيراً بأم درمان، شارلس نيبوفلد، ص ٧٣-٧٤.
٩٧- شبكة الانترنت.

يقول الأستاذ الطيب محمد الطيب، أن أحد من يثق فيهم خليفة المهدي رأي في منامه رؤيا شاهد فيها الشيخ حمد النيل، وكان يقول له (الماء الماء)، وبعد فترة رأى رجل صالح من الأنصار نفس الرؤيا، وأن الشيخ حمد النيل كان يقول له (الماء الماء)، فلما تيقن الخليفة من صدق هؤلاء قال للأنصار أنبشوا قبر حمد النيل، فنبشوه ووجدوا الجثة طافحة على وجه القبر، وأخبروا الخليفة بما شاهدوه، فقال لهم (شيلوا الجثمان وأدفنوه في الجانب الجنوبي الغربي) محل المقبرة الحالي، فحملوه وقبروه كما وجههم الخليفة ([٩٨]).

وكان والد المؤلف (الطيب علي) رحمه الله وغفر، من أحباب الشيخ عبد الباقي بن الشيخ الشيخ حمد النيل وخليفة والده في السجادة العركية، وكان رجلاً صالحاً كريماً يخدم أحبابه وضيوفه وزواره وحيرانه بنفسه وحافياً. واشتهر كذلك ببناء المساجد وقد قيلت بحقه الأغنية الشعبية الشهيرة (تبكيك الجوامع الإنبنت ضانقيل) والتي يؤديها الفنان الكبير محمد الأمين.

أخذ والد المؤلف الطريقة القادرية على يد الشيخ عبد الباقي بن الشيخ حمد النيل الرفاعي العركي المنتهي نسبه بسيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ)، والشهير بأزرق طيبة، والذي تقلد الخلافة سنة ١٨٩٨م، والمتوفى سنة ١٩٥٢م عن ١٠٧ سنة ([٩٩])، وقد سمى والد المؤلف ابنه (عبد الباقي) على الشيخ عبد الباقي بتوجيه منه في رؤية منامية، أخبره فيها بانه سينجب ابناً وطلب منه تسميته عليه فنفذ الوالد رحمه وصيته المنامية وسماه عليه. وكان والد المؤلف كثيراً ما يزور شيوخ السجادة العركية بطيبة الشيخ عبد الباقي برفقة ابنه المؤلف للسلام والتبرك والمجاملة.

أيضاً سمى الوالد كذلك ابنه (حمد النيل) وشقيق المؤلف والمقيم وأسرته بمدينة العزازي بالجزيرة، على الشيخ حمد النيل والد الشيخ عبد الباقي تيمناً به وتبركاً، وكذلك صهره والد زوجته الأستاذ الفقيه فضل الله بلة علي عوض وشقيقه علي وأولادهما، وأولاد الدالي والأستاذ بابكر عثمان احمد فرحولة وأولاد الرفيق وجميع المذكورين من الشعديناب العرامنة بالدَّامر ويقيمون بالعزازي، ومن أهل الكرم والنخوة والشهامة والمروءة وحسن الاستقبال والضيافة.

٩٨- بيت البكا - الطيب محمد الطيب- هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، ص ٤٤.
٩٩- قبائل رفاعة الكبرى في السودان، بروفيسور الفاضل العبيد عمر، ص ١٥٠-١٥١.

ومقبرة الشيخ حمد النيل بأم درمان هي مقبرة الجعليين الشعديناب بأم درمان، ومنهم العمدة عباس رحمة الله وبعض أهله، وآل الجرق وآل الحوري وغيرهم. كما هي مقبرة أبناء عمومتهم الفضيلاب بتلك المدينة كذلك.

دفن بمقبرة الشيخ حمد النيل غالب الذين توفوا من الفضيلاب، ومنهم على سبيل المثال (جبريل وحمد وفضيل وعائشة أبناء حسن فضيل)، وعلي وبتول ورابحة وفاطمة وسيدة وعجوبة أبناء جبريل حسن، وعباس فضيل الشهير بالمدير وأبناؤه محمد وأحفاده كمال وكفاح، والعبد أحمد فضيل وابنه حسن وابنته التومة، ومحمد زين جاد الله الشهير بـ (الزين أب شَعَر)، وأخته حليمة جاد الله، وبدر الدين وعوض وصالحة أبناء حمد فضيل، وأولاد الطيب فضيل حمزة، والخير وبت المِنى وحكم السيد، وكذلك زينب بخيت التوم الدفيعابية وأبنيها محمود وحسن الزبير.



(مقبرة الشيخ حمد النيل غرب أم درمان)

الفصل الحادي والعشرون

المـــراثي

بعد وفاة المرحوم فضيل رثاه الكثيرون نثراً وشعراً، لكن، ولأسباب كثيرة منها عدم الحفظ والتوثيق لم نستطع الحصول إلاَّ على قليل من تلك المراثي ومن ذلك:

رَحل.. رَحل الكُحُل

عبد الماجد محمد السيد*

ومضى والابتسامة ذاتها تجمل وجهه والبشاشة لم يقل لنا وداعاً رغم أنه دائماً ما يقول لنا (حرم حبابكم).

أتضن علينا بالوداع وقد عهدناك غير ضنين؟؟

لمن تركت الترحاب؟؟

أقسى ما سمعته هذا الأسبوع أنك رحلت!

ورحل آخر (عوج الدرب) في بلادنا آخر الرجال الجبال رحل لم يسقط الجبل.. لم يهده المرض ولكن ذهب.. الرجل ذهب وما أندر الذهب..

نسيت أن أحكي لكم عنه!

هو من يخجل الكرم عنه وتستحي المروءة هو قيم تمشي.. تسعى بيننا بالخير.. تقري الضيف وتحقن الدماء.. فقير إلاَّ من حب الناس له.. منفق حتى تحسب أنه أكثر الناس ثراء.

بيته لا يخلو من الطلاب.. طلاب الدراسة أبناؤه وطلاب العلاج أهله.. وطلاب السكينة قاصدوه.. ولو كان مثله ثلاثة لما نشأت في المدينة الفنادق ولما قصد الناس الخان.. ديوانه للكل ووقته للكل وجهده للكل وماله للكل ونفسه للكل!

هو أبو الصادق أبو علي.. أبو مَنَّ السِّيْد اليافع الذي رحل هو القبيلة الأهل الوالد الصديق.. الرفيق..

رجل هو كل الناس وكل الرجال هو العرض والمال..

أبو علي فضيل علي فضيل.. يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة..

ألوان من الجمال هو.. (كل الطيوب الحلوة) ما جالسه أحد ووجد فيه ريح منتنة!

إلهي!

هل الطيبون وحدهم هم من تنتقي؟

هل الكرماء وحدهم هم أسرعنا إجابة لك ومن حببتهم في الخير وحببت الخير إليهم؟

هو عندك الآن وأنت تعلم.

أنه ما دخل بيته زائر إلاَّ ونال ما قسمته له. وما قصده قاصد إلاَّ واستجاب له. وما سالت دماء إلاَّ وهو حاقنها. وما اختلف زوجان إلاَّ وألف بين قلبيهما.

هو شيء من خصال الصالحين ودوحة في حديقة الأنبياء ... هو كل من جمال ونبل من خصال.

هو أب علي. الإيدو عطّاية. البعصر جنايا.

هو الشهامة والمروة والنجدة بشلوخ ثلاثة وبسمة وعصاية.

هو (اللدر العلى ضهرو الخبوب والطين ما بياكل الضعيف وما بسولب المسكين).

هو حامي الحمى (ان وردن بجيك في أول الواردات).

هو كل ما تربينا عليه من قيم وكل ما نهلنا من معاني.

هل تراني أستطيع أن أقول للناس من هو فضيل؟

فضيل أصعب امتحان في الحديث والكتابة.

هل بين الصالحين والأنبياء مكان.

إن كان ثمة مكان فمن يتبوأه هو فضيل.

ليس بعزيز على الله فهو من أوجده وهو من أخذه.

ولكن هل سألنا أنفسنا لماذا جاء إلى دنيانا فضيل؟.

جاء ليعلمنا الكرم ويدثرنا بالشهامة ويزملنا بالمروءة ويقول لنا كونوا للناس مثل ما أكون.

أترانا نكون مثلك؟

هل نقوى على شد الرحال لمن شاكته شوكة؟؟؟

هل نقوى على الابتسام رغم الشدائد والإحن؟

هل نقوى على خدمة الناس وتكريس وقتنا لهم مثلما فعلت أنت؟؟

لا إجابة!

فبين ابتسامتك وترحابك.. وبين ابتسامتنا وترحابنا.. شاسع البون.. وقطبي الكون.

أنت من زمان العظماء!. طائي أنت؟ بدري أنت؟.

مسلم سلم الناس من لسانه ويده.

ونحن: من نحن؟ من خصالك؟؟. نحن بعدك زغب الحواصل لا ماء ولا ثمر.

لن نطولك قامة أبداً ولن ننفك منك.

و .. رحل رحل الكُحل الفي موازينو تقيل.

إلهي!. انه بين يديك.. كافل الأيتام ومطعم الطعام.

يناجيك والناس نيام. فأحسن اليه فقد اشتققنا له من اسمك اسماً ووصفناه كريم والكريم لا يضام عندك،

فادخله مدخل صدق. وأحسن اليه فقد شهد له عبادك أنه كان من عبادك المخلصين.

والحمد لله رب العالمين.

- شاعر وأديب واعلامي بتلفزيون وإذاعة القضارف.

وداعاً قبلة الضيفان

قسم الله مختار محمد عجب - أبو مختار

رحل سيد الشهامة وخل الجفون جاريات ... ربــاي الـيـتــامـى ودخـريـنـا لـلـحـوبـات

الفــاق حــاتم وزايــد عليهو صـــفــات ... وأســـفـــاي عـلـيـهـو الـلـيـلــة ودع فــات

رحل أبو الصـــادق وفقد للقبيلة خســـارة ... أب كرماً وفير من الضـــيوف ما اضـــارة

في الحوبات تلقاهو عينو حمرة شـــرارة ... حلال للعقـد بي رايـاً ســـديـد ومهـارة

حليـل أب قلبـاً نظيف وصـــــافي النيـة ... وينو البقــابلــك بي مرحبتين حبـابـك ميـة

ان جــاتـو الألـوف عـنـدو مـا همـيـة ... بيـتـو فــاتـح ديـمـة صـــبــاح وعشـــيـة

رحل جبل الثبات العليهو الضيوف بتميِّل ... ويـن مـلـجـانــا الـعـنـدو نـبـيـت ونـقـيِّـل

شـــكرك كتير وحقيقـة مــاهو قليـل ... انا ما قايل الظروف تفرقنا أصــلو ما متخيل

فرقك يا أبو الصادق قاسي وعلينا مصيبة ... ومــا أظن فصـــيلتـك حوة تــاني تجيبـة

ســـت بيتو بتقيف من الصـــباح للغيبة ... جامعة تلاتة خصـايل الجود والكرم والطيبة

اتحزم يا الصـــادق الحمولة عليك كبيرة ... والـبـنــاهــا أبـوك أوعــة مـن تـكســـيـرة

الـجـود والـكـرم والـرحـم والـجـيـرة ... ثــابـت كــالجبـل عنـدو العســيرة يســيرة

فــارقنــا البشـــوش وقبلــة الضـــيفـان ... عنـد كـل الجميع محبوب وليـه مكـان

ســـائـل الله الكريم راجيـك يـا رحمـان ... تجعلو في الفردوس جوار علي وعثمـان

قصص ومأثر من حياة العم فضيل علي فضيل الجعلي

بقلم: محمد سليمان حسن

نشر المقال بموقع الحاج فضيل (حاتم دار جعل) على الفيس بوك بشبكة الانترنت.

أحكي لكم قصص ومواقف خالدة من حياة المرحوم العم فضيل علي فضيل الجعلي الرجل الشهم الكريم الحبوب.

هذا الرجل الذي تعتبر حياته قدوة حسنة ونموذج بكل ما تحمل الكلمة من معاني. وهو رجل قضي كل حياته في الكرم والجود والمجاملات الاجتماعية. أحياناً يأتي من فاتحة (عزاء في الأموات) من مكان بعيد قبل أن تطأ رجله منزله يسمع بخبر فاتحة أخري، يذهب لها بكل تجرد وتفانٍ مهما بعدت مسافتها حتى إذا كانت خارج الخرطوم.

ومنزل العم فضيل وديوانه مفتوحان على طول اليوم للضيوف والزوار والطلبة. ومن منزله وديوانه الواسع العامر تخرج الأطباء والضباط والمحامين وكبار الموظفين، الذين كانوا يأتون من منطقة الدَّامر بنهر النيل وغيرها، ويقضون فترة دراستهم بديوانه العامر وصدره الرحب.

العم فضيل على فضيل من منطقة الجباراب جنوب الدَّامر بولاية نهر النيل. هذه المنطقة المعروف عن أهلها الكرم والجود والبشاشة من قديم الزمان.

أتي العم فضيل الي منطقة الفتيحاب في بداية السبعينات، قادماً لها من الموردة. كان العم فضيل يعمل بتجارة السمك ما بين زنك الخرطوم القديم وسوق الموردة ومشرع الموردة. وكان من كبار الموزعين للسمك بالخرطوم وجميع أسر أم درمان القديمة تعرفه، حتى أنه حينما تم قبول ابنه عمر بجامعة التقانة بأم درمان التابعة لأسرة البرير.

استدعي صاحب ومالك الجامعة الدكتور معتز البرير الطالب عمر فضيل، وقال له: يا ابني انت ود عم فضيل الكان شغال في السمك زمان؟ قال عمر نعم. معتز البرير كتب له في استمارة القبول يعفي هذا الطالب من الرسوم، وقال له: يا ابننا عمر أبوك فضيل دة ربانا مع أبونا، كيف نشيل منك رسوم، وانت ود فضيل؟ إنت تقرأ مجان، وإذا احتجت لأي شيء تجيني في مكتبي!!. شكره الطالب عمر فضيل على ذلك وانصرف بعدها ليكمل تعليمه حتى تخرج مهندساً في تلك الجامعة.

نأخذ عينات من مواقف ومأثر من حياة العم فضيل الكثيرة والتي لا يمكن أن نحصرها في هذه المساحة.

مشهد أول:

للعم فضيل ابن ربنا يرحمه ويغفر له اسمه مَنَّ السِّيْد، كان يدرس بالمرحلة المتوسطة بأم درمان. وشاءت إرادة المولي أن يحدث له حادث حركة وهو راجع من المدرسة وتوفي الي رحمة مولاه سنة ١٩٩٢م.

سمع العم فضيل بالخبر وبكاءه بكاء شديداً، وحينما حضر أهل الجاني الي منزله بالفتيحاب وهم يحملون معهم جوالات السكر والمواد التموينية، استقبلهم العم فضيل بكل ترحاب، وقال لهم: (علي الطلاق انتو تخشو بيتي وحاجاتكم دي ما تخش بيتي، وعلي الطلاق الميت ولدي والحي ولدي وعافي ليكم لله ورسوله).

مشهد ثاني:

عرف عن العم فضيل أنه كان من أنصار الامام المهدي، لدرجة أنه كان يصلي صلاة العيد في مسجد السيد عبد الرحمن بود نوباوي، ويأخذ معه ابنه عمر أصغر أبنائه. وبعد صلاة العيد كانت توزع أوراق الخطبة على المصلين، وبعد وصولهم المنزل يأمر ابنه عمر ليقوم بقراءة الخطبة له مرة أخري ويتمعنها.

وكانت هنالك علاقة صداقه حميمة ما بين الامام الصادق المهدي والعم فضيل على فضيل، لدرجة أن أكبر أبنائه سماه الصادق تيمناً بالسيد الصادق المهدي.

في أحد الأيام حضر السيد الصادق المهدي الي منزل العم فضيل بالفتيحاب دون أن يعلمه بالزيارة، وكان العم فضيل في تلك الأيام متوقفاً عن العمل ويمر بضائقة مالية. وأثناء وجوده بديوانه سمع بأحد يطرق الباب فتح العم فضيل الباب، فاذا به يجد السيد الصادق المهدي والوفد المرافق له.

وبعد ان استقبلهم ببشاشته وكرمه المعهود، نادى ابنه الصادق الصادق: يا ولدي. رد ابنه نعم أبوي قال له: جيب السكين وتعال، حاضر أبوي حضر ابنه ومعه السكين فإذا الجميع يتفاجأوا بأن العم فضيل يرقد على الأرض، ويقول لابنه الصادق (لو ما ضبحتني(ذبحتني) ماعافي منك). الناس دخلو في حيرة من أمرهم وقالوا له (لا يا عم فضيل استهدي بالله صلي علي النبي أقيف أقيف)، قاليهم كيف يجيني السيد الامام في بيتي ويجدني ما عندي شيء معدم،

(لا يا عم فضيل لا صلي علي النبي قول خير الموضوع عادي أعفي من ابنك). وبعد نقاش وجدل طويل اقنعوا العم فضيل بالقيام من الأرض والعفو عن ابنه الصادق.

ومن شجاعة العم فضيل ومواقفه، أنه في أحد الانتخابات العامة قاليهم أنا المرة دي سأصوت للرئيس عمر البشير، لكن ماشي آخذ الأذن من السيد الصادق وأوريهو بعدها ذهب للإمام الصادق وأخبره.

مشهد ثالث:

للعم فضيل كذلك معرفة وعلاقة حميمة بالسيد رئيس الجمهورية المشير البشير، وكثيراً ما يجادله في المناسبات الاجتماعية التي يجده بها.

في أحد المرات مرض العم فضيل وكان طريح الفراش بمستشفى ابن سيناء. أثناء تنويمه حضر اليه المشير البشير بالمستشفى، وبعد أن قضي معه فترة من الزمن منها والرئيس طالع ترك له ظرف به مبلغاً من المال، العم فضيل قال للرئيس علي الطلاق مابشيلو. يقولو كمان فضيل بقى يشيل قروش الحكومة. فقاموا بالإلحاح عليه، كثيراً إلاَّ أنه لم يستجيب لهم وفي الآخر تركوه.

للعم فضيل كثير من المواقف المشرفة التي كما ذكرت إذا أردنا أن نحصرها لا تسعها هذه المساحة. تخرج ابنه عمر من الجامعة وأثناء الخدمة الوطنية في ذلك الوقت قبل أن يهاجر الي السعودية ليعمل مهندساً بها، قام بعمل محل حلويات بالسوق (محلات باسطة) حتى يوفر مصروفاته. وعندما علم العم فضيل بذلك قال له: (يا ولدي داير تفضحني آخر عمري يقولو ود فضيل ببيع الكسرة والله ما تخلي شغلك ده ماعافي منك).. مما اضطر عمر الي ترك المحل.

والعم فضيل عرف بكثير من الميزات والصفات الحميدة. عرف عنه كان يقول للكمساري في المواصلات العامة (يا ولدي عد ناس الحافلة ديل كم وهاك حقهم). وهذا الكلام عرف به إلى ان توفاه الله سبحانه وتعالي، لا يترك أحد بالحافلة إلاَّ ويدفع له طوالي بجر الطلاق وحرم للسواق وللركاب.

عم فضيل يأتي بكل ما يملك لضيفه حتى لو ترك أهل بيته وأسرته من دون أكل/ ولديه مقوله شهيرة يقول: (والله يا ولدي من الصباح نفسي مقفولة ما قادر آكل النجيب الأكل ده شجعني أكل معاي). ولن يتركك حتى تملا ثلث الماء والنفس وأولاده لا يأكلون مع الضيوف اطلاقاً، هذا عنده عيب كبير مهمة أولاده يقومو بخدمات الضيوف حتى يغسلوا أياديهم.

العم فضيل عليه رحمة الله إذا اردت أن تصفه بكلمات إلاَّ أن تذهب الي غناء خلف الله حمد وحده الذي يليق به:

الجنزير في النجوم ... زي الهيكل المنظوم
ما بخاف في المحاصة زموم ... غنيلو يا أم رشوم
دابى الروم شرابو سموم ... ما بخاف في المحاصة زموم
إنت يافرنيب ... جازم مابتجيب لي عيب
اسمك في الرجال عمسيب ... وإنت لي الضرس عرديب
العيشتو مي عوايل ... وجدك بضبح الشايل

ما بخاف في المحاصة زموم

والذي غنى كذلك في الأجواد الكريم النعيم ود حمد:

يا الأحييت سنن البرامكة ... عاجبني طول ايده سامكة

يا با قول النعيم درّاج المتابكة

النعيم يا فحل القبائلْ ... كريم لمّام الهمايلْ
شيتا براك ما أظنو خايلْ ... ايدو امِ رويق والقِبلي شايلْ
النعيم يا قاصدين ليا ... خشمو انطبع لي مرحبا
هو عزيمتو ما بردخا ... والبتلبن للضيف بضبحا
أنا غنيتِ جب مسدارو ... شوف النعيم كيف لاوي شالو
ما حسبوك في القالوا قالوا ... العيشِ رخص والقمري طالوا
النعيم قادر وحدو ... ما تكترو وتتقعدو
هو رب القدرة ساعدو ... ختو لو الصحة ما فنتدو
أنا غنيت للولد ... الاسمو النعيم ود حمد
وكت العيشِ بقي بالقِبض ... ديوان النعيم ولا بنسد
غنيت لدابي الرجيمة ... ما بحوي على البهيمة
هوولو الشكرات قديمة ... ما بشيل المال الفي القسيمة

رحم الله العم فضيل علي فضيل وأسكنه في فسيح جناته مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

حليلو أبونا فضيل

شيرين شرف الدين الفاضل حفيدة الحاج فضيل

حليلو أبونا سيد الناس و سيد الديرة ... حليلو أبونا سمح الخصال والسيرة

حليل أبونا فقد الأهل والجيرة ... حليلو أبو سلمى السرة وبسمة وأميرة

وحليلو أبونا البفك الحيرة

حليل أبونا الدايما بقولنا مرحب ... حليل أبونا الكان حبيباً أقرب

حليلو حلال المشاكل وكت تصعب ... وحليلو أب رأياً سديد وما بتهرب

حليلو أبونا ضو القبيلة الغاب ... حليلو أبونا سيد حلة الفتيحاب

حليلو أبونا أسد الغاب ... حليلو أبونا البفتح الأبواب

حليلو أبو انتصار العندو لينا حساب

حليلو أبونا الكان بجالسنا ... لا بنهرنا لا بزعلنا لا بناقشنا

حليلو الكان موانسنا ومصادقنا ... حليلو أبونا الدايما بجي ويفقدنا

حليلو أبونا ساعة الحارة ما بتانا ... رحل يتمنا بدري الصباح خلانا

حليلو أبو عمر الديمة كان بطرانا ... وربنا يرحمك طول ما النفوس حزنانة

حليلو أبوي وأبو أخواني ... وحليلو أبوي وأبو خيلاني

الديمة عليك الرك وما وراني ... وربنا يرحمك كل ما الفراق هزاني

حليلو أبونا سمح الخصال الطيبة ... حليلو أبونا الكان شهامة و هيبة

لمن جا الخبر وعم البلاد الطيبة ... شفت الدنيا ضيقة وحسرة وخيبة

حليلو أبونا يا دخرينا يا أرباب ... حليلو أبونا كل ما تزاورو الأحباب

حليلو أبونا البفقد الأصحاب ... حليل أبونا الكريم جياب

حليلو أبونا البكرم الضيفان ... حليلو أبونا البضبح الخرفان

حليلو أبونا البوصل الحبان ... حليلو أبونا البفقد الجيران

حليلو أبونا لمن يدق بابو ... حليلو أبونا لمن يسالم أصحابو

حليلو أبونا بين أهلو بين أحبابو ... أنا شاحدة الكريم الجنة تبقى ثوابو

ورحل أمير الجود

كلمات المؤلف:

حليل أب علي وحليلو فضيل حليل أمير الجود عقيد الخيل
حليل مك القبيلة وركيزة الشيل ويا حليلو الكان بعدل الميل
من قومة الجهل وانت طفيل كريماً كنت دافق سيل
فقدك عظيم وحار بلحيل ونبكيك حد ما فينا حيل
في الكرم وزنك عيارو تقيل وسخاك مافي ليهو مثيل
ايدك تدي ديمة ما بتشيل وحاتم فتو غادي عديل
رحل الكان كريم وفَضِيل ورحل البقابل ضيفو بالتهليل
رحل الكان لـلشـــــهـامـة دليل ورحل الكان التقيلة بشيل
رحل المسوي الجود تجارة ورحل صاين العروض والجارة
رحل الدخري دابي السارة فات وخلى الدموع تتجارى
رحل الكان في الكرم أسطورة ورحل سمح الطباع والصورة
تبكيك الجودية ومجالس الشورى وتبكيك المناسبات الكنت نورة
تبكيك الرجولة والمكارم جم وتبكيك البشاشة وحباب حرَّم
تبكيك الضيوف ونحاير الدم ويبكيك الجود يا البتدي خَم
يبكيك الوطن حزين بالدمعة وتبكيك القبائل نويح مجتمعة
يا عشاي ضيوف الهجعة نبكيك يا المشيت بلا رجعة
كنت لينا الدار وكنت مَلَم وبعدك شتاتنا كيف يتلم
يا عطر السماح المن بعيد بنشم كسرك عظيم والله ما بنرم
حليل سحابة الجود مطيرة وحليلو الكان بفك الحيرة
حليل سمح الخصال والسيرة وحليلو الكان براعي الجيرة
فاقدنو الما رقد بي سَيَّة وفاقدنو البشبع ضيفو شية
فاقدنو الخلا نارو حية وفاقدنو الفات وقطع الجية

اسفي عليهو الكان شوية واسفي علي الما خبزلو نَيّة
اسفي عليهو صافي النية واسفي علي قمر العشية
كم عدمان فقير واسيت وكم طلاب علم آويت
كم عوجات كتيرة قضَيت وكم أهديت أراضي وبيت
كم هزيت وكم عزيت وكم مشاكل حســـــم حليت
بالوالدين والرحم بريت وما اتبجحت حاشا بي سويت
كم مزنوق حليلتو دين وكم أصلحت ذات البين
كم وفقت بين زوجين وكم زوجت بالعديل والزين
كنت العم والصديق والأب وكنت الرحمة من الرب
كنت زول لطيف بنحب ومنك شينة ما شفناها تب
كنت الضرا وكنت الضُل وكنت الخير بِعِم الكُل
ماعون الأهل عبيتو قٌل وما بتقبل لـــيـــهـــم مهانة وذُل
كنت الخير وكنت أمان وكنت الحاجة تقضى ضمان
كنت الملجا لي العشمان وزيك ما بجودبو زمان
ما بنقدر نوصف كنت كيف وما بيوفي محاسنك الوصيف
نبكيك شتا ونبكيك صيف ونبكيك حد ما جانا ضيف
ندعوك الهي وكل عشمنا رجاك رافعين الكفوف ياربي نترجاك
من دون حساب ينال منجاك وتسكنو الفردوس فضيل الجاك

(رحل الزعيم وانسد باب أفراحنا)

حفيده: محمد الصادق فضيل

بمزيد من الحزن والأسي، أكتب عن أبي وجدي وعزى وفخري وتاج رأسي بدقات قلبي ورجفات أصابعي وتعلثم لساني واهتزاز قلمي، أكتب عن رجل كتب عنه كثيرون قبلي، ولكن مهما كتبنا فيه ومهما قلنا عنه لن نجد ما يعطى أبونا (فضيل) حقه.. تبقي الحروف حزينة وهي توضع مع بعضها البعض لتنعي والدنا وفقدنا الجلل، تستحي الكلمات وتخجل العبارات عندما نسردها في جدي (فضيل على فضيل).

الجد فضيل كان أباً للجميع وكان أخاً للجميع وكان صديق الجميع وكان قبلة الناس جميعاً. كان بين أهله وبين جميع من يعرفه أكرمهم وأطيبهم وأكثرهم بشاشة وترحاباً .. الجميع فقد الجد (فضيل) الجميع بكي الجد (فضيل) والجميع تيتم برحيل الجد (فضيل). ولكن الجد (فضيل) خلقه الله وهو أولي به منا فنسأل الله رب العباد أن يتغمده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جناته، وأن ينزله الفردوس الأعلى مع الصديقين والشهداء وأن يجمعنا به جميعاً في دار الخلد أجمعين.

يوم سـبتاً حزين زادت على الأمي ... مـا زي بـاقي الأيـام تمشـي وتمر قـدامي

سـهرت عيونى وزادت على أحزاني ... تبكي علي زعيم كان ليهو السبت يوم ختامي

أوصـف في معالمك زي جبل قدامي ... ومـهـمـا قلـت فيـك مـا بيـوفـي كـلامـي

بي فراقـك جفـت من بكـاك عيون ... وهملـت وراك الـديـار العمـارة بيـك بكون

الليلـة الخبر هز الشـرق والهوج ... مـات سـيـد الرجـال البي القيم ممزوج

مات سيد المكارم رحل رئيس الفوج ... هـزانـا الـخـبـر بـفـرقـتـك بـالـحـيـل

يـا أسـد الـبـقـيـا أبـويـا يـا فضـيـل

يا قمر العشـا البضـوي ضـلام الليل ... يـا أب رأيـاً سـديـد العمرو مـا بميـل

الجميع يـا زعيم خبرك يمين هزانـا ... وإسـودت ليالينا يا القمر الغاب من سـمانا

يا حليلو الهميم البشـوش ودع خلانا ... فـراقـو وجـعـنـا وهـزاهـو كـيـانـا

وين تاني الجموع تسمع سديد القول ... من بعـدك قسـم خربـانـة القلوب وعقول

وين فراسـتك وحكمتك في القول ... يـا أبونـا الفقـد غربـه وسـنينهـا تطول

يا الطبعك بشـوش تكرم ضـيوف ... تـبـكـيـك الـعيـون دموعـة نـازلـة غـيـوم

عمرك ما عّبت وحاشـَاكا انت اللوم ... يـا تمسـاح الـدميره النص البحر بعوم

الليـل الجميع حزنـان يمين بفراقـك   يـا مـك الـقـبـايـل يـا قـدوة أحـفـادك
يا سـيد الرجال الما بتسـوي الشـينة   يـا أبو عمر خلاص الـدنيـا ضـــاقـت بينـا

صنديد المواقف

شعر: محمد الهاي فضل الله الريح

حليل الجـــــودو خارق للحساب والمنطق   في عز عدمو فوق الأمة خيـــــــرو مدفق
صنديد المـــــــواقف الفي فارغة ما بنفق   فارس وقلبو أبيض وسـيل بشـاشـتو يشـفق

سيد الجود والكرم

كلمات المؤلف:

سِيد الجُود والكَرم   سِيد مَرْحَب سِيد حَرَّم

وينو فضيل المحترم

بالدمعة والنوح والألم   نبكيهو الأرباب العلم

سيد الديوان والملم   نفايلو ما بجين قلم

سمح الخصال والنفل   باب الديوان ما قفل

وجيه القوم والسفل   بيهم جميع احتفل

من تبيت في الجهل   تدي الكتير بي مهل

ما هزيت فوق جهل   حقيت الجيرة والأهل

فارس الحوبة الأصم   بي شينة ما اتوصم

سيد الاصول والعَرَف   بريت أبوك وأم شَرَفْ

تدي وتَعِم من طرف   وقلبك صميماً ما رجف

ماكشَّ من ضيف وانقسم   في الميات هاش وابتسم

من غير حليفة وقسم   كم مشكلات حسم

ما اندسَّ يوم في الضرا   ومالفة حام بي ورا

طبعو في الناس برا   وزيو ما بتجيب مرا

مالجَّ يوم ما لَكَن   لَقَّاي المزنوق وإِمَكَن

قشاش دموع البَكَن   منو الحريم ما شَكَن

وينو فضيل أب علي   وينو الفَقَّاد البَشْولي

البدي العشمان مَلِي   في الفردوس ينزل عَلِيَّ

طبت حياً وميتاً أبي

مر شهر على رحيل أبي الفقد الجلل الوالد فضيل على فضيل.

الموت حق ومال وخاتمة كل حي. فيه الانتقال من دار الممر إلى دار المقر من دنيا العمل إلى دنيا الجزاء الأوفى. حيث يجازي الله سبحانه وتعالى من كانوا له موحدين وله عابدين ولأحكامه منفذين بنعيم مقيم وجنات عدن فضلاً وكرماً من رب رحيم.

قدر الله تعالى أن يحل بدارنا ملك الموت، ويتوفى أبانا فضيل علي فضيل أحمد صباح السبت (٢٠١٥/١٢/١٢م)، تاركاً قلوباً عليه منفطرة، وألسنة له داعية وعقولاً متفكرة ذاكرة بلاغة أقواله ومحاسن أفعاله دون اعتراض على قضاء الله وقدره ولا جزع من أمر

ه. وحالنا مع أبينا رحمه الله ينطبق عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم، عند قوله يوم وفاة ابنه إبراهيم: (لولا أنه أمر حق ووعد صدق وإن آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك حزننا هو أشد من هذا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون تبكي العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب). وقوله عليه الصلاة والسلام: (تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلاَّ ما يرضي ربنا). وقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه عند تقبيل جبين النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته: (بابي أنت وأمي طبت حياً وميتاً).

وقول على رضى الله عنه عند تغسيل النبي صلى الله عليه وسلم: (بأبي الطيب طبت حياً وميتاً)، وما قاله ابن عقيل رحمه الله: (لولا ان القلوب توقن باجتماع ثان، لتفطرت المرائر لفراق المحبين).

ونحن نقول كذلك طبت يا أبانا رحمك الله حياً وميتاً، فقد اقتديت بذلك السلف الصالح. وكنت من ذلك الجيل المخضرم الذي عاصر شدة الحياة وضيقها. فصبر وصابر مغتنياً عن الناس ومعتمداً على النفس. فقد استثمر أبونا رحمه الله شبابه بالعمل لخدمة أهله وعشيرته وأصحابه وكل معارفه. فقد كانت مهنة أبانا هي الكرم والترحاب والطيب وخدمة الناس، واستقبال الضيوف وإغداق الكرم عليهم. فأبشر بما يسرك ويسعدك عند عزيز مقتدر قال تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره﴾.

كانت شخصية أبينا متعه الله بالجنان ذات وقار ولها هيبة دون وجل وذات عزة بعزيمة. اجتمع فيه المحبة بالتقدير والرحمة بالعطف والنصح بالتوجيه. يغترف من خبرته في كلامه

ما يشوق سامعه ويقنع مناقشه ويمتع مجالسه ويفيد مستشيره. إن حضر أثر، وان غاب فُقد، فهو كان للخير فاتحاً وللشر والمنكر مغلقاً وناهياً.

كان رحمه الله وجعله في عليين لحقوق الله سبحانه وتعالى مؤدياً ولحقوق العباد باذلاً ومنصفاً. فهو للرحم واصلاً وعن الغائب والمسافر سائلاً وعن الأقارب مستفسر وللجيران متفقداً. ومما يواسينا عاجل البشرى ولله الحمد، فشهود الله بالأرض الناس وقد تواتر كلامهم بالشهادة له بالعبادة والطاعة وزين العمل والقول والدعاء له بالرحمة والجنة عند رب كريم لا يضيع أجر من أحسن عملاً. وهو سبحانه عند ظن عباده الحسن به، ليبشر من دعا بخير له وللمسلمين بظهر الغيب بملك كريم طاهر يدعو لهذا الداعي (ولك مثله)، كما ورد بالحديث الشريف فطبت يا أبي حياً وميتاً.

- ابنك المكلوم عمر فضيل.

رثاء بمناسبة ذكرى رحيله الرابعة

(١٢/١٢/٢٠١٥م) - (١٢/١٢/٢٠١٩م)

سلام الى فضيل في حضرة الوطن

كلمات المؤلف.

سلام في الخالدين عليك

يا فضيل

ولي يوم الدين

سلام عليك يا فضيل

سلام من الوطن

وسلام من البلد

وسلام من الأهل

وسلام من ديك

وسلام من ديل

وفاقدنك كتير بلحيل

والرحمات تغشاك يا فضيل

****

سلام يا عَقَاب قِبيل سلام يا لَزُوم الشيل

ويا الكُنت بْتعدل المِيل

سلام يا عَقِيد الخيل ويا العافية التَشِد الحيل

ومليون سلام عليك يا فضيل

سلام يا فِضيل يا أبْ عِلي سلام يا ذو المَقام العَلي

ويا جبل أُم عِلي

يا الما بْتِنْدّس تِخْتلي ويا البيك الكُروب تِنْجلي

ويا اسماعيل الوَلي

والسلام يغشاك يا فضيل

***

سلام يا صَفوة العَبَّاس يا الحوش البِلِم الناس

ويا الجامعة ومدرسة الأساس

سلام يا الهميم حسّاس يا البِتِبْ في الدُهَم كَبّاس

ويا بركات كَدَبَاس

ومليون سلام عليك يا فضيل

****

سلام يا العيدين يا السمح يا زين

ويا الهِندي والسَيدين

سلام يا حفيد الشيخ حسين سلام يا البِتَملا العين

ويا مَقْرن النيلين

ومليون سلام عليك يا فضيل

****

سلام يا زول يا لَمْحَة يا الترِحابك مَرْحى

ويا زغرودة الفَرحة

سلام يا مُرَاح السَرَحة يا البِتْسَامح تَمْحى

ويا الخير والمَرْحّة

وفاقدنك كتير يا فضيل

****

سلام يا راية الأُمّة يا جمال اللَمّة

ويا رَاجل المَهَمّة

يا البِتزيل الغَمَّة ويا البي كل الناس تِهتمَ

ويا أحلى قصيدة ونَمّة

وسلام عليك يا فضيل

***

سلام يا عطر الشَمَّة يا نبع الخير الجَمَّة

يا نصير الخال والعمَّة

ويا البيك الناس تِتْسَمَّا

ومليون سلام عليك يا فضيل

***

سلام يا بحر الجود العَمّ يالبيك القاسي إنْتَمَّة

ويا شَنْدي ويا المَتمَّة

ويا سلام عليك يا فضيل

سلام يا سيد الأسْما يا لوحة ورَسْمّة

ويا المَريت زي النَسْمّة

سلام يا نور العَتَمّة يا البِتفِك الكَتْمّة

ويا الحُولية وخَتْمّة

وسلام عليك يا فضيل

****

سلام يا أب صدراً رَحِب سلام يا الوادي الشِرِب

ويا جداول الضَرِب

سلام يا سيف الحَرب يا عَدَّال المِنْخَرب

ويا خَيرات الغَرِب

ومليون سلام عليك يا فضيل

*****

سلام يا أجَواد الكَفَّة يا عريس الزَفَّة

ويا حُصان اللَفَّة

سلام يا قايد الدَفَّة يا رَجَّاح الكَفَّة

يا الخير الوَفَّى ويا الضيف إتْكَفّة

وسلام عليك يا فضيل

سلام يا روح البَدَن يالقَمَارِي الشَدَنْ

يا حاضرنا ويا غداً

ويا الأمان ويا جنات عَدَن

سلام يا فارس عَزَّة يا سيف الهَزَّة

ويا النِحَاس الرَزَّة

يا الغَمْتَّة ولزَّة يا النعيم ومَلَذَّة

ويا العِندك للناس مَعزَّة

***

سلام يا الجبل الما انهزّة ويا الراكِز ما فَزّ

ويا البِتْشَبَّع شَيَّة ومَزَّة

ويا سلام عليك يا فضيل

*****

فاقِدنك يازول يا روعة يا هَدَّاي اللَوْعَّى

ويا شَبَّاع الجَوْعى

وأوْعَّة من تقول ننساك أوْعّة

وسلام عليك يا فضيل

****

سلام يا ذو الجُمال يا فارس الرُجال

ويا عيد الاستقلال

سلام يا جنات بِلال يا مَوردة الكَمال

ويا مرِيخنا ويا الهِلال

يا جنوبنا ويا الشِمال يا شروقنا وعروس الرمال

ويا القصيدة ويا المَقال

والرحمات تغشاك يا فضيل

******

سلام عليك يا الصَدِيق يا نور الفَرِيق

ويا فكَّة الرِيق

سلام يا طَفَّاي الحَريق يا نَشَّال الغَريق

ويا عَوَج الطريق

سلام يا الرَفِيق يا البِتْفِك الضِيق

ويا ديوان عَتِيق

وسلام عليك يا فضيل

*****

سلام يا نور البُقعة يالسَنْدَّة ورَقْعة

ويا مُوية النَقْعة

يا الجار يا الشَفْعَة يا بَراد الفَجْعة

ويا ضَبَّاح الهَجْعة

***

سلام يا خريف الرَتْعة يالضُل يا النَبْعة

ويا قمر السَبْعة وسَبْعة

وسلام عليك يا فضيل

سلام يا الأصيل يا فريد الجيل

ويا غابات النخيل

يا الوزنك تَقيل يا التَاكا وتُوتيل

ويا غُنَاوي الخَليل

سلام يا المجَدوب دليل يا عيسى ود قِنديل

ويا الطَابية المِقَابلة النيل

***

سلام يازهرة الروض الظليل يا رونق الصبح الجميل

يا السِبيل والناس تَشِيل

ويا حَقيبة الفَنْ الأصيل

وفاقدنك كتير يا فضيل

******

فاقدنك يا التِلِب اللَزُوم يا البِتِب تقوم

ويا خريف الدَالي والمَزْموم

يا بحر العُوم يا الخَاتي اللوم

يا بوابة عبد القيوم

ويا جامعة الخرطوم

وسلام عليك يا فضيل

سلام يا حاتم شَنْدي يا أب كَفْاً بِنْدِي

ويا ديوان الأفندي

يا الضابط والجُندي يا سيف الهندي

ويا أحلى نغم عندي

وسلام عليك يا فضيل

*****

سلام يا سِيدْ السلام يا سليل الكِرَام

يا أجمل كلام

ويا المنبِر ويا المَقَام

سلام يا بدر التمام يا حَكاوينا القُدَام

ويا الأسْكِلَة ويا التُرَام

وسلام عليك يا فضيل

****

سلام يا القيادة يا بحر المَخَادَة

ويا الوِسَام والقِلَادة

يا برج السعادة يا الطبيب والعيادة

ويا مجلس السَيادة

ومليون سلام عليك يا فضيل

سلام يا مَطارق العَادة يا المَدّة وزيادة

ويا التَقَروبة وسِجَّادة

سلام يا ديوان الفِتاوي يا حُجَانا ويا الغَنَاوي

ويا البُرعي وأب كَسَاوِي

يا الجُروف والتَقَاوِي يا دَرْقة البَلَاوِي

ويا شرف الدين راجل أنْقَاوي

وسلام عليك يا فضيل

*****

سلام يا دامر المَجْدوب يا حَلَّال المَكروب

ويا البِتَرفْع المُنصوب

سلام يا الطيَّب الحَبوب يا زادنا والمشروب

ويا أب جَلَّابية وتُوب

وفاقدنك كتير يا فضيل

*****

سلام يا زول يا فَرِق سلام يا أب قَلبا بِرِق

ويا الصَاقْعَة وبَرِق

يا أب دَرْبا ما بِنْطرِق يا الشمعة لي الناس تحترق

ويا صُومعة الشرِق

وسلام عليك يا فضيل

***

سلام يا صباح العيد يا الجوهر الفَريد

ويا هارون الرشيد

يا أب راياً سديد يا الخَبَر المُفيد

ويا الخَلْوّة ويا المَسِيد

***

سلام يا الرَصيد يا الشيخ يا المُرِيد

ويا خيرات الصَعِيد

يا البِتَدِي وتزيد يا الما عليك مَزيد

وياجَوَابات البَرِيد

وسلام عليك يا فضيل

******

سلام يا أطْيَّب أَرَومَة يا سلطان الحكومة

سلام يا بحر العَومَة يا الحَقيت القُوْمَة

ويا ألحان كَرومة

ويا كَسلا ويا إبراهومة

وسلام عليك يا فضيل

****

سلام يا نور النور يا أمان الدُورْ

ويا المَلْجا وسُور

يا قايد البابور يا جَبَّار المَكسور

ويا الخليفة المنصور

وفاقدنك كتير يا فضيل

***

سلام يا قَضَّاي الأمور يا الضيفك مسرور

ويالرِحْمَك كنت تزور

يا جمال الزهور يا شَذى العطور

ويا أغَانـي سَرور

وسلام عليك يا فضيل

****

سلام يا النيل يا القَاش يا رُوح الإنْعاش

ويا رِيحة الدُعَاش

يا التَكِيَّة ومعاش يالخير الماش

ويا الفُتّ واسمك عَاش

وسلام عليك يا فضيل

*****

سلام يا الخير من قُمْتَ سلام يا الجمال الكُنْتَ

ويا المَافي مَثِيلك إنتَ

سلام يا الفارقت الجِتَّة يا الخَليتنا وفُتَ

وكلمة وداع ما قُتَّ

لي جارك صُنْتَ عشيرك ما خُنْتَ

وقُبَّال ضيفك ما نُمْتَ

ومليون سلام عليك يا فضيل

****

سلام يا مَكْ يا أمير يا مستشار الوزير

ويا العالم الخبير

يا الحوش الكبير يا الحَفير والبِير

ويا الخير الوفير

***

سلام يا الزرع النضير يا ركن الفقير

ويا العادل النصير

وسلام عليك يا فضيل

****

سلام يا الخريف يا الزرع الوَريف

ويا القَصر المُنيف

يا إنسان يا لطيف يا ذو القلب النَضيف

ويا جمال الحضر والريف

وسلام عليك يا فضيل

وينك يا فرح العيد يا البِتَكسي جديد

ويا التَكَيَّة ويا المَسيد

يا لَحَّاق بعيد يا البِتَدِي وتزيد

ويا مطاراتنا ويا البَريد

وسلام عليك يا فضيل

******

سلام يا صاين الأعراضة سلام يا مَشْفى المَرَاضة

سلام يا دار الرياضة

يا الثورة ويا الانتفاضة

ويا بركات الإفَاضة

ومليون سلام عليك يا فضيل

******

سلام عليك يا ذاتنا سلام يا أحَلى أوكَاتنا

ويا ألطف نِكَاتْنا

يا رُوحنا ورَاحاتنا يا السَمِح الفَاتْنا

ويا جَمَال جَلساتنا

وسلام عليك يا فضيل

******

سلام يا سِيد التَكايا سلام يا نور العَمَايا

ويا القُبَة وصَرَاية

يا مُلهم الغَنّاية ويا سَلمان وأب قَنَابة

يا الُبوش والسِمَاية يا البَخور والمِحَاية

ويا الخَلْوة وتَايَّة

يا أجمل حِكاية يا البَنِية وبِنَاية

ويا لُوح القِرَاية

ومليون سلام عليك يا فضيل

****

سلام يا دُخْري الحُوبَة يا مَقْنع عَازة وتُوبَة

ويا السِبْحَة وتَقَروبَة

سلام يا الطَار والنوبَة يا بركات التوبة

ويا جَردة اللَالوبة

وفاقدنك كتير يا فضيل

******

سلام يا موسم الأمطار يا الشَذى العَطّار

ويا الفَال السَار

سلام يا النسيم المار يا عَفَّاي التَار

ويا نَغم الأوتَار

***

سلام يا جمال الدار يا كاتم الأسرار

ويا السفينة ويا القِطار

يالعَشَّاي ويا الفطّار يالمَديح والطَار

ويا مواعيد المَطار

سلام يا عِقد الدُر يا البِتْحِلي المُر

ويا جمال أُم دُرْ

يا سيف النَصُر يالخَلوة وقَصُر

ويا النَدِيهة ونَضُر

وسلام عليك يا فضيل

***

سلام يا ليلة القَدُر يا بركات الفُجِر

ويا وَنَسة العُصُر

يا الماسويت الضُّر يا الراكِز مابِتُر

ويا الما بِتْعرِف تَصُر

ومليون سلام عليك يا فضيل

***

سلام عليك ياخِينَا يا جميل يا زِينة

ويا فَشَّاش الغَبِينة

يا مطر العِينَة يا البحر والسفينة

ويا خيرات المِينا

وسلام عليك يا فضيل

***

سلام يا دَهب الخَزينة يا زمن الرَتِينة

ويا كَهْربة المدينة

يا سَمْح الطِينة يا رَواحنا ويا مَجِينا

ويا الكُنت بْتَجِينا

وسلام عليك يا فضيل

***

سلام يا جمال وَشِينا يا عَرْضتنا ومَشِينا

يا ضَبَّاح السمينة

ويا الما سويت الشِينَّة

وسلام عليك يا فضيل

***

سلام يا سمح السيرة سلام يا شيخ الدِيرة

ويا المطر الغزيرة

سلام بحر الدَمِيرة يا البِتراعي الجِيرة

ويا مشروع الجزيرة

ومليون سلام عليك يا فضيل

***

سلام يا نور العشيرة يا البِتْفك الحِيرة

يا جَبَّار الكِسيرة

ويا التاريخ والسِيرة

ومليون سلام عليك يا فضيل

سلام يا ذو النَضرَة يا القَدلة وخَتْرة

ويا المَولِد يا الحَضْرة

يا خريف النَتْرة ويا الساقية ومَتَرة

ويا البتقيل العَتْرة

وسلام عليك يا فضيل

***

يا سمح الفِطْرة يا البِتدي وما بْتَطره

سلام يا أب كفاً تَتَرى ويا البِتْكِفي الكَتَرة

وياعلاج النَطْرة

وسلام عليك يا فضيل

******

سلام يا الوطن السودان يا عبقرية المكان

ويا تُقَابة القرآن

يا الجُرَاب المَلان يا المقاس والميزان

وياغَنَاوي الحِسْان

وسلام عليك يا فضيل

***

سلام يا ركن الأمان يا أروع زمان

يا الأمام الكان

ويا الأزهري والبرلمان

وسلام عليك يا فضيل

****

سلام يا زول يا قِيافة يا منتهى اللَطافة

ويا اللوح والشَرَافة

سلام يا طُرَافة يا المزار والمَطَافة

ويا الفايت الناس مَسَافة

وسلام عليك يا فضيل

****

سلام يا الصَرَّافة يا الكنت الشَر تِتْلافى

ويا الأسُطورة ويا الخُرَافة

وسلام الله عليك يا فضيل

والرحمات تغشاك يا فضيل

وفاقدنك كتير بلحيل

دعاء بالرحمة والمغفرة للراحل فضيل

اللَّهمَّ أبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وأدخله الجنّة، وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النّار. اللَّهمَّ عامله بما أنت أهله، ولا تعامله بما هو أهله. اللَّهمَّ اجزه عن الإحسان إحساناً، وعن الإساءة عفواً وغفراناً. اللَّهمَّ إن كان محسناً فزد من حسناته، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيّئاته. اللَّهمَّ أدخله الجنّة من غير مناقشة حساب، ولا سابقة عذاب. اللَّهمَّ آنسه في وحدته، وفي وحشته، وفي غربته. اللَّهمَّ أنزله منزلاً مباركاً، وأنت خير المنزلين. اللَّهمَّ أنزله منازل الصدّيقين، والشّهداء، والصّالحين، وحسن أولئك رفيقاً. اللَّهمَّ اجعل قبره روضةً من رياض الجنّة، ولا تجعله حفرةً من حفر النّار.

اللَّهمَّ افسح له في قبره مدّ بصره، وافرش قبره من فراش الجنّة. اللَّهمَّ أعذه من عذاب القبر، وجفاف الأرض عن جنبيها. اللَّهمَّ املأ قبره بالرّضا، والنّور، والفسحة، والسّرور. اللَّهمَّ إنّه في ذمّتك وحبل جوارك، فقِهِ فتنة القبر، وعذاب النّار، وأنت أهل الوفاء والحقّ، فاغفر له وأرحمه، إنّك أنت الغفور الرّحيم. اللَّهمَّ إنّه عبدك وابن عبدك، خرج من الدّنيا، وسعتها، ومحبوبها، وأحبّائه فيها، إلى ظلمة القبر، وما هو لاقيه. اللَّهمَّ إنّه كان يشهد أنّك لا إله إلاّ أنت، وأنّ محمّداً عبدك ورسولك، وأنت أعلم به. اللَّهمَّ إنّا نتوسّل بك إليك، ونقسم بك عليك أن ترحمه ولا تعذّبه، وأن تثبّته عند السّؤال. اللَّهمَّ إنّه نَزَل بك وأنت خير منزولٍ به، وأصبح فقيراً إلى رحمتك، وأنت غنيٌّ عن عذابه. اللَّهمَّ آته برحمتك ورضاك، وقِهِ فتنة القبر وعذابه، وآته برحمتك الأمن من عذابك حتّى تبعثه إلى جنّتك يا أرحم الرّاحمين.

اللَّهمَّ انقله من مواطن الدّود، وضيق اللّحود، إلى جنّات الخلود. اللَّهمَّ احمه تحت الأرض، واستره يوم العرض، ولا تخزه يوم يبعثون "يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلبٍ سليم". اللَّهمَّ يمّن كتابه، ويسّر حسابه، وثقّل بالحسنات ميزانه، وثبّت على الصّراط أقدامه، وأسكنه في أعلى الجنّات، بجوار حبيبك ومصطفاك صلّى الله عليه وسلّم. اللَّهمَّ أمّنه من فزع يوم القيامة، ومن هول يوم القيامة، وجعل نفسه آمنةً مطمئنّةً، ولقّنه حجّته. اللَّهمَّ اجعله في بطن القبر مطمئنّاً، وعند قيام الأشهاد آمناً، وبجود رضوانك واثقاً، وإلى أعلى درجاتك سابقاً. اللَّهمَّ اجعل عن يمينه نوراً، حتّى تبعثه آمناً مطمئنّاً في نورٍ من نورك. اللَّهمَّ انظر إليه نظرة رضا، فإنّ من تنظر إليه نظرة رضاً لا تعذّبه أبداً.

اللَّهمَّ أسكنه فسيح الجنان، واغفر له يا رحمن، وارحمه يا رحيم، وتجاوز عمّا تعلم يا عليم. اللَّهمَّ اعف عنه، فإنّك القائل "ويعفو عن كثير". اللَّهمَّ إنّه جاء ببابك، وأناخ بجنابك، فَجد

عليه بعفوك، وإكرامك، وجود إحسـانك. اللَّهمَّ إنّ رحمتك وسـعت كلّ شـيء، فارحمه رحمةً تطمئنّ بها نفسـه، وتقرّ بها عينه. اللَّهمَّ احشـره مع المتّقين إلى الرّحمن وفداً. اللَّهمَّ احشـره مع أصحاب اليمين، واجعل تحيّته سلامٌ لك من أصحاب اليمين. اللَّهمَّ بشّره بقولك "كلوا واشربوا هنيئاً بما أسـلفتم في الأيّام الخالية". اللَّهمَّ اجعله من الّذين سـعدوا في الجنّة، خالدين فيها ما دامت السّموات والأرض. اللَّهمَّ لا نزكّيه عليك، ولكنّا نحسـبه أنّه آمن وعمل صـالحاً، فاجعل لـه جنّتين ذواتي أفنـان، بحقّ قولـك: "ولمن خـاف مقام ربّـه جنّتـان". اللَّهمَّ شـفّع فيـه نبيّنـا ومصطفاك، واحشره تحت لوائه، واسقه من يده الشّريفة شربةً هنيئةً لا يظمأ بعدها أبداً.

اللَّهمَّ إنّه صبر على البلاء فلم يجزع، فامنحه درجة الصّابرين، الذين يوفّون أجورهم بغير حسـاب، فإنّك القائل " إنّما يوفّى الصّـابرون أجرهم بغير حسـاب ". اللَّهمَّ إنّه كان مصـلّ لك، فثبّته على الصّـراط يوم تزلّ الأقدام. اللَّهمَّ إنّه كان صـائماً لك، فأدخله الجنّة من باب الريّان. اللَّهمَّ إنّه كان لكتابك تالياً وسـامعاً، فشـفّع فيه القرآن، وارحمه من النّيران، واجعله يا رحمن يرتقي في الجنّة إلى آخر آية قرأها أو سـمعها، وآخر حرفٍ تلاه. اللَّهمَّ ارزقه بكلّ حرفٍ في القرآن حلاوةً، وبكلّ كلمة كرامةً، وبكلّ آية سـعادةً، وبكلّ سـورة سـلامةً، وبكل جُزءٍ جزاءً. اللَّهمَّ فإنّه كان مسـلماً، واغفر له فإنّه كان مؤمناً، وأدخله الجنّة فإنّه كان بنبيّك مصـدّقاً، وسامحه فإنّه كان لكتابك مرتّلاً. اللَّهمَّ اغفر لحيّنا وميّتنا، وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا، وذكرنَا وأنثانا.

اللَّهمَّ من أحييته منّا فأحيه على الإسـلام، ومن توفّيته منّا فتوفّه على الإيمان. اللَّهمَّ لا تحرمنا أجره ولا تضـللنا بعده. اللَّهمَّ ارحمنا إذا أتانا اليقين، وعرق منّا الجبين، وكثر الأنين والحنين. اللَّهمَّ ارحمنا إذا يئس منّا الطّبيب، وبكى علينا الحبيب، وتخلّى عنّا القريب والغريب، وارتفع النّشـيج والنّحيب. اللَّهمَّ أرحمنا إذا اشـتدّت الكربات، وتوالت الحسـرات، وأطبقت الرّوعات، وفاضت العبرات، وتكشّفت العورات، وتعطّلت القوى والقدرات. اللَّهمَّ أرحمنا إذا حُمِلنا على الأعناقِ، وبلغتِ التراقِ، وقيل من راق، وظنّ أنّه الفراق، والتفَّتِ السَّـاقُ بالسَّـاقِ، إليك يا ربَّنا يومئذٍ المسـاق. اللَّهمَّ ارحمنا إذا ورينا التّراب، وغلّقت القبور والأبواب، وانفضّ الأهل والأحباب. اللَّهمَّ أرحمنا إذا فارقنا النّعيم، وانقطع النّسيم، وقيل ما غرّك بربّك الكريم.

اللَّهمَّ إنّه عبدك وابن عبدك وابن أمتك، مات وهو يشهد لك بالوحدانيّة، ولرسولك بالشّهادة، فاغفر له إنّك أنت الغفّار. اللَّهمَّ لا تحرمنا أجره، ولا تفتنّا بعده، واغفر لنا وله، وأجمعنا معه في جنّات النّعيم يا ربّ العالمين. اللَّهمَّ أنزل على أهله الصّبر والسّلوان، وأرضهم بقضائك.

المصادر

١. الجعليون: تاريخهم وحياتهم ونسبهم وأدبهم - محمد سعيد معروف ومحمود محمد علي نمر - شركة دار البلد للطباعة والنشر - الطبعة الثالثة - ١٩٩٨م.
٢. الجَعَليون العَبَّاسيون بالسودان - سفيان المرضي الشيخ - دار جامعة القرآن الكريم للطباعة - ٢٠٠٥م.
٣. موسوعة القبائل والأنساب في السودان وأشهر أسماء الأعلام والأماكن (٦ أجزاء) بروفسور عون الشريف قاسم - شركة آفرو قواف للطباعة - الخرطوم ١٩٩٦م.
٤. جامع نسب الجعليين المسمى السور الحصين المنيع البأس في اتصال نسب إبراهيم جَعَلْ بأصله العباس - عبد الله محمد الخبير.
٥. دليل الأنساب في السودان - عثمان حمد الله الحاج علي - الطبعة الأولى - دار عزة للنشر والتوزيع ٢٠٠٧م.
٦. تاريخ العرب في السودان - الكتاب الثاني - الطبعة الثانية هارولد أ. ماكمايكل، تعريب الأستاذ سيد علي محمد ديدان ٢٠١٣م.
٧. تاريخ ما أهمله التاريخ - الأشراف العباسيون الهاشميون في السودان - فروعهم وأنسابهم وتاريخهم - الأشراف الشايقية نموذجاً - الشريف د. عامر عبد الحميد سيد أحمد.
٨. تاريخ وأصول العرب بالسودان - الفحل الفكي الطاهر - الخرطوم -١٩٧٦م.
٩. الأساس في أنساب بني العباس- الشريف حسني بن أحمد بن علي العَبَّاسي - دار ركابي للنشر والتوزيع - القاهرة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٠. بيت البكا - الطيب محمد الطيب - هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠١٣م
١١. أم درمان زمان الأصالة والابداع، زين العابدين زكريا محمد.
١٢. سهم الأرحام والأنساب في السودان - عثمان حمد الله الحاج علي.
١٣. المريخ عبر التاريخ (٧٥) عاماً من العطاء والاعجاز.
١٤. السودان الشمالي سكانه وقبائله - الطبعة الثانية - محمد عوض محمد - ١٩٦٥م.
١٥. العرب التاريخ والجذور - أنساب أهل السودان ذات الجذور العربية - الجزء الأول - الصديق أحمد حضرة - المطبعة العسكرية ٢٠٠٥م.
١٦. من نافذة القطار - بروفيسور عبد الله الطيب. الوقف لطباعة وتوزيع كتب عبد الله الطيب

١٧. العرب التاريخ والجذور - أنساب وتاريخ الهاشمية والعربان - الجزء الثاني - الصديق أحمد حضرة - شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ٢٠٠٩م.
١٨. تاريخ العرب في السودان - الكتاب الأول - هارولد أ. ماكمايكل، الطبعة الثانية- تعريب الأستاذ سيد علي محمد ديدان ٢٠١٣م.
١٩. عبد الله الطيب ذلك البحر الزاخر - دراسة تحليلية لحياته ونظرياته في الأدب والحياة - البروفسور زكريا بشير إمام - الطبعة الثانية - شركة مطابع السودان للعملة المحدودة - الخرطوم - ٢٠٠٨م.
٢٠. أم درمان - التجاني عامر، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية ٢٠١٣م.
٢١. أولاد قرشي - دراسة في التراث والأنساب - عبد المنعم محمد الفكي برواية عبد الله علي الفكي أحمد قرشي.
٢٢. أقباط السودان: الماضي والحاضر، أ.د سعد محمد أحمد سليمان، الطبعة الأولى - ٢٠١٣م.
٢٣. رحلات بوركهارت في بلاد النوبة والسودان - الطبعة الأولى، جون لويس بوركهارت، ترجمة فؤاد اندراوس، الدار السودانية للكتب ٢٠١٧م.
٢٤. الجعليون عموماً - الشعديناب خصوصاً - أزهري عوض التوم الجرق.
٢٥. سجين الخليفة - إثنا عشر عاماً في أسيراً بأم درمان، شارلس نيبوفلد، ترجمة وتقديم محجوب التجاني محمود، ٢٠٠٦م.
٢٦. صوت من السماء (ديوان شعر) - الطبعة الثانية، دكتور عمر أحمد قدور - الخرطوم ٢٠٠٥م.
٢٧. قاموس اللهجة العامية في السودان - الدكتور عون الشريف قاسم - الدار السودانية للكتب - الطبعة الثالثة ٢٠٠٢م.
٢٨. النغم الأصيل من ربوع نهر النيل – ديوان شعر- محمد عمارة جاد.
٢٩. المجاذيب نير وأنوار - الجزء الأول - د. أحمد بابكر الطاهر جلال الدين - مطبعة سولو للطباعة والنشر- الخرطوم - ٢٠٠٧م.
٣٠. مسجد وخلوة الفكي محمد محمد زين (ود مَنوفَل) - عبد المنعم محمد محمد زين.
٣١. معالم في دروب العلم - الفكي أحمد قرشي - بابكر الخضر بابكر.

٣٢. من صور التمازج القومي في السودان - دراسة في تاريخ حلفاية الملوك السياسي والاجتماعي والثقافي وعلاقات أهلها بقبائل السودان المختلفة خلال العصور الطبعة الثانية - بروفسور عون الشريف قاسم - دار جامعة أم درمان الاسلامية للطباعة للنشر ١٩٩٠م.
٣٣. هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل ومصر، ضرار صالح ضرار، الطبعة الثالثة ٢٠٠٨م.

شبكة الانترنت:

١. موقع ولاية نهر النيل.
٢. موقع سوداناو.
٣. ملتقى النسابين السودانيين بموقع الواتساب.
٤. موقع ويكيبيديا - الموسوعة الحرة.
٥. مواقع الكترونية مختلفة.

الصحف اليومية:

١. صحيفة الانتباهة.
٢. صحيفة ألوان.
٣. صحيفة اليوم التالي.
٤. صحيفة الوطن.
٥. صحيفة الخرطوم.

المؤلف في سطور



- عَبْدُ البَاقِيْ الطَّيِّبُ عَلِيُّ.
- مَوَالِيْدُ قَرْيَةِ الجُبَارَابِ جَنُوْبِ الدَّامَرِ (١٩٦٥م).
- دَرَسَ بِمَدْرَسَةِ الجُبَارَابِ الإِبْتِدَائِيَّةِ، ومَدْرَسَةِ شَيْخِ مَجْذُوْبِ المُتَوَسِّطَةِ، بِالدَّامَرِ وَمَدْرَسَةِ الدَّامَرِ الثَّانَوِيَّةِ.
- بَكَالَورْيُوس الشَّرِيْعَةِ والقَانُوْنَ جَامِعَةِ أُمِّ دُرْمَانَ الإِسْلَامِيّةِ (١٩٩٠م) .
- شَـــهَادَةُ مُمَارَسَـــةِ مِهْنَةِ القَانُوْنِ (المُعَادَلَةُ) (١٩٩٢م) - تَرْخِيْصُ العَمَلُ بِمِهْنَةِ المُحَامَاةِ (١٩٩٤م).
- شَهَادَةُ القَيْدِ الصَّحَفِيّ لِمُمَارَسَةَ مِهْنَةِ الصَّحَافَةِ (٢٠٠٩م).
- عُضْوُ الاتِّحَادِ القَوْمِيّ لِلْأُدَبَاءِ والكُتَّابِ السُّوْدَانِيِّيْنَ.
- عُضْـوُ الاتِّحَادِ العَامِ لِلصَّـحَفِيِّيْنَ السُّـوْدَانِيِّيْنَ، وَعُضْـوُ جَمْعِيَّةِ الصَّـحَفِيِّيْنَ السُّـوْدَانِيِّيْنَ بالرياض، وَجَمْعِيَّةِ الصَّحَفِيِّيْنَ الرِّيَاضِيِّيْنَ السُّوْدَانِيِّيْنَ بالرياض، وَجَمْعِيَّةِ القَانُوْنِيِّيْنَ السُّوْدَانِيِّيْنَ بالرياض بِالمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السَّعُوْدِيَّةِ.
- عُضْوُ مُلْتَقى النَسَّابين السُودَانِيين عَلى مَوْقع الوَاتْسَاب.

- عَمَلَ بِالمُحَامَاةَ، بِأُمِّ دُرْمَانَ والقَضَــــارِف، ثُمَّ هَاجَرَ، سَــــنَةَ (١٩٩٦م)، للعَمَلِ بِالمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السَّعُوْدِيَّةِ.
- شَــارَكَ بِالكِتَابَةِ الرَّاتِبَةِ بِصُــحُفِ: الطُّرْفَةُ، بِالوِلَايَةِ الشَّــرْقِيَّةِ، والخُرْطُوْمِ، والسُّــوْدَانِيِّ، والانتِباهَةِ واليَوم التَّالِي والمَرِّيْخِ، وَوَهْجِ الصَّـــفْوَةِ والصَّـــدَى، والرَّأْيَّ العَامِ، والرِّيَاضِـــيَّةِ السَّعُوْدِيَّةِ.
- مُحَرِّرٌ سَـابِقٌ لِعَمُوْدِ (إِشَـارَة حَمْرَاء)، وعَمُوْدِ (صُـوْرَة مَقْلُوْبَة)، وعَمُوْدِ (جِهَارًا نَهَارًا)، و(اسْتِرَاحَة الجُمْعَة)، و(مِنَ المُفَكِّرَةِ)، بِصُحِفِ: الخُرْطُوْمِ، والسُّوْدَانِيِّ، (صَفْحَةِ المُغْتَرِبَيْنَ)، والمَرِّيْخِ، وَوَهْجِ الصَّفْوَةِ؛ وَمُحَرِّرُ عَمُوْدِ (إِشَـارَةٍ حَمْرَاءَ) حَالِيًّا، بِصَحِيْفَةِ الصَّدَى الرِّيَاضِيَّةِ ومَجلة النُخْبة الرِياضيَّة الإلكترونية.

لَهُ تَحْتَ الطَّبْعِ كِتَابُ (الجَعَلَيُّونَ (جُذُوْرُهُمْ ـــ أَنْسَابُهُمْ ـــ فُرُوْعُهُم ـــ مَوَاطِنُهُم ـــ مَمَالِكُهُم ـــ أَعْلَامُهمُ) (الجَعَلَيُّونَ الشَّـــعَدِّيْنَابُ والجُبَارَابُ بِالدَّامَرِ نَمُوْذَجًا) كتاب (مُفَكِّرَاتِيْ الصَّـــحَفِيَّةِ - مَجْمُوْعِةُ مَقَالَاتٍ صَـــحَفِيَّةٍ خَفِيْفَةٍ) وكِتَابُ (الضَّـــابِطُ فِيْ تَكْوِيْنِ وإِدَارَةِ الجَمْعِيَّاتِ والرَّوَابِطِ) وكتاب (أُسطُورة الكَرم والشَـهَامَة حَاتِم دَار جَعَل فِضَـيِلُ عَلِيُّ فِضَـيْلُ الجَعَلِي). وتحت الجمع (دِيْوَانُ شِعْرٍ قَوْمِيِّ).

- نَاشِطٌ ثَقَافِيٌ وَرِيَاضِـيٌّ وَسَطَ الجَالِيَةِ السُّـوْدَانِيَّةِ بِالرِّيَاضِ، العَاصِـمَةِ السَّـعُوْدِيَّةِ وَعَضُـوٌ مُؤسِــسٌ لِكَثِيْرٍ مِنْ الجَمْعِيَّـاتِ، والرَّوَابِطِ، والمُنْتَـدَيَـاتِ الأَدَبِيَّـةِ، والثَّـقَـافِيَّـةِ والاجْتِمَـاعِيَّـةِ والرِّيَاضِـيَّةِ، بِالجَالِيَةِ، مِنْهَا مُنْتَدَى الأَرْبِعَاءِ الأَدَبِيِّ، وجَمْعِيَّةُ بَيْتِ الشَّـبَابِ السُّـوْدَانِيِّ، وَمُلْتَقَى مِرْيْخَابِ الرِّيَاضِ، وجَمْعِيَّةُ القَانُوْنِيِّيْنَ السُّـوْدَانِيِّيْنَ، وَتَجَمُّعُ الفَنَّانِيْنَ، والشُـعَرَاءِ، والمُوْسِـيْقِيِّيْنَ بِالرِّيَاضِ.
- عُضْـوُ اللَّجْنَةِ التَّنْفِيْذِيَّةِ لِلرَّابِطَةِ الرِّيَاضِـيَّةِ للسُّـوْدَانِيِّيْنَ بِالخَارِجِ (الصَّـالِحِيَّةِ)، بالرِّيَاضِ العَاصِمَةِ السَّعُوْدِيَّةِ، وعُضُو اللَّجْنَةِ القَانُوْنِيَّةِ، وعضو لَجْنَةِ الاسْتِئْنَافَاتَ بِالرَّابِطَةَ.
- أُختير عُضْـــواً ومُقَرِّرَاً لِلَّجْنَةِ العُلْيَا لِلمُسَـــابَقَةَ الثَّقَافِيَّةِ الدَّوْرِيَّةِ لأَبْنَاءِ الجَالِيَةَ السُّـــوْدَانِيَةِ بالمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السَّعُوْدِيَّةِ، ورَئِيْساً لِلِّجَانِ الفَنِّيَّةِ للمُسَابَقَةَ.
- رَئِيس مُنْتَدَى الأَرْبِعَاءِ الأَدَبِيِّ الثَقَافي بِالرِّيَاضِ - السَّعُوْدِيَّةِ.
- الأَمِيْنُ العَامُ لِمُلتَقَى مِرِّيِخَابِ الرِّيَاضِ بالمَمْلَكَةِ العَرَبِيَّةِ السَّـــعُوْدِيَّةِ، لِعِدَّةِ دَوْرَاتٍ، مِنْ (٢٠١٠م - ٢٠٢١م)، والأَمِيْنُ العَامُ سَابقًا لِجَمْعِيَّةِ بِيْتِ الشَّبَابِ السُّوْدَانِيِّ بِالرِّيَاضِ - السَّعُوْدِيَّةِ.
- الأَمِيْنُ العَامُ السَابق لجَمْعية الأُسَر السُودَانية بِالرِّيَاضِ - السَّعُوْدِيَّةِ ونَائِب رَئِيس الجَمعيّة الحَالِي(٢٠٢١).

- أَمِيْنُ الثَّقَافَةِ بِالرَّابِطَةِ الرِّيَاضِـيَّةِ للسُّـوْدَانِيِّيْنَ بَالخَارِجِ (الصَّـالِحِيَّةِ) بِالرِّيَاضِ العَاصِـمَةِ السَّـــعُوْدِيَّةِ، وأَمِيْنُ الأَعْلَامِ سَـــابِقًا، بِكُلٍ مِنْ رَابِطَةِ المرِيْخِ بِالرِّيَاضِ، وَجَمْعِيَّةِ القَانُوْنِيِّيْنَ السُّوْدَانِيِّيْنَ بِالرِّيَاضِ، وتجَمْعِ الفَنَّانِيْنَ، والشُّعَرَاءِ، والمُوْسِيْقِيِّيْنَ بِالرِّيَاضِ.
- بَاحِثٌ فِيْ التَّارِيْخِ، والفنون والتُّرَاثِ، والأَنْسَـابِ، وَنَسَّـابٌ، وَمُحَقْقٌ فِيْ أُصُـوْلِ وأَنْسَـابِ القَبَائِلِ السُّوْدَانِيَّةِ، وقَبِيْلَةِ الجَعَلِيِّيْنَ خَاصَّةً.
- أَعَدَّ، وَنَقَّحَ دَسَـــاتِيْرَ، وَقَوانِيْنَ، وَلَوَائِحَ الكَثِيْرِ مِنْ الجَمْعِيَّـاتِ، والرَّوَابِطِ، والمُنْتَدِيَـاتِ الثَّقَافِيَّةِ، والشَـبَابِيَّةِ، والخَيْرِيَّةِ، والرِّيَاضِـيَّةِ، عَلَى مُسْـتَوَىْ الجَالِيَاتِ السُّـوْدَانِيَّةِ، والعَرَبِيّةِ، بِالمَمْلَكَةِ السَّعُوْدِيَّةِ.
- مُسْـتَشَـارٌ مَرْجِعِيٌّ لِكَيَانَاتٍ وَجَمْعِيَّاتِ الجَالِيَّةِ السُّـوْدَانِيَّةِ بِالرِّيَاضِ، العَاصِـمَةِ السَّـعُوْدِيَّةِ، فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِقَوَانِيْنَ، وَلَوَائِحَ وإِدَارَةِ العَمَلِ الجَمْعِيَّاتِيِّ واشْكَالَاتِهِ.
- مُنِحَ العَدِيْدُ مِنْ الشَهَادَاتَ التَّقْدِيْرِيَّةِ، فِيْ المَجَالَ الإِعْلَامِيِّ والثَّقَافِيِّ.
- مُنِحَ (دِرْعَ الثَّقَافَةِ)، خِلَالَ فَعَالِيَّاتِ الخُرْطُوْمِ، عَاصِمَةِ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ ٢٠٠٥م.
- عَمَلَ مُسْـتَشَـارًا قَانُوْنِيًّا، بِالعَدِيْدِ مِنْ الشَّـرِكَاتِ، والمُؤسَّسَـاتِ، ومَكَاتِبَ المُحَامَاةِ وبِمَرْكَزِ إِيْجابِ للْخَدَمَاتِ والاسـتِشَـارَاتِ القَانُوْنِيَّةِ بالرِّيَاضِ -السَّـعُوْدِيَّةِ، كَمَا عَمَلَ لفترة بِصَـحِيْفَةَ الجَزِيْرَةِ السَّعُوْدِيَّةِ.
- يعمَلُ (مُسْتَشَارًا قانُوْنِيًّا)، بشَرِكة الحُلُول المُتمَيزة بِالرِّيَاضِ - السَّعُوْدِيَّةِ.
- مُتَزَوِّجٌ، وَلَهُ مِنْ الأَبْنَاءِ (عَمَّارُ، وَعُلا وأوَاب).